

الروائية رقم واحد في تحقيق المبيعات طبقاً لصحيفة نيويورك تايمز

ساندرا براون



تحت الصفر

" انها لروائية رائعة "
- صحيفة يواس ايه توداى



فريق العمل بقسم تحميل كتب مجانية





رياحين

^ RAYAHEEN ^

الفصل
١

كان القبر غير مستوٍ :

والعاصفة ستكون غير مسبوقة .

هكذا جاءت توقعات الأرصاد الجوية بأن العاصفة ستكون غير مسبوقة . لم يكن القبر يزيد عن عمق طبق صغير في أرض يابسة ، وهو القبر الذى تم حفره لـ " ميليسنت جان " - البالغة من العمر ثمانية عشر عاماً ، ذات الشعر البنى القصير والجسد ضعيف البنية ويبلغ طولها خمس أقدام وأربع بوصات ؛ والتى تم الإبلاغ عن غيابها منذ أسبوع ؛ وكان طول القبر يكفى فقط ليستوعب طولها ، أما العمق ، أو ما يحتاجه القبر من ذلك ، فيمكن إصلاحه في الربيع ، عندما تبدأ التربة فى التفكك ، هذا إذا لم يتخلص من الجثمان الذى بداخله قبل ذلك .

تحول بين تيرنى بنظره من القبر الجديد إلى القبور الأخرى المجاورة . كان هناك أربعة قبور أخرى وكانت الأنقاض والنباتات المتحللة في الغابة تمثلان لها تمويهًا طبيعياً ، إلا أن

كل قبر منها يختلف عن الآخر ويعطى أرضية الغابة غير الممهدة شكلاً مميزاً ، وقد سقطت إحدى الأشجار الميتة فوق أحد هذه القبور وقد أخفته تماماً لا يراه إلا شخصاً يتمتع ببصر حاد .

شخصاً مثل تيرنى .

ألقى نظرة أخيرة على القبر الفارغ الضحل ، ثم التقط الجاروف من على الأرض بجوار قدمه وارتد عائداً . وبينما هو يفعل ذلك . أخذ يلاحظ الآثار القاتمة لحذائه الثقيل علي بساط أبيض من جليد رقيق . لم تكن آثار حذائه تقلقه كثيراً ، فلو صدق كلام خبراء الطقس ، سرعان ما ستتغطى آثار الأقدام بعدة بوصات من المطر المتجمد ، وعندما يذوب على الأرض ، ستغوص آثار الأقدام فى الوحل .

على أية حال ، لم يتوقف تيرنى ليفكر بشأن آثار الأقدام . كان عليه أن يترك الجبل الآن .

وكان قد ترك سيارته على الطريق فى مكان يبعد مائتى ياردة من القمة والمقابر . ورغم أنه كان الآن هابطاً التل ، لم يكن هناك مسار يمكن اتباعه خلال أشجار الغابة المتشابكة ، كما أن الغطاء الكثيف الذى يغطى الأرض كان يحد من حركته ، كما كانت الأرض وعرة غير ممهدة ، ومما زاد من خطورة ذلك المطر المتجمد المنهمر الذى كان يحد من رؤيته . وعلي الرغم من أن تيرنى كان فى عجلة من أمره ، فإنه كان مضطرا لتحسس طريقه بعناية حتى لا يتعثر .

لقد تنبأ خبراء الجو بهذه العاصفة منذ أيام مضت ، وقالوا إن التقاء العديد من الأنظمة من الممكن أن يؤدى إلى حدوث أسوأ عاصفة عرفتها الذاكرة الحية ، ونصحوا الناس باتخاذ

الاحتياطات اللازمة وادخار المؤن وإعادة التفكير فى خطط السفر ، ولا يمكن أن يفكر فى الصعود إلى هذا الجبل اليوم إلا شخص أحمق ، أو شخص له حاجة ماسة عليه أن يضطلع بها .

شخص مثل تيرنى .

كان الرذاذ البارد الذى بدأ تساقطه فى فترة مبكرة من بعد الظهيرة قد بدأ يتحول إلى مطر متجمد ، وأخذت كريات المطر المتجمد تخز وجهه مثل الأشواك ، وهو يشق طريقه خلال الغابة . أرخى تيرنى كتفيه ورفع ياقته حتى أذنيه اللتين تجمدتا بالفعل من البرودة .

زادت سرعة الرياح بشكل ملحوظ ، وكانت الأشجار تتلقى ضربات الرياح ، وقد أخذت أغصانها العارية يضرب بعضها بعضاً كعصيان الإيقاع تحت وطأة الرياح الهوجاء التى أزالت الأوراق الإبرية عن الأشجار دائمة الخضرة ، وأخذت تطيرها هنا وهناك ، فضربته إحداها فى خده كرمية السهم .

قال تيرنى فى نفسه من خلال الجزء الذى يسجل الحالة الراهنة لما يحيط به من عقله تلقائياً **خمسة وعشرون ميلاً فى الساعة ، من الشمال الغربى** . كان تيرنى يعرف تلك الأشياء - سرعة الرياح والوقت ودرجة الحرارة والاتجاه - بغريزته ، كما لو كان جسده به دوارة رياح وساعة وترمومتر يقدمون له جميعاً المعلومات المناسبة باستمرار إلى عقله الباطن .

لقد كانت موهبة طبيعية حولها إلى مهارة صقلها هو بقضاء الكثير من الوقت فى الهواء الطلق بعد وصوله إلى سن البلوغ . لم يكن عليه أن يفكر تفكيراً واعياً فى هذه البيانات البيئية الدائمة

التغير ، لكنه كثيراً ما كان يعتمد على قدرته لمعرفة هذه البيانات على الفور عند الحاجة إليها .

كان يعتمد على قدرته تلك الآن ؛ لأنه ليس في صالحه أن يُحاط به على قمة كليرى بيك - ثانى أعلى قمة في نورث كارولينا ، بعد قمة ماونت ميتشل - وهو يحمل جاروفاً ويجرى مبتعداً عن أربعة قبور عتيقة قد تم حفر أحدها حديثاً .

لم يكن معروفاً عن رجال الشرطة المحلية تحقيقاتهم المتقنة ولا نجاحهم في حل ألغاز الجرائم . في الحقيقة ، كان قسم الشرطة أضحوكة المنطقة ، حيث كان مأمور القسم محققاً أفل نجمه ، وأطيح به من القسم الذى كان يخدم به في إحدى المدن الكبرى .

أصبح المأمور دتش بورتون الآن مسئولاً عن مجموعة من الضابط السذج غير الأكفاء - مجموعة من الريفيين الحمقى يرتدون زيًا رسمياً يدل على التعالى بشاراته البراقة اللامعة - الذين تم دفعهم دفعاً إلى الإمساك بمتهم يرسم صوراً فاضحة على حاويات القمامة خلف محطة تيكساكو .

أما الآن فتركيزهم منصب على حالات الغياب الخمس التى لم يُتَوصَل إلى حل لها ، ورغم عدم كفاءة أفضل رجال كليرى هؤلاء ، فإنهم استنتجوا أن اختفاء خمس نساء من مجتمع صغير كهذا خلال سنتين ونصف لا يمكن اعتباره مصادفة بأية حال من الأحوال .

في المدن الكبرى ، يبدو إحصاء كهذا شيئاً هيناً مقارنة بإحصاءات أخرى أكثر إثارة للرعب . أما هنا ؛ في هذه المنطقة

الجبلية القليلة الكثافة ، فإن اختفاء خمس نساء كان شيئاً مذهلاً .

بالإضافة إلى ذلك ، كان الاعتقاد العام هو أن النساء المختفيات قد واجهن مصاعب جمة ؛ لذا فإن العثور على بقاياهن ـ لا العثور عليهن أحياء ـ المهمة التى تواجه السلطات ، والشكوك من الممكن أن تحوم حول رجل يحمل جاروفاً عبر الغابة .

رجل مثل تيرنى .

حتى الآن ، لايزال تيرنى فى نطاق رادار فضول رئيس القسم بورتون ، وكان مهماً إبقاء الأمر على هذه الحالة .

أخذ تيرنى وهو ينقل خطواته الواحدة تلو الأخرى يستدعى الإحصاءات الحيوية الخاصة بالنساء المدفونات فى القبور الموجودة على قمة الجبل . فإحداهما اسمها كارولين مادوكس ، وكانت تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً ، عريضة الصدر ذات شعر أسود جميل وعينين واسعتين بنيتين ، وقد أبلغ عن غيابها فى أكتوبر الماضى . كانت كارولين أمًّا منفصلة ، تعول طفلاً يعانى من مرض السكر ، وكانت تعمل فى تنظيف الغرف بأحد الفنادق الصغيرة بالمدينة ، وكانت تحيا حياة لا مسرة فيها تدور فى حلقة مفرغة من التعب والكد .

إن كارولين مادوكس البدينة تنعم الآن بسلام وراحة لا حد لهما . كما كانت كذلك لاورين إليوت ، تلك العزباء ، الشقراء ، البدينة التى كانت تعمل ممرضة بإحدى العيادات .

أما بيتسى كالهون ؛ الأرملة ربة المنزل ، فكانت أكبر من الأخريات .

وصغراهن ، تورى لامبيرت ، كانت أيضاً أولهن ، وأكثرهن جمالاً . وهى الوحيدة التى لم تكن من سكان كليرى .

زاد تيرنى من سرعته ليتخلص من الأفكار التى تؤرقه ومن الجو السىء أيضاً . كان الثلج قد بدأ يغطى أطراف الأشجار كالأكمام ، وبدأ يكسو الصخور ويكسبها أشكالاً مختلفة ؛ وسرعان ما سيصبح الطريق المنحدر المتعرج الهابط إلى كليرى غير قابل للسير عليه ؛ لكن من الضرورى عليه أن يترك هذا الجبل اللعين .

لحسن الحظ ، لم تخذله بوصلته الداخلية ، فخرج من الغابة فى مكان لا يبعد أكثر من عشرين قدماً عن المكان الذى دخل منه ، ولم يندهش حين رأى سيارته وقد تغطت بالفعل بطبقة رقيقة من الثلج والمطر المتجمد .

وبينما كان يقترب من السيارة ، أخذ يتنفس بصعوبة مُطلِقاً دفعات من البخار إلى الهواء البارد . لقد كان هبوطه من قمة الجبل أمراً مرهقاً ، أو ربما تكون صعوبة تنفسه وزيادة معدل ضربات قلبه مرجعها إلى القلق ، أو الإحباط ، أو الندم .

وضع تيرنى الجاروف فى مؤخرة السيارة ، ونزع القفاز المطاطى الذى كان يرتديه ملقياً إياه فى مؤخرة السيارة أيضاً ، ثم أغلق الغطاء . ودخل إلى سيارته وأغلق بابها ، مرحباً بهذا المأوى الذى يقيه الرياح القاصفة .

وبينما كان يرتعش أخذ ينفخ فى يديه ويحكهما معاً بشدة متمنياً إعادة الدورة الدموية إلى أطراف أصابعه . لقد كان القفاز المطاطى ضرورياً ؛ لكنه لم يوفر له أية حماية ضد البرد . أخرج قفازاً جلدياً مبطناً بالصوف من جيب المعطف وارتداه .

ثم أدار المحرك .

ولم يحدث شيء .

ضغط تيرني عصا السرعة ثم حاول ثانية . لم يصدر عن المحرك صوت قط . بعد عدة محاولات أخرى غير ناجحة ، أسند ظهره إلى ظهر الكرسي وأخذ يحملق في عدادات السيارة وكأنه يتوقع أن تخبره بالخطأ الذي فعله .

أدار المفتاح مرة أخرى ؛ لكن المحرك بقي ساكناً كالنساء المدفونات في الجبانة القريبة .

صاح قائلاً : " اللعنة ! " ، وهو يضرب بقبضته عجلة القيادة وينظر أمامه ، على الرغم من أنه لم يكن ثمة شيء ينظر إليه . كانت قطعة من الثلج قد غطت مصدة الرياح . فغمغم في نفسه قائلاً : " لقد ضعت يا تيرني ! " .

الفصل

٢

علق دتش بورتون وهو يعيد الستار إلى مكانه فوق النافذة قائلاً : " لقد ازدادت الرياح شدة ، وها هو الثلج يتساقط هناك في الخارج " .

أخذت ليلى عدة كتب من حقيبة كتب كبيرة وكانت تضعها في صندوق كبير قائلة : " أحتاج أولاً إلى إفراغ هذه الأرفف ، وعندئذ أكون قد انتهيت " .

" إنك دائماً تستمتعين بالقراءة حين نأتي إلى هنا " .

" هذا حين يكون لدىّ الوقت لشراء أحدث الكتب الأعلى مبيعاً . لا شيء يشتت انتباهي هنا " .

رد قائلاً : " إلا أنا ، فيما أظن . إنني أتذكر أنني ضايقتك ذات مرة حتى وضعت الكتاب الذى كان في يدك جانباً وانتبهت لى " .

ارتفعت ببصرها إلى دتش من مكان جلوسها على الأرض وابتسمت ، لكنها لم تشاركه ذكرياته السعيدة عن كيفية

قضائهما لوقت فراغهما فى المنتجع الجبلى . فى البداية كانا يأتيان إلى هنا فى عطلات نهاية الأسبوع وفى الإجازات لينجوا من مواعيدهما المحمومة التى كانت تلاحقهما فى أطلانطا .

فيما بعد بدا يأتيان إلى هنا ببساطة ليهربا من أى شىء .

كانت تحزم ما تبقى من متعلقاتها الشخصية حتى تأخذها معها حين تغادر فى ذلك اليوم . إنها لن تعود إلى هنا ، ولن يعود دتش أيضاً . ستكون هذه هى الصفحة الأخيرة ـ الخاتمة ، فى الحقيقة ـ لحياتهما معاً . كانت تتمنى أن يكون وداعها خالياً من العواطف قدر الإمكان ، وكان هو يبدو عازماً على التجول فى حارة الذكريات .

وسواء كان القصد من وراء ذكرياته أن يشعر هو بشعور أفضل ، أو تشعر هى بشعور أسوأ ، فلم تشأ أن تشترك فيها . لقد طغت أوقاتهما السيئة معاً على أوقاتهما السعيدة معاً حتى إن أية ذكرى تتذكرها ستنكأ جراحاً قديمة .

وجهت مجرى الحديث مرة أخرى إلى أمور عملية قائلة :

" لقد قمت بنسخ كل المستندات الخاصة بالصفقة ووضعتها فى ذلك المظروف ، بالإضافة إلى تحرير شيك بقيمة النصف الخاص بك من مبلغ البيع " .

نظر إلى المظروف ، لكنه تركه فى مكانه على مائدة القهوة المصنوعة من خشب البلوط والتى وضعته عليها . قال دتش : " ليس من الصواب أن أحصل على النصف " .

ثنت الأجزاء الأربعة لغطاء الصندوق كى تخفى ما به متمنية أن تستطيع إغلاق الموضوع بنفس السهولة قائلة : " دتش ، لقد ناقشنا هذا الموضوع من قبل " .

قال دتش : " لقد دفعت أنت ثمن تلك الكابينة " .

" لقد اشتريناها معاً " .

" لكن راتبك هو الذى مكننا من ذلك . ما كنا نستطيع شراءها بمرتبى " .

دفعت الصندوق على الأرض حتى وصل إلى الباب ، ثم وقفت وواجهته قائلة : " لقد كنا زوجين حين اشتريناها ، وكنا زوجين حين اشتركنا فى العيش بها " .

" وكنا زوجين حين أمضينا أوقاتاً سعيدة وغمرنا الحب فيها " .

" دتش ـــــ "

قال دتش : " كنا زوجين حين كنت تقدمين لى قهوة الصباح وتعلو وجهك ابتسامتك الساحرة وترتدين ملابس النوم ذات الألوان الرائعة " ، وكان يشير بيده بشكل غير ذى معنى إلى الغطاء المغزول الموضوع على ظهر الكرسى .

" من فضلك كف عن هذا " .

اقترب منها خطوة قائلاً : " هذا هو الخط الفاصل بالنسبة لى يا ليلى . كفى عن هذا " .

" لقد انتهى الموضوع بالفعل ، وهو كذلك منذ ستة أشهر " .

" يمكنك أن تتراجعى عن هذا الأمر " .

" يمكنك أن تقبل بالأمر " .

" لن أقبل به ما حييت " .

قالت : " هذا هو اختيارك " ، ثم توقفت وأخذت نفساً عميقاً وخففت من حدة لهجتها قائلة : " هذا هو اختيارك دوماً

يا دتش . إنك ترفض أن تقبل بالتغيير ؛ ولأنك لا تستطيع أن تقبل بالتغيير ، فإنك تظل دائماً رهن ما اعتدت عليه " .

رد قائلاً : " لا أريد أن أنساك " .

" سيكون عليك أن تفعل ذلك " .

استدارت إلى الناحية الأخرى بعيداً عنه ، وجذبت صندوقاً فارغاً إلى جوار حقيبة الكتب ، وبدأت تملأه بالكتب ، على الرغم من أن حرصها فى التعامل مع تلك الكتب أصبح أقل من ذى قبل . إنها الآن في عجلة كى ترحل ؛ قبل أن تضطر إلى قول أشياء أكثر إيلاماً حتى تقنعه بأن زواجهما قد انفصمت عراه ، أخيراً وإلى الأبد .

تلى ذلك دقائق عديدة من الصمت لم يكن يقطعها سوى عبث الريح بفروع الأشجار المحيطة بالكابينة ، وبدأت أغصان الأشجار تضرب أفاريز النوافذ بكثرة وبقوة .

كانت تتمنى أن يرحل قبلها ، وألا يكون بالكابينة حين تتركها هى . فلعلمه بأنها ستكون المرة الأخيرة ، قد تجيش عواطفه . لقد مرت بتلك المواقف من قبل ولا تريد أن تمر بها مرة ثانية . لا يجب أن يكون وداعها مريرا مروعاً ، لكن دتش كان يجعله كذلك ببعث الخلافات القديمة من مرقدها .

وعلى الرغم من أنه كان واضحاً أن هذا ليس قصده ، فإن إحياءه لهذه النزاعات أظهر لها كم كانت محقة فى إنهاء الزواج .

رفعت أحد الكتب بيدها قائلة : " أعتقد أن هذا الكتاب الخاص بـ " لويس لامور " ملكاً لك . هل تريده ، أم يمكننى تركه للمُلاك الجدد ؟ " .

قال بأسف : " إنهم سيحصلون على كل شىء آخر ، فلن يعنينى أن يأخذوا هذا الكتاب " .

قالت : " كان من السهل بيع الأثاث مع الكابينة ، فلقد تم شراء هذا الأثاث من أجل هذا المكان خصيصًا ، ولن يبدو جيداً في أى مكان آخر . بالإضافة إلى ذلك ، لا يوجد لدى أى منا مكان إضافى ، فماذا كنا سنفعل به ؟ ننقله من هنا كله لنبيعه لشخص آخر ؟ كان من المنطقى أن يتضمن سعر البيع كل شىء " .

" ليس هذا هو المهم يا ليلى " .

كانت تعرف المهم . لم يكن يريد أن يفكر فى أن يعيش غرباء فى الكابينة . كان يبدو له ترك كل شىء كما هو كى يستمتع به شخص آخر ضرباً من تدنيس المقدسات وانتهاكاً للخصوصية والحميمية التى استمتعا بها معاً فى هذه الغرف .

لا يعنينى أن تبيعى كل شىء يا ليلى . اللعنة ! كيف يمكنك أن تتحملى التفكير فى نوم أشخاص آخرين على سريرنا وبين فرشنا ؟

لقد كان هذا هو رد فعله حين أخبرته بما تنويه بالنسبة للأثاث . ومن الواضح أن قرارها مازال يغضبه ، لكن لم يعد ممكناً أن تغير رأيها إن أرادت ، وهى لا تريد ذلك .

حين أفرغت أرفف حقيبة الكتب ، فيما عدا رواية وحيدة من روايات الغرب الأمريكى ، نظرت حولها تبحث عن أى شىء تكون قد نسيته ، قالت وهى تشير إلى البقالة التى وضعتها على " البار " الذى يفصل المطبخ عن غرفة المعيشة : " هذه الأشياء المعلبة ، هل تريد أن تأخذها معك " .

هز رأسه دون أن يقول شيئاً .

قامت ليلى بإضافة البقالة إلى آخر صندوق من صناديق الكتب ، وكان ممتلئاً حتى منتصفه فقط . قالت : " لقد رتبت لفصل توصيلات المرافق ؛ حيث إن الملاك الجدد لن يسكنوا بالكابينة قبل حلول الربيع " . ولا شك أنه يعرف كل ذلك بالفعل ، لكنها كانت تتحدث لمجرد تبديد الصمت الذى كانت وطأته تشتد كلما ابتعدت نفسياً عن الكابينة .

" هناك بعض الأشياء بالحمام سأقوم بجمعها فى اللحظات الأخيرة ؛ بعد ذلك سأخرج من هنا . سأغلق كل شىء وأحكم إغلاق الأبواب ، ثم بعد ذلك سوف أترك المفتاح بمكتب السمسار وأنا فى طريقى إلى خارج المدينة " .

كانت تعاسته واضحة فى تعبير وجهه ووقفته . أومأ برأسه ولم يقل أى شىء .

" لا يجب أن تنتظر معى يا دتش ، إننى واثقة من أن لديك مسئوليات فى المدينة " .

" سيقوم بها غيرى " .

قالت ليلى مازحة : " فى ظل هذه التوقعات بهبوب عاصفة ثلجية ، قد يكون مطلوباً منك توجيه حركة المرور فى السوق التجارى ، أنت تعلم كيف يحاول الجميع تخزين المؤن من أجل الحصار الذى سيحدث . لنقل كلمات الوداع الآن ، فقد يكون لديك عمل بالجبل " .

قال دتش : " سوف أنتظر معك ، وسنغادر المكان معاً . افعلى ما تحتاجين إلى فعله بالداخل هنا " . وأشار بيده إلى

الحمام ، وتابع قائلاً : " سأحمل هذه الصناديق إلى حقيبة سيارتك " .

حمل دتش الصندوق الأول إلى الخارج ، ودخلت ليلى الغرفة المجاورة . كان هناك الفراش وعلى كل من جانبيه منضدة صغيرة ، يستند إلى الحائط بإحكام تحت السقف المائل . ولم يكن هناك أية قطعة أثاث أخرى سوى كرسى " هزاز " ومنضدة للزينة ، بينما كان الحائط البعيد يتكون بأكمله من نوافذ ، وكانت هناك خزانة ملابس وحمام صغير .

كانت ليلى قبل ذلك قد أسدلت الستائر ، فبدت الغرفة كئيبة مقبضة . فحصت ليلى الخزانة ، فبدت لها الشماعات الفارغة داعية لليأس ، أما أدراج منضدة الزينة فلم يكن بها شىء . دخلت ليلى الحمام وجمعت أدوات الزينة التى استخدمتها فى الصباح ووضعتها فى كيس بلاستيكى ، وبعد أن تأكدت من أنها لم تترك شيئاً فى دولاب الأدوية ، عادت إلى غرفة النوم .

وضعت ليلى كيس أدوات الزينة فى حقيبتها المفتوحة على السرير ، ثم أغلقتها قبل أن ينضم إليها دتش .

وبدون أى مقدمة من أى نوع ، قال دتش : " لولا آمى ، لكنا الآن زوجين " .

نظرت ليلى إلى أسفل وهزت رأسها قائلة : " دتش ، من فضلك ، دعنا لا ــــ "

" لولاها . لظللنا زوجين إلى الأبد " .

" لا علم لنا بذلك " .

قال دتش : " بل أعرف أنا ذلك " ، ومد يده ليتناول يدها فبدتا باردتين فى قبضته الساخنة ، وتابع قائلاً : " إننى أتحمل المسئولية الكاملة عن كل شيء ؛ ولقد كان فشلنا خطئى أنا . لو أننى تعاملت مع الأمور بشكل مختلف لما تركتنى . إننى أرى ذلك الآن يا ليلى ، وأعترف بالأخطاء التى ارتكبتها ، ولقد كانت أخطاء كبرى بالفعل . كانت أخطاء غبية . إننى أعترف بذلك . لكن ، من فضلك ، امنحينى فرصة أخيرة . من فضلك " .

" ليس بإمكاننا أن نعود إلى ما كنا عليه يا دتش . لم نعد كما كنا حين تقابلنا لأول مرة ؛ ألا تدرك ذلك ؟ لا يستطيع أحد أن يغير ما حدث ؟ لكن ما حدث قد غيرنا " .

تمسك دتش بهذه الفرصة قائلاً : " أنت محقة ؛ فالناس يتغيرون . لقد تغيرت منذ وقوع الطلاق والانتقال إلى هنا والالتحاق بهذه الوظيفة . إننى أعرف أن كليرى مختلفة كل الاختلاف عن أطلانطا . لكن هناك ما أستطيع البناء عليه . لقد وجدت هنا أرضاً صلبة ، فهذه البلدة بلدتى ، وهؤلاء الناس يعرفوننى ويعرفون كل أهلى ويحبوننى ويحترموننى " .

" هذا رائع يا دتش إننى أريد لك النجاح هنا . أتمنى لك ذلك من كل قلبى " .

لقد كانت بالفعل تريده أن ينجح ، ليس لمصلحته هو فقط ، لكن لمصلحتها هى أيضاً ؛ فلن تتحرر منه بشكل كامل قبل أن يثبت نفسه كشرطى جيد ، خصوصاً فى ذهنه هو . سيظل معتمداً عليها لتمنحه احترام الذات حتى يكتسب الثقة مرة

أخرى فى عمله وفى نفسه . ومجتمع كليرى الصغير يمكن أن يمنحه تلك الفرصة . فكانت تتمنى من الله أن ينجح هذا .

قال فى عجلة : " لقد أتيح لى البدء من جديد فى عملى وفى حياتي ، لكن هذا لن يكون له أى معنى إن لم تكونى جزءا منه " .

قبل أن تتمكن من إيقافه وضع ذراعيه حولها وضمها إليه بقوة . وأخذ يتحدث لاهث الأنفاس فى أذنها مباشرة قائلاً : " قولى إنك ستمنحينى فرصة أخرى ". وحاول أن يقبلها ، ولكنها ابتعدت بوجهها .

" دعنى يادتش " .

فقال دتش : " ألا تذكرين كيف كنا سعيدين ؟ لو أنك تخليت عن حذرك ؛ لعدنا إلى حيث بدأنا ، فبإمكاننا نسيان كل الأشياء السيئة والعودة إلى ما كنا عليه . لم نكن نطيق الابتعاد عن بعضنا البعض ، أتذكرين ذلك ؟ " ، وحاول مرة ثانية أن يقبلها بإصرار هذه المرة .

لكنها دفعته بعيداً قائلة : " كف عن هذا ! "

ارتد دتش خطوة إلى الوراء ، وكان صوت تنفسه مسموعاً بالغرفة ؛ تابع قائلاً : " مازلت تصرين على منعى من ملامستك " .

عقدت ليلى ذراعيها حول خصرها محتضنة جسدها قائلة : " لم تعد زوجى " .

صاح دتش غاضباً : " إنك لن تغفرى لى ، أليس كذلك ؟ لقد استخدمت ما حدث مع آمى كذريعة لطلب الطلاق ، لكن لم يكن هذا كل ما فى الأمر ، أليس كذلك ؟ " .

" اذهب يادتش . ارحل قبل أن ـــــ "

قال ساخراً : " قبل أن أفقد قدرتى على التحكم فى نفسى ؟ " .

" قبل أن تأتى فعلاً مشينا " .

صمدت ليلى في وجه نظرته الغاضبة . بعد ذلك استدار سريعاً وخرج غاضباً خارج الغرفة . قبض بيده على الظروف الموضوع على مائدة القهوة وانتزع معطفه وقبعته من على المشجب بالقرب من الباب ، وبدون أن يأخذ وقتًا لارتدائها . صفق الباب خلفة بقوة ارتجت لها أطر النوافذ . بعد ذلك بثوان سمعت ليلى صوت محرك سيارته وتناثر الأتربة تحت وطأة أطر سيارته الثقيلة وهو يبتعد عن الكابينة .

جلست ليلى على حافة السرير وغطت وجهها بيديها . كانت يداها باردتين ترتعشان . الآن وقد انتهى الأمر ، أدركت ليلى أنها لم تكن فقط غاضبة وساخطة ؛ بل كانت خائفة أيضاً .

إن دتش هذا الذى أصبح عصبى المزاج لم يعد ذلك الشخص الساحر الذى تزوجته . ورغم ادعائه بأنه فتح صفحة جديدة ، كان يبدو داعياً لليأس . ولقد ترجم هذا اليأس إلى نوبات من المزاج العصبى المرعب المتقلب .

لقد كانت تقريباً تشعر بالخجل من إحساسها الغامر بالراحة لمعرفتها بأنها لن تضطر إلى رؤيته مرة ثانية . لقد انتهى الأمر أخيراً ، وخرج دتش بورتون من حياتها .

استلقت ليلى على السرير لشعورها بالإرهاق بعد هذا اللقاء ووضعت ساعدها على عينيها .

* * *

استيقظت ليلى على صوت كريات الجليد تضرب سطح الكابينة .

لقد كانت هذه اللقاءات مع دتش مرهقة لها دائماً . واللقاءات المرهقة التى حدثت بينهما فى أثناء الأسبوع الماضى ، بينما كانت فى كليرى لإتمام بيع الكابينة . لابد أنها أنهكتها بشكل لم تتوقعه . وبعد هذا اللقاء الأخير ، أُرْغِم جسدها وعقلها على السكون هنيهة فنامت .

جلست ليلى على الفراش وأخذت تدلك ذراعيها لتتخلص من البرودة التى تشعر بها . لقد أصبحت غرفة النوم بالكابينة مظلمة لدرجة جعلتها لا تتعرف على الوقت فى ساعة يدها ، فنهضت وذهبت إلى النافذة ، ثم أزاحت جانب الستارة فدخل قدر ضئيل من الضوء يكفى لأن ترى ساعتها .

فاجأها الوقت ! فلقد نامت بعمق وبلا أحلام ؛ لكنها لم تنم كل هذا الوقت فى الواقع . في ظل هذا الظلام الدامس ، كانت تتوقع أن يكون الوقت متأخراً عن ذلك ، لكن السحب التى تغطى قمة الجبل أدت إلى حلول الظلام قبل موعده بشكل غريب .

كانت الأرضية الآن مغطاة بطبقة معتمة من البخار المتجمد الذى استمر فى السقوط ؛ يقطعه المطر المتجمد وما يطلق عليه علماء الأرصاد الجوية اسم الجليد الرملى ، وهو عبارة عن رقائق دقيقة تبدو أكثر خطراً من أخواتها شريطية الشكل . وكانت أغصان الأشجار قد تغطت بالفعل بأنابيب من الثلج كانت تتزايد كثافتها بشكل واضح . وهزت ريح قاصفة أطر النوافذ .

لقد كان من الإهمال أن تستسلم للنوم ؛ فهذه غلطة ستكلفها رحلة مرعبة في طريق الجبل . وحتى بعد أن تصل إلى كليرى ، قد يكون الجو عاملاً مهماً في طريق عودتها إلى أطلانطا . وبعد أن انتهت من شئونها هنا ، كانت متلهفة للعودة إلى بيتها وروتين حياتها حتى تواصل تلك الحياة . سيكون مكتبها عبارة عن مستنقع من الأوراق والرسائل الإلكترونية والمشروعات المؤجلة ، كلها تحتاج إلى اهتمامها الفورى . لكن بدلاً من أن تكره عودتها تلك ، كانت تتطلع إلى التعامل مع المهام التى تنتظرها .

فإلى جانب حنينها إلى عملها ؛ كانت ليلى مستعدة لترك المدينة التى هى مسقط رأس دتش . كان تعشق جو كليرى والطبيعة الجبلية للأراضى المحيطة بها لكن الناس هنا يعرفون دتش ويعرفون أسرته لأجيال مضت ، وحين كانت زوجة له ، كان الجميع يقابلونها بود وترحاب . أما الآن وقد طلقت منه ، فقد أصبح أهل المدينة جميعاً يعاملونها بجفاء واضح .

وبالنظر إلى طريقته العدائية التى اتسم بها وهو يترك الكابينة ، فيبدو أنها تأخرت فى الرحيل عن أراضيه .

حملت ليلى حقيبتها إلى الغرفة الأمامية ووضعتها بجوار الباب . بعد ذلك ألقت نظرة فاحصة سريعة نهائية على الكابينة ، لترى أنه قد تم إيقاف تشغيل كل شىء ، وأنها لم تنس شيئاً خاصًا بها أو بـ " دتش " .

وحين اطمأنت إلى أن كل شىء على ما يرام ؛ ارتدت معطفها وقفازها وفتحت الباب الأمامى . اصطدمت بالرياح صدمة أفقدتها قدرتها على التنفس بشكل منتظم ، وبمجرد أن وصلت

إلى البهو الأمامى ، تلقت كريات الثلج القارصة فى وجهها . كانت فى حاجة إلى أن تقى عينيها من كريات الثلج ، لكن الظلام كان حالكاً بدرجة لا يمكن معها ارتداء نظارة شمس . ومحاولة إغماض عينيها نصف إغماضة ضد الجليد المتجمد ، حملت حقيبتها إلى السيارة ووضعتها فى الكرسى الخلفى .

حين عادت إلى داخل الكابينة ، استعملت سريعاً أداة الاستنشاق الخاصة بها ، فاستنشاق الهواء البارد قد يصيبها بنوبة ربو ، وستساعدها أداة الاستنشاق فى منع حدوث ذلك . بعد ذلك ، ودن أن تلقى نظرة أخيرة ملتاعة على المكان ، أغلقت الباب والمزلاج بمفتاحها .

كان الجو داخل سيارتها بارداً كالثلاجة . أدارت المحرك ، لكن كان عليها أن تنتظر حتى يسخن مزيل الصقيع قبل أن تستطيع الذهاب إلى أى مكان ، وكان حاجب الريح مغطى بالثلج تماماً . شدت المعطف حول جسدها بدرجة أكبر ودست أنفها وفمها فى ياقته وركزت على التنفس بانتظام . كانت أسنانها ترتعد ، ولم تكن تستطيع التحكم فى رعشة أسنانها .

أخيراً أصبح الهواء الآتى من مزيل الصقيع بالسيارة ساخناً بما يكفى لإذابة الثلج الذى يغطى حاجب الريح إلى سائل غليظ تستطيع المسّاحات إزالته . ومع ذلك ، فلم تكن المسّاحات كافية لكل هذا الصقيع . أصبحت قدرة ليلى على الرؤية محدودة بشدة ، ولن يتغير هذا الأمر حتى تصل إلى ارتفاعات منخفضة . لم يكن أمامها خيار سوى أن تبدأ رحلة هبوط طريق ماونتين لاوريل المتعرج .

كان الطريق مألوفاً لها ، لكنها لم تقد السيارة فيه وسط الثلوج من قبل . انحنت ليلى إلى الأمام على عجلة القيادة لتنظر من خلال حاجب الريح المغطى بالصقيع وتركز نظرها لترى ما وراء حلية غطاء السيارة الأمامى .

فى الجزء شديد التعرج ، التزمت ليلى الجانب الأيمن المحفوف بالصخور ، لعلمها أن الجانب الآخر من الطريق شديد الانحدار . وقد أفقدتها برودة الجو الإحساس بأطراف أصابعها داخل القفاز ، لكنها كانت تشعر بالعرق فى راحتى يديها ، وهى تمسك بعجلة القيادة ، بينما جعل التوتر عضلات كتفها وعنقها تحترق . وازداد شعورها بعدم انتظام أنفاسها المتوترة .

متمنية أن تتحسن قدرتها على الرؤية ؛ مسحت حاجب الريح بكم معطفها ، لكن كل ما حدث نتيجة لذلك هو أنها رأت بشكل أوضح تساقط المطر المتجمد .

حينئذٍ ـ وعلى حين غرة ـ برز إنسان من الغابة المحيطة بالطريق ليواجهها عند المسار الذى تتخذه من الطريق .

ضغطت برد فعل عكسى على المكابح ، متذكرة بعد فوات الأوان أن استخدام المكابح بشكل مفاجىء خطأ لا يجب ارتكابه على الطرق الجليدية . انزلقت السيارة ، وتراجع الشخص الذى ظهر فى أضواء السيارة الأمامية إلى الخلف ، محاولاً أن يخرج عن طريق السيارة . بعد أن تم كبح الإطارات ، مرت السيارة بجواره ومؤخرتها تتأرجح فى جنون . أحست ليلى بصدمة فى حاجز الاصطدام الخلفى لسيارتها . وبشعور من الغثيان أحست به فى معدتها ، شعرت بأنها قد صدمته .

وكان هذا هو آخر شعور بالغثيان قبل أن تصطدم السيارة بإحدى الأشجار .

الفصل
٣

انفتح الكيس الهوائي الخاص بـ "ليلى" مرتطماً بوجهها ومطلقاً سحابة خانقة من المسحوق ملأت داخل السيارة . توقفت ليلى عن التنفس بشكل غريزى لتفادى استنشاق ذلك المسحوق . ضغط حزام الكرسى بشدة على صدرها .

وفى جانب آخر من عقلها ، أذهلها عنف الاصطدام . لقد كان اصطداماً خفيفاً نسبياً ، لكنه تركها فى حالة ذهول . تأكدت ليلى ذهنياً من سلامة جسدها وتأكدت من أنها لا تشعر بالألم فى أى من أجزائه ، كانت تشعر بالاضطراب فقط . لكن الشخص الذى صدمته ... " يا إلهى ! " .

أزاحت ليلى الكيس الهوائى المفتوح عن طريقها ، وفكت حزام المقعد ودفعت الباب فاتحة إياه . وبينما هى تخرج من السيارة مضطربة إذ تعثرت وسقطت إلى الأمام فارتطمت يداها بشدة بالرصيف المغطى بالجليد ، كما اصطدمت به ركبتها اليمنى ، وكان ذلك مؤلماً أشد الألم .

مستندة على جانب السيارة ، أخذت ليلى تجر قدميها نحو مؤخرة السيارة ، وغطت عينيها بيدها لتحميهما من الرياح وهى تنظر إلى الشخص الذى لا يحرك ساكناً والذى يرقد على الأرض ورأسه لأعلى ، فكان جذعه على الجانب الضيق من حافة الطريق بينما كانت رجلاه تمتدان إلى داخل الطريق ؛ وعرفت ليلى من مقاس الحذاء الذى تلبسه الضحية أنه ذكر .

بدت ليلى وكأنها تتزحلق على الرصيف الشبيه بالزجاج وهى تتجه نحو الرجل وانحنت فوقه . كانت هناك قبعة بحار تغطى جزءاً من عينيه ، وكانت عيناه مغلقتين . لم تر ليلى أية حركة فى صدره تشير إلى أنه يتنفس ، وأدخلت يدها تحت غطاء الرأس الصوفى الذى يحيط بعنقه وتحت ياقة معطفه ، وتحت رقبة كنزته الصدفية الطويلة باحثة عن النبض .

وحين شعرت بالنبض ، همست قائلة : " حمداً لله ، حمداً لله " .

بعد ذلك لاحظت ليلى البقعة الداكنة المنتشرة على الصخور تحت رأسه . وكانت على وشك أن ترفع رأسه وتبحث عن مصدر النزيف حين تذكرت أنه لا يجب تحريك شخص أصيب بجرح فى رأسه . ألم تكن تلك إحدى القواعد الصارمة لإسعافات الطوارئ ؟ قد يكون هناك جرح فى العمود الفقرى ، وهو ما قد تجعله الحركة أشد خطورة أو تجعله مميتاً .

لم يكن أمامها من سبيل قط إلى معرفة مدى جرح رأسه . وكان هذا الجرح جرحاً مرئياً ، فما هى الجروح التى قد يكون الشخص مصابا بها ولا تراها ؟ قد يكون هناك نزيف داخلى أو رئة متهتكة ، أو عضو منفجر ، أو عظام مكسورة . ولم ترتح

ليلى للزاوية التى كان الرجل يرقد بها على الأرض ، وكان ظهره منحنيًا إلى أعلى .

لابد أن تستنجد بأحد على الفور . وقفت واستدارت نحو سيارتها . يمكنها أن تستخدم هاتفها الخلوى للاتصال بالرقم الخاص بالطوارئ . لكن خدمة الهواتف الخلوية لا يمكن الاعتماد عليها دائماً وسط الجبال ، لكن ربما ـــــ

أوقفتها آهة صدرت عن الرجل ، فاستدارت بسرعة جعلتها تكاد تسقط على الأرض . ركعت بجانبه مرة أخرى . بدأ الرجل يفتح عينيه فى وهن ونظر إليها . لقد رأت عينين كهاتين من قبل . " تيرنى ؟ " !

فتح فمه ليتحدث ، ثم بدا وكأنه على وشك أن يتقيأ . ضم شفتيه وأخذ يبتلع ريقه عدة مرات للسيطرة على رغبته فى القيء . ثم أغمض عينيه ثانية ، ثم بعد بضع ثوان فتحهما قائلاً : " هل صُدمت ؟ " .

أومأت ليلى برأسها قائلة : " لقد صدمت بالربع الخلفى من السيارة فيما أعتقد . هل تشعر بالألم ؟ " .

بعد بضع لحظات قال الرجل : " فى كل مكان من جسدى " .

" إن مؤخرة رأسك تنزف ، ولا أستطيع أن أقدر مدى خطورة الجرح . لقد سقطت على إحدى الصخور ، وأخشى أن أحركك " .

بدأت أسنانه ترتعد ، فإما أنه يشعر بالبرد ، أو أنه فى سبيله إلى الإصابة بصدمة ، وفى الحالتين ليس الأمر جيداً !

" لدى بطانية فى السيارة . سأذهب وسأعود سريعاً " .

وقفت ليلى وانحنت برأسها فى وجه الريح ، وجاهدت لتصل إلى السيارة ، وهى تتساءل عما كان يدور برأسه كى يندفع خارجاً من الغابة على هذا النحو إلى عرض الطريق . ما الذى كان يفعله هنا سائراً على قدميه خلال عاصفة شتوية ، فى المقام الأول ؟

لم تتمكن ليلى من رفع غطاء مؤخرة السيارة من لوحة التحكم ؛ ربما بسبب تلف الدائرة الكهربية ، أو ربما بسبب تجمد الغطاء بشكل يحول دون فتحه . أخرجت المفاتيح من بادئ الإشعال وأخذتها إلى مؤخرة السيارة . وكما كانت تخشى ، فقد وجدت القفل تالفاً .

جاهدت حتى وصلت إلى حافة الطريق وحملت أضخم صخرة يمكنها حملها واستخدمتها لإزالة الجليد . وفى المواقف الطارئة التى تشبه هذا الموقف ، من المفترض أن يرتفع منسوب الأدرينالين فى الجسم البشرى بشكل يمنحه قوة غير عادية . لم تشعر ليلى بشىء كهذا . كانت تنهج وتشعر بالإرهاق الشديد حين أزالت من الجليد ما يكفى لرفع غطاء مؤخرة السيارة .

دفعت ليلى صناديق الأمتعة جانباً ، فعثرت على بطانية الاستاد موضوعة فى كيسها البلاستيكى . لقد كانت هى و " دتش " يأخذانها إلى مباريات كرة القدم لدفع برودة الخريف ، لكنها لا تصلح لدفع عاصفة ثلجية عنيفة ، لكنها اعتقدت أن هذا أفضل من لا شىء .

عادت إلى الشخص الملقى على الأرض ، فوجدته ساكناً سكون الموتى . رفعت ليلى صوتها فى فزع قائلة : " سيد تيرنى ؟ " .

فتح عينيه قائلاً : " مازلت حيًا " .

قالت ليلى : " لقد استطعت بصعوبة فتح مؤخرة السيارة آسفة للتأخير " ، وفردت البطانية فوقه وقالت : " للأسف لن تساعدك هذه كثيراً . سأحاول ــــ "

" وفرى الاعتذارات . هل لديك هاتف خلوى " .

تذكرت من اليوم الذى قابلته فيه أنه ممن يحبون التحكم فى زمام الأمور . حسناً ليس هذا وقت مناصرة القضية النسائية . أخرجت هاتفها الخلوى من جيب معطفها . كان الهاتف مفتوحاً ، وكانت لوحة مفاتيحه مضاءة ، فأدارته إليه كى يستطيع قراءة الرسالة : " لا توجد خدمة " .

قال الرجل : " هذا ما كنت أخشاه " ، وحاول إدارة رأسه وهو يتألم ويجاهد من أجل التنفس ، ثم ضغط على فكه كى يمنع أسنانه من الاحتكاك . وبعد لحظة من الصمت ، سألها قائلاً : " هل يمكن قيادة سيارتك ؟ " .

هزت رأسها . لقد كان ما تعرفه عن السيارات محدوداً ؛ لكن حين يكون الغطاء الأمامى كعلبة " صودا " مهشمة . فمن المنطقى أن يتصور المرء أن السيارة أصبحت معطلة .

قال لها : " حسناً ، لا يمكننا البقاء هنا " ، وحاول أن ينهض من رقدته ، لكنها ضغطت بيدها على كتفه .

" قد يكون ظهرك مكسوراً ، أو تكون قد أصبت بجرح فى العمود الفقرى . لا أظن أنه يجب أن تتحرك " .

" إنها مخاطرة بالفعل . لكن إما أن أفعل هذا ، وإما أن أتجمد حتى الموت . سأقبل المغامرة . ساعدينى على النهوض " .

مدّ يده اليمنى إليها ، فقبضت عليها بشدة وهي تجاهد كي ينهض . لكنه لم يستطع البقاء جالساً . انحنى إلى الأمام عند منتصف جسده . وسقط فوقها بكل ثقله . أسندته ليلى على كتفها مرة ثانية وأبقته هكذا ريثما تعيد وضع بطانية الاستاد حول كتفيه .

بعد ذلك أرجعته بهدوء إلى الوراء حتى أصبح في وضع الجلوس . ظل رأسه منحنياً فوق صدره ، وسال دم جديد من تحت قلنسوة البحارة الضيقة حتى وصل إلى ما حول مقدمة حلمة أذنه وسال على فكه .

ضربت خده ضربة خفيفة قائلة : " تيرنى ؟ تيرنى ! " .

رفع رأسه ، لكن عينيه بقيتا مغلقتين .

" أشعر بالإغماء . أعطني دقيقة . أشعر بدوار شديد " .

تنفس بعمق مستنشقاً الهواء بأنفه ومخرجاً إياه من فمه . وبعد مرور بعض الوقت ، فتح عينيه وأومأ برأسه .

" أفضل حالاً . هل تعتقدين أنني أستطيع الوقوف على قدمي بمساعدتك ؟ " .

" خذ كل الوقت الذى تحتاجه " .

" لا وقت لدينا . تعالى من ورائي وضعي يديك تحت ذراعي " ، تركته ليلى في حذر ، حين شعرت بأنه يستطيع البقاء منتصباً ، وانتقلت إلى خلفه قائلة : " حقيبة محمولة على الظهر " .

" نعم ، وماذا يعنى هذا ؟ " .

" بالنظر إلى الطريقة السيئة التي كنت راقداً بها ، أظن أنك أصبت بكسر في الظهر " .

" من الممكن أن يكون وقوعى وخلف ظهرى هذه الحقيبة قد أنقذنى من الإصابة بكسر خطير فى الجمجمة " .

فكت أحزمة الحقيبة عن كتفيه حتى تستطيع مساندته بشكل أفضلٍ وقالت : " أنا مستعدة حين تكون مستعداً " .

رد قائلاً : " أعتقد أن بإمكانى النهوض . إن دورك هو منعى من السقوط إن شعرت بأننى فى طريقى إلى السقوط إلى الوراء ، حسناً ؟ " .

" حسناً " .

وضع كل يد من يديه على إحدى خاصرتيه ورفع نفسه إلى أعلى . فعلت ليلى أكثر من مجرد التحسب لسقوطه ، وبذلت مجهوداً فى محاولة رفعه إلى أعلى حتى استطاع الوقوف ، ثم مساعدته حتى قال : " شكراً . أظن أننى على ما يرام " .

مد يده تحت معطفه ، وأخرجها وفيها هاتف خلوى من الواضح أنه كان مثبتاً بحزامه . نظر إلى الهاتف مقطباً جبينه ، وقرأت ليلى عبارات اللعنة على شفتيه . لم يكن بهاتفه خدمة هو الآخر . أشار ناحية السيارة المحطمة قائلاً : " هل هناك شىء فى سيارتك يجب أن نأخذه معنا إلى كابينتك ؟ " .

نظرت إليه ليلى فى دهشة قائلة : " أنت تعرف أن لى كابينة ؟ " .

صر سكوت هامر على أسنانه لتحمل الضغط .

" كدنا نصل يا بنى . هيا . يمكنك أن تفعلها . واحدة أخرى " .

ارتعدت ذراعا سكوت بسبب المجهود ، وبرزت عروقه بدرجة كبيرة ، بينما تقاطر العرق منه سائلاً من حديدة الثقل إلى البساط الموضوع على أرضية صالة الألعاب الرياضية المطاطية .

صاح متألماً : " لا أستطيع أن أفعلها مرة أخرى " .

" بل تستطيع ذلك . أعطنى مائة وعشرة فى المائة " .

تردد صدى صوت ويز هامر فى صالة الألعاب الرياضية المدرسية العالية وكان المبنى مهجوراً إلا منهما ؛ فقد سُمح للآخرين جميعاً بالعودة إلى بيوتهم منذ ساعة مضت . كان مطلوباً من سكوت البقاء لفترة طويلة بعد انتهاء الحصص وبعد انتهاء الرياضيين جميعاً من تمارينهم التالية لليوم الدراسى والتى يحددها مدربهم ويز ، والد سكوت .

" أريد أن أرى الحد الأقصى من مجهودك " .

كان سكوت يشعر وكأن عروقه تكاد تنفجر . ورمش بعينيه ليخرج العرق من بينها وأخرج عدة دفعات من الهواء عبر فمه ناثراً اللعاب حوله . كان المجهود الذى يبذله عنيفاً لدرجة شعر معها باهتزاز فى العضلة ذات الرأسين والعضلة ثلاثية الرؤوس ، وبدا صدره وكأنه على وشك الانفجار .

لكن والده لم يكن ليتركه يتوقف قبل أن يرفع أربعمائة وخمسة وعشرين رطلاً ، أى أكثر من ضعف وزن سكوت الذى كان الهدف المحدد له فى ذلك اليوم هو خمسة رفعات ، كان والده عظيماً فى وضع الأهداف ، وكان أعظم فى تحقيقها .

قال ويز بنفاد صبر : " توقف عن الحركة يا سكوت " .

" أنا لا أتحرك " .

" تنفس . أرسل الأكسجين إلى تلك العضلات . يمكنك فعل هذا " .

تنفس سكوت بعمق ، ثم أخرج الهواء فى شهقات قصيرة ، طالباً المستحيل من عضلات ذراعه وصدره .

قال والده : " هكذا لقد رفعت الثقل بوصة أخرى ، أو ربما بوصتين " .

يا إلهى ، متى سينتهى هذا ؟

" أعطنى محاولة أخرى ، رفعة أخرى يا سكوت " .

بشكل لاإرادى ، أصدر سكوت تذمراً من حنجرته وهو يضع كل وزنه فى ذراعيه المهتزتين ، لكنه رفع حديدة الثقل بوصة أخرى . وهو ما جعله يشعر بتيبس فى كوعيه لجزء من الثانية قبل أن يتقدم نحوه والده ويعيد توجيه الثقل نحو كتفيه .

سقطت ذراعا سكوت بلا حياة إلى جانبيه وتهاوى كتفاه داخل آلة رفع الأثقال . تحرك صدره صعوداً وهبوطاً فى محاولة لاستعادة تنفسه ، وبدأ جسمه كله يرتعد نتيجة الإرهاق .

قال ويز : " عمل جيد . فى الغد سنحاول فى ست رفعات " ، وأعطاه منشفة قبل أن يستدير متجهاً إلى مكتبه الذى كان الهاتف به قد بدأ يرن وتابع قائلاً : " خذ حماماً ، سأجيب على الهاتف وأبدأ فى إغلاق المكان " .

سمع سكوت والده وهو يرد على الهاتف قائلاً فى فظاظة : " هامر ، ماذا تريدين يا دورا ؟ " ، إنها نفس اللهجة الاستنكارية التى يستخدمها دائماً مع والدة سكوت .

جلس سكوت ومرر المنشفة على وجهه ورأسه . لقد كان كمن ضرب ضرباً مبرحًا أنهكه تمام الإنهاك . كان لا يريد حتى أن

يذهب إلى غرفة خلع الملابس ، ولم ينهض عن المقعد إلا عند رغبته فى أخذ حمام ساخن .

صاح ويز خلال الباب المفتوح لمكتبه قائلاً : " لقد كانت تلك والدتك " .

كانت حجرة المكتب عبارة عن مكان تعمه الفوضى لا يجرؤ على دخوله إلا شخص شجاع ، فعلى المكتب تراكمت أكوام من الورق كان ويز يعتبرها مضيعة للوقت فيتجنبها قدر ما يستطيع . وكانت الجدران مغطاة بالجداول الزمنية للعديد من الفرق الرياضية ، بينما كان هناك تقويم يتكون من شهرين قد امتلأ بكتابته الهيروغليفية التى لا يستطيع قراءتها سواه .

وعلى الحائط أيضاً كانت هناك خريطة طبوغرافية لـ " كليرى " والبحر المحيط بها ، مع تمييز أماكن القنص والصيد المفضلة لديه بخطوط خمراء . وفى الصورة ذات الإطار لفرق كرة القدم فى السنوات الثلاث الأخيرة ، وقف المدرب ويز هامر بفخر فى مركز الصف الأمامى .

قال لـ " سكوت " : " إنها تقول إن المطر المتجمد بدأ يهطل وأن علينا أن نتحرك " .

كانت الرائحة النفاذة لحجرة خلع الملابس بالمدرسة الثانوية معتادة جداً بالنسبة لـ " سكوت " لدرجة أنه لم يكن يلاحظها ، فقد امتزجت رائحته السيئة برائحة عرق المراهقين والجوارب القذرة والملابس غير النظيفة ، وكانت الرائحة الناتجة عن ذلك متغلغلة لدرجة جعلتها تبدو وكأنها نفذت بين جوانب جدران الحمام وأرضيته .

فتح سكوت الصنبور فى أحد الأحواض ، وبينما كان يخلع قميصه نظر من فوق كتفه إلى المرآة مقطباً جبينه فى اشمئزاز بسبب انتشار البثور على ظهره . خطا إلى مكان الاستحمام وعرض ظهره لاندفاع الماء . ثم حك بهمة ما استطاع أن يصل إليه منه وفى يده صابونة مضادة للبكتريا .

كان سكوت يغسل ساقيه حين ظهر والده يحمل منشفة قائلاً : " خشيت أن تكون قد نسيت أن تأخذ منشفة " .

قال سكوت فى حياء : " شكراً " ، ثم رفع يده وبدأ يغسل إبطيه .

وضع ويز المنشفة على عارضة خارج حوض الاستحمام ، ثم أشار نحو جسد سكوت ضاحكاً وهو يقول : " إنك تشبهنى . لا شيء يجب أن تستحى منه فى هذا الجزء " .

كان سكوت يكره أن ينبسط معه والده فى الحديث لكن والده كان يحب ذلك كثيراً ، فقد كان يحب أن يناقش سكوت فى علاقاته الشخصية مهما بلغت حساسيتها .

فتح سكوت الصنبور وتناول المنشفة ولفها سريعاً حول خاصرته . اتجه نحو دولابه ، لكن والده لم يكن قد انتهى من حديثه معه فقال له : " أنا لا أريدك أن تدخل فى علاقات من نوع خاص حتى لا يؤثر ذلك عليك وتفسد خططنا " .

" لن يحدث هذا " .

قال ويز : " احرص بشدة على هذا " . ثم دفعه دفعة ودودة نحو دولابه قائلاً له : " ارتد ملابسك " .

بعد ذلك بخمس دقائق أغلق ويز باب صالة الألعاب الرياضية وراءه لتأمين المبنى طوال الليل ، ثم قال : " أراهن على أن

المدرسة لن يأتي إليها أحد في الغد . كان المطر المتجمد يهطل متقطعاً ، بالإضافة إلى مطر بغيض كان يتجمد بمجرد سقوطه على أى سطح . قال ويز : " انتبه لخطواتك . لقد أصبحت الأرض زلقة بالفعل " .

وبحذر واصلا طريقهما إلى موقف انتظار السيارات بالكلية ، حيث يوجد مكان خاص بـ " ويز " بوصفه المدير الرياضى لمدرسة كليرى الثانوية ، التى يتبعها فريق فايتينج كوجارز .

جاهدت مساحات حاجب الرياح ضد المطر المتجمد على الزجاج . ارتعد سكوت داخل معطفه ودفع قبضته بعمق داخل جيوبه المبطنة بالفنيل ، وأحس ببطنه تقرقر فقال : " آمل أن تكون أمي قد جهزت العشاء " .

" يمكنك تناول شطيرة فى الصيدلية " .

أدار سكوت رأسه سريعاً ونظر إلى ويز .

ظل ويز ناظراً إلى الطريق وقال : " سنتوقف هناك قبل أن نذهب إلى البيت " .

تهادى سكوت فى مقعده وشد معطفه حول جسده ونظر خلال حاجب الرياح فى ضيق وهما يقطعان طريق مين ستريت وفى معظم واجهات المحلات كانت هناك لافتة " مغلق " ، فالبائعون قد تركوا المحلات مبكراً قبل أن يزداد الجو سوءاً ، لكن يبدو أن أحداً لم يذهب إلى البيت مباشرة ، فقد كان الطريق مزدحماً ، خصوصاً حول سوق البقالة الذى كان لايزال فاتحاً أبوابه وقد راجت بضاعته بشدة .

كان سكوت يرى كل هذا لكن بطريقة غير واعية ، حتى توقف فى واحدة من إشارتى المرور الموجودتين فى طريق مين

ستريت . وكان ينظر شارد الذهن عبر الزجاج الذى تناثر عليه المطر حين التقطت عيناه ملصقاً معلقاً على عمود المرافق .

مفقود !

تحت هذا العنوان العريض كانت هناك صورة باللونين الأبيض والأسود لـ " ميليسنت جان " ، متبوعة بوصف بدنى عام وتاريخ اختفائها وقائمة بأرقام الهواتف للاتصال والإدلاء بأية معلومات عن مكان وجودها .

أغمض سكوت عينيه ، وأخذ يفكر فيما كانت ميليسنت تبدو عليه فى آخر مرة رآها فيها .

حين فتح سكوت عينيه مرة ثانية ، كانت السيارة قد تحركت مرة أخرى ، ولم يعد الملصق فى مجال رؤيته .

الفصل

٤

هل أنت واثقة من أن لدينا كل ما قد نحتاج إليه ؟ ماذا عن زجاجات المياه والمعلبات ؟

حاولت ماريلي ريت احتواء ضيقها قائلة : " نعم يا ويليام . لقد راجعت جيداً قائمة التسوق التى أعطيتنى إياها قبل مغادرة السوق ، وتوقفت عند متجر الأجهزة لشراء بطاريات إضافية للكشاف ، لأنها كانت قد نفذت بالفعل من الأسواق " .

نظر أخوها عبر نوافذ الصيدلية الواسعة التى تحمل اسمه . فى شارع مين ستريت تقل سرعة المركبات إلى سرعة زاحفة ليس بسبب حالة الطريق ، الذى أصبح زلقاً بشكل متزايد الآن ؛ لكن لأن الزحام كان شديداً . كان الناس متلهفين للوصول إلى الأماكن التى سينتظرون بها اتقاءً للعاصفة .

" يقول خبراء الأرصاد الجوية إن هذه العاصفة ستكون سيئة وستدوم لعدة أيام " .

" إننى أستمع إلى المذياع والتلفاز أنا أيضاً يا ويليام " .

عادت عيناه سريعاً إلى أخته قائلاً : " إننى لا أعنى الانتقاص من قدرك ، كل ما فى الأمر أننى أكون غائب الذهن أحياناً . هل لك فى كوب من الكاكاو ؟ "

نظرت إلى الخارج حيث الحركة البطيئة لسير السيارات وقالت : " لا أعتقد أننى سأصل إلى المنزل مبكراً إن خرجت الآن ، لذا فلا بأس . أريد بعض الكاكاو " .

أشار لها ناحية إناء الصودا فى مقدمة الصيدلية ووجهها نحو أحد الكراسى الخضراء المحيطة بالطاولة . " إن ماريلى ترغب فى كوب من الكاكاو يا ليندا " .

قالت ماريلى وهى تبتسم للمرأة الواقفة وراء الطاولة : " الكثير من القشدة المخفوقة من فضلك " .

" حالاً يا آنسة ماريلى " .

كانت ليندا ويكسلر تدير إناء الصودا بالصيدلية قبل أن يشتريها ويليام ريت بفترة طويلة من مالكها السابق . حين انتقلت الصيدلية إليه ؛ كان من الذكاء بحيث أبقى ليندا فى مكانها . كانت ليندا عبارة عن موسوعة معلومات محلية ، فقد كانت تعرف كل من بالمدينة ، وتعرف من يشرب قهوته بالقشدة ومن يشربها خالية من أية إضافات . كانت تقوم بإعداد سلطة التونة طازجة كل صباح ، ولم تكن تفكر مجرد تفكير فى وضع فطائر اللحم المفروم الباردة على شطائر الهامبورجر التى كانت تقوم بطهوها لتقدمها على صينية التقديم .

سألت ليندا : " هل يصدق أحد هذه الفوضى التى بالخارج ؟ " ، وكانت تصب اللبن فى إناء صغير لتسخينه قبل وضعه على الكاكاو ، وتابعت قائلة : " أذكر حين كنا صغاراً ،

كيف كنا نشعر بالإثارة كلما سمعنا من خبراء الأرصاد الجوية باحتمال سقوط الجليد ، متسائلين عما إذا كنا سنذهب إلى المدرسة فى اليوم التالى أم لا ، وأنتِ ربما تسرك الإجازة أنت أيضاً مثلما تسر تلاميذك " .

ابتسمت لها ماريلى قائلة : " لو نلتُ إجازة بسبب الجليد ، فربما أقضى تلك الإجازة فى تصحيح الأوراق " .

تأففت ليندا غير موافقة وقالت : " يالها من مضيعة للإجازة " .

فُتح باب المدخل ، فدق الجرس الذى يعلوه . استدارت ماريلى على مقعدها لترى القادم . اندفعت إلى الداخل مراهقتان تقهقهان وتمسحان ماء المطر عن شعرهما . كانت البنتان فى المرحلة الثالثة لدى ماريلى بالمدرسة ويدرسان القواعد النحوية والأدب الأمريكى .

قالت ماريلى للفتاتين : " يجب أن ترتديا قبعة أيتها الفتاتين " .

قالت البنتان فى صوت واحد تقريباً : " أهلاً يا أستاذة ريت " .

" ماذا تفعلان فى هذا الجو ؟ ألا يجب أن تذهبا إلى البيت ؟ " .

قالت إحداهما : " لقد جئنا لاستنجار بعض شرائط الفيديو ، فقد لا نذهب إلى المدرسة فى الغد ، هذا وارد ".

قالت الأخرى : " أتمنى أن تكون هناك أفلام فيديو جديدة ومتبقية " .

قالت ماريلى : " شكراً لكما على تذكيرى . قد آخذ فيلماً أو اثنين معى إلى البيت مثلكما " .

نظرا إليها باستغراب ، وكأنه لم يجل بخاطرهما قط أن الآنسة ريت قد تهتم بالفعل بمشاهدة أحد الأفلام ، أو أنها من الممكن أن تفعل أى شيء غير إعطاء الامتحانات ووضع الدرجات ومراقبة الطرقات فى أثناء تغيير الأماكن فى الامتحانات ، والانتباه لأى مزاح لا لزوم له ؛ وقد لا يتصوران لها أى نوع من أنواع الحياة خارج طرقات مدرسة كليرى الثانوية .

وحتى وقت قريب ، كانت وجهة نظرهما صحيحة .

شعرت ماريلى بحمرة الخجل تغشى خديها لتذكرها هوايتها الجديدة ، وغيرت الموضوع سريعاً قائلة لتحذر تلميذتيها : " عودا إلى البيت قبل أن تصبح الطرقات زلقة " .

قالت إحداهما : " سنفعل . يجب أن أكون بالبيت قبل حلول الظلام على أية حال . كل هذا بسبب ميليسنت . لقد جن أهلى خوفاً " .

قالت الأخرى : " وأنا أيضاً . جن أهلى تماماً . إنهم يريدون معرفة مكانى فى كل الأوقات " . وتراقصت عيناها وهى تقول : " وكأننى يطاردنى شخص بجنون ويختطفنى إلى مكان بعيد " .

قالت ماريلى : " أنا واثقة من أنهم قلقون جداً ، وينبغى أن يكونوا كذلك " .

قالت البنت الأخرى : " لقد أعطانى والدى مسدساً كى أحتفظ به فى سيارتى ، وأخبرنى بألا أتردد فى إطلاق الرصاص على أى شخص يتعرض لى " .

غمغمت ماريلى قائلة : " لقد أصبح الموقف خطيراً " ، ولإدراكها لشوق البنتين لقضاء أمسيتيهما ، طلبت منهما أن يستمتعا بالإجازة ، إن كانت هناك إجازة حقاً ، ثم استدارت إلى الطاولة ، حيث كانت ليندا تصب الكاكاو .

قالت ليندا : " انتبهى يا عزيزتى ، إنه ساخن "، ثم قالت وهى تنظر خلف البنتين : " لقد جُنَّ الناس بالفعل ! " .

رشفت ماريلى رشفة متمهلة من الشيكولاته الساخنة : " لا أدرى أيًا من الأمرين يدعو إلى القلق أكثر من الآخر ، اختفاء خمس نساء ؟ أم إقدام الآباء على تسليح بناتهم المراهقات بالمسدسات ؟ " .

كان كل من فى كليرى متوترا بسبب النساء المختفيات ؛ فكان الناس يحكمون إغلاق الأبواب فى حين أنهم كانوا قبل ذلك لا يعنون بإغلاقها أصلاً ، والنساء من كل الأعمار يتم تحذيرهن للانتباه لما حولهن حين يكن وحدهن ، أو تجنب الظلام والأماكن المنعزلة ، وكن ينصحن بألا يثقن فى أى أحد لا يعرفنه جيداً . ومنذ اختفاء ميليسنت ، اقترح البعض أن يقابل الأزواج والأصدقاء قريناتهم فى أماكن العمل عند نهاية اليوم لاصطحابهن إلى المنزل .

قالت ليندا خافضة صوتها : " إننى لا ألومهم على ذلك يا مارلى . هذه الفتاة المسماة ميليسنت جان ، لابد أنها فى حكم الميتة إن لم تكن قد ماتت بالفعل " .

كان من التشاؤم التفكير بهذه الطريقة ، ولكن ماريلى كانت أكثر ميلاً للموافقة ، فقالت : " متى ستذهبين إلى منزلك يا ليندا ؟ " .

" سأذهب حين يقول لى أخوك المتحكم هذا أنه يمكننى الذهاب " .

" ربما يمكننى التأثير عليه ليجعلك تذهبين مبكراً " .

" هذا أمر غير وارد . لقد كان الإقبال شديداً طوال فترة بعد الظهيرة ، فالناس يعتقدون أنه لن يكون بإمكانهم الخروج مرة ثانية " .

لقد كانت الصيدلية تحتل موضع التقاء شارعى مين ستريت ، و " هيملوك ستريت " ، ومنذ أن بدأت ماريلى تعى ما حولها ، وحين أصبحت فتاة يافعة وانتقلت الأسرة إلى المدينة ، كانت تتمنى دائماً أن تعود إلى هنا .

لابد أن لـ " ويليام " ذكريات ممتعة عن هذا المكان هو الآخر ، وذلك لأنه بمجرد تخرجه من كلية الصيدلية ، عاد إلى كليرى وبدأ العمل بها . وحين قرر صاحب العمل الذى كان يعمل به التقاعد اشترى ويليام الصيدلية منه ، ثم بعد ذلك على الفور اقترض مالاً من البنك لتوسعة نشاطه .

اشترى ويليام المبنى الخالى المجاور له وضمه إلى الصيدلية الموجودة وقام بتوسعة مكان عمل ليندا ، وزاد عدد الأماكن لزيادة قدرة إناء الصودا ، كما كان لديه أيضاً من بعد النظر ما جعله يخصص مكاناً لتأجير أفلام الفيديو . وبالإضافة إلى الصيدلية ، كان لديه أضخم رصيد من الكتب والمجلات فى المدينة ، والنساء يشترين من عنده أدوات التجميل وبطاقات التهانى ، بينما يشترى الرجال منتجات التبغ ، والجميع يأتون لمعرفة آخر الأخبار فى المدينة ، فإن كان لـ " كيلرى " مركز فهو فى صيدلية ريت !

وإلى جانب الوصفات الطبية ، كان ويليام يقدم النصائح والمجاملات والتهنئة والعزاء وأى شىء يدعو إليه الموقف الذى يمر به عملاؤه . ورغم أن ماريلى كانت تعتقد أن المعطف الأبيض الذى يرتديه ويليام فيه شىء من التظاهر ، فإن عملاءه لم يكن يبدو عليهم الاهتمام بالأمر .

بالطبع كان هناك من يتعجبون من بقائه أعزب هو وماريلى وبقائهما فى بيت واحد ، فكان الناس يرون أن القرب بهذه الدرجة الكبيرة بين الأخ وأخته شىء غريب . كانت ماريلى تحاول ألا تسمح لأحد بمضايقتها بحديثه معها عن فكرة الزواج .

اهتز الجرس الذى يعلو المدخل مرة ثانية . لم تستدر ماريلى هذه المرة ، لكنها نظرت إلى مرايا الحائط خلف مكان عمل ليندا فرأت ويز هامر داخلاً مع ولده سكوت .

نادت عليهم ليندا قائلة : " ويز ، سكوت ، كيف حالكما ؟ " .

رد ويز تحيتها ، لكنه كان ينظر إلى عينى ماريلى فى المرآة ، ثم ذهب إليها وانحنى قريباً من كتفيها ، وأخذ رشفة من الكاكاو وقال : " اللعنة ، إن لهذا رائحة طيبة . سأشرب كاكاو أنا أيضاً يا ليندا . هذا يوم يناسبه الكاكاو الساخن " .

قالت ماريلى : " أهلاً ويز . أهلاً سكوت " .

حياها سكوت مغمغماً : " مرحباً آنسة ريت " .

جلس ويز بجانبها على الكرسى ، وقال : " هل تمانعين فى أن أنضم إليك " .

" كلا على الإطلاق " .

قالت ليندا : " يجب ألا تتفوه بهذا السباب يا ويز هامر ، فأنت قدوة للأولاد " .

" ماذا قلت ؟ " .

" لقد قلت " اللعنة " عند دخولك " .

" من أين لك كل هذا الاحتشام ؟ لقد سمعتك مرة أو مرتين تسبين " .

قطبت ليندا جبينها معترضة ، لكنها كانت مبتسمة . لقد كان لـ " ويز " تأثير على النساء .

سألت ليندا سكوت قائلة : " هل تريد بعض الكاكاو أنت أيضاً يا حبيبى ؟ " . وكان سكوت واقفاً خلف والده منحنياً إلى الأمام داخل معطفه وواضعاً يديه في جيوبه ومغيراً ثقل جسده من قدم إلى أخرى . رد سكوت قائلاً : " بكل تأكيد . شكراً . سيكون هذا شيئاً عظيماً " .

قال ويز : " لا تضعى له قشدة مخفوقة ، فلن يحرز أى نقاط فى معسكرات كرة القدم بالكشافة إن زاد وزنه مثقال ذرة " .

قالت ليندا : " لا أظنه معرضاً لذلك فى القريب العاجل " ، لكنها لم تضع القشدة المخفوقة . وقد كان لـ " ويز " تأثير على الناس أيضاً .

استدار ويز على كرسيه حتى واجه ماريلى قائلاً : " كيف حال سكوت في الأدب الأمريكى ؟ " .

" جيد جدا . لقد حصل على اثنتين وثمانين درجة فى الامتحان الخاص بـ " هورثورن " .

قال ويز موجهاً حديثه إلى سكوت وراءه : " اثنتين وثمانين درجة ؟ ليس سيئاً . ليس عظيماً ، ولكنه ليس سيئاً . اذهب إلى

هناك وتحدث إلى هؤلاء الشابات اللائى فى الخلف ، فلقد خطفت أنظارهن منذ أن رأينك . وتأكد أن ويليام يعرف بوجودك " .

سار سكوت متثاقلاً ، وفى يده كوب الكاكاو .

قال ويز وهو يراقب سكوت قاطعاً الردهة باتجاه قسم شرائط الفيديو : " لن تترك البنات هذا الولد فى حاله " .

قالت ليندا : " إن هذا لا يدعو إلى الدهشة فهو جميل بالفعل " .

" يبدو أنهن جميعاً يرونه كذلك ، فهن يتصلن بالبيت فى كل الأوقات ولا يتممن المكالمة إذا لم يرد هو ، وهذا يدفع دورا إلى الجنون " .

سألت ماريلى قائلة : " وكيف ترى حب النساء له ؟ " .

عاد ويز ينظر إليها وغمز بعينه قائلاً : " من شابه أباه فما ظلم ! " .

نظرت ماريلى فى كوبها وبحثت فى توتر عن شىء تقوله ، ثم قالت : " إن سكوت يسير بخطى جيدة فى الواجبات الإضافية أيضاً ، لقد تحسن فى مادة الإنشاء بشكل كبير جداً " .

" كيف لا يكون ذلك ، وأنت تعطينه درساً خاصاً ؟ " .

بعد مرور أسابيع من فصل الربيع الدراسى ، طلب ويز من ماريلى أن تعطى سكوت دروساً خاصة صباح السبت ومساء الأحد . ومقابل خدماتها ، عرض أن يدفع لها مبلغاً متواضعاً حاولت أن ترفضه . لكن فى النهاية قبلت ماريلى الأجر المعروض ووافقت على مساعدة سكوت فى دروسه ، ليس فقط

لأنها كانت تعرف أهمية تحصيله درجات عالية فى امتحان التقدم إلى الجامعة ، ولكن لأن القليلين يستطيعون قول " لا " والإصرار على هذا الرفض .

قالت ماريلى له : " أعتقد أنك تحصل على ما يساوى نقودك " .

ابتسم لها وعيناه تتراقصان قائلاً : " إذا لم أعتقد ذلك يوماً ، فستكونين أول من يعرف " .

نادى عليه ويليام من نهاية الجناح المخصص لمنتجات الأطفال ثم قال : " لدىّ دقيقة . هل تريد أن تأتى إلى هنا ؟ " .

ظلت ماريلى مشدودة إلى ويز بنظرها لبضع دقائق أخرى ؛ وطلب هو من ليندا إضافة كوبى الكاكاو إلى حسابه وترك مكانه لينضم إلى ويليام وسكوت فى القسم الخاص بالصيدلة .

قالت ماريلى : " شىء يدعو إلى الفضول " ، وهى تتعجب مما لدى عائلة هامر من عمل مع أخيها .

لكن ليندا كانت مشغولة فى إعداد طلب عميل آخر ولم تسمع ما قالته .

كانت ليلى ما تزال تفكر فى كيفية معرفة بين تيرنى بأن لديها كابينه على قمة جبل كليرى حين سألها : " هل لديك فكرة أفضل ؟ " .

وهى تقاوم الرياح العاتية ، كان على ليلى أن تفكر فى الأمر للحظة ثم قالت : " لا . بل ينبغى أن نذهب إلى الكابينة " .

" فى البداية ، دعينا نفحص سيارتك " .

وصلا إلى سيارتها فى سلام ، رغم أنه كان لا يكـاد يسـتطيع الوقوف على قدميه . دخلت ليلى من الجانـب الـذى بـه مقعـد القيادة . دفع تيرنـى حقيبتهـا جانبـاً ودخـل مـن ناحيـة المقعـد الخلفى لأن الجانب الأيمن من مقعد القيادة قد جار علـى الجـزء الأمامى من مقعـد الراكـب بسـبب الارتطـام . وبمجـرد أن أغلـق الباب ، نزع قفازه وأراح جبهته على راحة يده اليمنى .

سألته ليلى : " هل ستغيب عن الوعى مرة أخرى ؟ " .

قال : " لا . لا وقت لدينا لذلك " ، وأنزل يده قلـيلاً لينظـر إليها عبر ظهر الكرسى معطيًا إياها نظرة فاحصة أخرى وقـال : " أنت لا ترتدين ما فيه الكفاية " .

قالت من بين أسنان مرتعشة : " أخبرنى " .

فقال لهـا : " مـاذا لـديك فـى حقيبتـك ؟ هـل هنـاك شـىء نافع ؟ " .

" لا شىء يجلب الدفء أكثر مما أرتديه " .

ومن الواضح أنه كان يريد أن يحكم بنفسـه ، ففتح الحقيبـة على الكرسى بجانبه وقلب فى ملابسـها ، مقلباً دون اهتمـام فـى ملابسها الداخلية وملابس نومها . قال هل معك ملابـس داخليـة حرارية ؟ " .

قالت : " لا " .

دفـع إليهـا بكنـزة صـوفية قـائلاً : " ضـعى هـذا فـوق مـا ترتدينه " .

خلعت معطفها بالقدر الذى يكفى لارتداء الكنزة .

" دعينى أرى حذاءك " .

" ماذا ـــــ ؟ " .

كرر بنفاد صبر " حذاءك ، فرفعت رجل البنطال ومدت رجلها بما يكفي لكي يرى قدمها . قطب تيرني جبينه ، وأخذ عدة أزواج من الجوارب من الحقيبة ودفعها إليها من فوق الكرسي قائلاً : " ضعي هذه الجوارب في جيبك . وخذي هذه أيضاً . يمكنك ارتداؤها بمجرد أن نصل إلى الكابينة " ، ودفع إليها برداء حريري ضيق طويل الرقبة كانت قد اشترته أصلا لترتديه تحت ملابس التزحلق على الجليد .

بعد ذلك ، مد يده وأخذ شعرة من شعرها ، ثم قال : " مبتل " ، وترك الشعرة سريعاً ، لكن ليلي كانت سعيدة بأنه يفكر في شعرها المبتل وليس في ملابسها الداخلية التي يمسك بها في يده الأخرى . قال لها : " هل لديك قبعة ؟ هل لديك قبعة من أي نوع ؟ " .

" لم أكن أنوي البقاء في الخارج كثيراً خلال هذه الرحلة".

" كان يجب أن ترتدي شيئاً على رأسك " .

أعاد الملابس الداخلية إلى الحقيبة وجذب بطانية الاستاد من على كتفيه قائلاً : " ميلي ناحيتي " .

ارتفعت بجذعها قليلا واستدارت ناحية الكرسي الخلفي ، وقام هو بتغطيتها بالبطانية واضعاً بعضها على رأسها وثنى بعضها على صدرها ، وقام بربط المفكوك من الأزرار العليا من معطفها وأعاد هندمته ، ثم قال : " خذي هذا ، وقبل أن تنزلي من السيارة ، ضعي قطعة القماش هذه فوق أنفك وفمك . هل هناك شيء في مؤخرة السيارة غير الإطار الاحتياطي ؟ " .

أدهشتها الطريقة الطبيعية التي لمسها بها وأذهلتها عن التفكير بسرعة معقولة ؛ فكان ذهنها يجاهد حتى يدرك فحوى

سؤاله . قالت : " آه ... أعتقد أن هناك عدة إسعافات أولية تكون فى السيارة دائماً " .

" حسناً " .

" وبعض الطعام الذى أخذته من الكابينة " .

قال : " هذا أفضل " ، ثم أخذ ينظر إلى داخل السيارة فى ضيق وسألها : " هل هناك كشاف أو أى شىء فى علبة القفازات ؟ " .

" لا ، ليس سوى كتيب الإرشادات الخاص بالسيارة " .

قال : " لا أظن أن هذا يفيدنا كثيراً " ، ثم ألقى نظره على الدم المتجدد الذى يسيل على وجنتها وارتدى قفازه قائلاً : " هيا بنا " .

" انتظر . حقيبة يدى . سأحتاجها " .

نظرت حولها باحثة عن حافظة نقودها واكتشفت أنها سقطت بجانب كرسى الراكب حين اصطدمت السيارة بالشجرة . كان الأمر صعباً ، لكنها استطاعات أن تمد يدها بين الكرسى وبين جسد السيارة وتخرج حافظة النقود من وسط الحطام الناتج عن الحادث .

" ضعى حزام الكتف حول عنقك حتى تحررى ذراعيك وتكتسبى توازناً أفضل " .

فعلت ما قاله لها ، ثم مدت يدها نحو مزلاج الباب وتوقفت قليلاً ناظرة إليه فى خوف وقالت : " ربما يكون علينا البقاء هنا وانتظار فرصة تمكننا من طلب المساعدة " .

" نستطيع ذلك ، لكن لا أحد سيأتى فى هذا الطريق الليلة ، وأشك فى أننا نستطيع أن ننجو بحياتنا حتى الصباح " .

" إذن أعتقد أنه ليس لدينا اختيار ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

مدت يدها مرة أخرى نحو مزلاج الباب ، لكنه هو الذى أوقفها هذه المرة حين وضع يده على كتفها قائلاً : " لم أقصد أن أكون صريحاً إلى هذه الدرجة " .

" إننى أتفهم حاجتنا إلى الإسراع " .

" يجب علينا أن نصل إلى مكان نأوى إليه قبل أن يزداد الجو سوءاً هنا " .

هزت رأسها موافقة ، وتلاقت نظراتهما لثانية أو ثانيتين ، ثم رفع يده عن كتفها وفتح الباب الخلفى وخرج . انضمت إليه ليلى خلف السيارة ، حيث كان يفحص محتويات مؤخرة السيارة . عثر على عدة إسعافات أولية وطلب منها أن تضعها فى جيبها قائلاً : " وخذى بعض هذه الأطعمة المبللة أيضاً ، بالإضافة إلى فتاحة العلب " .

كان هو الآخر يملأ جيوب معطفه بالعلب التى لابد أنها زادت من وزنه ، خصوصاً بعد أن استعاد حقيبة الظهر من المكان الذى تركاها به على الطريق .

سألها : " هل أنت مستعدة ؟ " ، وكان يحاول بصعوبة النظر إليها من خلال المطر المتجمد المتساقط .

" لن أكون مستعدة أكثر من هذا " .

أومأ إليها بذقنه أن تسبقه . لم يسيرا بضع ياردات حتى قررا أن محاولة صعود التل على الطريق الزلقة ستكون مستحيلة ، فكل خطوة كانا يسيرانها إلى الأمام ، كانا يرتدان مقابلها ثلاث خطوات إلى الوراء . أوعز إليها تيرنى أن تتجه نحو جانب الطريق ؛ فجانب الطريق ضيق ويجبرهما على أن يسيرا الواحد تلو الآخر ؛ حيث يحاولان تفادى حافة الطريق من ناحية والشجيرات الصغيرة من ناحية أخرى . وعلى أية حال ، فقد جاءت طبيعة الأرض غير المستوية فى صالحهما ، فقد ساعدتهما الصخور والنباتات النامية على عدم الانزلاق .

كان انحدار التل شديداً . وفى الأيام العادية ، عندما يكون الطقس رائعاً ، يتطلب صعود التل جهداً شديداً ، حتى بالنسبة لأكثر الناس صحة وقوة . كانا فى معظم الوقت يواجهان الريح بشكل مباشر ، وهو ما أجبرهما على أن يحنيا رأسيهما فى وجه الريح ، وأحياناً كان المطر المتجمد ينهمر عليهما كقطع الزجاج تضرب وجهيهما بعنف .

كثرت مرات وقوفهما لالتقاط الأنفاس ، وفى إحدى المرات وقف تيرنى فجأة وأولاها ظهره وتقيأ ؛ مما جعلها تظن أنه قد أصيب بالغثيان . على أقل تقدير ؛ لاحظت أنه بدأ يفضل التركيز فى السير على رجله اليسرى ، فتساءلت فى نفسها عما إذا كان قد أصيب بكسر فى رجله أيضاً .

أخيراً ، أصبح المشى يمثل مجهوداً بالنسبة له جعلها تصر على أن يضع إحدى ذراعيه حول كتفها . فعل ذلك مكرهاً ؛ لكنه فعله بسبب الضرورة ، فكان فى كل خطوة يخطوها يميل نحوها ، بينما واصلت هى جر أقدامها .

وصلا إلى مرحلة من الإرهاق التام ؛ لكنهما واصلا السير لا لشيء إلا أنهما مضطران . أخذت المسافة التى قطعتها بالسيارة فى ثلاث دقائق ساعة سيراً على الأقدام ، وحين وصلا إلى البهو الأمامى للكابينة كان كل منها يكاد يتهاوى فوق الآخر .

أسندته ليلى إلى أحد أعمدة البهو ريثما تفتح مزاليج الباب ، ثم ساعدته على الدخول . توقفت قليلاً لتغلق الباب ثم ألقت بحقيبة يدها على الأرض قبل أن تتهاوى على إحدى الأرائك . أزاح تيرنى عن ظهره الحقيبة وارتمى على الأريكة التى تواجهها ، تفصلهما مائدة القهوة .

بقيا لعدة دقائق فى مكانيهما ؛ لا يسمعان سوى صوت أنفاسهما المرتفع فى الظلام . ولأنها كانت قد أوقفت تشغيل المدفأة قبل أن ترحل عن الكابينة ؛ كانت الغرفة باردة ، لكن بالمقارنة بالجو فى الخارج ، كانت الغرفة محتملة .

ظنت ليلى أنها لن تقوى على الحركة ثانية ؛ لكنها تحاملت فى النهاية وانتصبت جالسة . مدت يدها نحو المصباح الموجود على المائدة الموضوعة فى نهاية الغرفة وأضاءته . قالت وهى ترتعش فى الضوء المفاجىء : " الحمد لله . كنت أخشى أن تكون الكهرباء مقطوعة " .

أخرجت علب الطعام من جيوبها ووضعتها على مائدة القهوة ، ثم أخرجت هاتفها الخلوى وطلبت رقماً ما .

انتصب تيرنى جالساً وقد انتبه فجأة وقال : " بمن تتصلين ؟ "

" دتش " .

الفصل

٥

لقد كانت نبوءة ليلى عن الفوضى التى ستسود فى المدينة صحيحة .

لم يكد دتش يقضى ساعتين اثنتين من رحلته حتى أصبح يتمنى العودة إلى السلام السائد فى كابينته الجبلية ، والتى كانت كابينته في السابق ، هكذا قال دتش فى نفسه بأسى .

إن ساعات الذروة فى أطلانطا لم تصل إلى هذا الحد من الاختناق الموجود في شارع مين ستريت فى كليرى هذا المساء . كانت خلفيات السيارات متلاصقة فى كلا الحارتين حتى أصبح هناك شريط من الأضواء الخلفية الحمراء للسيارات على أحد الجانبين ، وشريط آخر من الأضواء الأمامية البيضاء للسيارات على الجانب الآخر ، كان يبدو أن كل شخص على أحد الجانبين من المدينة مُصر على الوصول إلى الجانب الآخر ، والعكس بالعكس .

كان مكتب المأمور يتعامل مع المناطق النائية من المقاطعة ، تاركاً المدينة نفسها لـ " دتش " وقسمه ليتولوا مسئوليتها . وكان هذا الوقت يعد الأمثل للصوص ، لأنه لا أحد الآن فى منزله ، حيث يجب أن يكون موجوداً ، وكان كل ضابط شرطة مشغولاً فى السيطرة على الفوضى التى تسببت فيها العاصفة المقبلة .

كانت إشارة المرور فى تقاطع شارعى مولترى ستريت ، و " مين ستريت " معطلة مرة أخرى ، وفى أى يوم آخر ما كان هذا الأمر ليمثل مشكلة ، حيث كان السائقون ينعطفون عن الطريق وكل منهم يشير بأدب إلى الآخر فى التقاطعات ويمزحون بشأن العطلة التى ستحدث . أما اليوم ، فى ظل نفاد الصبر السائد بين الناس ، كان تعطل إشارة المرور يسبب اختناقاً يصيب قائدى السيارات بانفلات الأعصاب .

وكان الضباط غير المتواجدين بالشوارع لتوجيه حركة المرور يراقبون الزحام فى الأسواق محاولين منع الشجار وتبادل اللكمات بين الناس بسبب قلة البضائع المتبقية على الأرفف ، وقد حدثت بالفعل مشاجرة على آخر علبة من السردين !

ومع انهمار كريات المطر المتجمد الأكثر ضخامة من حبات الملح الصخرى . كان التراكم السريع للثلوج ينذر بسوء العاقبة ، وبامتداد الظروف الجوية إلى الجبل وانهيار وجهه الشرقى إلى الوادى مشعباً بالماء ، كان واضحاً أن الأوضاع ستصبح أكثر انفلاتاً ، وكان دتش يعلم أنه لن ينال راحة قبل أن تنقشع العاصفة وينصهر كل الثلج .

نظر دتش باتجاه قمة كليرى فرأى السحب تغطيها بشكل تام . لقد جاء فى الوقت المناسب ، وكان سعيداً لعلمه بأن

ليلى على إثره آتية إلى أطلانطا جنوباً ، وإذا أسرعت فقد تستطيع أن تسبق العاصفة وتصل إلى البيت قبل أن تحاصرها .

مازال يفكر فيها بشكل مستمر ، ويفكر فى مكان وجودها وفيما تفعله . لقد كانت عادة لا يمكن لورقة طلاق لعينة أن تكسرها . حين تذكر كيف نظرت إليه قبل أن يغادر الكابينة أحس كأن جبلاً يتجمد فوق صدره . لقد كانت خائفة منه ، وليس من مخطىء فى ذلك إلا هو . لقد أعطاها السبب فى خوفها منه .

صاح به ويز أمام صيدلية ريت : " أهلاً أيها المأمور . إننى مواطن يدفع الضرائب ولى عندك حاجة " .

أخرج دتش سيارته البرونكو من بين صف السيارات الزاحفة فى شارع مين ستريت ودخل موقف السيارات الخاص بالمعاقين الموجود أمام الصيدلية . أنزل دتش زجاج النافذة ، والتى دخل منها هواء يجمد الدم فى العروق .

أتاه ويز يمشى مشية لاعب كرة سابق ، وكان يعانى فى ركبتيه وإحدى خاصرتيه من التهاب العظام والمفاصل ، لكن كان هذا شيئاً يخفيه ويز عن الآخرين . وقد يفعل أى شىء فى العالم بحيث لا يعلم عنه أحد ضعفاً من أى نوع .

قال دتش : " هل لك من شكوى يا كابتن ؟ " .

" أنت الشرطى رقم واحد المسئول عن استتباب الأمن هنا ، فهل بإمكانك أن تخلى الشوارع من هذا الزحام ؟ " .

" سأبدأ بك " .

ضحك ويز لكنه شعر على الفور بتعكر مزاج دتش فمال ناحيته قائلاً : " ماذا يا صاحبى ، لِمَ هذا الوجه العابس ؟ " .

" لقد ودعت ليلى لآخر مرة منذ ساعتين فى الكابينة . لقد رحلت إلى الأبد يا ويز " .

استدار ويز إلى الناحية الأخرى قائلاً : " سكوت ، اذهب لتسخين السيارة . سألحق بك حالاً " . أمسك سكوت ـ الذى كان يقف خارج صيدلية ريت ـ سلسلة مفاتيح السيارة التى دفع ويز إليه بها ورفع يده الأخرى فى تحية وداع لـ " دتش " ، ثم سار على جانب الطريق مبتعداً .

سأل دتش قائلاً : " هل سمع شيئاً من كليمسون بعد ؟ " .

" يمكننا الحديث عن ذلك فيما بعد . دعنا نتحدث عن زوجتك " .

" زوجتى السابقة . لقد كان حديثها هذه الظهيرة يؤكد على مسألة السابقة هذه " .

" لقد اعتقدت أنك ستتحدث إليها فى هذا الأمر " .

" لقد فعلت " .

" لا فائدة ؟ " .

قال دتش : " لا فائدة . لقد حصلت على الطلاق ، وهى سعيدة به . لا تريد أن يكون لها أية علاقة بى . لقد انتهى الأمر بيننا " . وأخذ يحك حاجبيه بيده التى يغطيها القفاز .

" هل ستبكى ، أم ماذا ؟ يا إلهى ، دتش ، لا تجعلنى أخجل من اعتبارى لك أفضل أصدقائى تماسك " .

استدار دتش ونظر إليه قائلاً : " اللعنة عليك " .

استمر ويز قائلاً : " لم كل هذه الولولة ؟ " ، وهز رأسه إشفاقاً على حالة دتش التى تدعو للرثاء ، ثم تابع قائلاً : " لقد

أضاعت ليلى من يدها ما لا تعرف قدره ، لذا فاللعنة عليها .
لقد كان رأيى فيها دائماً أنها ــــ "
" لا أريد أن أسمع رأيك فيها " .
" تظن أنها نوع آخر من البشر " .
" لقد قلت إننى لا أريد سماع رأيك فيها ، أسمعت ؟ "
رفع ويز يديه كالمستسلم قائلاً : " على راحتك ، لكن لا أظنها تقول عنى كلاماً طيباً هى الأخرى " .
" إنها ترى أنك حقير " .
قال ويز : " وكأننى لن أذوق طعم النوم بسبب رأى السيدة ليلى مارتين بورتون عنى ، وهو يبتسم فى سخرية ، ثم أطبق يده على كتف دتش قائلاً : " إنك تحمل الأمر أكثر مما يحتمل . لقد فقدت زوجتك ، لا رجولتك " ، وأومأ إلى ما حوله قائلاً : " إن النساء فى كل مكان " .
غمغم دتش قائلاً : " لقد كانت هى كل نسائى " .
أمال ويز رأسه جنباً وقال : " هكذا ؟ منذ البداية أم فى الآونة الأخيرة فقط ؟ " .
فكر دتش فى نفسه قائلاً ، الأمران . لقد حشد الكثير من المبررات لعلاقته الأولى ، حيث كان واقعاً تحت ضغط مستمر فى العمل ، وكانت ليلى مشغولة بحياتها العملية ، بينما كانت الحميمية بينهما شيئاً روتينياً لا إبداع فيه . إلى آخر هذه المبررات .
فندت ليلى أعذاره بمنتهى السهولة ، فاعترف بضعفه ووعد بألا يضل مرة أخرى .

لكن العلاقة الأولى لحقتها علاقة ثانية ، ثم علاقة ثالثة ، وسرعان ما نفدت حتى الأعذار السخيفة . لقد أدرك الآن أن علاقته الغرامية الأخيرة لم تكن السبب فى نهاية زواجه . لقد كانت الأولى هى السبب . كان يجب أن يعرف أن امرأة مثل ليلى لن تطيق الخيانة .

كان ويز ينظر إليه في ترقب ، منتظراً إجابة . قال دتش :
" لقد مر بى وقت ـ بعد موت آمى ـ كنت فى حالة سيئة وأبحث عن الراحة فى أى مكان أجدها به مع أى امرأة تقول لى " نعم " ، وهناك الكثيرات منهن . لكن لا تستطيع واحدة منهن أن تحل محل ليلى " .

" هراء . أنت لم تأخذ وقتك فى انتقاء البضاعة ، هذا كل ما فى الأمر . هل ستظل هكذا إلى الأبد " .

" ويز ـــ " .

" حسناً ، حسناً ، لا تسأل ، لا تقل شيئاً . لكن مَن هى المرأة التى ستنظر إليك مرتين فى أيامنا هذه ؟ إن كان هذا لا يضايقك ، فأنا أقول لك إنك تبدو فظيعاً " .

" هذا ما أشعر به " .

" حسناً ، هذا يبدو عليك بوضوح . يبدو على وجهك وطريقتك فى السير . إنك بالكاد تستطيع أن تمشى ، فأنت تجر قدميك . إنك تبدو مضحكاً كشخص مصاب بالسيلان المزمن ، وطريقتك هذه لن تجذب إليك المرأة التى تريدها الآن " .

" أى امرأة تلك ؟ " .

" المضادة لـ " ليلى " . ابتعد عن السمراوات ذوات العيون البنية " .

" لقد كان لون عينيها خليطاً من الأخضر والبنى " .

نظر إليه ويز ساخراً من هذا التصحيح المفصل قائلاً : " ابحث لنفسك عن شقراء شعرها فاقع الصفرة . قصيرة ، لا طويلة . بدينة لا تتمتع بذكاء كبير ، وليس لها رأى خاص بها سوى رأيها فيك وفى سحرك وجاذبيتك ، أى لا ترى فى هذا العالم رجلاً أكثر جاذبية منك " ، وكان ويز مسروراً بوصفه للأنثى المثالية حتى إن ابتسامته الساخرة كانت تكسو وجهه بالكامل .

تابع ويز قائلاً : " أقول لك شيئاً ! تعال إلى منزلى فيما بعد . لنحتسى مشروباً ونتدبر الخيارات المتاحة لك . لدى فيلم فيديو أو فيلمان رائعان يمكننا مشاهدتهما . سيغير هذا وجهة نظرك ، أم أنك لست بشراً ؟ ما رأيك ؟ " .

" ليس من المفترض بى أن أسهر كثيراً ؟ " .

" إن القوانين لا تنطبق على يوم عاصف ثلجى كهذا " .

" من قال ذلك ؟ " .

" أنا قلته " .

كان من المستحيل مقاومة ويز حين يكون بهذا الأدب الجم ، لكن دتش حاول محاولة صادقة ليفعل ذلك ، فشد عصا السرعة بالسيارة البرونكو إلى الوضع العكسى قائلاً : " لن يكون لدىْ أية فرصة لذلك الليلة ، وبعد ذلك يظل هناك بعض العمل " .

قال ويز : " تعال إلى البيت " ، مشيراً بإصبعه فى حسم لـ " دتش " ، وهو يتراجع بسيارته ، ثم قال : " سوف أنتظرك " .

عاد دتش إلى الزحام واتجه بسيارته البرونكو نحو المبنى المكون من طابق واحد من الطوب الأحمر على بعد عمارة واحدة من مين ستريت والذى يقع به قسم الشرطة .

قبل أن يتم إنهاء عمله فى قسم شرطة أطلانطا بشكل نهائى ، طلب دتش مقابلة الطبيب النفسى بالقسم مرتين فى الأسبوع ، فأخبره الطبيب النفسى فى إحدى جلساتهما أنه على حافة الإصابة بجنون الاضطهاد . ولكنه كان يرى أن إصابته بجنون الاضطهاد لا تعنى أنه ليس هناك بالفعل من يريدون إيذاءه .

لقد بدأ يعتقد أن العالم كله ينوى اليوم إيذاءه .

وحين دخل مقر قسم الشرطة ورأى السيد إيرنى جان وزوجته يجلسان فى منطقة الانتظار ، أصابه ذلك بالضيق . لابد أن ظهره مرسوم عليه عين ثور . إن ليلى وميليسينت وأسرة جان وأهالى منطقة كليرى ، وحتى الجو ، تآمروا جميعاً على أن يجعلوا هذا اليوم أسوأ يوم بالنسبة له .

حسناً . واحد من أسوأ الأيام .

كانت السيدة جان ـ وهى امرأة تشبه العصفور هزيل الرجلين فى أفضل حالاتها ـ تبدو وكأنها لم تنم ولم تذق طعاماً قط منذ اختفاء ابنتها . كان رأسها الصغير يبرز من ياقة معطفها مثلما تبرز رقبة إحدى الزواحف من تحت صدفتها . وحين دخل دتش ، نظرت إليه فى يأس واضح .

لم يكن ذلك الشعور غريباً عليه ، كما أنه متعاطف معها بالفعل . كل ما فى الأمر أنه لا يريد أن يشعر بمرارة يأس السيدة

جان الليلة ، في وقت يعاني فيه معاناة مرة في مصارعة يأسه هو .

وكان السيد جان رجلاً بديناً زاده المعطف الصوفي ذي المربعات الحمراء والسوداء الذى يرتديه ضخامة ، وهو من النوع الذى يرتبط في ذهن دتش بالنجارين وفي الحقيقة كان يعمل نجاراً . وكانت يدا النجار اللتين يمتلكهما خشنتين بفعل عقود من العمل والكد اليدوى مشققتين بفعل البرد وتبدوان كاللحم البقرى المعالج بالسكر .

كان يعبث بقبعة بيديه المليئتين بالندوب وينظر شارداً إلى نسيجها البنى المبقع ، وعلى إثر لكزة من كوع زوجته ، نظر إلى أعلى وتبع نظرتها الخاوية إلى دتش .

وقف قائلاً : " دتش " .

أومأ لهم دتش بدوره حتى يحيهما وقال : " إيرنى . السيدة جان . إن الجو يزداد سوءاً بالخارج . يجب أن تكونا بالبيت " .

" جئنا لنسأل فقط عما إذا كان هناك شيء جديد " .

كان دتش يعلم سبب هذه الزيارة ، ولقد تلقى منهما عدة رسائل هاتفية اليوم لكنه لم يجبها . كان يتمنى لو أن أحد رجاله حذره من أنهما بالمكتب حتى يؤخر عودته إلى أن ييأسا ويعودا إلى البيت . لكنه هنا الآن ، وهما هنا أيضاً ، والأفضل له أن ينتهى من المقابلة .

" اتبعانى . سنتحدث في مكتبي . هل قدم لكما أحد القهوة ؟ إنها سوداء كزفت الطرق ، لكنها تكون عادة ساخنة " .

قال إيرنى جان متحدثاً عنه وعن زوجته : " لا ، شكراً " .

وبمجرد أن جلسا يفصلهما المكتب عن دتش فى غرفة مكتبه الخاصة ، حملق فيهما دتش نادماً قائلاً : " للأسف ، ليس لدى جديد أقوله لكما . لقد اضطررت إلى إلغاء البحث اليوم لأسباب لابد أنها واضحة لكما " ، وأشار بيده ناحية النافذة .

" قبل أن تهب هذه العاصفة ؛ سحبنا سيارة ميليسنت إلى مبنى المقاطعة ، وسوف نجمع كل أدلة الإدانة التى يمكننا جمعها من سيارتها ، لكن لا تبدو هناك أية إشارة لوجود مقاومة " .

" مثل ماذا ؟ " .

تململ دتش فى كرسيه وألقى بنظرة على السيدة جان قبل أن يجيب على سؤال زوجها قائلاً : " أجزاء من أظافرها أو شعرها أو دمائها " .

هزت السيدة جان عنقها النحيل .

قال دتش : " هذه أخبار جيدة بالفعل . أنا ورجالى مازلنا نحاول وضع تصور لتحركات ميليسنت فى آخر أمسية لها بالعمل والتحدث مع كل من رآها داخل وخارج المتجر . لكن علينا تعليق البحث هذه الظهيرة بسبب العاصفة ثانية " .

ثم تابع قائلاً : " لم يخبرنى المخبر الخاص وايز أى شىء هو الآخر " ؛ مجيباً على ما تخيل أنه سيكون سؤالهما التالى ، واستطرد قائلاً : " لقد دعى إلى العودة إلى تشارلوت منذ عدة أيام مضت ، فلديه قضية أخرى هناك تحتاج إلى اهتمامه . ومع ذلك ، فقبل أن يرحل أخبرنى بأنه لايزال يعمل بنشاط فى حل

لغز اختفاء ميليسنت ويريد استخدام أجهزة الكمبيوتر هنـاك فـى المقر الرئيسى لمكتبه لمراجعة بعض الأشياء " .

" هل قال ذلك ؟ " .

كـان دتـش يكـره أن يصـارحها بـأن وايـز ـ وعمـلاء مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة الحقـراء جمـيـعاً فـى الـواقع ـ يضـنون بمعلوماتهم ولا يخبرون أحداً بها ، ويكونون كذلك بشكل خـاص فى حضرة رجـال الشـرطة الـذين يعتـبرونهم أدنـى مـنهم منزلـة وليسوا على مستوى الكفاءة المطلوبة .

قال دتش : " أعتقد أننا أعطينا وايز الحق فى الاطلاع على مذكرات ميليسنت " .

قال السـيد جـان : " هـذا صـحيح " ، واسـتدار إلى زوجتـه وربت يدها بين يديه ليشجعها ، ثـم قـال : " قـد يصـل فيهـا السيد وايز إلى شىء يقودهم إليها " .

انتهز دتش فرصة إثارة هـذه النقطـة قـائلاً : " هـذا احتمـال وارد جداً . ربما تكون ميليسنت قد رحلت من تلقـاء نفسـها " ، ورفع يده ليوقف اعتراضاتهما قائلاً : " أعـرف أن هـذا هـو أول شىء سألتكما عنـه حـين أتيتمـا للإبـلاغ عـن اختفائهـا فقطعتمـا باستحالة ذلك ، لكن انصتا إلى النهاية " .

وضع على ملامحه أكثر النظرات جدية وهو يحدثهما وقال : " من الممكـن تمامـاً أن تكـون ميليسـنت قـد احتاجـت إلى بعـض الوقت بعيداً عن البيت ، وقد لا يكـون لاختفائهـا علاقـة ببقيـة النساء المختفيات على الإطلاق " ، وكان يعلـم أن هـذا الاحتمـال بعيد جداً ، لكن كـان هـذا شيئاً من الممكـن أن يعطـيهم بعـض الأمل .

قالت السيدة جان في صوت لم يكد دتش يسمعه من شدة ضعفه : " ولكن السيارة كانت لاتزال في مكان انتظار السيارات خلف المتجر . كيف يمكن أن تكون قد رحلت دون سيارتها ؟ " .

قال دتش : " ربما يكون هناك صديق لها أخذها إلى مكان ما ، وبسبب الذعر العام الذى أثاره اختفاؤها ، فإن ذلك الصديق يخاف أن يظهر الآن حتى لا يقع في المشاكل مع ميليسنت بسبب الذعر الذى تسببا لنا فيه " .

نظر السيد جان متشككاً وقال : " لقد كانت لنا مشاكلنا مع ميليسنت ؛ مثل المشاكل التى بين كل الآباء وأبنائهم من المراهقين ، لكنى لا أظنها تفعل شيئاً مرعباً كهذا كى تغيظنا " .

قالت السيدة جان : " إنها تعرف أننا نحبها ، وتعرف كم سنقلق عليها إن اختفت " ، وارتعش صوتها في الكلمات الأخيرة ووضعت منديلاً ورقياً مبتلاً على شفتيها كى لا تنتحب .

لقد كان من المؤلم رؤية تعاستها ، فركز دتش على الأدوات الموجودة على المكتب ليعطيها الفرصة كى تتماسك ، ثم قال بعطف : " السيدة جان ، أنا واثق من أنها تعرف في أعماقها كم تحبينها ، لكنى أعلم أنها لم تكن تحب المستشفى التى أرسلتماها إليها في العام الماضى . لقد كان ذلك ضد رغبتها ؛ أليس هذا صحيحاً ؟ " .

قال السيد جان : " لم تكن لتذهب طواعية ؛ وكان علينا أن نفعل ذلك حتى لا تموت " .

قال دتش : " إننى أفهم ذلك . وقد تكون ميليسنت ـ على أية حال ـ تتفهم ذلك أيضاً ، لكن أليس من المحتمل أن يترك هذا الأمر فى نفسها شيئاً ؟ " .

لقد تم تشخيص حالة الفتاة على أنها نحافة مفرطة ، وكانت تعانى من الأنيميا ، والحق أن والديها ـ وهذه نقطة تحسب لهما ـ قد اقترضا بضمان كل شيء يمتلكانه تقريباً حتى يدخلاها المستشفى فى رالاى للعلاج والتأهيل النفسى حين أصبحت حالتها تهدد حياتها .

مكثت فى المستشفى ثلاثة أشهر قبل أن يُعلن عن شفائها ويسمح لها بالعودة إلى البيت . وما كان يتردد فى المدينة هو أن الفتاة عادت بعد ذلك إلى ما كانت تمارسه من قبل بمجرد خروجها من المستشفى خشية أن تتسبب أية زيادة فى الوزن فى استبعادها من فريق التشجيع بالمدرسة الثانوية التى تدرس بها ، فقد كانت قائدة فريق التشجيع بالمدرسة منذ المرحلة السادسة ، ولا تريد أن تفوتها السنة النهائية .

قال والدها : " لقد كانت تسير بخطى جيدة ، فكانت تتحسن صحتها كل يوم " ، ثم نظر إلى دتش نظرة صارمة قائلاً : " بالإضافة إلى ذلك ، أنت تعلم كما أعلم أنا أنها لم تهرب . لقد اختطفت . لقد كان هناك شريط أزرق مربوط فى عجلة قيادة سيارتها " .

ذكره دتش قائلاً : " ليس من المفترض أن تتحدث عن هذا . لقد تم ترك شريط أزرق فى المكان الذى من المفترض أن كل واحدة من النساء قد اختطفت فيه ، لكن تم حجب هذه المعلومة

عن وسائل الإعلام . وبسبب هذا الشريط ، أطلق على المختطف المجهول اسم " الرجل الأزرق " " .

اهتز هاتف دتش الخلوى على مكتبه ، لكنه تركه دون أن يرد . إنه يتعامل مع أمر خطير هنا . إن تسرب أمر الشريط الأزرق ؛ لابد أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية سيظنون أنه تسرب من قسم الشرطة التابع لـ " دتش " . قد يكون الأمر تسرب . بالطبع قد تسرب . ومع ذلك ، فسيفعل كل ما بوسعه ليحتوى الأمر ويتفادى اللوم .

قال السيد جان : " إن الناس جميعاً تقريباً يعرفون بأمر الشريط الأزرق . لا يمكن الاحتفاظ بأمر كهذا سراً ، خصوصاً وأن ذلك الوغد قد ترك الشريط خمس مرات الآن " .

" إذا كان الجميع يعرفون بأمر الشريط الأزرق ، إذن فميليسنت بكل تأكيد تعرفه . من الممكن أن تكون قد وضعته كحيلة لتجعلنا جميعاً نظن ـــــ "

رد إيرنى جان غاضباً : " اللعنة على ما تقول . إنها ليست بهذا القدر من القسوة التى تجعلها تخيفنا بهذا الشكل . لا يا سيدى . لقد وصل الرجل الأزرق إلى ميليسنت . أنت تعلم أنه فعل ذلك . يجب أن تخرج وتسعى للعثور عليها قبل أن ... " ، وانهار صوته ، واغرورقت عيناه بالدموع .

خنقت السيدة جان عبارة أخرى ، ولكن كان هذا دورها فى الحديث ، وأصبحت ملامحها تعكس مشاعر المرارة التى تشعر بها وهى تقول : " لقد أتيت إلى بلدتنا من قسم شرطة أطلانطا ، وكنا نظن أنك ستقبض على هذا الرجل قبل حتى أن تكون لديه الفرصة فى الوصول إلى ميليسنت أو أية فتاة أخرى " .

قال دتش بعصبيته : " لقد كنت أعمل فى جرائم القتل ، لا اختفاء الأشخاص " .

لقد كان متعاطفاً بالفعل مع هذين الشخصين ، ويفعل كل ما يستطيعه للعثور على ابنتهما ، لكنه مازال لا يحوز رضاهما . كانا يتوقعان حدوث معجزة على يديه لأنه كان شرطياً فى مدينة كبيرة .

ولقد جعله الشعور الذى كان يشعر به فى تلك اللحظة يتساءل عن سبب قبوله لهذه الوظيفة . حين عرض عليه مجلس المدينة - برئاسة ويز هامر - هذه الوظيفة ، كان يجب أن يخبرهم بأنه سيكون مأمور القسم بعد أن يمسكوا بمرتكب سلسلة جرائم الاختطاف .

لكنه كان يريد الوظيفة . والأهم من ذلك أنه كان يريد الخروج من أطلانطا ، حيث أهين بشكل شخصى بواسطة ليلى وبشكل مهنى فى القسم . وكان طلاقه قد أصبح نهائياً فى نفس الشهر الذى تم فصله فيه من العمل ، ولابد أنه كانت هناك علاقة بين الاثنن .

وحين كان فى أسوأ حالاته ، جاءه ويز فى أطلانطا ليقدم له هذا العرض ، ولقد أرضى غرور دتش بقوله إن بلدته فى حاجة ماسة إلى شرطى فى خبرته .

لقد كان هذا هو الهراء الذى امتاز فيه ويز ، نفس الكلام الذى يقوله فى وقت الاستراحة وغرفة خلع الملابس لإشعال حماسة فريقه . ومع أن دتش كان ينظر إلى كلام ويز على أنه هراء ، أحب الاستماع إليه ، وقبل أن يعلم كيف حدث هذا ، كانا يتصافحان إبراماً للاتفاق الذى تم بينهما .

لقد كان معروفاً ومحترماً هنا . كان يعرف الناس ، ويعرف المدينة والمنطقة كباطن كفه ، وكانت العودة إلى بلده كليرى بمثابة العودة إلى زوج قديم ومريح من الأحذية . لكن كان هناك جانب سلبى حقيقى . لقد تورط فى مشكلة تركها سلفه الذى لم يكن يعرف شيئاً عن حل ألغاز الجرائم أكثر من كتابة بلاغ عن انتهاء صلاحية ترخيص مكان لانتظار السيارات .

فى أول يوم عمل لـ " دتش " تلقى قضايا النساء الأربع المختفيات . والآن ، هناك فتاة خامسة قد اختفت . كانت ميزانيته محدودة ، وكان الأفراد الذين يعملون معه يمتلكون الحد الأدنى من التدريب والخبرة ، بالإضافة إلى تدخل مكتب التحقيقات الفيدرالية الذى اشترك فى الأمر لأنه كان واضحاً أن هذه حالات اختطاف ، وهذا يمثل جريمة فيدرالية .

الآن ، وبعد سنتين ونصف من اختفاء الفتاة الأولى من أحد المعسكرات ، لم يكن هناك أى مشتبه فيه . ولم يكن الخطأ خطأ دتش ، لكن القضية قد أصبحت بالنسبة شغله الشاغل ، وكانت تزداد سوءاً .

لم يكن فى حالة مزاجية تؤهله لتقبل النقد ، وخصوصاً النقد الآتى من أناس يعيشون فى جحيم حقيقى . قال دتش : " مازال لدىّ قائمة من معارف ميليسنت سأتحدث إليهم ، وبمجرد أن تصفو حالة الجو ، أقسم لكما أننى وكل شخص فى قوتى سنخرج للبحث عنها " ، ثم وقف معلناً انتهاء المقابلة ، ثم قال : " هل تحبان أن آمر بمن يصطحبكما إلى البيت فى إحدى سيارات الدورية ؟ لقد صارت الشوارع سيئة " .

قال السيد جان : " لا ، شكراً " ، قالها باعتزاز بالنفس مثير للإعجاب وهو يساعد زوجته على النهوض من كرسيها ويوجهها ناحية مقدمة المبنى .

قال دتش وهو يتبعهما عبر الردهة القصيرة : " أعرف أن الأمر صعب ، لكن حاولاً أن تكون نظرتكما إيجابية ".

اكتفى السيد جان بالإيماء وارتدى قبعته ثم اصطحب زوجته خارج المبنى إلى حيث الريح العاتية .

" سيدى المأمور ، لدينا ـــ "

قال دتش : " دقيقة واحدة " ، وبدأ يرفع يده مقاطعاً الضابط المسئول عن تلقى المكالمات الهاتفية ، وكانت كل خطوط الهاتف تعطى إشارات حمراء . التقط دتش هاتفه من حزامه ليرى من اتصل به .

إنها ليلي . ولقد تركت له رسالة . أخذ ينقر بلهفة على أزرار الهاتف ليصل إلى بريده الصوتى .

" دتش . لا أعلم إن كنت ... أستطيع ... أم لا . أنا ... حادثة في طريق النزول من الجبل ... بين تيرني ... أصيب . نحن .... الكابينة . يحتاج إلى علاج ... عناية . إن ... كان باستطاعتك .... المساعدة . بأسرع ... ما يمكن " .

الفصل
٦

جعلت ليلى الرسالة الصوتية مختصرة وموجزة ، خشية أن يفقد هاتفها الخلوى القدرة على الإرسال ، وبمجرد أن انتهت من الكلام ؛ كان الهاتف قد فارقته الحياة مرة أخرى .

قالت لـ " تيرنى " : " لا أدرى أى جزء من رسالتى قد وصل ، لكن ربما يصل إلى دتش منها ما يكفى لأن يفهم الباقى " ، وأنزلت بطانية الاستاد من على رأسها ، لكنها ظلت تحيط بها كتفيها . كان صوف البطانية مبتلاً ، ولازال يعلق به بعض المطر المتجمد . كانت ليلى تشعر بالبرد والبلل وعدم الراحة .

بالطبع لم تكن تستطيع أن تشتكى من عدم راحتها ، فقد كانت هينة إلى جانب ما يشعر به تيرنى . كان تيرنى جالساً ، لكنه كان يتمايل وكأنه سيتهاوى فى أية لحظة ، وبدأ دم جديد يبلل القبعة السوداء التى يرتديها ، وقد علق الصقيع بحاجبيه ورموشه ؛ مما جعله يبدو كشبح من الأشباح .

أشارت ليلى إلى عينيه قائلة : " لديك ــــــ "

" صقيع ؟ لديك أنت أيضاً . سيذوب فى لحظات " .

مسحت ليلى بللورات الثلج من على عينيها وأنفها وقالت : " لم أتعرض لعناصر الطبيعة من قبل بهذا الشكل مطلقاً . لا شىء أسوأ من الاضطرار للبقاء تحت الأمطار دون مظلة " .

نهضت ليلى واجتازت الغرفة إلى تيرموستات الحائط ، وبعد أن قامت بضبطه ، سمعت صوت حركة الهواء القادم من ثقب بالسقف وقالت : " سرعان ما سيصبح الجو دافئاً هنا " ، ثم قالت وهى عائدة إلى الأريكة : " لا أشعر بأصابع قدمى أو بأصابع يدى " .

وضع تيرنى إصبعه الأوسط بين أسنانه واستخدمها فى نزع قفازه ، ثم أشار لها ناحية الأريكة التى يجلس عليها قائلاً : " اجلسى واخلعى حذاءك " .

جلست بجواره ونزعت قفازها ، ثم أخرجت قدميها من حذائها المبتل قائلة : " كنت تعرف أن هذا الحذاء لن يحافظ على قدمى جافتين " .

" كان ذلك تخميناً منطقياً " .

كان جوربها مبتلاً ، وكذلك كان سروالها من الركبة إلى أسفل . لقد اختارت ملابسها على أساس الأناقة ، وليس الحماية من ظروف العاصفة .

أمرها بأن تربت الجزء الأعلى من فخذها قائلاً : " ارفعى رجلك هنا " .

ترددت ليلى ، لكنها فى النهاية وضعت رجلها فوق مرتفع . ونزعت عنها جوربها الرقيق ، فلم تتعرف على قدمها ،

حيث كانت بيضاء كالثلج خالية من الدماء . ضغطت قدمها بقوة بين يديه وبدأت تدلكها بهمة .

حذرها قائلاً : " سيكون الأمر مؤلماً بعض الشيء " .

" هو كذلك بالفعل " .

" يجب أن أعيد الدورة الدموية إليها مرة أخرى " .

" هل كتبت من قبل عن النجاة من إحدى العواصف ؟ " .

" لم أفعل ذلك على أساس تجربة شخصية ، وها أنا ذا أدرك كم كان المقال سخيفاً مفتقراً إلى المعلومات . هل تشعرين بتحسن ؟ " .

" أشعر بوخز كوخز الإبر فى أصابع قدمى " .

" هذا أمر طيب ، فمعناه أن الدم بدأ يعود إلى قدمك . انظرى ؟ لقد عاد لونها الوردى بالفعل . افعلى ذلك مع قدمك الأخرى ".

" وماذا عن قدميك ؟ " .

" يمكنها الانتظار ؛ فإن جواربى مضادة للماء " .

نزعت جوربها وأطبقت يديها حول قدمها ، ثم بدأت فى التدليك لتعيد الشعور إليها ، لكنها كان تدلك بقوة أقل من ذى قبل . وأخذ تشد برفق كل إصبع من أصابع قدمها ؛ ثم أخذ تحرك باطن إبهامه بين كاحلها وكعبها جيئة وذهاباً .

فى النهاية ، دلكت قدمها باهتمام بين راحتى يديها حتى عادت الدماء إليهما ، واستدارت بوجهه ليواجهها ، فأصبح وجهه قريباً من وجهها بشكل جعلها ترى رموشه المبتلة بعد انصهار الصقيع عنها . قال لها : " هل تشعرين بتحسن ؟ " .

" كثيراً . شكراً لك " .

" على الرحب والسعة " .

أنزلت رجلها ثم أخذت زوجاً جافاً من الجوارب من جيب معطفها بشكل أتاح لها الابتعاد عنه بطريقة طبيعية .

راقبته بزاوية عينيها وهو ينحني ويفك رباط الحذاء ، لكن حتى بعد أن أصبح الحذاء مفكوكاً ، ظل هو منحنياً . أسند كوعه على ركبته وأراح رأسه على يده .

سألته قائلة : " هل سيصيبك الإغماء مرة أخرى ؟ " .

" لا أظن ذلك ، إنها مجرد موجة من الدوار وستمر " .

" قد تكون مصاباً بالغثيان " .

" يبدو أن هذا صحيح " .

" أنا آسفة " .

جعلته لهجتها الاعتذارية يرفع رأسه قائلاً : " لم الأسف ؟ لو لم أظهر أمامك لما اصطدمت سيارتك بى " .

" لم أكن أرى أبعد من غطاء السيارة ، ثم ظهرت أنت أمامى فجأة ، و ــــــ "

" لقد كانت غلطتى أكثر مما تكون غلطتك . كنت أرى الأضواء الأمامية للسيارة وأنت تجتازين المنحنى ، ولم أكن أريد أن أفقد آخر أمل فى أن يقلنى أحد إلى المدينة ، لذا بدأت أركض بكل طاقتى ، وزاد اندفاعى وأنا أهبط المنحدر بشكل كبير . ما أذكره بعد ذلك هو وجودى داخل الطريق لا عليه " .

" كان من الغباء أن أستخدم الفرامل بهذه القوة " .

قال وهو يهز كتفيه : " رد فعل عكسى . على أية حال ، لا تلومى نفسك . قد يكون القدر وضعنى فى طريقك بسبب ما " .

" ربما تكون قد أنقذت حياتى . لو أننى كنت وحدى ، لمكثت بالسيارة ولتجمدت قبل طلوع الصباح " .

" إذن فأنت محظوظة لمجيئى " .

" ماذا كنت تفعل هنا على القمة سائراً على قدميك ".

انحنى وبدأ يفك فردة حذائه اليمنى ، ثم قال : " كنت أتنزه " .

" فى هذا اليوم ؟ " .

" كنت أقيم معسكراً على القمة " .

" فى ظل عاصفة كهذه " .

قال تيرنى : " إن للجبال سحراً خاصاً فى أثناء شهور الشتاء " . وخلع فردة حذائه الثانية ونحاها جانباً ؛ ثم بدأ يدلك أصابع قدميه قائلاً : " حين استعددت للعودة إلى المدينة ، لم تدر السيارة . كانت البطارية قد نفد منها الشحن ، فيما أعتقد . على أية حال ، بدلاً من أن أتبع الطريق وكل تلك الانحناءات ، قررت أن آخذ طريقاً مختصرًا خلال الغابة " .

" فى الظلام ؟ " .

" إننى أرى الآن أنه لم يكن أذكى قرار اتخذته ؛ لكن كانت الأمور ستسير على ما يرام لو لم تحدث العاصفة بهذه السرعة " .

" لقد أسأت التقدير أنا أيضاً ، فرحت فى النوم بغباء و ... " .

توقفت حين لاحظت أنه يرمش بسرعة كما لو كان يحاول تفادى الاغماء ، فقالت : " هل أنت على وشك الاغماء ؟ " .

" ربما يكون ذلك الدوار اللعين " .

وقفت ليلى ووضعت يديها على كتفه وقالت : " ارجع بظهرك واستلق " .

" إن استسلمت للنوم فأيقظيني . لا يجب أن أذهب في النوم مصاباً بهذا الغثيان " .

" أعد بأن أبقيك متيقظاً . استرخ " .

كان مازال يقاوم ، وقال : " سألطخ أريكتك بالدماء " .

" لا أظن أن هذا يهم يا سيد تيرني ، بالإضافة إلى أنها لم تعد أريكتي " . بدأ يلين ويتركها تدفعه إلى الوراء حتى استراح رأسه على الوسادة .

قالت : " هل أنت بخير الآن ؟ " .

" أفضل حالاً . شكراً " .

ذهبت إلى الأريكة الأخرى ، ولإحساسها بالبرد القارس رغم ارتداء معطفها ، غطت نفسها بأحد الأغطية المغزولة .

ورغم أن تيرني أبقى عينيه مغمضتين ، فإنه قال : " لم تعد أريكتك ؟ لقد سمعت أن هذا المكان معروض للبيع . هل تم بيعه ؟ " .

" تم البيع بالأمس " .

" من اشتراه ؟ واحد من المدينة ؟ " .

" لا ، زوجان متقاعدان من جاكسونفيل بـ " فلوريدا " يريدان أن يقضيا الصيف هنا كل عام " .

فتح تيرني عينيه ونظر إلى الحجرة الرئيسية . كان بالكابينة كافة التجهيزات العصرية ، لكن تم بناؤها ووضع ديكوراتها لتبدو ريفية كي تلائم الجو الجبلي المحيط بها ، أما الأثاث فكان ثقيلاً راسخاً ، تم تصميمه من أجل الراحة لا المظهر .

" لقد اشتريا لنفسيهما بيتاً ثانياً جميلاً " .

نظرت إلى الغرفة من حولها قائلة : " نعم ، هذا صحيح " ، ونظرت إلى صلابة البناء قائلة : " سنكون على ما يرام هنا ، أليس كذلك ؟ أعنى حتى تنقضى العاصفة ".

" ما هو المورد الذى تحصلين منه على الماء ؟ " .

" خزان يقع فى منتصف المسافة تقريباً بين هنا وبين المدينة " .

نهضت ليلى ودارت حول الطاولة التى تفصل الغرفة الرئيسية عن المطبخ وصاحت والماء ينهمر من الصنوبر قائلة : " لدينا ماء ! " .

" هل لديك أى شىء لجمعه به " .

" لقد تضمن بيع الكابينة أدوات المطبخ " .

" ابدئى فى ملء كل الأوانى والقدور المتاحة ، فنحن بحاجة إلى تخزين كل ما نستطيع تخزينه من ماء الشرب قبل أن تتجمد المواسير . من حسن الحظ أن معك هذا الطعام ، فلن نموت جوعاً " .

وجدت صينية تحمير كانت قد استخدمتها فى أحد الأعياد السابقة . فوضعتها فى الحوض تحت الصنبور . وحين عادت إلى الغرفة الرئيسية أشارت نحو الفناء قائلة : " هناك خشب للمدفأة مكوم فى البهو " .

" نعم ، لكننى لاحظت ونحن ندخل الكابينة أن معظمه كان مبتلاً ، كما أنه لم يقطع إلى قطع صغيرة " .

" هذه ملاحظة دقيقة منك " .

" إن لدىّ القدرة على ملاحظة التفاصيل سريعاً " .

" هذا ما لاحظته " .

" متى ؟ " .

كرر سؤاله قائلاً : " متى ؟ " .

" متى لاحظتِ قدرتى على ملاحظة التفاصيل ؟ الليلة ، أم فى ذلك اليوم من الصيف الماضى ؟ " .

" في كلا اليومين فيما أعتقد . على الأقل على مستوى العقل الباطن " . وتساءلت في نفسها عن التفاصيل التى من الممكن أن تكون عيناه الحادتان الزرقاوان قد لاحظتهما سريعاً ، الليلة وفى يونيو الماضى .

" لماذا اتصلت به ؟ " .

بدا سؤاله المباشر فى غير موضعه ، لكنه لم يكن كذلك حقيقة . نظرت نحو هاتفها الخلوى الذى كانت قد وضعته على مائدة القهوة بحيث يكون فى متناول يدها حين يرن .

وقبل أن يعطيها الوقت للإجابة ، قال : " سمعت أنك حصلت على الطلاق " .

" هذا صحيح " .

" إذن فلماذا اتصلت به الليلة ؟ " .

" إن دتش هو مأمور شرطة كليرى الآن " .

" لقد سمعت ذلك أيضاً " .

" إنه مسئول عن التعامل مع حالات الطوارئ التى تتسبب فيها العاصفة ، ولديه السلطة التى تؤهله ليوفر لنا العون إن استطاع ذلك " .

تدبر كلامها لعدة ثوان ، ثم نظر ناحية الباب قائلاً : " لن يأتى أحد إلى هنا الليلة . هل تدركين هذا ؟ " .

أومأت برأسها قائلة : " أعتقد أننا سنعتمد على نفسينا هذه الليلة " . وكاستجابة لتوترها المفاجيء ، دفعت بيديها إلى أعماق جيبى معطفها ، ثم قالت : " يا إلهى ، أدوات الإسعاف الأولى . كدت أن أنساها " .

أخرجت علبة أدوات الإسعافات الأولية . وكانت عبارة عن علبة بلاستيكية بيضاء صغيرة وهى نفس النوع من العلب الذى من الممكن أن تضعه أى أم فى حقيبتها قبل الخروج إلى الفناء فى رحلة قصيرة . فتحت ليلى العلبة وفحصت محتوياتها .

قالت ليلى : " للأسف ليس هناك الكثير هنا ، لكن ينبغى على الأقل تنظيف جرح الرأس هذا بإحدى الضمادات المطهرة هذه " ، ثم نظرت إليه بشك قائلة : " هل تريد خلع قبعتك بنفسك ، أم تثق فى أن أفعل أنا هذا ؟ للأسف يا سيد تيرنى ، ففى الحالتين سيكون الأمر مؤلماً " .

" ليلى ؟ " .

" نعم ؟ " .

" لماذا ناديتنى بالسيد تيرنى ؟ " .

هزت كتفيها فى ارتباك قائلة : " لا أدرى ، لكن يبدو أن هذا أكثر لياقة ، فى ظل الظروف الحالية " .

" ظروف انقطاع السبل بنا معاً لفترة غير محددة من الوقت واعتماد كل منا على الآخر لينجو بحياته ؟ " .

" إنه موقف سخيف إلى حد ما " .

" سخيف لماذا ؟ " .

حملقت فيه لبلادته هذه قائلة : " لأننا نحن الاثنان غريبان عن بعضنا البعض ، إذا استثنينا ذلك اليوم الذى تقابلنا فيه عند النهر " .

حين استوى تيرنى واقفاً ، بدأ يتمايل بشكل ملحوظ ، لكنه كان متماسكاً بما يكفى وهو يسير نحوها ببطء قائلاً : " إن كنت تعتقدين أننا غريبان ، إذن فأنت لا تذكرين اليوم الذى تقابلنا فيه كما أذكره أنا " .

تراجعت خطوة إلى الوراء وهزت رأسها ، إما لتخلصه من ذكريات يوم مشرقة شمسه ، أو لتبتعد عنه . لم تكن متأكدة أيهما كان السبب وقالت : " انظر يا تيرنى ـــــ "

أشرق وجهه بالابتسامة الساحرة التى تتذكرها بشكل دائم قائلاً : " الحمد لله . ها أنا ذا قد عدت تيرنى مرة أخرى بلا ألقاب " .

كرر كينت بيجلى العميل الخاص المسئول الاسم قائلاً " تيرنى ؟ " .

رد العميل الخاص تشارلى وايز قائلاً : " نعم يا سيدى . ت ى ر ن ى . الاسم الأول هو بين " .

كان كل من فى فرع مكتب التحقيقات الفيدرالية بـ " تشارلوت " يدعون تشارلى وايز بكنيته هوت (نعيب البوم) ، وهناك شخص ما ـ لا أحد يذكر من على وجه التحديد ربط بين اسمه الأخير وبين البوم الناعبة . وكان عادة ما يرتدى نظارة بلون صدفة السلحفاة لها عدستان ضخمتان مدورتان تجعلانه يبدو فعلاً كالبومة .

كان بيجلى ينظر من خلال كلتا العدستين لنظارة هوت بشكل مباشر فى عينى هوت اللتين لا ترمشان ، معطياً إياه إحدى نظراته التى يسميها مرءوسوه : " النظرات الساحقة " ، وبالطبع لا يعلم بيجلي أنهم يطلقون على نظراته ذلك الاسم .

كان بيجلى متديناً شديد التدين ، يحمل معه دائماً أحد كتب الدين الضخمة ، والذى كتب على غلافه الجلدى الأسود اسمه بحروف ذهبية ، ويبدو بالياً بما يوحى بكثرة القراءة فيه ، وكان بيجلى كثيراً ما يقتبس أجزاء من هذا الكتاب فى حديثه .

وكان من المحرمات طبقاً لمعيار بيجلى الأخلاقى استخدام اللغة غير المهذبة أو البذيئة ، فما كان يسمح بذلك للرجال والنساء الذين يعملون تحت إمرته ، ولقد كان يستخدم هذه اللغة هو شخصياً حين يشعر بأنه من الضررورى بشكل تام استخدامها لتوضيح وجهة نظرة - وهو ما كان يحدث كل عشر ثوان تقريباً .

كان هوت عميلاً واثقاً قديراً لا يشق له غبار ، وكان أقل ضعفاً من غيره تحت وطأة نظرات بيجلى الساحقة . لم يكن أحد يعرف مدى دقته فى التصويب ، لكنه كان بلا جدال ماهراً فى استخدام الكمبيوتر . تميز هوت فى البحث ، فكان لا يتفوق أحد على مهارته فيه ، وحين لا يتمكن من استخراج البيانات اللازمة ، فإن هذا يعنى أنها غير موجودة أصلاً .

قابل هوت نظرة رئيسه القاسية رابط الجأش قائلاً : " لقد بحثت عن اسم بين تيرنى لعدة أيام مضت يا سيدى ، وتكشفت لى بعض الحقائق المهمة " .

" إننى أسمعك " .

أشار له بجيلى ليجلس على الكرسى المواجه لمكتبه ، ولكن لأنه كان لايزال ينظر إليه نظرة تعنى أنه من الأفضل له ألا يضيع وقته ، فقد بدأ هوت يتحدث حتى قبل أن يجلس قائلا : " خلال العامين الماضين ، كان بين تيرنى يرحل عن المنطقة ، خصوصاً كليرى ، ويعود إليها كل بضعة أشهر . كان يبقى لبضعة أسابيع ، وأحياناً لشهر ، ثم يرحل " .

قال بيجلى : " هناك الكثيرون يأتون لقضاء إجازة نهاية الأسبوع ، فمجيئهم مرتبط بالإجازات " .

" إننى أدرك ذلك يا سيدى " .

" إذن فما الذى يجعله مميزاً ؟ هل تتصادف زيارة كليرى مع حالات الاختفاء ؟ " .

" نعم يا سيدى . هذا صحيح . إنه يقيم فى مسكن يبعد بحوالى ميلين عن وسط المدينة ، وهو عبارة عن كابينة خاصة بمطبخ صغير تطل على أحد الشلالات وبحيرة خاصة " .

أومأ بيجلى . كان يعرف ذلك النوع من الأماكن التى يصفها هوت : فهناك المئات من تلك الأماكن - فى تلك المنطقة من الولاية ، حيث تمثل السياحة مصدراً أساسياً من مصادر الدخل للمجتمعات الجبلية الصغيرة ، وحيث تكون أنشطة الهواء الطلق مثل الصيد والتنزه وإقامة المعسكرات وركوب الزوارق أنشطة جذابة .

" طبقاً لما قاله مدير مجمع الكبائن ، فإن السيد تيرنى دائماً يحجز أضخم كابينة . الكبينة رقم ثمانية ، وهى عبارة عن غرفتى نوم . وحجرة معيشة مزودة بمدفأة ، وأعتقد أن هذا له مغزاة . وهو يقوم بأعمال النظافة بنفسه ومهما طالت مدة إقامته

فإنه يأخذ الملاءات النظيفة من مكتب الاستقبال مرتين في الأسبوع ويرفض خدمة إدارة المنزل اليومية " .

" إنه لا يكاد يدخن السجائر يا هوت " .

" ولكنه غريب " .

ترك بيجلى مكتبه واتجه نحو اللوحة الفللينية التى أحضرها هوت إلى المكتب قبل الاجتماع ، وقد ألصق عليها صوراً للنساء الخمسة المفقودات فى منطقة كليرى ، إلى جانب البيانات التى تم جمعها عن كل منهن : تاريخ الميلاد ، ورخصة القيادة ، ورقم التأمين الاجتماعى وتاريخ الاختفاء والوصف الجسمانى ، وأسماء أفراد الأسرة ، والأصدقاء المقربين ، والاهتمامات والهوايات والانتماءات الدينية ، والمستوى التعليمى وحسابات البنوك أو غير ذلك من الأرصدة المالية - والتى لم يتم سحب أى منها ، والمكان الذى شوهدت فيه المرأه المختفية آخر مرة ، وأى شىء آخر قد يساعد فى تحديد موقع المرأه المختفية أو الإشارة إلى مختطفها المجهول ، والذى أطلق عليه فى هذه الحالة " الأزرق " .

" هل تيرنى هذا تنطبق عليه أوصاف مرتكب سلسلة من الجرائم الجنسية ؟ " .

رغم أنه لم يتم التأكد من ارتكاب جرائم جنسية ضد النساء المفقودات ، إلا أنه كان من المتصور أن هذا هو السبب وراء اختطافهن : " نعم يا سيدى ، فهو أبيض البشرة ، يعيش وحيداً بشكل أو بآخر ، تزوج مرة واحدة لفترة قصيرة ، وهو الآن مطلق ".

" وماذا عن زوجته السابقة ؟ " .

" لقد تزوجت برجل آخر " .

" ماذا تعرف عن زواجه وطلاقه ؟ " .

" بيركنيز يعمل على جمع المعلومات فى هذه الناحية بدلاً منى ، وهو ينقب عنها تنقيباً " .

" استمر " .

" إنه يبلغ من العمر واحداً وأربعين عاماً ، ولديه جواز سفر أمريكى ورخصة قيادة تابعة لولاية فيرجينيا . ويبلغ طوله ست أقدام وثلاث بوصات ، ويزن مائة وخمسة وثمانين رطلاً ، أو على الأقل كان هذا وزنه حين جدد رخصة قيادته من عامين . بنى الشعر ، أزرق العينين ، حليق الوجه ولا يوجد بجسده أى وشوم أو ندوب ظاهرة " .

" يقول مدير مجمع الكبائن إنه مهذب وقليل المطالب ، ويعطى مديرة المنزل بقشيشاً رغم أنها لا تقوم له بالتنظيف . يمتلك بطاقة ائتمان واحدة كبرى ، ويستخدمها تقريباً فى كل شىء ويسدد إجمالى الحساب كل شهر . ليس عليه ديون ذات بال . وليست له مشاكل مع الضرائب ، ويقود سيارة جيب شيروكى من طراز حديث ، كما أن مصاريف التسجيل والتأمين لاتزال جارية " .

" يبدو مواطناً صالحاً ، أو أميراً وسط الرجال " .

ورغم ملاحظته ، كان بيجلى يعرف أن مظهر الإنسان وتصرفاته يمكن أن يخفيا مجرماً أو مريضاً نفسياً أو عقلاً معادياً للمجتمع . فلقد صادف خلال حياته العملية الطويلة أشخاصاً منحرفين بشدة .

كانت هناك المرأة التى أصبحت أرملة ست مرات قبل أن يفكر أحد فى التحقيق فى تلك المصادفة الغريبة . ولقد كانت ذريعتها فى قتل أزواجها ، بطريقة مميزة ومبتكرة مع كل منهم ، هى أنها تعشق ترتيب الجنائز . ولقد كانت ممتلئة الجسم كطائر " الحجَل " وجميلة كثمرة الخوخ ، وما كان أحد يتصور أن تقتل ذبابة منزلية .

ثم يأتى بعد ذلك الرجل الذى كان يقوم بدور بابا نويل فى السوق التجارى الموجود بالمنطقة كل عيد ميلاد . لقد كان لطيفاً وطيباً ، ومحبوباً من الجميع ، وكان يضع الأطفال على ركبته ويستمع إلى ما يريدونه فى عيد الميلاد ويعطيهم الحلوى ويذكرهم بالابتعاد عن الشقاوة ، ثم يختار أحدهم للاعتداء عليه جنسياً قبل أن يقطع أوصاله ويضع أعضاءه المختلفة فى جوارب عيد الميلاد التى كان يعلقها فى رف المدفأة وينفجر فى الضحك .

لم يعد شىء يدهش بيجلى قط ، خصوصاً أن يكون هناك مختطف نساء يتسم بالأدب وإعطاء البقشيش بسخاء ودفع الفواتير فى وقتها .

سأل بيجلى قائلاً : " وماذا عن الأصدقاء ؟ هل انضم إليه أحد من قبل فى هذه الكابينة التى يؤجرها ؟ " .

" لا أحد ، فهو يعيش بمفرده ، هذا ما أكده السيد جوس إلمر مالك الكبائن " .

حملق بيجلى فى صورة لاورين إليوت ، ثالث امرأة اختفت . لقد كانت لها تسريحة شعر سيئة ، ولكنها تتمتع بابتسامة حلوة ، وتم العثور على سيارتها بالقرب من مطعم

للمشويات بين العيادة التى كانت تعمل بها ممرضة وبين بيتها ، وكانت قد طلبت لحماً مشوياً بالهاتف واختفت قبل أن يأتيها .

" وأين يقع منزل بين تيرنى ؟ " .

رد هوت قائلاً : " يأتيه البريد على منزل يشترك فى ملكيته مع آخرين فى فيرجينيا ، خارج العاصمة مباشرة . لكنه نادراً ما يكون هناك ، فهو كثير السفر " .

عاد بيجلى إلى مكتبه قائلاً : " هل نعرف لماذا ؟ " .

عبث هوت بكومة المطبوعات التى أحضرها معه وأخرج مجلة مشهورة متخصصة فى رياضات وأنشطة الهواء الطلق قائلاً : " الصفحة سبعة وثلاثون " .

مد بيجلى يده نحو المجلة وفتحها إلى أن وصل إلى الصفحة ، فوجد بها قصة صحفية عن رياضة ركوب الزوارق فى نهر كلورادو .

فسر هوت الأمر قائلاً : " إنه كاتب حر ، يكتب بالقطعة ، يذهب فى مغامرات وإجازات باحثاً عن الإثارة ويكتب عنها ويبيع المقالات للمجلات التى لها اهتمامات بعينها مثل تسلق الجبال ورياضات التنزه والتزلج والغوص مع الدلافين وركوب مركبات تجرها الكلاب على الجليد . لقد فعل كل ما قد يخطر ببالك " .

كانت على المقال صورة ملونة لرجلين يقفان على الشاطىء الصخرى لأحد الأنهار ، بينما توجد مياه بيضاء فى الخلفية . كان أحدهما ذا لحية متين البنيان أقصر بكثير من ست أقدام وثلاث بوصات ، وكان مكتوباً فى أسفل الصورة إنه مرشد الرحلة .

أما راكب الزوارق الآخر المبتسم فكانت تنطبق عليه أوصاف تيرنى بابتسامته الواسعة البيضاء على وجه نحيل أسمر البشرة وشعره النازل على جبهته وركبتين قويتين ككرتى بيسبول ، وذراعين قويين ، ويرتدى زياً رياضياً .

صاح بيجلى في هوت قائلاً : " هل تعبث بى أيها اللعين ؟ إنه من ذلك النوع من الرجال الذى تنجذب إليه النساء انجذاباً شديداً ؟ " .

" لقد كان تيد تيرنى مشهوراً بولع النساء به يا سيدى " .

" وماذا عن النساء ؟ "

" علاقاته ؟ " .

" أو أى شيء آخر " .

" يكاد جيرانه فى فيرجينا لا يعرفونه لأنه نادراً ما يكون هناك ، لكنهم أجمعوا على أنهم لم يروا امرأة فى بيته أبداً " .

سأل بيجلى : " أعزب وسيم مثل هذا ؟ " .

هز هوت كتفيه قائلاً : " قد يكون له علاقات خفية ، لكن لا يوجد ما يشير إلى أنه كذلك " .

قال بيجلى : " نعم ربما قد تكون له عشيقة فى مكان أو آخر " .

" قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكننا لم نعثر على دليل يدل على وجود أية عشيقة له . ولا توجد له علاقة طويلة أو قصيرة المدى لكن ـ كما قلت ـ فهو يسافر كثيراً ، فربما تكون له قصص حب فى الزمان والمكان الذين يستطيع فيهما ذلك " .

فكر بيجلى فى ذلك ، فمن يرتبكون سلاسل جرائم اغتصاب النساء أو سفاحو النساء نادراً ما تكون لهم علاقات صحية

مستمرة . وفى الحقيقة ، فهم عادة ما يكون لديهم كره شديد للنساء ، وقد يكون عداؤهم للنساء كامناً أو تتم مواراته بشكل جيد أو الإفصاح عنه بصراحة ، وفقاً للطبيعة النفسية للمتهم . وفى الحالتين ، يظهر العداء بشكل واضح فى صورة أعمال تتسم بالعنف تجاه الجنس الآخر .

قال بيجلى : " حسناً ، لقد أثرت اهتمامى ، لكن أتمنى أن يكون لديك ما هو أفضل من ذلك " .

عبث هوت بمزيد من الأوراق ، وحين وجد الورقة التى كان يبحث عنها قال : " وهذا الكلام مقتبس من مذكرة ميليسنت جان : " لقد رأيت بى . تى . مرة أخرى اليوم . هذه هى المرة الثانية فى الأيام الثلاثة الماضية . إنه ليس شخصاً غريب الأطوار ، فهو دائماً ما يكون لطيفاً جداً معى " . وكلمة جداً ، تحتها خط يا سيدى " .

" أعتقد أنه معجب بى . إنه يتحدث معى رغم كونى بدينة ، هذا الكلام مكتوب بتاريخ يسبق تاريخ اختفائها بثلاثة أيام . ويدعى والداها أنه ليس من بين أصدقائها من يدعى بى . تى ، ولا يعرفان أحداً يسمى بهذا الاسم أو يبدأ اسمه بهذين الحرفين .

" بدينة ؟ " .

" فى الحقيقة ، فالآنسة جان كانت فاقدة للشهية تجاه الطعام وتعانى من نحافة شديدة " .

أوما بيجلى ، فقد قرأ ذلك فى بيان تشخيص مرضها حين دخلت المستشفى فى العام الماضى . قلك بيجلى : " أين قابلت بى . تى . هذا مرتين فى ثلاثة أيام ؟ " .

" هذا هو ما جعلنى أفكر فى بين تيرنى . لقد أجريت تحريات لأعرف من يكون بى . تى . ، وكان المكان المنطقى الأول للبحث هو المدرسة الثانوية ، لكننى رجعت خالى الوفاض ، فكل من يحلمون اسم بى . تى . من الفتيات " .

" كان المكان المنطقى الثانى هو مكان عمل ميليسنت ؛ فهى تعمل لبعض الوقت فى متجر عملها . بالإضافة إلى معدات وأجهزة البستنة ، الذى يبيع ... " ، توقف هوت ووضع نظارته على عينيه ثم قال : " المعدات والسلع والملابس الرياضية " .

عاد بيجلى إلى اللوحة الكرتونية وأخذ يفحص صور الضحايا الخمسة وهو يفكر ويعض على شفته السفلى . ركز بيجلى على الأولى ثم قال : " هل كان فى كليرى حين اختفت تورى لامبيرت من ذلك المتنزه ؟ " .

قال هوت : " لا أدرى . حتى الآن ليس لدى دليل على وجوده هناك فى اليوم الذى اختفت فيه فعلياً ، لكنه بكل تأكيد كان فى المدينة فيما بعد ذلك ، فسجل مجمع الكهائن يوضح ذلك " .

" ربما يكون قد اعتقد بعد مقتل تورى لامبيرت أن الاختيارات فى هذه المنطقة جيدة ، فعاد مرة ومرتين واستمر فى هذا بعد ذلك " .

" هذا هو ما أفكر فيه تماماً يا سيدى " .

" إنه يسافر . هل لاحظت أية حالات اختفاء مشابهة بالقرب من أى من الأماكن التى يسافر إليها ؟ " .

" إن بيركينز يجمع التحريات حول ذلك يا سيدى ".

سأل بيجلى قائلاً : " وماذا عن فيكاب ونسيك ؟ " ، مشيراً إلى شبكات المعلومات التى يتم البحث فيها على نطاق واسع بواسطة وكالات تنفيذ القانون .

قال هوت : " لا شيء " ، وتابع بعد توقف قصير قائلاً : " لكننا لا نعرف حتى الآن كل الأماكن التى ذهب إليها . سيكون علينا مراجعة حسابات بطاقة الائتمان لنرى إلى أى الأماكن سافر خلال السنوات العديدة الماضية ، ثم نقارن ما لدينا بالقضايا المقيدة ضد مجهول فى تلك الأماكن . إن الأمر مرهق ويحتاج إلى الكثير من الوقت " .

" هل كان بالقرب من كليرى حين اختفت ميليسنت جان ؟ " .

" لقد قام بعملية تسجيل الاسم فى مجمع الكبائن قبل إبلاغ والديها عن اختفائها بثلاثة أيام " :

" ما رأى ضباط الوكالة الإقليمية فيه ؟ " .

" لم أسألهم عن هذا بعد يا سيدى " .

قال بيجلى : " إذن دعنى أعد صياغة السؤال . ما رأيهم فى قيامك بالعمل بهذه القضية ؟ " .

كانت هناك وكالة إقليمية أقرب إلى كليرى من تشارلوت كان هوت قد تم نقله منها إلى المكتب الميدانى فى تشارلوت منذ ثلاثة عشر شهراً ، ولكن تحقيقاته فى قضية اختفاء تورى لامبيرت واختطافها كان قد بدأ فى الوكالة الإقليمية التى تتبعها تلك المنطقة القضائية كما هو مفترض . قال هوت : " هذه قضيتى منذ البداية يا سيدى ، وعملاء ذلك المكتب يعرفون هذا ، وهم

بصراحة سعداء لعملى بها . أريد أن أعمل بها حتى النهاية يا سيدى ".

مرت ثلاثون ثانية من الصمت أخذ فيها بيجلى يحملق فى الصور المعلقة على اللوحة الكرتونية . ثم نظر بيجلى فجأة إلى هوت قائلاً : " هوت ، أعتقد أنه من المفيد أن نذهب فى رحلة مفيدة إلى هناك للتحدث مع السيد تيرنى ".

شعر هوت بالذهول ثم قال : " أنا وأنت ؟ سيدى " .

نظر بيجلى إلى جدران مكتبه وكأنها أصبحت حقيقة بشكل مفاجىء وقال : " سيكون هذا جيداً بالنسبة لى " .

بدأ بيجلى ـ وقد اتخذ القرار ـ يخطط على الفور لما سيفعلانه ، فقال : " لا أريد أن يشيع فى كليرى أننا نشك فى بين تيرنى . كيف فسرت اهتمامك لذلك الشخص ... ما اسمه ؟ أعنى مالك مجمع الكبائن ؟ " .

" جوس إلمر . لقد أخبرته أن تيرنى مرشح لجائزة خيرية فى الكلية التى تخرج منها ويتم مراجعة كل جوانب حياته " .

" وهل صدق هذا ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

أومأ بيجلى شارداً وقد بدأ ذهنه بالفعل ينشغل بما سيحدث ، ثم قال : " احرص على أن يظل الأمر سراً بالنسبة لقسم الشرطة المحلية لأطول فترة ممكنة . لا أريدهم أن يأخذوا حذرهم ، وأن أعطيهم الفرصة لإفساد الأمر إذا كان هذا الشخص هو " الأزرق " . ما اسم هذا الوغد ؟ " .

" تيرنى " .

قال بنفاد صبر : " ليس ذاك ، بل أقصد مأمور القسم " .

" بورتون . دتش بورتون " .

" حسناً . أليس هناك قصة متعلقة بـ " دتش " هذا ؟ " .

قال هوت : " لقد كان تابعاً لقسم شرطة أطلانطا ، وكان محققاً مميزاً فى جرائم القتل ، وسجله حافل بالإجراءات التى لا تشوها شائبة . بعد ذلك انحرف ، وبدأ بكثير من الشراب " .

" كيف ذلك ؟ " .

" مشاكل عائلية فيما أعتقد " .

" أياً ما كان ، فلقد تم فصله . أذكر ذلك الآن " .

كان بيجلى يجمع أغراضه الشخصية ، بما فى ذلك هاتفه الخلوى والصورة المؤطرة لزوجته ذات الثلاثين عاماً وأطفاله الثلاثة ، ثم جذب معطفه من على مشجب المعاطف وارتداه .

ثم قال : " أحضر كل هذا معك " ، وأشار إلى ملفات القضايا المكومة فى حجرة هوت ، ثم قال : " سأقرأها فى الطريق أثناء قيادتك للسيارة " .

نهض هوت وألقى نظرة قلقة من النافذة على الظلام الذى بدأ يخيم على المدينة ، ثم قال : " هل تعنى أنك تريد .... هل سنذهب الليلة ؟ " .

" سوف نذهب الآن " .

" لكن يا سيدى ، التوقعات الجوية " .

رد عليه بيجلى بمعاملته القاسية الصارمة .

لكنه لم يرتدع ؛ بل تنحنح ثم تابع قائلاً : " إنهم يتوقعون أن تبلغ البرودة درجة غير مسبوقة وعاصفة ثلجية شديدة ، خصوصاً فى ذلك الجزء من الولاية الذى تتذهب إليه " .

أشار بيجلى إلى اللوحة الكرتونية قائلاً : " هل تستطيع أن تخمن ما حدث لهؤلاء السيدات يا هوت ؟ ما أنواع التعذيب التى يعرضهن لها ذلك الحقير قبل أن يقتلهن ؟ " .

" أعرف ذلك ، أعرفه ، ولسنا نعرف على وجه اليقين أنهن أموات ، فلم تظهر أية جثث على الإطلاق . إننى أتمنى أن نجدهم أحياء لم يمسسهن سوء ، لكن لى أكثر من ثلاثين عاماً وأنا أتعامل مع هذا النوع من القضايا القذرة " .

" لنواجه الأمر يا هوت . هناك احتمال كبير بأن ما سنعثر عليه ليس سوى عظامهن ، وسيكون ذلك هو ما تبقى من هؤلاء النسوة اللائى كان لهن مستقبل وأحلام وأناس يحبوهن . والآن ، هل يمكنك أن تنظر إلى الوجوه التى بهذه الصور وتستمر فى تذمرك بشأن أمر تافة كسوء حالة الجو ؟ هل يمكنك ذلك ؟ " .

" لا يا سيدى " .

استدار بيجلى واجتاز الباب وهو يقول : " هذا ما لم أعتقده " .

جذب تيرنى القبعة من على رأسه فى حركة واحدة سريعة ، وكانت ليلى تقف بجانبه ممسكة بمنشفة . حدث ذلك منذ خمس عشرة دقيقة ، وكان الجرح الذى فى رأسه لايزال ينزف . كانت المنشفة شبه معقمة . قال تيرني عندما أعربت ليلى عن قلقها : " إن جروح فروة الرأس دائماً ما تنزف كثيراً ، فهناك عدد كبير من الشعيرات الدموية بها " .

ثم قالت : " إليك منشفة نظيفة " ، وهي تعطيه إياها ، وتمد يدها لتأخذ المنشفة الملوثة بالدماء .

أمسك بها قائلاً : " لا يجب أن تلمسي هذه ، سآخذها إلى الحمام . أعتقد أنه من هنا " ، وأشار إلى الباب المؤدي إلى غرفة النوم .

" لا على اليمين " .

قال تيرني : " سأقوم بغسل الدماء عن شعري ، وقد تساعد المياه الباردة على إيقاف الدم " ، وسار يترنح كالثمل نحو غرفة النوم ، حيث استند على مقبض الباب واستدار قائلاً : " استمري في ملء كل الآنية الموجودة بالماء . ستتجمد المواسير ، وسنحتاج إلى ماء للشرب " .

اختفى تيرني داخل الغرفة ، وأضاء نور الغرفة . لاحظت ليلي أنه ترك بقعة من الدماء على مقبض الباب .

حين قال : " الحمد لله . لقد عدت تيرني مرة أخرى " ، ابتسم بطريقته الهادئة البسيطة التي تتذكرها ليلي منذ الصيف الماضي ، ولقد بدد هذا ارتباكها الذي يبدو لها الآن سخيفاً وطفولياً .

لم تكن تعرف الكثير عنه ، لكنه لم يكن غريباً عنها بالكامل . لقد قضت معه يوماً كاملاً ، وتحدثا معاً ، وضحكا معاً . ومنذ ذلك الحين كانت تقرأ مقالاته وعلمت أنه كاتب محترم غزير الإنتاج .

إذن فلماذا تصرفت بهذه السخافة ؟

حسناً ، فلقد كان الموقف غريباً . إن المغامرات السيئة كهذا الذي حدث لها تحدث للآخرين ، ولقد سمع المرء عن حالات

نجاة جديرة بالانتباه فى وسائل الإعلام . لكن هذه الأمور لم تحدث لـ " ليلى مارتين " .

لكن ها هى الآن ، تروح وتجىء فى مطبخ لم يعد مطبخها باحثة عن أوان لتملأها بالماء الضرورى لحفظ حياتها وحياة رجل لا تكاد تعرفه قد تضطر إلى البقاء معه عن قرب فى مكان واحد لعدة أيام .

وكان عليها أن تعترف بأنه لو لم يكن تيرنى بهذه الجاذبية وهذه الحيوية الرجولية لما أحست بهذا الارتباك جراء بقائها معه وحدهما . لو أنهما لم يتقابلا فى ذلك اليوم عند النهر ، لأصبح وجودهما معاً بين أربعة جدران أقل إرباكاً لها .

" مازال الماء جارياً ؟ " .

جفلت ليلى قليلاً حين تحدث إليها من مكان قريب وراءها ، ثم قالت : " نعم ، لحسن الحظ " ، ثم استدارت بعيداً عن الحوض ، حيث كانت تملأ إناء آخر بالماء . كان تيرنى يمسك بمنشفة على مؤخرة رأسه وكان شعره مبتلاً ، فخاطبته ليلى قائلة : " كيف حال رأسك ؟ " .

" إنها تؤلمنى والماء يجرى فوقها ، وجزء من السبب فى ذلك هو أن الماء شديد البرودة ، لكننى أعتقد أن الماء البارد قد خفف من الألم بالفعل " . وأزال تيرنى المنشفة فكانت ملطخة بدم جديد ، لكن كمية الدم كانت قد قلت بشكل كبير ، فقال : " لقد ساعد الماء البارد على تخفيف النزيف أيضاً ، هل تريدين أن تلقى نظرة ؟ " .

" كنت على وشك أن أطلب ذلك بإصرار " .

جلس تيرنى على أحد كراسى الطاولة ثم جاءت من ورائه ، وبعد لحظة من التردد ، فرقت برفق بين شعره أسفل قمة رأسه تماماً .

سألها قائلاً : " حسناً ؟ " .

كان الجرح واسعاً وطويلاً وعميقاً ، ولعينيها غير الخبيرتين بدا الجرح خطيراً . فشهقت شهقة تنم عن قلقها البالغ .

فضحك ضحكة قصيرة قائلاً : " هل هو بهذه الخطورة ؟ " .

" هل رأيت من قبل بطيخة نضجت أكثر من اللازم وانفصلت أجزاؤها عن بعضها البعض " .

" أوه " .

" هناك جزء كبير متورم حول الجرح " .

" نعم ، لقد شعرت بذلك وأنا أغسله " .

قالت ليلى : " أعتقد أنك تحتاج إلى اثنتى عشرة غرزة على الأقل " ، وكان تيرنى قد وضع المنشفة الملوثة بالدماء حول عنقه ، فتناولت ليلى جزءاً منها وأخذت بحذر شديد تمسح الجرح ، ثم قالت : " الأخبار الجيدة هى أن الجرح لم يعد يضخ الدم بشدة ، بل يسربه تسريباً خفيفاً " .

كانت هناك أربع ضمادات مطهرة فقط فى أدوات الإسعافات الأولية ، كل منها موضوعة فى مظروف محكم الغلق ، فأخرجت ليلى إحداها وأخذت قطعة مربعة من الشاش مبللة بمحلول مضاد للبكتريا . لم تكن قطعة الشاش كبيرة ، ورغم ذلك فإن رائحتها إن دلت على قوة تركيز المحلول فإن هذا يعنى أن الأمر سيكون مؤلماً وكان مجرد التفكير فى وضع هذا المحلول على الجرح الحديث يجعل معدة ليلى تتقلص .

قالت ليلى : " تماسك " ، وهى غير واثقة مما إذا كانت تنبه تيرنى أم تنبه نفسها . قبض على ظهر الكرسى وأسند ذقنه فوق ظهرى يديه قائلاً : " مستعد . "

لكن فى اللحظة التى لمست فيها قطعة الشاش اللحم المفتوح ، سرت قشعريرة في جسده . سمعت ليلى هسيس الهواء وهو يشهق بقوة ، وفي محاولة لتشتيت انتباهه قالت : " إننى مندهشة من أنك لم تكن تحمل علبة أدوات إسعافات أولية فى حقيبتك ، وأنت المحنك فى مغامرات التنزه " . كان قد وضع حقيبة الظهر على الأرض حين وصلا إلى الكابينة ولم يلمسها منذ ذلك الحين إلا ليدفع بها تحت مائدة حتى لا تعوق طريقهما .

" خطأ جسيم . لن أسير بدون واحدة فى المرة القادمة " .

سألته قائلة : " هل هناك أى شيء آخر فى حقيبتك ؟ "

" مثل ماذا ؟ " .

" أى شيء مفيد ؟ " .

" لا ، لقد كنت أسير متخففاً اليوم . كان معى غذاء لإمدادى بالطاقة . وزجاجة ماء ، وقد استهلكتهما " .

" إذن فلماذا أحضرتها من السيارة ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" حقيبتك . مادام ليس بها شىء مفيد ، فلماذا أحضرتها معك ؟ " .

قال تيرنى : " لا أريدك أن تظنى بى جبناً معاذ الله ، لكنى أتساءل عما إذا كنت قد انتهيت . إن هذا يلسعنى كلسع النار " .

نفخت بلطف فى الجرح ، ومالت نحوه قليلاً لتفحصه قائلة : " لقد غطيت الجرح كله بالمطهر . إنه يبدو شديد الغضب " .

قال تيرنى : " إنه يشعرنى بغضبه " ، والتقط علبة أدوات الإسعافات الأولية وأخذ يفحص محتوياتها القليلة قائلاً : " سآخذ أقراص الأسبرين " .

" هى لك " .

" شكراً . هل لديك إحدى عدد الخياطة الصغيرة ؟ كصندوق ثقاب مثلاً ، أو أى من تلك الأدوات المستخدمة فى حالات طوارئ كوقوع أحد الأزرار مثلاً " .

تقلصت معدتها قائلة : " من فضلك ، لا تطلب منى أن أفعل ذلك " .

" ماذا ؟ " .

" خياطة الجرح " .

" ألن تفعلى ؟ " .

" ليست لدىَّ عدة خياطة " .

" يالك من محظوظة . ماذا عن مقص العناية بالأظافر ؟ " .

" لدىَّ هذا " .

وبينما ابتلع تيرنى قرصى أسبرين ، أخذت هى علبة أدوات التجميل الخاصة بها من حافظتها . وأخرجت منها مقصاً صغيراً " .

قال تيرنى : " حسناً . بالمناسبة ، هل هذا الإناء مملوء ؟ " .

أبدلت إناء الطهى الموجود تحت الصنبور بإناء بلاستيكى .
وقام تيرنى بنزع غلاف إحدى الضمادات وقال : " سنقطع أجزاء طولية من الجزء اللاصق بالضمادة ونضعها عبر الجرح ، وهى ليست غرزاً ، لكن ربما تساعد فى إغلاق الجرح " .
لم يستطيع إدخال أصابعه فى المقص الدقيق فقالت : " أعطنى إياه " ، وأخذت الضمادة والمقص منه وقطعت أجزاء طوليه من الجزء اللاصق ووضعتها على الجرح كما قال ، وحين انتهت قالت : " إنه لا يكاد ينزف الآن على الإطلاق " .
" غطه بإحدى الضمادات " .
ثم أخذت إحدى قطع الشاش المعقمة من مجموعة الأدوات ووضعتها بمنتهى الرفق على الجرح قائلة : " سوف تشد شعرك حين تقوم بنزعها " .
قال : " لكننى سأعيش " ، وبصوت منخفض أضاف : " أتمنى ذلك " .

الفصل

٧

حين أفزعها تعبيره المقبض سألته : " لماذا تقول هذا ؟ هل هناك جروح لا أعلم بها ؟ " .

" ربما . إن الجزء الأيسر من جسدى كله مصاب بكدمات ورضوض ، كما أننى أشعر كأن شخصاً كان يحاول نزع أضلعى مستخدماً عتلة ، لكن لا أظن أن لدىّ أى عظام مكسورة " .

" هذا جيد ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، لكن قد يكون هناك شىء أصيب بداخلى . الكلية أو الكبد أو الطحال مثلاً " .

" ألا يستطيع المرء أن يعرف ما إذا كان مصاباً بنزيف داخلى ؟ " .

" من الممكن أن يعتقد ذلك ، لكننى سمعت أن أشخاصاً يموتون بنزيف داخلى قبل أن يكتشف الأمر . إذا بدأت بطنى فى الانتفاخ ، فسيكون ذلك مؤشراً قوياً على أنها تمتلىء بالدم " .

" هل لاحظت أى انتفاخ أو ضعف ؟ " .

" كلا " .

عضت بأسنانها على شفتها السفلى ، ثم قالت : " إذا كان هناك احتمال بأنك تنزف ، فهل كان ينبغى أن تتناول الأسبرين " .

قال تيرنى : " لقد كان الألم الذى أشعر به فى رأسى يستحق المغامرة " . ونهض عن كرسيه ثم ذهب إلى حوض المطبخ وأخرج الإناء البلاستيكى الذى امتلأ ، وقال : " بافتراض أننى سأعيش . فإننا سنتحاج إلى مياه شرب لفترة غير محددة من الوقت . هل لديك آنية أخرى ؟ " .

أخذا يبحثان معاً فى الكابينة وبدآ يملآن أى شيء يمكن أن يملأ بالماء . قال تيرنى : " من السيىء جداً أنه ليس لديك حوض استحمام ، فقد كان يمكننا استخدامه هو الآخر " .

وبمجرد أن انتهيا من ملء كل الآنية والقدور ، وحتى دلو جمع القمامة ، بدأ يفكران فى أشياء أخرى ، حيث قال تيرنى : " ما هو مصدر الحرارة لديك . الكهرباء ؟ " .

" غاز البروبين هناك حاوية تحت الأرض " .

" متى تم ملؤها آخر مرة ؟ " .

" على حد علمى ، فى الشتاء الماضى . ولأننى كنت أبيع الكابينة ، لم أطلب ملأها فى الخريف الماضى ، وعلى حد علمى لم يفعل دتش ذلك هو الآخر " .

" إذن فقد ينفد ما به " .

" أعتقد ذلك ، وفقاً لمدى استخدام دتش له حين لم أكن هنا " .

" منذ متى وأنت هنا ؟ " .

" لقد قضيت شهوراً حتى هذا الأسبوع " .

" هل مكثت هنا هذا الأسبوع " .

" نعم " .

" وهل فعل دتش ذلك أيضاً ؟ " .

وتحول فجأة تركيز حوارهما عن كمية البروبين المتبقية في الحاوية .

" هذا سؤال غير ملائم يا تيرنى " .

" هذا يعني أنه فعل ذلك " .

قالت غاضبة : " في الواقع لم يفعل ذلك " .

تماسك أمام نظرتها للحظات . ثم استدار وذهب إلى التيرموستات الذى على الحائط وقال : " سوف أضبط درجة الحرارة حتى يدوم البروبين لفترة أطول . حسناً ؟ " .

" لا بأس " .

" إذا فرغت الحاوية ، سيكون علينا أن نعتمد بشكل ثابت على نار المدفأة . أتمنى أن يكون لديك خشب أكثر مما في البهو " .

كرهت ليلى ما ينطوى عليه كلام تيرنى من أنها كانت لاتزال ترتبط بعلاقة حميمية مع زوجها السابق ، لكن في وضعهما هذا معاً لم يكن هناك مجال للغضب ، فتركت الأمر يمر بسلام ، وقالت : " هناك المزيد من الخشب بأحد المخازن " ، وأشارت بيدها في اتجاه غير محدد ، ثم تابعت قائلة : " هناك ممر إليه من خلال ــــــ "

" أعرف أين يكون " .

" المخزن ؟ هل تعرفه فعلاً ؟ " ، كان المخزن عبارة عن بناء صغير تم بناؤه من الخشب الجاف فى مكان يجعله غير مرئى من الطريق أو من الكابينة ، فقد كان مختفياً وسط البيئة المحيطة به بشكل يجعله فعلياً غير مرئى ، أو هذا ما كانت تعتقده .

" كيف علمت بأمر هذه الكابينة يا تيرنى ؟ " .

" لقد أخبرتنى عنها فى الصيف الماضى " .

كانت تذكر ما قالته له بالتحديد لأنها ـ منذ ذلك الحين ـ أعادت الاستماع إلى حواراتهما معاً ذهنياً آلاف المرات ، فقالت : " لقد أخبرتك بأننى أمتلك كابينة فى المنطقة ، لكننى لم أخبرك بمكانها " .

" لا ، لم تفعلى " .

" إذن ، فكيف عرفت بمكانها الليلة ؟ " .

نظر إليها نظرة طويلة ، ثم قال : " لقد تنزهت فى طول هذا الجبل وعرضه . وذات يوم وصلت إلى الكابينة والمخزن ، دون أن أعرف أنهما ملكية خاصة . أعتقد أن هذا كان انتهاكاً منى ؛ لكنه لم يكن متعمداً . حينئذٍ رأيت لافتة " للبيع " ، ولأننى أعجبنى المكان ، اتصلت بالسمسار . علمت من السمسار أن الكابينة ملك لك ولزوجك ، لكن بسبب الطلاق الذى سيقع بينكما تريدان بيعها " ، ثم وضع ذراعيه على جانبيه قائلا : " هذه هى الطريقة التى عرفت بها موقع الكابينة " .

نظر إليها نظرة جعلتها تحجم بشكل خاص عن توجيه أى أسئلة أخرى ، ثم قال : " والآن ، ما هو مقدار الخشب الموجود فى المخزن ؟ حزمة ؟ " .

ورغم أنها لم تكن مستعدة لتجاهل موضوع معرفته بكل هذه الأمور عنها ، فإنها لم تر أى فائدة فى الاستسلام لهذا وخلق سوء النية بينهما ، فردت قائلة : " أقل من الحزمة الكبيرة " .

" حسناً ، أتمنى أن يتم إنقاذنا قبل أن نضطر إلى كسر الأثاث وإحراقه " .

" كم من الوقت سنظل هكذا فيما تعتقد ؟ أعنى إلى أن يتم إنقاذنا " .

جلس تيرنى على الأريكة ، حيث كانت هناك منشفة تغطى بقعة الدماء الموجودة على وسادة الظهر ، ووضع رأسه على المنشفة . ثم قال : " ربما لن يحدث هذا غداً . ربما بعد غد ، ووفقاً لهذه العاصفة ومقدار ما يتراكم من الجليد ، فقد يستغرق الأمر وقتاً أطول " .

تذكرت ليلى الشتاء قبل الأخير ، حين تسببت عاصفة ثلجية فى إغلاق طريق الجبل لأيام ، وانقطعت الكهرباء عن المناطق البعيدة بسبب وقوع خطوط الكهرباء . واستغرق الأمر فى بعض الحالات أسابيع بطولها لإعادة الخدمة وعودة الحياة إلى مسارها المعتاد . والعاصفة التى تهب فى الخارج الآن سيتوقع لها أن تكون أسوأ وأطول من تلك العاصفة .

جلست ليلى على الأريكة المقابلة وجذبت الغطاء على رجليها ، وكانت سعيدة جداً بأن تيرنى فكر فى الجوارب الإضافية ، كما علقت الجورب المبتل على ظهر أحد الكراسى ليجف . وكانت أرجل بنطالها لاتزال مبتلة ، لكنها تستطيع أن تعيش هكذا مادامت قدماها جافتين ودافئتين بشكل معقول .

" على أى درجة ضبطت الترموستات ؟ " .

" على درجة ستين " .

" حسناً " .

قال تيرنى : " أعلم أن هذا ليس كافياً . يجب أن ترتدى ذلك الرداء الآخر ذا الرقبة الطويلة لمزيد من الدفء وتحافظى على درجة حرارة جسدك " .

أومأت ليلى لكنها لم تتحرك من أجل النهوض ، وقالت : " كم تبلغ درجة الحرارة بالخارج فى اعتقادك ؟ " .

رد دون تردد قائلاً : " تحت الصفر " .

قالت : " إذن فلن أشتكى بشأن أن درجة الحرارة ستون " ، ثم نظرت إلى المدفأة قائلة : " وجود نار بالمدفأة سيكون أمراً جيداً أيضاً " .

" هذا صحيح . لكننى بحق أعتقد ـــــ "

" لا ، لا ، أنت محق بشأن المحافظة على الوقود . لقد كنت فقط أعبر عن أمنياتى بصوت مسموع ، فأنا أحب النار الكثيرة " .

" وأنا أيضاً " .

" فهى تجعل أى غرفة تبدو أكثر دفئاً " .

" نعم " .

سألته بعد لحظة قائلة : " هل أنت جائع ؟ " .

" إن معدتى لاتزال مضطربة . لكن إن كنت أنت جائعة ، لا تشعرى بالإحراج وكلى أنت " .

" أنا أيضاً لست جائعة فى الحقيقة " .

قال تيرنى : " لا تظنى أن عليك الجلوس معى ، يمكننى أن أظل يقظاً بمفردى . لكن إن كنت مرهقة أو تشعرين بالنعاس ــــ "

" لست كذلك حقيقة " .

من المستحيل أن تنام وتتركه لكى يفقد الوعى أو يذهب فى غيبوبة . إنه يجب أن يظل متيقظاً لعدة ساعات قبل أن يصبح أمره آمناً لكى ينام . بالإضافة إلى ذلك ، كانت قيلولتها فى تلك الظهيرة كافية لتجعلها لا تشعر الآن بالنعاس .

لقد كانت تتحدث لتبديد الصمت ، والآن وقد توقفا عن الحديث ، لم يكن يسمع غير الأصوات المرتبطة بالريح ، صوت أغصان الأشجار تضرب النوافذ وصوت المطر المتجمد لدى سقوطه على السطح . جالت عيونهما بالغرفة التى تم تفريغها من أى شىء سوى الأثاث . لم يكن هناك الكثير الذى يمكن النظر إليه ، لذا نظر كل منهما إلى الآخر فى النهاية . حين التقت نظراتهما ، لفهما الفراغ السائد بالغرفة بشكل أوجد بينهما حميمية وثيقة .

كانت ليلى هى التى حولت نظرها أولاً ، فلاحظت هاتفها الخلوى موضوعاً على مائدة القهوة بينهما ، وقالت : " إذا كان دتش قد تلقى رسالتى ، فلابد أنه يحاول الآن إيجاد طريقة لإرسال شخص ما إلى هنا " .

" ما كان يجب أن أقول ما قلته عن بقائكما معاً هنا أنتما الاثنان ، أنت ودتش " .

فأشارت إشارة معناها أن الاعتذار غير ضرورى .

" أريد فقط أن أعرف مدى علاقتك به حتى الآن يا ليلى " .

فكرت فى مناقشة حاجته إلى معرفة هذا ، لكنها قررت أن تنهى الموضوع إلى الأبد . فمن الواضح أنه سيستمر فى إثارة الموضوع إلى أن تنهيه هى ، لذا قالت : " لقد اتصلت بـ " دتش " الليلة بوصفه مأمور القسم ، لا بسبب أية علاقة شخصية مستمرة . لقد انتهى زواجنا ، لكنه لن يتركنى أتجمد حتى الموت ، مثلما لن أدير له أنا ظهرى فى أى موقف حياة أو موت يتعرض له . سوف ينقذنى ، إن أمكنه ذلك " .

قال تيرنى : " إنه سيسرع لإنقاذك ، لكننى أشك فى أنه سيسرع لإنقاذى أنا " .

" لماذا تظن ذلك ؟ " .

" إنه لا يحبنى " .

" للمرة الثانية ، ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟ " .

" السبب لا يتعلق بشىء فعله فى الحقيقة ، بل بشىء لم يفعله . لقد كنت ألتقى به مصادفة أحياناً ، لكنه لم يكلف نفسه أبداً مشقة تعريفى بنفسه " .

" ربما لم يكن ذلك متاحاً " .

" لا ، أعتقد أن هناك ما هو أكثر من هذا " .

" مثل ماذا ؟ " .

" سبب معين ، فأنا واحد من الغرباء ، وغير جدير بالثقة لأن أجداد أجداد أجدادى ليسوا من أهل هذه الجبال " .

ابتسمت ليلى ، معترفة بأنه قد وصف بدقة وجهة النظر الإقليمية السائدة ، وقالت : " إن الناس هنا متعصبون لأصولهم " .

" إننى آتى زائراً ، لكننى أتيت إلى هنا بكثرة جعلت الكثيرين يعرفون اسمى على الأقل ، ويتحدثون معى حين يروننى ويرحبون بعودتى وأشياء من هذا القبيل ، لكن متى أذهب إلى إناء الصودا عند ريت لكى أتناول قهوة الصباح ، أجلس وحدى إلى الطاولة ، ولم يدعنى أحد قط إلى الانضمام لجلسات الدردشة التى تملأ المكان كل صباح : تلك الجلسات التى تجمع بين دتش بورتون وويز هامر وبضعة أشخاص غيرهم ممن تربوا هناك ، فهذه مجموعة مغلقة . ولا أقصد أننى أريد الانضمام إليهم ، لكنهم حتى ليسوا لطفاء معى ليلقوا علىّ التحية " .

" إذن اقبل اعتذارى نيابة عنهم " .

قال تيرنى : " صدقينى ، ليس الأمر بهذه الأهمية . لكننى كنت أتساءل فقط " ، ثم تردد فى مواصلة الكلام .

" عمّ ؟ " .

" كنت أتساءل عما إذا كان سبب تجنبه لى هو أنك ربما تكونين قد حدثته عنى " .

خفضت رأسها قائلة : " لا . أقصد قبل الأمس " .

لم يقل شيئاً للرد على هذا ، لذا كان عليها بعد فترة طويلة أن تبدد هى الصمت فقالت : " لقد اندهشت لرؤيتك فى المدينة . ألم تنفذ الأشياء التى يمكنك الكتابة عنها هنا ؟ " .

" ليس ما يأتى بى إلى هنا هو جمع مادة للكتابة يا ليلى " .

كان الطعم الذى يلقى به خطيراً لكنه كان مغرياً ويستحيل مقاومته . رفعت ليلى رأسها ونظرت إليه ، ثم قال هو : " لقد بعت مقالاً يتحدث عن اليوم الذى قضيناه معاً عند النهر " .

" أعرف هذا . لقد قرأته " .

سألها قائلاً بسرور واضح : " فعلاً ؟ " .

أومأت برأسها قائلة : " مجلة الرياضات المائية هذه ومجلتى لهما نفس الناشر ، لذا فأنا أتلقى نسخاً مجانية ، ولقد كنت أتصفح أحد الأعداد فوقع نظرى على مقالك " . وفى الحقيقة فقد كانت تفحص هذه المجلة والمجلات المشابهة لشهور ، متسائلة عما إذا كان قد كتب مقالاً عن رياضة ركوب الزوارق وباعه فيه .

" لقد كان مقالاً رائعاً يا تيرنى " .

" أشكرك " .

" بصدق . لقد كان وصفك نابضاً بالحياة ، يعكس الإثارة التى كنا نشعر بها . كما كان العنوان جذاباً أيضاً . " الإغراء الفرنسى الذى لا حدود له " .

ابتسم ساخراً وهو يقول : " لقد اعتقدت أن هذا العنوان سيجذب انتباه من لا يعلمون ، حيث يجب على المرء أن يقرأ المقال ليعرف أن هذا هو اسم النهر " .

" لقد كان مقالاً جيداً " .

رد بصوت خفيض مثير : " لقد كان يوماً رائعاً " .

فى أوائل يونيو من الصيف الماضى . كانا اثنين بين اثنى عشر شخصاً يمارسون رياضة ركوب الزوارق ليوم كامل ، ولقد تقابلا بالحافلة التى أقلت المجموعة لعدة أميال فى أعالى النهر ، حيث بدآ رياضتهما المجنونة من خلال عدة أشواط من المستوى الثالث والمستوى الرابع .

والآن مهارتهما متساوية ، ربطت بينهما رفقة طبيعية ، خصوصاً بعد أن اكتشفا أن عملهما متشابه ، فهو كاتب حر يبيع المقالات للمجلات ، وهي تعمل محررة لإحدى المجلات .

حين صعدت المجموعة إلى الشاطىء لتناول الغداء ، انفصلا عن الآخرين وجلسا معاً على صخرة ضخمة بارزة تطل على مياه النهر المتدفق من تحتهما .

سألها متعجباً حين أخبرته بالمنصب الذى تشغله : " هل أنت رئيسة تحرير ؟ " .

" لما يقرب من ثلاث سنوات الآن " .

" هذا رائع ، فهذه مجلة شعبية " .

" لقد بدأت هذه المجلة موجهة إلى المرأة الجنوبية ، لكننا الآن نوزع على مستوى الوطن ككل ، وتزداد الأعداد فى كل عدد عن سابقه " .

كانت مجلة سمارت تشتمل على مقالات تتعلق بديكورات المنازل والأناقة والطعام والسفر . وكانت موجهة إلى المرأة التى تجمع بين الحياة العملية والاهتمام بالمنزل وتريد الأمرين معاً ، وتفعل ذلك . قد يتحدث أحد المقالات عن كيفية تحويل وجبات الغذاء الخفيفة إلى وجبات شهية بإضافة بعض التوابل من مطبخ البيت لا أكثر ، وتقديم الوجبة على أطباق صينية . أو عن توقعات لصيحات الأناقة فى الموسم المقبل فيما يتعلق بالأحذية .

قالت ليلى : " بالتأكيد فنحن لا نستثنى الأمهات ربات البيوت من قراءة المجلة لكن تركيزنا منصب على المرأة التى تريد

النجاح فى العمل ، وتخطط بالشكل الأمثل لإجازة الأسرة ، وتقيم مآدب عشاء رائعة بمنتهى البساطة " .

" هل هذا ممكن ؟ " .

" ستعرف كيف يكون ذلك ممكناً فى عدد يوليو " .

أشار إليها ضاحكاً بزجاجة المياه على أنها تحب نجاحها . كانت الشمس دافئة والحديث متسم بالاسترخاء ، فقد نشأت بينهما الألفة التى تنشأ بين اثنين أعجب كل منهما بشكل صاحبه وصوته . ورغم المتعة التى شعرا بها فى النهر قبل الغداء ، كانا ممانعين بعض الشيء للعودة إليه حين أعلن المرشد انتهاء استراحة الغداء .

طوال فترة ما بعد الظهيرة ، أخذا يتجاذبان أطراف الحديث حين يستطيعان ذلك ، على الرغم من أنهما كانا مضطرين للتركيز على التحدى الذى تواجههما به الرياضة التى يمارسانها ، لكن كلاً منهما كان مدركاً لوجود الآخر باستمرار ، وكانا يتواصلان بإشارات الأيدى والابتسامات . وقد أفسح إعجاب أحدهما بمهارة الآخر المجال للدعابة بنية سليمة حين يخطىء أحدهما .

أعطاها من الدهان الواقى من الشمس الخاص به حين أدرك أنها لم تحضر معها دهاناً واقياً من الشمس ، لكنه أيضاً أعطى منه فتاتين جامعيتين كانتا تغازلانه بلا حياء ، وظلتا تحاولان طوال اليوم جذب انتباهه .

حين ذهبا إلى المنطقة التى تركا بها سيارتيهما فى الصباح ، اتجهت ليلى فى طريقها ، واتجه هو فى طريقة ، لكن بعد أن

قام بإدارة محرك السيارة الشيروكى التى يركبها اتجه ناحيتها قائلاً : " أين تقيمين ؟ " .

" كليرى . إننى أقيم هناك فى معظم عطلات نهاية الأسبوع بالصيف ، فلدى كابينة هناك " .

" جميلة ؟ " .

" نعم ، هى كذلك " .

لحقت بهما الفتاتان الجامعيتان فى سيارتهما الجيب المكشوفة ، وقالت الفتاة التى تقود السيارة : " نراك فيما بعد يا تيرينى " .

" نعم ، بكل تأكيد " .

سألته الأخرى قائلة : " هل تذكر اسم المكان الذى نقيم به ؟ " .

ضرب بيده على جبهته قائلاً : " إنه هنا فى ذاكرتى ".

واصلت الفتاتان القيادة متجاهلتين ليلى وهما تبتسمان بخبث لـ " تيرنى " ، وأثارتا عاصفة من الغبار .

وحين رفع يده مودعاً إياهما ، هز رأسه قائلاً : " بنات حفلات ، تبحثان عن المتاعب " ، ثم استدار إلى ليلى وابتسم قائلاً : " إن ما سأقوله هذا ينال من كبريائى الرجولى ، لكنك بالفعل تفوقت على حركات الروديو التى قمت بها فى المستوى الرابع " .

تظاهرت بالتواضع ساخرة ثم قالت : " أشكرك شكراً جزيلاً ، إن هذا الكلام حين يأتى من شخص فى مثل مهارتك ، يعد ثناءً حقيقياً " .

" إن أقل ما أستطيع عمله هو أن أدعوك إلى الشراب على سبيل التهنئة ، فهل باستطاعتنا أن نتقابل فى مكان ما ؟ " .

أشارت نحو عاصفة الغبارِ التى خلفتها سيارة الفتاتين وقالت : " اعتقدت أن لك خططاً أخرى ".

قال : " لدىَّ بالفعل . فأنا أخطط لأن أراك " .

خففت ابتسامتها . ثم انشغلت فى البحث عن مفاتيح السيارة قائلة : " أشكرك يا تيرنى ، لكننى مضطرة لأن أرفض " .

" يا إلهى . إذن ، ماذا عن ليلة غد ؟ " .

قالت ليلى : " آسفة ! لا أستطيع " ، وأخذت نفساً عميقاً ثم نظرت إليه قائلة : " لدىَّ موعد على العشاء مع زوجى " .

لم تخفت ابتسامته ، بل انهارت . قال : " أنت متزوجة " ، وقالها كعبارة خبرية ، لا كسؤال .

أومأت برأسها .

ألقى نظرة سريعة على إصبعها الخالى من خاتم الزواج ، وكان تعبير وجهه يجمع بين الدهشة وخيبة الأمل ، ويوحى بالكثير !

بعد ذلك حدَّق كل منهما فى الآخر شاردين لفترة طويلة دون أن يقول أى منهما شيئاً ، فكانت أعينهما فقط هى التى تتحدث ، بينما كانت الشمس الغاربة تلقى من خلال الأشجار ظلالها على وجهيهما الكئيبين .

فى النهاية ، مدت يدها اليمنى نحوه قائلة : " لقد كان لقائى بك رائعاً يا تيرنى " .

هز يده مصافحًا وهو يقول : " وأنا أيضاً " .

قالت وهى تستقل سيارتها : " سأبحث عن مقالاتك ".

" ليلى ـــــ "

قالت ليلى : " وداعاً . انتبه لنفسك " ، وأغلقت باب السيارة سريعاً وابتعدت بها قبل أن يستطيع أن يقول أى شىء آخر .

كانت تلك آخر مرة يتحدثان فيها إلى بعضهما البعض قبل الأمس ، وحين وقع بصرها عليه عبر شارع مين ستريت فى وسط مدينة كليرى ؛ نبهها دتش حين توقفت بشكل مفاجىء طوال الطريق قائلاً : " علام تنظرين ؟ " .

كان تيرنى يوشك أن يستقل سيارته الشيروكى حين نظر ناحيتها مصادفة ، فتلاقت الأعين واستمر تواصلها .

قالت : " بين تيرنى " ؛ وهى ترد شاردة الذهن على سؤال دتش ، أو ربما كانت تنطق بصوت عال اسماً لم يغب عن بالها خلال الأشهر الثمانية الماضية . تبع دتش نظرتها عبر صفى المركبات المتقابلين والجزء التى تتوسطهما . كان تيرنى لا يزال واقفاً هناك ، نصفه داخل السيارة ونصفه خارجها ، ناظراً إليها كمن ينتظر إشارة تملى عليه ينبغى عليه أن يفعله .

سألها دتش قائلاً : " هل تعرفين هذا الرجل ؟ " .

" لقد قابلته فى الصيف الماضى . هل تذكر اليوم الذى كنت أمارس فيه ركوب الزوارق بنهر فرنسيس برود ؟ لقد كان ضمن المجموعة " .

فتح دتش بعنف باب مكتب المحامى الذى كانا لديهما موعد معه من أجل توقيع أوراق إتمام بيع للكابينة . قال وهو يشير إليها أن تدخل : " لقد تأخرنا " .

حين تركا المكتب بعد ذلك بنصف ساعة ، وجدت ليلى نفسها ترسل بصرها فى أول شاع مين ستريت وآخره باحثة عن السيارة الشيروكى السوداء . كانت تود أن تسلم عليه على الأقل ، لكن لم يكن له أو لسيارته أى أثر . لكنها الآن وهما فى منزل واحد ، حيث يفصلها عنه أربعة أقدام فقط ، تجد أنه من الصعب عليها أن تنظر إليه ، وأنها تبحث حائرة عن شىء تقوله .

نظرت إليه ، حين شعرت بنظره إليها ، فقال لها : " بعد ذلك اليوم الذى قضيناه معاً عند النهر ، اتصلت بمكتبك فى أطلانطا عدة مرات " .

" مقالاتك لا تناسب قرائى " .

" لم أكن أتصل لأعرض عليك مقالاً " .

حولت رأسها ونظرت إلى المدفأة الخالية التى كانت قد أزالت الرماد منها فى الصباح ، وهو ما يبدو لها الآن وقتاً طويلاً جداً . قالت بلطف : " أعلم لماذا كنت تتصل ، وهذا هو السبب الذى جعلنى لا أستطيع الرد على اتصالاتك . ولنفس السبب لم أكن أستطيع قبول دعوتك على الشراب بعد اليوم الذى قضيناه معاً . لقد كنت متزوجة " .

نهض تيرنى وافقاً ثم دار حول مائدة القهوة وانضم إليها على الأريكة التى تجلس عليها جالساً بالقرب منها بشكل فرض عليها أن تنظر إليه ثم قال : " إذن أنت لست متزوجة الآن " .

ابتسم ويليام ريت لأخته وهو يرفع طبقه الفارغ قائلاً : " شكراً لك يا ماريلى . كان الحساء ممتازاً " .

" يسرني أنه أعجبك " .

" لقد كنت أفكر في وضع طبق خاص على قائمة الغداء كل يوم ، بحيث يكون هناك شيء مختلف في كل يوم من أيام الأسبوع ، فيكون هناك في يوم الأربعاء خبز باللحم ، ويوم الجمعة فطائر التفاح . هل توافقين على أن تخبرى ليندا عن وصفة طهى هذا الحساء ؟ " .

" إنها وصفة والدتنا " .

" حسناً . لقد ماتت ولن يهمها إذا ما أفشيت سر الوصفة ، أليس كذلك ؟ " .

بالنسبة لأى شخص يستمع إلى هذه الكلمات ، كانت ستبدو له جافة . لكن ماريلى كانت تعلم السبب في عدم حساسية ويليام وكانت تلتمس له العذر فيه . لقد كان والداهما ميتين ، لكنهما لا يفتقدان أحداً منهما ، فأحدهما كان لامبالياً بشكل تام . والآخر يتسم بالأنانية اللاواعية ، وبالنسبة لهما ، كان التعامل مع الأولاد بحب وعاطفة شيئاً لم يسمعا به .

كان أبوهما صارماً قاسياً . وكان يعمل ميكانيكياً ، فكان يستيقظ قبل الفجر كل يوم ويقطع الرحلة عبر الجبل إلى المدينة حتى يصل إلى الورشة التى يعمل بها ، ثم يعود إلى البيت في وقت العشاء ، حيث كان يأكل بشكل آلى ، ويجيب متبرماً عن الأسئلة المباشرة ، لكن فيما عدا ذلك لم يكن لديه ما يقوله إلا على سبيل الانتقاد أو التوبيخ . بعد العشاء كان يستحم ويدخل غرفة نومه مغلقاً بابها وراءه ، منعزلاً عنه أسرته .

ولا تتذكر ماريلى أنها رأته سعيداً بأى شىء سوى بحديقة الخضراوات التى كان يزرعها كل صيف ، فقد كانت مصدر

فخره وسعادته . كانت ماريلى تبلغ من العمر سبع سنوات حين أمسك والدها بالأرنب الذى تربيه وهو يقضم أوراق أحد نباتات الكرنب ، فأمسك به ولوى رقبته أمامها وجعل أمها تطهوه لتضعه أمامهم على العشاء ، واعتبرت ماريلى أن من عدالة السماء أن يهوى أبوها ميتاً بعد ذلك بأزمة قلبية وهو يعزق أحد خطوط البصل .

أما والدتها فكانت متبرمة مصابة بوسواس المرض تصف زوجها بأنه فلاح جلف ، ظلت طوال أربعين عاماً حريصة على أن يعلم كل الناس أنها تزوجت شخصاً دونها منزلة ، وكان تركيزها كله منصباً على تعاستها ، دون أى شىء آخر .

حين أجبرتها الأمراض على ملازمة الفراش ، أخذت ماريلى إجازة من مدرسة كليرى الثانوية للاعتناء بها . وفى صباح أحد الأيام ، حين كانت ماريلى تحاول إيقاظها ، اكتشفت أن أمها ماتت فى أثناء نومها . بعد ذلك ، حين كان جيرانها يعزونها بعبارات العزاء المبتذلة ، قالت فى نفسها كيف لامرأة سيئة العشرة لم تكن تفكر إلا فى نفسها أن ترحل هكذا فى سلام .

تعلم الطفلان منذ وقت مبكر من حياتيهما كيف يعتمدان على نفسيهما بعيداً عن هذين الأبوين اللذين يفتقران إلى العاطفة . كان بيت الأسرة يقع على الجانب البعيد من قمة كليرى ، بعيداً عن المدينة ، منعزلاً عن المناطق التى كان الأطفال يلعبون فيها معاً ، فقد كان والداهما يفتقران إلى المهارات الاجتماعية ، لذا لم تكتسبها هى أو ويليام ، حيث تعلما بطريقة متعثرة فى المدارس الحكومية كيف يتعامل الناس مع بعضهم البعض .

كان ويليام تلميذاً جيداً كرَّس نفسه لدراسته ، وتمت مكافأته على مجهوده بتقارير ممتازة وجوائز على أدائه . وكان يحاول اكتساب صداقات بنفس الإصرار ، لكن محاولاته مفرطة الحماس كانت عادة ما تؤدى إلى نتيجة عكسية .

وجدت ماريلى الغذاء الذى كانت تفتقده فى بيتها بين صفحات الكتب . أما ويليام ـ بوصفه أكبر منها بعدة سنوات ـ فقد تعلم القراءة قبلها ، فرجته أن يعلمها القراءة ، وببلوغها سن الخامسة كانت قادرة على قراءة كتب الأدب التى قد يحار فى فهمها بعض البالغين .

وباستثناء سنوات الجامعة ، كانت تعيش هى وويليام بنفس المنزل . وبعد موت أمها ، قرر ويليام أنه قد آن الأوان للانتقال إلى المدينة ، ولم يكن يخطر بباله أن ماريلى لها خطط خاصة بها ، كما لم يخطر ببالها أن تعيش بعيداً عنه . وفى الحقيقة ، لقد أثارتها فكرة ترك المسكن القذر الكئيب الموجود على الجبل والذى يثير فى ذهنيهما الكثير من الذكريات غير السعيدة .

اشتريا بيتا صغيراً مرتباً بشارع هادئ ، فحولته ماريلى إلى بيت مريح عامر بالألوان والأضواء والزرع ، وهو ما كانا يفتقدانه فى البيت الذى تربيا فيه .

لكن بعد أن علقت آخر ستارة ورتبت آخر غرفة ، نظرت حولها فأدركت أنه لم يتغير فى حياتها سوى الأشياء المحيطة بها ، حيث لم تتخذ حياتها مساراً جديداً مثيراً . لقد صار الكوخ أجمل وأفضل أثاثاً ، لكنه لايزال كوخاً .

وبالنسبة لبيت الأسرة الكائن على الجبل ،. كانت ماريلى تفضل أن تبيعه أو تتركه حتى يصبح خراباً تنعق فيه البوم والغربان ، لكن ويليام كانت لديه أفكار أخرى .

قالت ماريلى : " إن العاصفة ستضطرك إلى تعليق العمل بالمنزل لبعض الوقت " ، وكانت تمسح مائدة العشاء بقطعة قماش مبللة وتتخلص من كسر الخبز المتبقية فى راحة يدها .

قال ويليام من خلف الجريدة التى يقرأ فيها : " صحيح . ربما تمر أيام قبل أن يستطيع أحد استخدام الطريق الرئيسى ، أما الطريق الخلفى المؤدى إلى منزلنا فقد يستغرق الأمر وقتاً أطول لإخلائه " .

كان الطريق الخلفى الذى يشير إليه ويليام يسير متعرجاً صاعداً الجانب الغربى من الجبل ، وكان آخر مكان تظهر به علامات الربيع . قالت ماريلى : " بمجرد أن يتم إعادة فتح الطريق ، أود أن تأخذنى إلى هناك . أريد أن أرى ما فعلته بالمنزل " .

" كان العمل قد بدأ به بالفعل . أتعشم أن ينتهى العمل به قبل حلول الصيف القادم ، لا هذا الصيف " .

كانت فكرته تتمثل فى تجديد البيت وتأجيره لراغبى قضاء الإجازة ، وهناك العشرات من وكلاء العقارات فى المنطقة يستطيعون تأجير العقارات لأشهر طويلة خلال فصلى الصيف والخريف . ولقد كان ويليام يقوم بمعظم العمل بنفسه ، مستأجراً العمال فقط حين يكون ذلك ضرورياً بشدة ، فكان ينفق كل وقت فراغه بالفعل عاملاً فى تجديد البيت . وبالنسبة لـ " ماريلى " ، فقد كان ضرورياً أن يسوى البيت بالأرض حتى يعجبها ، لكنها

حين وجـدت ويليـام متحمسـاً بشـأن المشـروع فلـم يسـعها إلا أن تدعمه .

" لقد سمعت أنه كان يتم تاجير بيت عائلـة سـيمثون مقابـل ألف وخمسمائة دولار أسبوعياً فى الصيف الماضى . هل تصـدقين هذا ؟ وكان ذلك البيت على وشك السقوط حين بدأوا تجديـده ، أما بيتنا فسيكون مرغوباً فيه بشكل أكبر " .

" ماذا كنت تفعل مع ويز وسكوت هامر بعد ظهـر اليـوم فـى آخر الصيدلية " .

أنـزل طـرف الصـحيفة ونظـر إليهـا بحـدة قـائلاً : " مـاذا قلت ؟ "

" بعد ظهر اليوم ، فى آخر الصيدلية ، كنت ـــــ "

" لقد سمعت ذلك الجـزء ، لكـن مـاذا تعـنين بالسـؤال عمـا كنت أفعله معهما ؟ " .

" لا داعى للغضب يا ويليام . كنت أسأل فقط ـــــ "

" لست غاضباً ، كل ما فـى الأمـر أن السـؤال غريـب وغـير ملائم تماماً . المرة القادمة ستسألينني عن الأدوية التـى يشـتريها عملائى حين تعلمين أننى لا أسـتطيع إفشـاء معلومـات شخصـية كهذه " .

فى الحقيقة كان ويليام يحـب النميمـة والحـديث دائمـاً عـن عملائه وظروفهم الصحية .

" هل كان ما بينك وبين ويز وسكوت أمراً شخصياً ؟ " .

تثاءب ويليام ، منحياً الصحيفة جانباً ، كمـا لـو أن مـاريلى قد أفسدت قراءتها عليه ، ثم قال : " إنّه أمر شخصى ، ولكنـه

ليس سريًا . كان ويز قد اتصل بى وقال إن دورا تعانى من الصداع وطلب منى أن أختار له مُسكنا جيداً ، وجاء ليأخذه " .

غادر ويليام المائدة وذهب إلى الطاولة ليعيد ملء فنجان القهوة ، وأخذ ينظر إليها من فوق حافة الفنجان وهو يرتشف منه ثم قال : " ما الذى جعلك تسألينني ؟ هل تخيلت أن ويز لم يأت إلى الصيدلية إلا ليغازلك ؟ " .

" لم يكن يغازلنى " .

نظر إليها ويليام بعدم ثقة .

قالت مصرة : " لم يكن يفعل ذلك . كنا فقط نتجاذب أطراف الحديث " .

قال ويليام : " بأمانة يا ماريلى لا أكاد أصدق أنه يسعدك اهتمام ويز بك " ، قالها كمن يشفق عليها ، ثم تابع قائلاً : " إنه يغازل أى امرأة يقابلها " .

" لا تكن ساذجاً " .

قال ويليام : " ساذجاً ؟ " ، وضحك ضحكة قصيرة جعلت القهوة تتناثر من فمه ، ثم قال : " لن تعرفى السذاجة بحق إلا حين تسمعى ويز يتحدث عن النساء ، من وراء ظهورهن بالطبع ، فهو يستخدم لغة الشوارع التى قد لا يكون لديك بها علم أصلاً ، ويتفاخر بشأن نزواته الجنسية . إن الطريقة التى يتحدث بها تشعر من يسمعه بأنه لا يزال مراهقاً فى المدرسة الثانوية ، فهو يفتخر بعلاقاته النسائية بنفس الطريقة المغرورة التى كان يحمل بها الكرة عبر الصالات بعد إحرازه أحد الانتصارات " .

كانت ماريلى تعلم أن معظم انتقادات ويليام مصدرها الغيرة ، فقد كان يتمنى أن تكون له نفس فحولة ويز ، وفى الحقيقة فهو لم يتجاوز مشاعر الحسد التى يكنها المراهق لزميله المحبوب ، فالعمل كصيدلانى ليس له نصف إغراء العمل كقائد فريق كرة قدم ، وخصوصاً فى المكان الذى يعيشان فيه .

لكنها كانت تعرف أيضاً أن ما قاله عن ويز رغم كونه مبالغاً فيه ، كان صحيحاً بشكل أساسى . لقد كانت معه فى نفس المدرسة الثانوية ، وكانت تراه يسير متبختراً فى طرقات المدرسة وكأنه يمتلكها . وكان كمن يظن أن ملكية المدرسة حق مكتسب له بوصفه القائد الرياضى بها ، فكان يشعر بالعظمة بسبب هذا اللقب وكل الشهرة والمزايا التى يحظى بها .

" هل تعلمين أنه فتك بتلميذاته ؟ " .

" إنها مجرد شائعة تداولتها فتايات المدرسة أنفسهن " .

هز ويليام رأسه وقد أحزنته سذاجتها قائلاً : " أنت بريئة فيما يتعلق بما يحدث بالعالم من حولنا يا ماريلى . اخدعى نفسك بشأن ويز هامر إن كنت تريدين ذلك ، لكننى بوصفى أخوك الأكبر الذى يبحث عن مصلحتك . أوصيك بأن تبحثى لنفسك عن بطل آخر " .

أخذ ويليام قهوته وصحيفته وذهب إلى غرفة المعيشة . فقد كان له روتين يومى يسير عليه ، بشكل لا يختلف عن والدهما . لقد كان ويليام يتوقع أن يكون العشاء جاهزاً كل مساء حين يعود إلى البيت من الصيدلية . وبعد العشاء ، كان يقرأ الصحيفة فى أثناء قيام ماريلى بتنظيف المطبخ وأى عمل منزلى آخر يجب القيام به ، وحين تكون مستعدة للجلوس فى غرفة المعيشة

لتصحيح الكراسات ، كان يذهب إلى غرفة نومه لمشاهدة التليفزيون حتى ينام .

لقد كانا يعيشان فى منزل واحد ، لكنهما نادراً ما يجتمعان فى غرفة واحدة .

كانت تحرص دائماً على سؤاله عن يومه ، وهو نادراً ما كان يسألها عن يومها ، وكأن عملها غير مهم .

كان يعبر عن أفكاره ومشاعره وآرائه بحرية ، لكنه كان يرفض أفكارها ومشاعرها وآراءها وينتقدها حين تعبر عنها .

كان بإمكانه أن يخرج فى المساء دون مساءلة أو دون أن يخبرها بالمكان الذى سيذهب إليه ، أما حين كانت تريد هى الخروج ، فكان يجب عليها إعلامه مسبقاً ، وتخبره بمكان ذهابها ووقت عودتها .

بعد حالة الاختفاء الثانية ، أصبح أكثر انتباهاً لروحتها وجيئتها ، وكانت تتساءل فى نفسها ساخرة عما إذا كان بالفعل مهتماً بسلامتها ، أم أنه يستمتع بممارسة السلطة عليها فقط .

كانت ماريلى تؤدى واجبات الزوجة المنزلية ، لكن لم تكن لها مكانة الزوجة . لقد كانت خادمة عجوزاً ، تخدم أخاها لأنه لم يكن لها رجل آخر تخدمه . بدون شك كانت هذه هى الطريقة التى ينظر الناس بها إليها ، وهم يهزون رءوسهم فى شفقة ويغمغمون " ليرحمها الله " .

وكانت لـ " ويليام " حياة خاصة ، وكانت لها حياة هى أيضاً ، لكنها حياته هو .

واستمر ذلك إلى وقت قريب ، حتى تغيرت الأمور بشكل ورائع .

الفصل

٨

كان التوتر على مائدة العشاء بمطبخ عائلة هامر غليظاً كقطعة اللحم التى يعمل فيها ويز بسكينه .

قطع ويز قطعة من اللحم وأغرقها فى بعض الكاتشاب الموجود على طبقه ووضعها فى فمه ، ثم قال وهو يلوك قطعة اللحم : " لقد أخبرتنى أن طلبات التقدم للوظيفة قد تم إرسالها بالبريد بالفعل . ولقد دخلت غرفتك هذا المساء فوجدت الكثير منها ، بل وجدتها كلها ، مبعثرة على مكتبك فى غير نظام ، لذا ففوق أنك لم تقم بمسئولياتك ، فقد كذبت على . أكثر من مرة " .

كان سكوت يجلس مسترخياً فى كرسيه ناظراً إلى أسفل وهو يضع شوكته فى طبق البطاطس المهروسة الخاص به بدون اهتمام ، ثم قال : " لقد كنت أستعد لامتحانات الفصل الدراسى يا أبى . بعد ذلك قضينا الأسبوع التالى فى منزل جدى فى أثناء

إجازة العيد ، ومنذ أن بدأت المدرسة مرة أخرى وأنا مشغول للغاية " .

ابتلع ويز قطعة اللحم بجرعة من الشراب ثم قال : " مشغول بكل شيء ماعدا مستقبلك " .

" لا " .

" ويز " .

ألقى نظرة حادة نحو زوجته قائلاً : " اخرجي من هذا الأمر يا دورا . هذا بيني وبين سكوت " .

قال سكوت : " سأبدأ في ملء النماذج الليلة " ، وكان يدفع شعره إلى الوراء ويضع منديل المائدة بجانب طبقه .

أشار ويز بسكينه نحو طبق سكوت قائلاً : " سأبدأ أنا العمل فيها الليلة . أكمل عشاءك " ..

" لست جائعاً " .

" فلتأكلها فإنك بحاجة إلى البروتين " .

عاد سكوت إلى طبقه ، ثم أخذ يقطع قطعة اللحم بالشوكة والسكين . قال ويز : " في أثناء الإجازة ، أتركك تأكل الطعام غير المفيد . لكن من الآن حتى ينتهي التدريب الربيعي ، سأراقب ما تأكله . لا مكان للحلويات بعد اليوم " .

قالت دورا : " لقد صنعت فطيرة بالتفاح لنتناولها الليلة " .

أزعجت ويز نظرتها العطوف إلى سكوت أكثر مما أقلقته فكرة تناوله للفطيرة فقال : " إن نصف مشاكله بسببك أنت ؛ فأنت قد أفسدته يا دورا . لو تركته لك ؛ ما كان سيذهب حتى إلى الجامعة ، ولظل بجانبك هنا ترضعينه حتى آخر عمره " .

أنهيا وجبتيهما فى صمت ، وظل رأس سكوت منكساً وهو يدفع بالطعام إلى فمه حتى فرغ طبقه ، فاستأذن فى النهوض .

قال ويز وهو يغمز إلى ولده بشكل يوحى بصفحه عنه : " أقول لك شيئاً : دع العشاء يستقر فى معدتك ، وبعد ذلك لا أظن أن قطعة واحدة من فطيرة التفاح ستضرك " .

ألقى سكوت فوطته وخرج مسرعاً من المطبخ وهو يقول : " شكراً " ، وبعد ذلك بلحظات سمعا صوت انغلاق باب غرفة نومه وصوت موسيقى صاخبة يخرج منها .

" سوف أذهب لأتحدث معه " .

أمسك ويز بذراع دورا وهى تحاول النهوض قائلاً : " دعيه وشأنه " ، وأعادها إلى كرسيها ثم قال : " دعيه يغضب قليلاً ، فلن يلبث أن يزول عنه الغضب " .

" لقد أصبح يغضب كثيراً فى الآونة الخيرة " .

" ومن هو المراهق الذى لا يمر بتقلبات مزاجية ؟ " .

" لكن سكوت لم يكن كذلك حتى وقت قريب جداً . لقد تغير كثيراً . لابد أن هناك مشكلة ما " .

قال ويز بأدب مبالغ فيه : " سآخذ نصيبى من الفطيرة الآن ، من فضلك " .

استدارت وهى تقوم بتقسيم الفطيرة التى كانت قد تركتها تبرد على الطاولة ثم قالت : " إنه يحبك يا ويز ، ويعمل بجد لإرضائك ، لكنك نادراً ما تثنى على أى شىء يفعله . إن رد فعله للثناء سيكون أفضل من رد فعله للانتقاد " .

تذمر ويز قائلاً : " ألا يمكن أن ينتهى حوار بيننا دون أن تلقى فى وجهى بمثل هذا الكلام الفارغ المستوحى من برنامج أوبرا التافه " .

أعطته نصيبه من الفطيرة قائلاً : " هل تريد آيس كريم ؟ " .

" ألا تعلمين أننى دائماً أريد ذلك ؟ " .

أحضرت علبة الآيس كريم إلى المائدة وأخرجت بعضاً منه ووضعته على فطيرته ، ثم أعادت العلبة إلى المجمد ، وبدأت فى رفع الأطباق قائلة : " سوف تتسبب فى إبعاد سكوت عنا . أهذا ما تريده ؟ " .

" ما أريده هو أن آكل فطيرتى فى سلام ؟ " .

وحين استدارت دورا ، اندهش ويز حين رأى لمحة من دورا طالبة الجامعة التى رآها أول مرة . وهى تسير متبخترة وسط حرم الجامعة مرتدية تنورة التنس وتعلق فى كتفها حقيبة مضرب التنس بينما التصق قميصها بجسدها بسبب العرق وقد انتهت لتوها من مباراة تنس ، علم فيما بعد أنها فازت بها وبسهولة .

كانت عيناها فى تلك الظهيرة تشعان بالغضب حين رأته يلقى بعلبة حلوى فارغة على العشب المقصوص بعناية والموجود أمام صالة الألعاب الرياضية حيث كان هو ومجموعة من رفاقه يتسكعون فى الشرفة الواسعة .

قالت له حينذاك : " أيها الغبى القذر " ، وكأنه قد سقط فى نافورة مياه أو شىء من هذا القبيل . بعد ذلك سارت إلى علبة

الحلوى ورفعتها عن العشب وحملتها معها إلى أقرب سلة مهملات ، وواصلت طريقها دون أن تنظر وراءها مطلقاً .

أخذ أصحاب ويز ـ بمن فيهم دتش بورتون ـ يصفرون وراءها مطلقين التعليقات والإيحاءات النابية حين انحنت لتلتقط علبة الحلوى . لكن ويز أخذ يفكر فيها . لقد أعجبه شدة جمالها وتناسق جسدها . لكن لم تعجبه طريقتها المتعالية .

كانت معظم فتيات المدرسة تنجذب إليه بشدة حين ترينه داخلاً إحدى الغرف ، لقد كانت إقامة علاقة مع بطل رياضى شيئاً يسعين إليه جميعاً . فى ذلك الوقت ، كان ويز ، هو و " دتش " أبرز من فى فريق كرة القدم ، كان يلعب هو مدافعاً ، بينما كان دتش يلتقط الكرات ويمسك بها . لقد أحب ويز هذه الفتاة لما أظهرته له من الجرأة .

إنه ليعجب الآن أين ذهبت جرأة دورا . منذ أن تزوجا ، اختفت الجرأة رغم وجود بعض آثار منها فى طريقتها وتعبيراتها فى هذه اللحظة .

قالت : " هل فطيرة التفاح أهم عندك من ولدك ؟ " .

" بالله عليك يا دورا ، كنت فقط أعنى ــــ "

" يوماً ما سيشق عليه ما تطلبه منه ، فيتركنا ولا نراه مرة أخرى " .

قال غاضباً : " أتعلمين ما هى مشكلتك ؟ أنك لا تدرين ما تفعلينه ، هذه هى المشكلة . تجلسين طوال اليوم لمشاهدة تلك البرامج الحوارية التافهة بالتلفاز وتطبقين كل نقيصة يتحدثون بها علىَّ أنا . بعد ذلك تتخيلين هذه السيناريوهات المجنونة

التى لن تحدث لأسرتنا أبداً . لقد كان أبى صارماً معى ، ومع ذلك لم يصبنى سوء ".

" وهل تحبه ؟ " .

" من ؟ " .

" والدك " .

" أحترمه " .

" بل تخاف منه . إنك تخاف من ذلك العجوز التافه حتى تتقلص أمعاؤك " .

ألقى ويز ملعقته ونهض بشكل مفاجىء فأصدر كرسيه صوتاً مزعجاً لدى احتكاكه بالأرض . وقف كل منهما قبالة الآخر تفصلهما مائدة الطعام لعدة لحظات مليئة بالتوتر ، ثم ابتسم ويز قائلاً : " جميل يا دورا ، أحبك حين تتحدثين بهذه الوقاحة " .

أعطته ظهرها مواجهة الحوض وأدارت صنبور المياه .

ذهب ويز إليها ومد يده من ورائها ليغلق الصنبور قائلاً : " من الممكن أن تنتظر الأطباق ، ثم جذبها نحوه وهو يحيطها بذراعه قائلاً : " لقد أثرتنى بشكل لا يحتمل الانتظار " .

" ابحث عن هذا فى مكان آخر يا ويز " .

ضحك ضحكة مكتومة مليئة بالكراهية وأنزل يديه قائلاً : " إننى أفعل ذلك " .

فردت قائلة : " وأنا أعلم ذلك " ، ثم أدارت الصنبور مرة أخرى .

طرق دتش عدة مرات على الباب الخلفى لبيت عائلة هامر ، وكان يستطيع أن يرى المطبخ من الداخل عبر النافذة ، حيث كانت كل المصابيح مضاءة ، لكن لم تكن هناك أية إشارة لوجود أحد .

طرق مرة أخرى وهو يضرب الأرض بقدميه فى نفاد صبر لشعوره بالبرد . ثم فتح الباب قائلاً : " ويز ، إنه أنا ، دتش " .

دخل دتش إلى الداخل مصطحباً معه تياراً شديد البرودة من الهواء . ثم أغلق الباب وعبر المطبخ ونظر فى حجرة المعيشة منادياً : " ويز ؟ " ، وكان ذلك بصوت تمنى أن يكون أعلى من صوت موسيقى الروك المنبعثة من مكان ما بالجزء الخلفى من المنزل الذى من المفترض أن به غرفة نوم سكوت .

انفتح الباب الذى يصل بين المطبخ والمرآب وراء دتش ، واستدار فى الوقت المناسب ليرى ويز داخلاً منه . حين رآه ويز واقفاً فى المطبخ ، ضحك قائلاً : " إذن فقد أتيت فى النهاية . لقد كنت أعلم أنك ستأتى إن أتيح لك الوقت للتفكير فى أفلام الفيديو التى أخبرتك عنها . لقد كنت أضع مضاد التجمد فى سيارة دورا ، فالجو بهذه البرودة يكون ... " ، ثم تلاشت ابتسامته وقال : " ما الأمر ؟ " .

" تعرضت ليلى لحادث " .

" يا إلهى . هل أصابها سوء " .

" لا أظن ذلك . لست واثقاً من الأمر " .

وضع ويز يده على كتف دتش وقاده إلى داخل غرفة المعيشة وأجلسه على الأريكة ، ونزع دتش قبعته وقفازه ، وكان حذاؤه

قد ترك مساراً من الثلج المنصهر والطين على السجادة ، لكن أياً منهما لم يلحظ ذلك . صب ويز بعض الشراب في كوب وناول لـ " دتش " .

" خذ رشفة من هذا ثم أخبرنى بما حدث " .

تجرع دتش كوب الشراب ، ثم تقلصت ملامح وجهه وأخذ نفساً عميقاً كالمطارد ثم قال : " لقد تركت رسالة على هاتفي الخلوى . كنت أتحدث إلى عائلة جان ولم أرد على الاتصال . اللعنة ! المهم أنه حدث لها حادث معين وهى تقود السيارة هابطة الجبل . إننى حين تركت الكابينة كنت أظنها ستخرج ورائى مباشرة . ما كان ينبغى أن أذهب قبلها ، فقد كان الطريق قد أصبح زلقاً بالفعل . لا أعرف ما حدث ، لكنها على أية حال قالت إنها تمكنت من العودة إلى الكابينة ومعها ذلك المدعو بين تيرنى ... " .

قال ويز : " تيرنى ؟ الـ ... ؟ " ، وأشار بأصابعه مقلداً حركة الكتابة .

" نعم . ذلك الرجل كاتب المغامرات أو أياً ما كان ، عليه اللعنة . قالت ليلى إنه قد أصيب " .

" هل تعتقد أن سيارتيهما اصطدمتا ؟ " .

" كل ما قالته ، أو كل ما استطعت فهمه بسبب سوء استقبال الهاتف ، هو أنهما فى الكابينة وأن تيرنى قد أصيب وأنها تحتاج المساعدة " .

ظهرت لورا قائلة : " ماذا حدث ؟ " ، وكانت ترتدى " روب " طويل الرقبة مشدود حول خصرها بشدة ، فكانت دائما

تذكر دتش بالسائر على الحبل المشدود حين يدرك أنه أخطأ لتوه في إحدى الخطوات .

أعطاها ويز وصفاً موجزاً للموقف ، فعبرت عن أسفها ثم سألت : " هل أخبرتك ليلى شيئاً عن جرح السيد تيرنى ومدى خطورته ؟ " .

هز دتش رأسه ومد يده بكأسه الفارغة إلى ويز ، فأعاد ملأها له .

أخذ دتش يرتشف الكأس على مهل هذه المرة ثم قال : " لا أعرف إذا كان قد أصيب بخدش أم أن حالته حرجة ويتشبث بالحياة . بصراحة ، لا يهمنى . إننى قلق فقط بشأن ليلى . يجب أن أذهب إلى هناك . الليلة " .

قالت دورا : " الليلة ؟ " .

نظر ويز من نافذة حجرة المعيشة قائلاً : " إن الثلج مازال ينهمر يا دتش أغزر مما كان " .

" لا حاجة إلى إخبارى بهذا . لقد كنت أقود السيارة وسط هذا الجو " . كانت كل الأسطح خارج البيوت الآن مغطاة بالثلج ، ولم تكن هناك أية إشارة إلى انقطاع هذا السيل الثلجى ، وواصلت درجات الحرارة هبوطها .

" كيف تقترح الوصول إلى هناك يا دتش ؟ لا يمكنك القيادة على هذا الطريق للوصول إلى هناك ، فحتى سيارتك المتطورة تكون بلا فائدة فوق الثلج الصلب " .

قال غاضباً بمرارة : " أعلم ذلك . لقد حاولت ذلك بالفعل " .

" هل جننت ؟ " .

" نعم ، جننت . أو على الأقل ، كنت مجنوناً . حين استمعت إلى الرسالة على الهاتف وجاء رد فعلى دون تفكير . فركبت السيارة وبدأت طريق الصعود ، ولكن ... " ، ثم ارتشف الرشفة الأخيرة بالكأس قائلاً : " فقدت السيطرة على عجلة القيادة ، وكدت لا أستطيع معاودة السيطرة عليها مرة أخرى " .

اتجهت دورا نحو المطبخ قائلة : " سأحضر لكما القهوة " .

قال ويز : " كان من الممكن أن تقتل نفسك بفعلك الأحمق المتهور هذا " .

نهض دتش على الأريكة وبدأ يروح ويجىء ثم قال : " إذن ماذا يفترض منى أن أفعل يا ويز ؟ أجلس هنا واضعاً يدى على خدى حتى تنصلح الطرق ؟ قد يستغرق ذلك أياماً . لا يمكننى أن أكتفى بالانتظار . ماذا لو أن ليلى قد أصيبت هى الأخرى ؟ فمثلها من الممكن أن تخفى عنى شيئاً كهذا " .

" إننى أتفهم قلقك ، لكنك لم تعد مسئولاً عنها الآن " .

استدار دتش نحوه قابضاً يديه وكاد أن يفتك بصديقه ، فعلى الرغم من أن ويز من الناحية الفعلية كان يقول الحقيقة ، فإن دتش لم يكن يريد أن يسمع هذا الكلام ، وخصوصاً من ويز الذى يتفوق عليه فى كل شىء ، ويز الذى لم يعش يوماً من أيام الفشل ، ولم يذق لحظة من لحظات عدم الثقة فى النفس طوال حياته بأكملها ، ويز الذى يسيطر على أمور حياته كلها .

" إننى مأمور القسم . هذا السبب وحده يكفى لأن يجعل ليلى مسئوليتى " .

لطف ويز الجو بينهما قائلاً : " حسناً ، اهدأ . إن صب غضبك علىّ لن يحل شيئاً " .

أخذ دتش أحد كوبى القهوة اللذين أحضرتهما دوراً على الصينية . وأخذ عدة رشفات كان يحتاج إليها . كان الطعم اللاذع للبن كإكسير الحياة لجسمه . لقد جعلته الرائحة والدفء الذى شاع فى أحشائه واللذة التى سرت فى جسده وتدفق الدماء فى أوردته يشعره كم كان يفتقد فناجين قهوته المعتادة .

قال دتش : " لا يزال كال هوكينز يحتكر الشاحنات فى المدينة ، أليس كذلك ؟ " .

رد ويز قائلاً : " لقد جددت المدينة عقده فى العام الماضى ، لكن لا لشىء إلا أن ذلك الوغد يمتلك المعدات " .

" لقد كلفت بعض الرجال بمطاردته ، وذهبت إلى بيته بنفسى فوجدته مظلماً مغلقاً بالأقفال ، ولا أحد يرد على الهاتف . إن لم يكن يضع الرمال على الطرق ؛ فأين هو بحق السماء ؟ " .

رد ويز قائلاً : " أظن أنه فى إحدى الحانات . هذا هو السبب فى أنه يحب عمله إلى هذه الدرجة ؛ فهو يعمل لبضعة أيام فى السنة ، وباقى الأيام يكون غارقاً فى الشراب حتى أذنيه " .

" لقد بحثنا فى الحانات بالفعل " .

قال ويز فى احتقار رافعاً حاجبيه : " هل بحثتم فى الحانات التى تقدم مشروبات دُفعت ضرائبها ويتم تقديمها من زجاجات عليها ملصقات ؟ ليست هذه هى الأماكن التى من الممكن أن تجدوا بها كال " ، ثم أحضر معطفه وقبعته وقفازه من الخزانة المجاورة للمدخل قائلاً : " ستقود أنت السيارة ، وسأدلك أنا على المكان الذى نبحث فيه " .

قال دتش وهو يمر بـ " دورا " : " شكراً على القهوة يا دورا " .

قالت : " أرجو أن تنتبها لنفسيكما " .

وكان كل ما قاله لها ويز : " لا تبقى ساهرة " .

وبينما كانا يخرجان إلى أسوأ عاصفة شتوية فى التاريخ القريب، ربت ويز كتف دتش قائلاً : " لا تقلق يا صاحبى ، سننقذ صاحبتك مهما كان الثمن " .

كانت نوافذ غرفة سكوت تطل على الفناء الخلفى . فرأى والده ومعه دتش بورتون وكأنهما يتزحلقان بالفعل على الجليد فى طريقهما إلى السيارة البرونكو السوداء التى يمتد عبر سقفها مصباح ضوئى أفقى وتوجد على أبوابها أقفال مقلوبة . كان دتش قد ترك سيارته مدارة فى أثناء وجوده بالداخل حتى صار العادم يشكل شبحًا أبيض راقصاً خلف السيارة . وبينما هما يتراجعان بالسيارة إلى الخلف على ممشى السيارات بالمنزل أصدرت الإطارات صريراً باحثة عن مسارها .

كان سكوت لايزال محدقاً خلف الأضواء الخلفية الثلاثية حين طرقت والدته باب غرفة نومه قائلة : " سكوت ؟ " .

خفض سكوت صوت الموسيقى الصاخبة قائلاً : " ادخلى " .

قالت والدته : " هل تريد فطيرتك الآن ؟ " .

" هل يمكننى ادخارها للإفطار ؟ فلقد أكلت الكثير من اللحم . لقد رأيت والدى يخرج مع السيد بورتون " .

أخبرته والدته بما حدث ثم قالت : " أعتقد أن ليلى لم تخرج فى الوقت المناسب فحاصرها الجو السيء . على الأقل فقد

كان لديها سبب وجيه لوجودها في ذلك المكان ، لكنني لا أرى سبباً لوجود السيد تيرنى على قمة الجبل اليوم " .

" إنه يمارس رياضة التنزه " .

" لكن ألم يجد وقتاً آخر لممارسة رياضة التنزه إلا فى يوم يُنتظر فيه هبوب عاصفة كهذه " .

تعجب سكوت بشأن ذلك هو الآخر ، فهو له خبرة فى ممارسة رياضة التنزه ، وقرأ من قبل مقالات السيد تيرنى عن الدروب الموجودة بالإقليم . لقد تربى سكوت على استكشاف الغابات الجبلية وإقامة المعسكرات بها ، فى جماعات الكشافة فى البداية ، ثم وحده بعد ذلك . وبقدر استمتاعه باستكشاف قمة جبل كليرى ، التى من الممكن أن تكون منطقة خطرة حتى فى الأيام العادية ، فإنه بكل تأكيد لا يتمنى أن يكون فوقها فى هذه الظهيرة التى يسوء فيها الجو .

قال سكوت : " حتى إن وجدا كال هوكينز فلا أظن أن أى أحد يمكنه القيادة على طريق جبل لوريل الليلة " .

" وأنا أيضاً لا أظن ذلك ، لكنهما ما كان لينصتان إلىّ . وإذا كان هناك أحد أكثر عناداً من والدك ، فهو دتش بورتون . هل يمكننى أن أحضر لك شيئاً ؟ كوباً من الشيكولاتة الساخنة ؟ " .

" لا ، شكر يا أمى . سأعمل بعض الوقت فى الطلبات كما وعدت والدى ، ثم سأنام " .

" حسناً . تصبح على خير . أحلاماً سعيدة " .

قال سكوت لوالدته وهى تخرج من الغرفة : " لا تنسى إحكام إغلاق الأبواب وضبط المنبه قبل أن تنامى " .

ابتسمت له قائلة : " لن أنسى . إن ويز يذكرنى دائماً بالإبقاء على الأبواب والنوافذ محكمة الغلق ، خصوصاً منذ أن اختفت ميليسنت ، لكننى لست قلقة بشأن اقتحام المنزل " .

قال سكوت فى نفسه ولم ستقلقين ؟ فقد كان هناك مسدس محشو بالرصاص فى درج المنضدة المجاورة لسريرها . لم يكن من المفترض أن يعرف سكوت به ، لكنه عرف . لقد اكتشف وجوده حين كان بالصف السادس عندما تسلل إلى غرفة نوم والديه باحثاً عن أدوات مدرسية يتباهى بها أمام أصدقائه ، ولقد شعر بالفزع حين رأى المسدس فى الدرج أكثر من فزعه لرؤية أدوات أمه النسائية .

تابعت والدته قائلة : " ولا يبدو أن ميليسنت أو الأخريات تم اختطافهن بالقوة . وأياً كان مرتكب تلك الجرائم ، فهو شخص تعرفه النساء المختفيات ، أو على الأقل كن معتادات عليه ويعتبرنه لا خطر منه ، ويبدو أنهن ذهبن معه طواعية " .

" عموماً ، كونى حذرة يا أمى " .

أشارت له بقبلة قائلة : " أعدك بذلك " .

بمجرد إغلاق الباب ، رفع سكوت الصوت مرة أخرى وضبط مؤقت النوم بالجهاز لإيقاف تشغيله تلقائياً بعد ذلك بعشرين دقيقة . بعد ذلك ارتدى ملابس الخروج من أجل مغامرته السرية .

انفتحت نافذة غرفته دون إصدار أى صوت لأنه كان يحافظ على تزييت كل الأجزاء المنزلقة بها ، وفى لمح البرق كان خارج الغرفة مغلقاً النافذة مرة أخرى ، لم يكن يريد أن تشعر أمه بتيار البرودة وتأتى لتبحث عن مصدرها .

حين ضرب الهواء البارد وجهه رشحت أنفه . فأحنى سكوت كتفيه في وجه المطر المتجمد وأدخل يديه في جيبي معطفه ، وانطلق سائراً على قدميه ملتزماً الجانب غير المضاء من الفناء .

أحياناً ، وخاصة بعد إحدى محاضرات والده حول تصرفاته التي يعتبرها حمقاء ، بعد أن يكون قد أرهق نفسه في فعل كل ما قيل له ، كان يضطر ببساطة إلى الفرار من المنزل . بالطبع لم يكن أي شيء مما يفعله يناسب والده . فلا يناسب أي حزام أزرق أو أي ميدالية فضية . فابن ويز هامر لو فاز بميدالية ذهبية أوليمبية ، سيغضب والده لأنه لم يفز باثنتين .

رأى سكوت مصباحين يقتربان منه فخشي أن يكونا خاصين بسيارة دتش البرونكو السوداء واختفى وراء مكان مرتفع حتى تمر السيارة ، ولما كانت السيارة تسير بسرعة عشرة أميال في الساعة فقط ، بدا وكأنها ستستغرق دهراً حتى تصل إليه وقد بدأت رجلاه تتيبسان من شدة البرد .

لكن حذره لم يكن ضرورياً ، فلم تكن السيارة التي مرت به هي السيارة البرونكو . واصل سكوت السير مرة أخرى وقد رفع ياقة معطفه حتى غطت خديه وأنزل قبعته إلى أسفل حتى لا يتعرف عليه أي شخص يتصادف أن يكون واقفاً في نافذته الأمامية ليراقب العاصفة .

إن الناس في هذه المدينة يحبون الشائعات ، فلو أن أحداً رآه الليلة وأخبر والده بالأمر فسيصيبه من الأذى الكثير . ماذا لو تعثر على الثلج وأصابه سوء ؟ سيجن والده ، لكن بعد أن يقتله أولاً .

وبينما هو مستغرق فى هذه الأفكار ـ أو ربما بسبب خوفه من حدوثها بهذه الطريقة حتى جعلها تتحقق ـ فقد تزحلق على الرصيف المغطى بالجليد . ارتفعت قدمه فى الهواء وارتطم بالأرض بشدة وسقط على مؤخرته مباشرة . أحس أن عموده الفقرى قد اصطدم بجمجمته ، بينما أدت السقطة إلى أن يعض لسانه بأسنانه .

استغرق سكوت لحظات حتى يهدأ من روعه قبل أن يحاول النهوض ، وبعض بضعة محاولات كوميدية ليقف على قدميه فوق الأرض الزلقة ، استطاع النهوض ، ثم سار متعثراً إلى سور خشبى واستند عليه .

همس سكوت بصوت مرتعش : " يا إلهى ! " . وهو يتخيل ما سيفعله والده إذا رجع إلى البيت يعرج ويجر ساقاً مكسورة .

اسمع يا والدى ، لقد حدث الأمر هكذا . لقد تسللت خارجاً من البيت ، وفى أثناء سيرى بشوارع المدينة سقطت على الثلج . آه لو أنك استمعت إلى صوت ارتطام عظامى بالأرض ، لقد كان كصوت ارتطام سيارتين ببعضهما البعض . يا إلهى ! أعتقد أننى لن أشترك فى مسابقة كريمسون تايد فى آلاباما ، وسيكون على الفريق الفوز ببطولة كرة القدم بدونى .

وبينما يسير سكوت على المشى الجانبى محاذيا السور ، أخذته رعدة وهو يفكر فى الأثر الشبيه بأثر القنبلة الهيدروجينية والذى سيلحق بحياته جراء فعلته هذه . سيدفع ثمن ما فعله حتى يواريه الثرى . حيث سيقف والده عند التابوت الموضوع فيه جثمانه قائلاً : " ماذا كنت تظن يا سكوت ، عليك

اللعنة ؟ " . لن تكون هناك نهاية لغضب ويز وثورته ، لكن ستكون هناك نهاية لطموحاته العظيمة بالنسبة لسكوت فقط .

نظر خلفه إلى البقعة المغطاة بالثلج التى سقط بها . لقد كادت أن تحدث له كارثة ، وكان من حسن حظه أنه لم يفقد حياته فى هذه السقطة .

أم هل كان هذا لسوء حظه ؟

دون أى إنذار مسبق برزت هذه الفكرة من عقل سكوت الباطن وجعلته يتجمد فى مكانه . من أين أتته هذه الفكرة المتمردة ؟

لقد كانت من ذلك النوع من الأفكار التى تجعل صاحبها وكأنه قد أصيب بصاعقة . لقد فعل سكوت فى الآونة الأخيرة أشياء تستحق اللعنة بأى معيار أخلاقى أو دينى على هذا الكوكب . لم يكن سكوت حتى هذه اللحظة يخشى الخلود فى جهنم ، وكل هذا لأنه فكر - ولو لجزء من الألف من الثانية - فى هذه الفكرة المنطوية على الخيانة . لكن ما المنطق الذى يجعل المرء مداناً . إنها لمجرد أنه فكر فى خيانة عهده مع أبيه ، ما الذى يجعله يشعر بأنه مدان بسبب ما يدور فى رأسه من أفكار . فقط إنها مجرد أفكار ؟ ومن يمكن أن يعرف هذه الأفكار ؟

لم يواصل سكوت طريقة إلا بعد ذلك بعدة لحظات . وبحذر شديد .

الفصل
٩

حين ذكرها تيرنى أنها لم تعد متزوجة ، ألقت ليلى البطانية جانباً ونهضت عن الأريكة . توقعت أن يحاول الإبقاء عليها بجانبه ، لكن جروحه منعته من أن يتحرك بالسرعة اللازمة ، فاستطاع فقط أن يقف مترنحاً ثم يقول : ليلى ــــ "

قالت ليلى : " لا ، استمع إلى يا تيرنى " . ورغم أنه لم يكن قد لمسها ، فقد مدت يدها لتمنعه من أن يحاول ذلك ، وتابعت قائلة : " إن ظروفنا الحالية مثيرة للأعصاب بما يكفى بدون ــــــ "

" مثيرة للأعصاب ؟ هل تشعرين بالتوتر ؟ ألا تشعرين بالأمان معى ؟ " .

" الأمان ؟ نعم ، بالطبع . من قال أى شيء عن الأمان ؟ إن الأمر فقط ــــ "

سألها تيرنى رافعاً حاجبيه فى استفهام صامت قائلاً : " ماذا ؟ " .

قالت ليلى : " إن الأمور تسير بيننا نحو الاتجاه الشخصي . يجب أن نتحاشى ذلك ، مادمنا هنا . لنترك الأمور الشخصية ونركز على الأمور العملية " ، فبدا عليه أنه على وشك المجادلة ، لكنها أضافت إلى كلامها رجاء في لهجة أخف حدة .

وافق تيرنى كارهاً ، ثم قال : " حسناً ، لنكن عمليين . هل لديك فكرة معينة ؟ " .

" مثل ماذا ؟ " .

" البحث في القمامة " .

كان اقتراحه هو البحث في الغرف لمعرفة ما إذا كانت قد تركت شيئاً عندما قامت من قبل بجمع محتويات الكابينة ، فقال إنه سيبدأ بالمطبخ ، واستدار واتجه مترنحاً في ذلك الاتجاه .

" تيرنى ؟ " .

عاد مرة أخرى ، وقبل أن تفقد السيطرة على أعصابها أو تبوح بما بداخلها سألته قائلة : " هل قابلتهما فيما بعد ؟ " .

قطب جبينه في حيرة قائلاً : من ؟ " .

" فتاتا الجامعة . هاتان البنتان اللتان كان تركبان السيارة الجيب وتبحثان عن المشاكل . بعد أن رفضت دعوتك على الشراب . هل قابلتهما ؟ " .

نظر إليها نظرة طويلة متأنية ، ثم استدار وتابع طريقه نحو المطبخ : " لترى ما يمكنك العثور عليه في غرفة النوم والحمام " .

لم يخرجا من غرفة النوم إلا بثلاثة دبابيس وجدتها بأحد أدراج المكتب . فقدمتها إلى تيرنى قائلة : " تفضل ، هذا غير صرصورين ميتين تحت السرير . تركتهما هناك " .

قال تيرنى مازحاً : " ربما نحتاج إلى الدبابيس " . وأخرج شمعتين قديمتين . لكنهما قد تكون لهما فائدة إذا ما انقطعت الكهرباء ، وقال : " لقد كانا فى نهاية درج المائدة الخلفية " .

كان تيرنى يستند بكل ثقله إلى مائدة المطبخ وقد استند بيده بقوة على سطحهما الجرانيتى فقالت له : " يجب أن تنام " .

غمغم شارداً وهو يفتح عينيه : " لا ، إننى بخير " .

" إنك توشك أن تسقط " .

قال : " موجة أخرى من الغثيان " ، ثم انصرف عن المائدة إلى إحدى النوافذ المجاورة للباب الأمامى وأزاح الستار قائلاً : " لقد كنت أفكر " .

انتظرت ليلى لتستمع إلى ما كان يفكر فيه ، لكن كان قد تكون لديها بالفعل انطباع سىء عن هذا الذى يفكر فيه .

" إن سقوط الجليد بعد هذا المطر المتجمد ـ وهو احتمال وارد على هذا الارتفاع ، سيجعل موقفنا خطيراً جداً . إننى قلق من أن تفرغ حاوية البروبين ، وهو ما يعنى أننا سنحتاج إلى وقود " . استدار تيرنى عائداً إلى الغرفة قائلا : " إن الأمور الآن أكثر أمناً بشكل نسبى مما ستصير إليه فيما بعد ، لذا ينبغى أن أذهب الآن إلى المخزن لإحضار خشب الوقود الذى أستطيع إحضاره " .

نظرت وراء كتفيه ناحية النافذة ، ثم نظرت إليه قائلة : " لا يمكنك الخروج ! إنك لا تكاد تستطيع الوقوف على قدميك دون أن تفقد توازنك . إنك تعانى من ارتجاج بالمخ " .

" لن يفيدنا هذا الحرص إن تجمدنا حتى الموت " .

" حسناً ، انس هذا الأمر . لا يمكنك الذهاب . لن أسمح لك " .

جعله حماسها يبتسم قائلاً : " لا أطلب الإذن منك يا ليلى " .

قالت : " سأذهب أنا " ، وعلى ذلك فقد ارتعد جسدها وهى تسمع نفسها تتطوع بهذا العمل ، وأيضاً حين خطر ببالها أنها ستخرج إلى الخارج تاركة الأمان والدفء النسبيين الموجودين بالكابينة .

نظر إليها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها قائلاً : " لا يمكنك أن تحملى القدر الذى يفيدنا ، وأنا لن أستطيع أن أحضر الكثير ، لكنه سيكون أكثر مما ستحضرينه أنت . بالإضافة إلى ذلك ، فإن حذاءك مبتل ، من الممكن أن يؤذيك الصقيع . أنا الذى يجب أن أذهب " .

تجادلا فى الأمر لخمس دقائق أخرى ، لكن طوال الوقت كان تيرنى يستعد للخروج ، بغض النظر عن معارضتها للفكرة . قال تيرنى : " هل هناك شىء بالمخزن يمكننى استخدامه كزحافة مثلاً ؟ شىء يمكننى أن أضع الخشب وأسحبه عليه ؟ " .

بحثت ليلى عن هذا فى ذاكرتها ، ثم هزت رأسها ثم قالت : " للأسف فقد أخذنا كل شىء أنا و " دتش " ولم نترك

إلا بعض الأدوات الأساسية . على يمين المدخل ، ستجد وعاءً خشبياً كبيراً كنا نستخدمه كصندوق أدوات . قد تجد به شيئاً مفيداً . ستجد فأساً ، هذا ما أذكره . إنها أكبر من البلطة الموجودة بالبهو . لقد قلت إن الأخشاب بحاجة إلى تقطيع ، لذا فإذا استطعت حمل الفأس أيضاً ينبغى أن تحضرها معك " .

قال تيرنى : " بمجرد أن أتجاوز درجات سلم البهو ، سأنعطف فى هذا الاتجاه ، أليس كذلك ؟ " ، وأشار بيده فى الاتجاه العام .

" هذا صحيح " .

" هل هناك شىء من هنا إلى هناك ينبغى أن أعرفه ؟ جذوع أشجار أو أحواض أو صخور ضخمة ؟ " .

حاولت أن تتخيل أية عقبات محتملة فى الطريق ثم قالت : " لا أظن ذلك . إن الطريق مباشر لا عقبات فيه ، لكن بمجرد أن تتجاوز المنطقة الخالية من الأشجار وتدخل الغابة ....." .

قال بانقباض : " نعم ، يزداد الأمر صعوبة " .

" كيف سترى الطريق ؟ " .

أخرج تيرنى كشافاً صغيراً من جيب معطفه ، ولم يكن يبدو أنه يمكنه الاعتماد عليه إلى هذا الحد ، فقالت ليلى : " ماذا لو فرغت البطارية ؟ من الممكن أن تضل الطريق" .

" إن لدىَّ الحاسة السادسة فيما يتعلق بالاتجاهات . إن استطعت الرؤية بوضوح بشكل يجعلنى أصل إلى هناك ، سأتمكن من العودة . لكن إن انطفأت أضواء الكابينة وأنا لست هنا ـ وأنا أتوقع حدوث ذلك فى أى وقت ، فالثلج يتلف خطوط الطاقة بشكل كبير " ، أومأت برأسها دلالة على الموافقة ، وتابع هو

قائلاً : " إن انقطعت الكهرباء ، أشعلى شمعة وضعيها فى النافذة " .

" ليس معى أى ثقاب " .

أخرج علبة ثقاب من جيب آخر من جيوب معطفه وأعطاها إياها قائلاً : " احتفظى بالثقاب والشموع معاً حتى تعلمى أين تجدينها حين تحتاجين إليهما " .

شعرت فجأة بالجنون الذى ينطوى عليه ما هو مقدم على فعله ، فقالت : " تيرنى من فضلك أعد التفكير فى الأمر . يمكننا أن نكسر الأثاث ونحرقه ، فلدينا أرفف المكتبة ومائدة القهوة وأبواب الكابينة . وقبل أن ينفد الوقود سيتم إنقاذنا ، وقد يدوم البروبين أطول مما نتوقع " .

" لست مستعداً للمغامرة ، بالإضافة إلى أنه لا داعى لإفساد الكابينة قبل أن نكون مجبرين على ذلك . سأكون على ما يرام . لقد مررت بأسوأ من هذا " .

" خلال عاصفة ثلجية ؟ " .

لم يرد على هذا السؤال ، حيث كان يتناول قبعته ، وحين أخذها قطب جبينه في اشمئزاز قائلاً : " لقد تيبست بسبب الدم الذى جف عليها . هل تمانعين فى أن أستعيد بطانية الاستاد الخاصة بك " .

ساعدته فى عمل خيمة من البطانية ووضعتها عليه ، وذلك كما صنعها لها من قبل ، وبعد ذلك أصبح مستعداً . وفى محاولة أخيرة ، قالت ليلى إن من يعانون من ارتجاج بالمخ لا يجب أن يرهقوا أنفسهم ، فمن الممكن أن تفقد مصدر الضوء وتخذلك

حاستك السادسة الخاصة بالاتجاهات فتضل الطريق وتتعرض إما للسقوط فى هوة عميقة أو التجمد حتى الموت " .

حياها قائلاً : " إن من يشرفون على الموت ... " .

" لا تمزح " .

قال تيرنى : " ليتنى كنت أمزح " ، وأنزل غطاء الرأس على النصف الأسفل من وجهه ومد يده نحو مقبض الباب ، لكن بعد أن أمسك به ، تردد قليلاً واستدار نحوها ، ثم غطى فمه ببعض غطاء الرأس وقال : " إذا لم أستطع العودة ، سأندم أشد الندم لأننى لم أقبلك مرة واحدة " .

كانت عيناه زرقاوين ساحرتين كاللهيب . لم تستطع ليلى أن تحول نظرها عنه وهو يعيد وضع غطاء الرأس على أنفه . حين فتح الباب ، كان تيار الهواء البارد كالصفعة على الوجه ، لكن ذلك لم يدم طويلاً ، فقد جذب الباب مغلقاً إياه بإحكام بمجرد أن اجتازه .

اندفعت ليلى نحو النافذة وأزاحت الستار جانباً لكى يتسرب إليه الضوء عبر النافذة ، واستدار تيرنى ورفع لها إبهامه لأنها فكرت فى هذا . ذهبت ليلى إلى النافذة الأخرى وفعلت الشىء نفسه ، ثم كورت يديها ووضعتهما على عينيها وأخذت تنظر إليه عبر الزجاج المغطى بالصقيع . كان يضع قدمه بعناية فى كل خطوة حريصاً على أن تكون هناك أرض صلبه تحت قدمه قبل أن يضع كل ثقله على قدمه .

تسرب عن النوافذ بعض الضوء على المنطقة الموجودة أمام الكابينة مباشرة ، لكنه لم يكن ممتداً إلى مسافة كبيرة ، وتجاوزه تيرنى فى النهاية . مسحت ليلى بنفاد صبر السحابة التى

تكونت من أنفاسها على الزجاج البارد ، ورأت شعاع الكشاف يتحرك وسط الظلام .

وسرعان ما أصبحت عاجزة عن رؤية هذا الضوء الخافت .

وجدا كال هوكينز فى أحد الأماكن التى وصفها ويز .

كان المكان فى أغوار الغابة حيث ينتهى طريق طينى بسور من الطوب الصلب يبلغ ارتفاع مائتى قدم ، وكان المبنى المكون من طابق واحد بلا نوافذ والموجود فى سطح الجبل يشبه فى تفاصيله المعمارية علبة القرمشات .

فى منتصف الجانب الأمامى من المبنى كان هناك باب معدنى مصقول يعلوه مصباح ضوئى أصفر اللون ، بينما كان أمامه ثلاث شاحنات ضخمة لابد أنها موجودة فى مكانها منذ فترة ، والدليل على ذلك ما على زجاجها من مطر متجمد .

كان دتش قد قام بقيادة سيارته البرونكو عبر ميلين على الطريق المظلم الضيق الخطر للوصول إلى هناك ، لذا فقد كان فى حالة مزاجية تتسم بالشراسة حين دخل المبنى مع ويز . كانت الإضاءة خافتة ، بينما كانت سحب من الدخان تنتشر فى المكان وتشيع به رائحة نتنة . خطا الاثنان فوق بقع من الماء الممزوج بالتبغ على الأرض وهما يتجهان نحو الحانة الممتدة عبر الجوار المقابل .

وبدون مقدمات قال دتش : " كال هوكينز " .

أومأ النادل برأسه ذات الشعر اللزج دهنى المظهر ناحية إحدى الزوايا . كان هوكينز يجلس إلى إحدى الموائد المتهالكة واضعاً رأسه فوقها بينما سقط ذراعاه بلا حراك إلى جانبيه وهو

يصدر غطيطاً مسموعاً . قال النادل متطوعاً وهو يهرش إبطه من خلال قميصه المتسخ : " إنه على هذه الحالة منذ حوالى ساعة . فيم تريدانه ؟ " .

سأل دتش قائلاً : " ماذا كان يشرب ؟ " .

" شيئاً أحضره معه " .

أشار بإبهامه إلى المائدة الوحيدة الأخرى المشغولة والتى يجلس إليها ثلاثة رجال ملتحون عابسو الوجوه يلعبون الورق أسفل رأس محشو لدب أسود يكشر عن أنيابه معلق على الحائط .

همس ويز لـ " دتش " قائلاً : " إن الدب أذكى من هؤلاء الثلاثة جميعاً . آمل ألا تكون بندقيتك هذه للعرض فقط ، فبالتأكيد بنادقهم ليست كذلك " .

كان دتش قد رأى بالفعل البنادق الموضوعة بجانب الكراسى فقال لـ " ويز " : " احم ظهرى " .

" ثلاثة ضد واحد ؟ شكراً جزيلاً " .

اقترب دتش من المائدة التى كان هوكينز نائماً عليها . أرجع دتش قدمه إلى الوراء وركل الكرسى بكل قوة من تحت هوكينز .

سقط هوكينز بعنف على الأرض ، فنهض عن الأرض قابضاً يديه صائحاً : " اللعنة " ، لكن حين رأى شارة دتش ، تراجع ونظر إليهما نظرات زائغة . بعد ذلك ابتسم بسخرية قائلاً : " أهلاً دتش . حين كنت طفلاً اعتدت أن أراك تلعب كرة القدم " .

كشر دتش عن أنيابه قائلاً : " يجب أن أزج بك فى السجن أيها الحقير ، لكن مادمت واعياً بما يكفى لأن تكون غبياً ، فلابد أنك واع بما فيه الكفاية للعمل . وأنا أحتاجك " .

رد هوكينز قائلاً : " فيم ؟ " .

اقترب دتش بوجهه منه قائلاً : " ماذا تظن ؟ " ، فدهمته الرائحة المنبعثة من فمه فتابع دتش قائلاً : " إنك متعاقد مع المدينة لوضع الرمال على الطرقات فى أثناء العواصف الثلجية . إذن ، فماذا تظن يا عبقرى ؟ إننا الآن فى أوج إحدى العواصف . وأين أنت ؟ هنا فى مكان مجهول تفوح منك رائحة الخمر النتنة . لقد أضعت عدة ساعات حتى أصل إليك " .

انتزع ما تصور أنه معطف هوكينز من على ظهر أحد الكراسى وألقاه عليه . أمسك هوكينز بالمعطف فوق صدره ، فسعد دتش أن ردود أفعاله المنعكسة ليست منعدمة بشكل تام " .

" ستخرج من هنا حالاً ، وسنتبعك حتى المرآب حيث توجد شاحنتك التى تم ملؤها بالفعل وتنتظرك . هل المفاتيح معك ؟ " .

أدخل هوكينز يده فى جيب بنطاله الجينز الأزرق المبقع بالزيت وأخرج مجموعة من المفاتيح ومد يده بها نحو دتش قائلاً : " لم لا تأخذ المفاتيح و ـــــ "

" كان من الممكن أن أفعل ذلك ، إلا أنه ليس هناك شخص آخر له خبرة فى إدارة الشاحنة ، وأنت الشخص الوحيد الذى يمكن أن يقودها طبقاً لعقد التأمين . لا أريد المساءلة القانونية ، وكذلك بالنسبة لمجلس مدينة كليرى . سوف تقودها يا هوكينز . ولا تظن أنك من الممكن أن تبتعد عنى يا هوكينز ، فسأكون قريباً منك لدرجة تجعلنى أكسر عنقك . هيا بنا " .

قال هوكينز معترضاً ودتش يدفعه نحو الباب : " لا فائدة من ذلك . سأذهب معك أيها المأمور ، لكن في ظل انهمار الثلج بهذه الصورة سيكون أي شيء أضعه الليلة إهداراً للرمل الثمين . سيكلف هذه المدينة تكلفة مضاعفة ، لأنه سيكون من الضروري القيام به مرة أخرى حين تمر العاصفة " .

" هذه مشكلتي أنا ، أما مشكلتك الآن فهي ألا تضطرني إلى ضربك ضرباً مبرحاً بأن تنفذ ما أطلبه منك " .

كانت ليلي تترقب عودة تيرني بقلق ، وصاحت صيحة سعادة حين رأته يخرج مترنحاً من الظلام . كان يجر شيئاً ما وراءه ، وحين اقترب رأت أن ما يجره وراءه هو مفرش من البلاستيك عليه كومة من الخشب .

رفع تيرني المفرش البلاستيكي على السلالم متعثراً وفتحت ليلي باب الكابينة وأمسكت به من كم معطفه وجذبته إلى الداخل . أقبل تيرني ممسكاً بمقبض الباب هو البطانية التي يضعها على رأسه . كان شعر رموشه وحاجبيه مغطى مرة أخرى بالصقيع ، فقامت ليلي بشكل غريزي بمسحه عنه .

" أريد كوباً من الماء من فضلك " .

اندفعت ليلي إلى داخل المطبخ وملأت كوباً من وعاء تخزين المياه . لاحظت توقف التيار الضعيف النازل من الصنبور . لقد أحسنا صنعاً بملء الأوعية حين كان باستطاعتهما ذلك .

كان تيرني يجلس على الأرض بجوار الحائط وقد مد ساقيه أمامه ونزع قفازه وأخذ يجذب أصابعه محاولاً إعادة الدماء

إليها . جثت ليلى بجانبه ، وأخذ هو منها كوب الماء شاكراً وشربه عن آخره .

" هل أنت بخير ؟ بالإضافة إلى ما هو واضح من إصابات " .

أومأ برأسه لكنه لم يجب .

فى الأحوال العادية تأخذ الرحلة إلى المخزن حوالى ستين ثانية ، لكن طبقاً لساعة معصم ليلى كان قد خرج منذ ثمانية وثلاثين دقيقة ، وقد أخذت تلوم نفسها لأنها سمحت له بالذهاب .

قالت ليلى بكل صدق : " إننى سعيدة لعودتك " .

" سأذهب ثانية " .

" ماذا ؟ " .

رفع نفسه مستنداً إلى الحائط وهو يصيح من الألم ، إلى أن وقف على قدميه . لقد كان فى الحقيقة ، مترنحاً بشكل يوحى إلى من يراه أنه لا يمنعه من السقوط إلا أن كعبى حذائه مثبتان بمسامير فى الأرض .

" تيرنى ، لا يمكنك ذلك " .

قال تيرنى : " لو أحضرت حملاً آخر سيكون أفضل . لا أظن أن الأمر سيستغرق كل هذا الوقت هذه المرة " ، وارتدى قفازه مرة أخرى وتابع قائلاً : " إننى أعرف هذه المرة أين توجد الأشياء . لقد أنفقت معظم الوقت فى تحسس طريقى داخل المخزن " . وحدق أمامه للحظة قبل أن يهز رأسه وكأنه يريد أن يصفى ذهنه بهذه الهزة .

" لن تستطيع ذلك " .

أعاد وضع البطانية وغطاء الرأس قائلاً : " إننى على ما يرام " .

" أتمنى لو أننى أستطيع إقناعك بعدم الذهاب " .

ابتسم تيرنى ابتسامة مقتضبة قائلاً : " أتمنى لو أننى أستطيع ذلك أنا أيضاً " .

بعد ذلك جذب تيرنى غطاء على أنفه وخرج . شاهدته ليلى من خلال النافذة وهو ينقل الأخشاب على المفرش البلاستيكى إلى كومة خشب الوقود أسفل الجزء الناتئ من السقف . تابعت ليلى المراقبة حتى ابتلعته الظلمة مرة أخرى . حين عادت إلى داخل الغرفة ، فكرت فى طريقة أخرى لقضاء الوقت بشكل أفضل من الاكتفاء بالقلق .

وبأسرع مما توقعت ليلى ، سمعت صوت حذائه صاعداً السلالم ، وحين فتحت الباب رأته يجر قطعة الشمع المجملة بخشب الوقود إلى البهو . لقد كان الأمر مرهقاً ، وكان يتطلب كل قوته لأن الأخشاب كانت ضخمة . قالت له ليلى : " هل تذكرت إحضار الفأس ؟ " .

جاءها صوته من وراء غطاء الرأس الموضوع على فمه : " لم تكن هناك " .

" لقد رأيتها هناك منذ عدة أيام فقط " .

قال تيرنى باقتضاب وتأكيد لإسكاتها : " لم تكن هناك " .

قالت ليلى فى نفسها إن تيرنى لا يحب أن يعارض أحد كلمته أو سلطته فيما يبدو .

نظر تيرنى مقطباً جبينه إلى النار المشتعلة فى المدفأة .

قالت ليلى : " لقد فات أوان الجدل حول هذا الأمر " .

وضع تيرنى كومة من الخشب بين مصراعى الباب لتجف ، ثم نشر المفرش البلاستيكى فوقه واندفع داخلاً إلى الغرفة . جذبته ليلى نحو المدفأة قائلة : " يمكنك أن تستمع بدفء المدفأة " .

ألقى تيرنى البطانية عن رأسه ، ثم ذهب إلى حيث توجد المدفأة . وجثا على ركبتيه أمامها ، ثم نزع قفازه ومد يديه باتجاه اللهب قائلا : " لقد شممت رائحة الدخان المتصاعد من المدخنة وأنا قادم . كيف استطعت ذلك ؟ " .

" لقد وجدت بعض قطع الخشب الجافة نسبياً بالقرب من حائط البهو " .

" حسناً . أشكرك " .

" على الرحب والسعة " .

" إننى أشم رائحة قهوة أيضاً " .

قالت ليلى وهى تدخل إلى المطبخ : " كنت قد تركت علبة غير مفتوحة فى المجمد " ، لقد سطوت على بعض من ماء الشرب . أعرف ذلك ، لكننى صنعت فنجانين فقط . لا قشدة أو سكر " .

" لا أستخدمهما على أية حال " .

كان قد خلع معطفه وغطاء رأسه وحذاءه ووقف مولياً ظهره للنار حين أحضرت له الكوب الذى يتصاعد البخار منه . تابعت قائلة : " هل سيجعلك تشعر بالغثيان ؟ " .

قال تيرنى : " سأجرب حظى " ، وأطبق كلتا يديه حول فنجان القهوة ورفعه إلى شفتيه ، ثم توقف قائلاً : " أين فنجانك ؟ " .

ردت قائلة : " إنه لك ، فلقد فعلت ما يجعلك تستحقه " .

أخذ عدة رشفات من القهوة ، وهو يتلذذ بالطعم والدفء ، مصدراً أصواتاً خافتة تدل على سعادته ، ثم قال : " قد أتزوجك " .

ضحكت ليلى ضحكة متوترة وجلست في ركن الأريكة الأقرب إلى المدفأة واضعة قدميها ذات الجوارب تحت فخذيها ، وضمت البطانية إلى صدرها وكأنها تستمد منها الحماية . الحماية من ماذا ؟ لم تكن ليلى متأكدة . ربما من عيني تيرني اللتين كانتا دائماً تبدوان وكأنهما تتبعانها ، تخترقانها ، تعرفان عنها أكثر مما تعرف هي نفسها .

جلس تيرني أمام المدفأة ومد قدميه نحو النار .

ولتبديد الصمت ، سألت قائلة : " كيف حال رأسك ؟ " .

" بها دوار رهيب ".

" ألا زلت تشعر بالألم ؟ " .

" بعض الشيء " .

" إنني لا أرى أي دم جديد في شعرك ، لكن بعد أن ترتاح قليلاً ، يجدر بي أن أفحص الجرح مرة أخرى ".

أومأ تيرني برأسه لكنه لم يقل شيئاً ، في النهاية أخذت فنجان القهوة الفارغ منه ، ثم ذهبت إلى المطبخ لإعادة ملئه . وحين عادت بفنجان القهوة ، هز تيرني رأسه قائلاً : " هذا لك " .

" لقد صنعته من أجلك ".

" أنا مصر على أن تتناولي بعض القهوة أنت أيضاً ".

ارتشفت ليلى عدة رشفات وغمغمت شاكرة ثم أعطته الفنجان . وهى تعطيه الفنجان لست أصابعه بأصابعها ثم قال :
" إن هذا يشعرنى بشعور طيب أشكرك يا ليلى مرة أخرى ".
" شكراً لك على إحضارك خشب المدفأة ".
" على الرحب والسعة " .

عادت إلى وضعها السابق فى زاوية الأريكة ، وما إن استقرت حتى بدأ حواراً آخر بجملة خبرية محايدة ، حيث قال :
" إننى أعرف بأمر ابنتك " ، ولا بد أن دهشة ليلى لهذه الجملة كانت واضحة ، حيث هز كتفه فى هدوء خفيف : " لقد جمعت المعلومات من هنا وهناك ".
" ممن ؟ " .
" أهل كليرى . لقد كان هناك الكثير من الحديث عنك ، خصوصاً منذ أن عاد دتش ليصبح مأمور القسم . لقد بقيت علاقتكما موضوعاً ساخناً للنميمة حول إناء الصودا فى صيدلية ريت " .
" هل تقضى الكثير من الوقت هناك ؟ " .
" إننى أفعل كما يفعل الجميع هناك ".

قالت ليلى ساخرة : " هذه الشائعات هى محور حياة المدن . ولقد توقعت أن يتسبب انفصالى من دتش فى موجة من الشائعات والتخمينات ، فالنميمة تقتات على علاقات الزواج ، وحالات الحمل ، والعلاقات الغرامية وحالات الطلاق " .

قال بهدوء : " وحالات الموت ".

تنهدت قائلة : " نعم " ، ثم نظرت إليه وقالت : " ماذا يقولون عن موت آمى " ؟

" يقولون إنه كان مؤلماً " .

قالت ليلى : " حسناً ، ليس هذا من قبيل الإشاعات ، لقد كانت تبلغ من العمر ثلاث سنوات فقط حين ماتت هل تعلم ذلك ؟ " ، أومأ برأسه ، وتابعت هى قائلة : " كان ذلك منذ أربع سنوات وكان صعباً بالنسبة لى . إننى أفتقدها الآن لمدة أطول من المدة التى قضيتها معها " .

" لقد أصابها سرطان فى المخ ؟ " .

" صحيح مرة أخرى . إنه مرض لعين ، يتسلل إلى هدفه ولا يتركه إلا جثة هامدة . ظل لمدة طويلة غير ظاهر ، فلم تصب بشلل أو عمى جزئى أو تلعثم فى الكلام . لم يكن هناك تحذير من أى نوع لما تخبئه الأقدار . كانت آمى تبدو فتاة تامة العافية وكانت تلك هى الأخبار الجيدة ، وكانت هى الأخبار السيئة أيضاً ، فما كدنا ندرك أن هناك مشكلة حتى كان الورم قد غزا نصف مخها " .

تشبثت بحافة البطانية التى بيدها وهى تقول : " لقد قالوا لنا فى البداية إن مرضها لا يرجى شفاؤه ولا يجدى معه استئصال ، وأخبرنا الأطباء بأنه حتى باستخدام العلاج الكيماوى المكثف والعلاجات الإشعاعية يمكن مد حياتها لبضعة أسابيع أخرى فقط ، أو ربما لشهر أو شهرين ، لكنها ستموت " .

" اخترنا أنا و " دتش " ألا نعرضها للعلاجات المؤلمة ، فأخذناها إلى البيت وقضينا معها ستة أسابيع طبيعية نسبياً ، بعد ذلك حدث تغير سريع للورم اللعين ، فظهرت الأعراض وزادت الخطورة سريعاً إلى أن جاء صباح يوم كانت لا تستطيع فيه أن تزدرد عصير البرتقال ، وبحلول وقت الغداء ، أغلقت

بعض الأجهزة الأخرى منافذها . كانت ستقضي وقت العشاء فى المستشفى ، لو لا أنها ذهبت فى غيبوبة . وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى ، توقفت عن التنفس ، ثم دق قلبها دقته الأخيرة قبل أن تصعد إلى بارئها " .

نظرت إليه ثم إلى نار المدفأة : " لقد تبرعنا بجسمها للبحوث الطبية . معتقدين أن هذا ربما يؤدى إلى نتيجة طيبة ، فقد يمنع ذلك أطفالاً آخرين من مواجهة نفس المصير المؤلم ، هذا بالإضافة إلى أننى لم أكن أتحمل فكرة وضعها فى نعش محكم الغلق . فقد كانت تخاف من الظلام . لم تكن تنام دون أن يكون مصباحها الليلى مضاءً ، والمصباح له شكل جميل جداً ، ومازلت أحتفظ به وأضيئه كل ليلة بنفسى . عموماً لم أتحمل فكرة وضعها فى التراب " .

" لسنا مضطرين إلى الحديث عن هذا يا ليلى " .

قالت : " لا ، إننى بخير " . وهى تمسح الدموع عن وجنتيها " .

" ما كان يجب أن أثير الموضوع " .

قالت ليلى : " إننى سعيدة بأنك فعلت ذلك ، فمن الجيد بالنسبة لى فى الحقيقة أن أتحدث عنها ، عن آمي، وقد أكد لى الشخص المتخصص الذى يساعدنى لتجاوز أحزانى بأنه من الصحى بالنسبة لى أن أتحدث عن الأمر وأن أشير إلى آمى بالاسم " ، وواجهت نظرته الثابتة ثم تابعت قائلة : " ومن العجب أنه بعد موتها ، لم يعد يحدثنى عنها إلا قليلون ، ودون أن ينظروا فى عينى مباشرة ، يقولون لى القول بالإشارة إلى الأمر على أنه " خسارتى " أو " ، حزنى " ، أو " فترة حدادى "

لكن لا أحد بينهم ينطق اسم آمى بصوت عال . أعتقد أنهم يظنون أنهم يجنبوننى الحزن حين يتحاشون هذا الموضوع ، فى حين أننى أحتاج إلى الحديث عنه بالفعل " .

" ماذا عن دتش ؟ " .

" ماذا عنه ؟ " .

" كيف تعامل مع الأمر ؟ " .

" ماذا تقول أحاديث النميمة ؟ " .

" إنه بدأ يحتسى الخمور " .

ضحكت ليلى ضحكة مصطنعة قائلة : " إن أحاديث النميمة فى كليرى دقيقة بالفعل . نعم ، لقد بدأ يشرب بشكل مفرط ، وبدأ الأمر يؤثر فى عمله ، فبدأ يخطىء ، وهو أمر خطير بالنسبة له ولشركائه ، وأصبح غير جدير بالثقة . ولقد تم تحذيره بضع مرات ، ثم تم توجيه اللوم إليه بشكل رسمى ، وبعد ذلك تم سحب ترقيته ، وهو ما جعله يغوص فى المزيد من الوحل ويشرب أكثر وأكثر ، وبدأت الأمور تسير في رحلة سقوط لا رجوع منها ، وفى النهاية تم فصله " .

" لقد قال لى اليوم إنه لولا آمى لدام زواجنا إلى الأبد . ربما يكون محقاً . لقد فرق الموت بيننا . فرق موتها بيننا . يؤسفى أننا أصبحنا عبارة يتداولها الجميع عن الزوجين اللذين قضت مأساة فقدان طفلة على زواجهما . لقد غيرنا موت آمى بالفعل ، غيرنا كزوجين وغيرنا كشخصين ".

حولت نظرها من جمرات المدفأة إلى تيرنى قائلة : " هل حذفت شيئاً من الشائعة ؟ هل يعرف من يطلقون الشائعات شروط طلاقنا ؟ " .

" إنهم يحاولون ذلك . على أية حال ، فهم سعداء بعودة دتش إليهم " .

" ماذا يقولون عني ؟ " .

هزّ كتفيه دون أن يتلكم .

" تكلم يا تيرني . لم أعد أتأثر بسهولة ، ويمكنني تحمل ما ستقوله " .

" يقولون إنك طلبت الطلاق ، وأصررت عليه " .

" بما يجعلني امرأة غير وفية باردة القلب قاسية " .

" لم أسمع أحداً يقول هذا التعبير " .

قالت ليلى : " لكنهم قالوا أشياء قريبة من ذلك ، أنا متأكدة . إنني أتوقع من أهل كليرى الانحياز إلى ابن بلدهم " ، وحدقت في النار مرة أخرى ، وهي ترفع صوتها بأفكارها حين تأتي لها مباشرة ثم قالت : " إن طلاقي من دتش لم يكن قراراً اتخذته بدافع الغضب أو الغيظ ، بل كان ضرورياً لنجاتي ، فقد كان فشله في تجاوز موت آمي يمنعني من أن أتجاوزه أنا أيضاً " .

أرادت ليلى أن يفهم تيرني ما لا يفهمه أحد غيره فيما يبدو ، فقالت : " كنت قد أصبحت عكازه . كان من الأسهل له أن يعتمد عليَّ من أن يطلب المساعدة من المحترفين ويعالج نفسه . لقد أصبح بالنسبة لي مسئولية لم أعد أستطيع تحملها ولم أعد أستطيع مواصلة حياتي . لم تكن علاقتنا معاً سوية . كان من الأفضل لنا أن نبتعد عن بعضنا البعض رغم أن دتش مازال يرفض قبول فكرة انقضاء زواجنا " .

" هذا مفهوم " .

جاء رد فعلها شديداً وكأنه طعنها بحديدة المدفأة الملتهبة إلى درجة الاحمرار وهى تقول : " عفواً ؟ " .

" هل تلومينه لما حدث له من ارتباك ؟ " .

" لِمَ يجب أن يشعر بالارتباك ؟ " .

" أى رجل من الممكن أن يحدث له ذلك . لقد تم الطلاق بينكما . لا ، أنت من أصر على الطلاق . ومع ذلك حين حدثت لك مشكلة الليلة ، كان هو أول من اتصلت به " .

" لقد شرحت لك سبب اتصالى به " .

" لكن الأمر مازال عبارة عن إرسال إشارات مختلطة إلى زوج سابق " .

كانت قد أوضحت سبب طلبها المساعدة من دتش ، فما الذى يجعلها تهتم بمدى تصديق تيرنى لها ؟ قالت فى نفسها إنها يجب ألا تهتم ، لكن فى الحقيقة لقد أثر فيها انتقاده . نظرت ليلى فى ساعة معصمها دون أن تنظر إلى الوقت حقيقة وقالت : " لقد أصبح الوقت متأخراً " .

" هل أنت غاضبة ؟ " .

قالت ليلى : " لا ، إننى متعبة " ، وجذبت حقيبة يدها من على مائدة القهوة إلى حجرها ، وأخذت تعبث بداخلها .

" لقد تحدثت بما لا يجب " .

توقفت ليلى عما كانت تفعله ونظرت إليه قائلة : " نعم يا تيرنى . لقد فعلت ! " .

وبدلاً من أن يبدى أسفه واعتذاره ، كما توقعت ، تحدث بصرامة قائلاً : " حسناً ، هذا سيىء جداً يا ليلى . أتريدين أن تعرفى ما الذى يجعلنى أبقى فى مكانى هذا أمام المدفأة بدلاً من

أن أنضم إليك على الأريكة ؟ ما الذى يجعلنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً لراحتك، ولا أستطيع أن آتى إليك وأحتضنك حين بكيت على آمى ؟ ليس إلا لأننى أشعر بنفس الارتباك الذى يبدو أن دتش يشعر به فيما يتعلق بشعورك ناحيته " .

فتحت فمها لتقول شيئاً ، لكنها لم تجد الكلمات ، فخفضت بصرها وأخذت تبعث بإبزيم حقيبة يدها ثم قالت ببطه : " لا أريد أن يعود دتش إلى حياتى بأى صفة من الصفات . لكننى أظن أن مشاعرى غامضة . إننى أتمنى له تمنيات طيبة . لقد كان بطل كرة قدم ، وعادة ما كان يقوم باللمسة التى تتسبب فى فوز فريقه . هذا ما أتمناه له اليوم " .

" أية لمسة ؟ " .

" اللمسة التى تحرز عدداً كبيراً من النقاط . وهذا العمل أعطاه الفرصة ليبدأ من جديد ويعيد إثبات نفسه كشرطى جيد . إننى أتمنى له أن ينجح هنا أكثر من أى شىء آخر " .

ردد تيرنى كلماتها : " أكثر من أى شىء آخر ! " ، وفكر قليلاً ، ثم قال : " هذه عبارة قوية " .

" إننى أعنى ذلك " .

" إذن فإننى أعتقد أنك ستساعدينه بأى طريقة تستطيعينها لضمان هذا النجاح " .

" على الإطلاق للأسف ليس هناك ما يمكننى عمله " .

" قد تندهشين " .

وبهذه العبارة الملغزة نهض مغمغماً بكلمات الاستئذان فى الانصراف ودخل غرفة النوم ، وكان من المفترض أنه متجه إلى الحمام " .

راقبته ليلى وهو ينصرف ، شاعرة بعدم الارتياح وببعض الخذلان ، وكأن طبيبها المعالج قد أنهى مقابلته معها قبل أن تقول كل ما عندها . كانت سعيدة بأن تيرنى يعرف بالفعل أمر آمي ، بشكل جعلهما يتجاوزان الجزء الصعب . ولقد كان هذا الموضوع موضوعاً غير مناسب لحوار مع شخص مازالت فى طور التعرف إليه . إن ليلى لم تعلمه هى بالأمر ، رغم أنها كانت طوال الوقت ترغب فى ذلك لتفادى السؤال الحتمي : " هل لديك أطفال ؟ " ، والذى سيتطلب منها بالضرورة تفسير الأمر ، والذي بالطبع سيكون متبوعاً بعبارة : " يا إلهى ! إننى آسف جداً . لم أكن أعرف ما حدث ! " ، وهو ما يجعل الطرف الآخر يشعر بالحرج .

على الأقل فقد تجاوزت هى و " تيرنى " هذا الجزء غير المريح ، كما أنها قدرت له عدم الطنطنة بعبارات مبتذلة ، أو سؤالها عن شعورها حين ماتت آمي فى حين أن شعورها لابد أنه كان واضحاً عليها . لقد كان مستمعاً جيداً بشكل رائع .

لكن انشغاله بـ " دتش " وبعلاقتها الحالية معه قد بدأ يزعجها ، فـ " دتش " لم يعد أحد عوامل حياتها ، لكن من الواضح أن تيرنى غير مقتنع بذلك !

وإذا كان يريد أن يعرف رد فعلها إن أخذها بين ذراعيه ويحتضنها ، فلماذا لم يفعل ذلك ليكتشف بنفسه رد فعلها ، بدلاً من أن يتخذ من دتش ذريعة لعدم قيامه بذلك ؟

عاد تيرنى قائلاً : " إنك تبحثين فى حقيبة يدك منذ خمسة دقائق . عمّ تبحثين ؟ " ، ولم تكن ليلى قد أدركت بوقوفه عند نهاية الأريكة أنه يراقبها إلا حين تحدث .

ردت عليه قائلة : " دوائى " .

" دواؤك ؟ " .

" دواء الربو . لقد أحضرته من صيدلية ريت بالأمس " ، ثم تابعت قائلة بمرارة : " هو ، بالمناسبة ، أسوأ من يمشون بين الناس بالنميمة ، فحين كنت هناك بالأمس للحصول على جرعة مكررة من الدواء أمطرنى بوابل من الأسئلة عنى وعن دتش وعن طلاقنا وعن بيع هذه الكابينة . ولقد سألنى حتى عن الثمن الذى بعناها به . هل تصدق هذا ؟ " .

تابعت ليلي قائلة : " ربما يحاول فقط أن يكون ودوداً معى ، لكننى لا أستطيع منع نفسى من التفكير ... فى أن ... " . وأمسكت عن متابعة الحديث مشغولة بالبحث فى حقيبة يدها . وبنفاد صبر ، قلبت حقيبة اليد وأفرغت كل محتوياتها على مائدة القهوة .

كان بالحقيبة أدوات التجميل التى وجدت بها مقص العناية بالأظافر قبل ذلك ، وحافظة نقودها ودفتر شيكاتها وعلبة مناديل ورقية ، ولفافة من النعناع المعطر للأنفاس ، وشاحن هاتف خلوى ، وبطاقة مرور أمنية خاصة بمكتبها فى أطلانطا ، وميدالية مفاتيح ، ونظارة شمسية ، وصابونة لغسيل اليد .

كان كل شىء موجوداً فيما عدا ما كانت تريده .

نظرت إلى تيرنى فى خيبة أمل قائلة : " ليس هنا " .

الفصل

١٠

ركب دتش بالإكراه فى شاحنة الرمل الخاصة بـ " كال هوكينز " لأنه فى المقام الأول لا يثق بـ " هوكينز " فى أن يقوم بمجهود صادق لصعود طريق الجبل إذا تركه بمفرده ، وثانياً لأنه كان يريد أن يكون أول من يصل إلى الكابينة وأول من يدخل من الباب على ليلى كالفارس المطهم .

كانت رحلة العودة إلى المدينة من الكهف الذى عثر فيه ويز و " دتش " على هوكينز رحلة مرعبة ، فقد كانت الكبارى خطرة ، ولم تكن الطرقات أفضل حالاً منها . حين وصلوا إلى المرآب ، كان دتش قد صب عدة فناجين من القهوة المركزة فى جوف هوكينز الذى لم يتوقف عن السب واللعنة حتى هدده دتش بأنه سيضع سدادة فى فمه إذا لم يصمت ، وجعله بعد ذلك يكاد يلتصق بكرسيه .

كان صالون الشاحنة يشبه الخطيرة ؛ فقد كانت القمامة وعلب الطعام الفارغة المتروكة من الشتاء الماضى ملقاة على

الأرضية ، بينما كانت أغطية الكراسى الفينيل مقطوعة بشكل كشف حشو الكراسى المبقع : كما كانت هناك علبة مزيل للروائح الكريهة على شكل شجرة صنوبر تتدلى من مرآة الخلف مع قطعتين ضخمتين من قطع الطاولة ، وكانت علبة معطرات الجو لا تجدى نفعاً فى إخفاء الروائح المختلفة الموجودة .

كانت شاحنة وضع الرمال موجودة فى المكان الذى يحتوى على أسطول من المعدات الثقيلة والذى استأجره السيد هوكينز الأب لمجالس المدن وشركات المرافق العامة وفرق المعمار ، وكان ذلك عملاً ناجحاً بالنسبة له حتى مات وورثه كال الأصغر ، وكانت هذه الشاحنة كل ما تبقى من الشركة .

استخدم كال الأصغر أرصدة والده كضمانات لقروض فشل فى تسديدها ، وضاع كل شيء ما عدا هذه الشاحنة . ولم يكن دتش متعاطفاً مع مشاكل كال المالية ولا يهمه أن تقوم إحدى الجهات بأخذ الشاحنة فى اليوم التالى ما دامت ستوصله إلى قمة الجبل الليلة .

نظر دتش فى مرآة الجانب الخارجية فرأى سيارته البرونكو تتبع الشاحنة على بعد مسافة آمنة ، يقودها أحد ضباطه ، وهو صامويل ، حيث يتميز بقدرته على القيادة فوق مزيج الرمل والملح الذى يضعه هوكينز . ومع ذلك ، كان الطريق لا يزال خطراً . وبين الحين والآخر كان دتش يرى السيارة البرونكو تنحرف نحو الطين الموجود على جانب الطريق ، أو عبر بركة المياه القابعة فى المنتصف .

كان ويز راكباً مع بول . وقبل أن يغادرا المرآب ، قال له دتش إنه ليس مضطراً للحضور قائلاً : " عد إلى البيت . هذه مشكلتي أنا ، ليست مشكلتك ".

قال ويز صاعداً إلى السيارة البرونكو : " سأبقى معك لتقديم الدعم المعنوى لك " . وكان دتش سيحتاج إلى ذلك الدعم المعنوى فقط فى حالة فشل هذه المحاولة للوصول إلى ليلي ، ويبدو أن ويز كان يشعر بأن الفشل فى هذه الحالة لا يمكن تفاديه . وكذلك كان يشعر بول ، وهوكينز كان لديه نفس الشعور أيضاً ، فكان الشك يبدو واضحاً عالى النبرة فى كل ما يقولونه ، بينما كان دتش يشعر بإشفاقهم عليه فى كل نظرة ينظرونها إليه .

قال فى نفسه لابد أننى أبدو يائساً فى نظرهم . واليأس لا يليق بمأمور قسم ، أو لا يليق برجل ، فهو بكل تأكيد لا يزرع الثقة فى نفوس الآخرين ، وما نقلت هذه الحالة إلى هوكينز إلا الشعور بالخوف .

حين أصبحوا على بعد خمسين ياردة من المنعطف المؤدى إلى طريق لوريل الجبلى ، قال دتش : " إن شعرت بأنك تتوانى متعمداً ، فسأضعك فى السجن " .

" بأية تهمة ؟ " .

" تهمة إغضابى " .

" لا يمكنك فعل ذلك " .

" أنصحك ألا تختبر قدرتى على ذلك . افعل كل ما تستطيع تخيله ، هل تفهمنى ؟ " .

" نعم ، ولكن ـــــ "

" لا أعذار " .

ابتلت شفتا هوكينز ، وأمسك عجلة القيادة بمزيد من الإحكام مغمغماً : " لست أرى فائدة لذلك " . لكنه أبطأ من سرعته وهو يقترب من التقاطع .

كان المنعطف حاداً وخطيراً ينحدر الطريق عنده انحداراً شديداً . لكى لا يفقد هوكينز السيطرة ، كان عليه أن يجتاز الدوران ببطء لكن بسرعة تكفى للتعامل مع الانحدار .

شغل دتش جهاز الإرسال اللاسلكي الذى بيده قائلاً : " ارجع إلى الوراء يا بول . لا تقترب كثيراً " .

أجاب ويز من خلال السماعة قائلاً : " لا داعى للقلق بهذا الشأن يا صاحبى . هذه تعليماتى له بالضبط " .

قال هوكينز بصوت خفيض متحدثاً لنفسه أو للشاحنة : " أمر لطيف وسهل " .

قال دتش : " ليس بهذه السهولة . عليك أن تصعد ذلك المنحدر " .

" إنه أنا الذى لديه خبرة في قيادة هذا الشىء " .

قال دتش : " إذن ، تول القيادة ، لكن عليك بكل تأكيد أن تحرص على القيادة السليمة " ، تنفس بعمق خلسة واحتفظ بالهواء داخل صدره .

دخل هوكينز المنعطف حذراً ، واجتازته السيارة بلا مشاكل .

تنفس دتش الصعداء قائلاً : " الآن ، أعطها بعض الوقود " .

رد هوكينز : " إنه عملى أنا . يا إلهى ، إن هذا الطريق أكثر ظلاماً من الجبال المعتمة " .

كان الطريق السريع للولاية ، والذى يصل إلى شارع مين ستريت داخل كليرى ، محاطاً بأعمدة الإنارة حتى لافتة حدود المدينة عند كل من طرفى البلدة ، لكن بمجرد أن يخرج المرء عن المسارات المطروقة ، يجد الطرقات غير مضاءة ، ويجد الفرق واضحاً . لم تفلح أضواء السيارة فى إضاءة أى شىء سوى إظهار قوة الرياح والمطر المتجمد .

أخاف هذا الأمر هوكينز ، فأبطأ من السرعة .

قال دتش : " لا ! " ، فلأنه كان قد قام بالقيادة فى هذا الطريق ألف مرة ، كان يعرف أن هذه هى المرحلة التي يجب فيها زيادة السرعة لصعود أول منحدر ، فتابع قائلاً : " زد السرعة " .

ضغط هوكينز على المكبح قائلاً : " لا أرى شيئاً " . وجعل الشاحنة فى الوضع المحايد وتركها هكذا بينما أخذ يمسح وجهه بكم معطفه . ورغم البرودة التى تؤدى إلى التجمد ، فقد كانت هناك حبات من العرق على جبهته لها رائحة كريهة .

أصر دتش على أسنانه قائلاً : " شغل الشاحنة " .

" أعطنى دقيقة واحدة حتى تعتاد عينى الظلام . كل هذه الأشياء التى أمامى تجعلنى أشعر بالدوار " .

" لا دقيقة . الآن " .

حدق هوكينز فيه قائلاً : " هل تسعى إلى الموت أم ماذا ؟ " .

" لا ، لابد أنك أنت الذى تسعى إليه ، لأننى سأقتلك إن لم تشغل هذه الشاحنة خلال خمس ثوان " .

" لا أظن أنه من المفترض أن يهدد مأمور القسم المواطنين بهذه الطريقة " .

" واحد " .

جاءهما صوت ويز خلال جهاز الإرسال والاستقبال قائلاً : " ما الذى يحدث عندكما ؟ " .

قال دتش : " اثنان " ، وضغط على زر جهاز الاستقبال قائلاً : " إن كال يفكر فى الطريقة المثلى لصعود المنحدر " . ثم أغلق الجهاز وقال : " ثلاثة " .

بدا صوت ويز قلقاً وهو يقول : " دتش ، هل أنت واثق بهذا الشأن ؟ ربما يجدر بك إعادة التفكير فى الأمر " .

" أربعة " .

" إن بول يستطيع بالكاد إبقاء السيارة على هذا الطريق ، وهو يقود على الرمال . إننا لا نكاد نرى أكثر من غطاء السيارة " .

سحب دتش المسدس من جرابه قائلاً : " خمسة " .

وضع كال عصا السرعة فى السرعة الأولى قائلاً : " اللعنة ! " .

قال دتش فى جهاز الإرسال والاستقبال : " كل شىء على ما يرام يا ويز . ها قد سرنا " . قالها بهدوء بدا له جديرا بالملاحظة .

قبض كال على المقبض وضغط على الدواسة ، فتحركت السيارة إلى الأمام لبضع أقدام .

قال دتش : " سيكون عليك زيادة السرعة قليلاً ، وإلا فلن يفلح الأمر " .

" إن لدينا حملاً ثقيلاً ، لا تنس ذلك " .

" إذن يجب التعويض " .

أومأ هوكينز ونقل الشاحنة إلى السرعة الثانية ، لكنه بمجرد أن زاد السرعة ، بدأت الإطارات الخلفية تدور فى الهواء بلا فائدة .

" لن يفلح هذا " .

" لا تيأس " .

" لن يحدث ـــــ "

" واصل المحاولة . زد السرعة ! " .

غمغم هوكينز ببعض الأدعية ، ثم فعل كما أمره دتش . ودارت الإطارات فى الهواء ، لكنها وجدت طريقها بعد ذلك ، فتقدمت الشاحنة إلى الأمام .

قال دتش : " أرأيت ؟ " ، قالها بارتياح أكبر مما كان ينوى إظهاره .

" نعم ، لكن علينا أن نصعد هذا المنحدر الأول " .

" يمكنك عمل ذلك " .

" يمكننى أيضاً أن أدخل بالسيارة فى الجحيم ، لأننى لا أرى أى شيء . إننى لا أريد أن أسقط من على هذا التل فى هذه السيارة الملعونة . بحيث أكون رأساً على عقب " .

تجاهله دتش الذى كان يشعر بالعرق تحت ملابسه أغزر حتى من هوكينز . وركز دتش على الضوء المنبعث من المصابيح الأمامية ، وكان يعلم أن هوكينز محق ، فما كان لديه شك فى خطر قيادة شاحنة بهذا الحجم والصعود بها على طريق جبلى تغطيه الثلوج حين تكون الرؤية محدودة إلى بضع أقدام . كان

المطر المتجمد المنهمر قد غطى بالفعل الرمال التى وضعتها الشاحنة لتوها . لاحظ دتش أن بول لم يتقدم بالسيارة البرونكو عن المنعطف ، ولابد أن الاثنين اللذين بها - أقرب أصدقائه وأحد مرءوسيه - يناقشان غباءه الأعمى . لا يمكنه أن يشغل باله بآرائهما .

واصلت الشاحنة صعودها متذمرة على المنحدر الذى يبلغ ميل انحداره زاوية قدرها عشرون درجة . كان السير بطيئاً ، لكن دتش ظل يقول لنفسه إن كل بوصة يتقدمها تقربه من ليلى ، وتيرنى .

من بين كل الرجال ، ألم يكن هناك سوى هذا الرجل لتصبح فى هذا الموقف معه ؟ لقد كانت فكرة وجودها وحدها مع أى رجل فى الكابينة تصيبه بالجنون ، فما بالنا وهى هناك الآن مع رجل كانت تحدق فيه بشغف بالأمس فقط .

لقد رأى دتش النساء الآخريات ، الشابات منهن والعجائز ، يهمن بـ " بين تيرنى " ، ويذبن لدى رؤية جسده الصلب ، وفكه القوى ، ولابد أن يعلم جيداً أنه يجذب النساء .

لابد أنه يتخيل نفسه فحلاً لا نظير له ، فبحثه عن الإثارة ومغامراته وصوره التى تنشرها المجلات ، كلها عوامل تمنحه رخصة مجانية لإقامة علاقة مع أية امرأة يختارها .

ركوب الزوارق ، رائع .

أزاح دتش أفكاره المريرة جانباً وقال : " استعد يا هوكينز . إننا نقترب من أول طريق منحدر " .

" نعم " .

" ربما عشر ياردات أخرى " .

" ليست هناك أية فرصة لوصولنا إلى هناك " .

" إذا كنت تعلم ما هو فى صالحك ، فسنصل " .

لعدة ثوان بعد ذلك اعتقد دتش أنهم سيصلون فعلاً ، وربما كان يريد حدوث ذلك إلى درجة أنه رآه قد حدث بالفعل . لكن التفكير الإيجابى لم يعطل قوانين الطبيعة . فلكى يتجاوزا دوران هذا الطريق بشكل ما ، كان على كال أن يخفض السرعة . وحين فعل كال ذلك ، لم تكن سرعة الشاحنة كافية لصعودها المنحدر ، فتوقفت . وبدا أنها ستظل بلا حراك إلى أبد الآبدين . أمسك دتش أنفاسه . بعد ذلك بدأت الشاحنة ترتد إلى الخلف .

نوح هوكينز كالنساء .

" زد السرعة أيها الأحمق ! " .

حاول هوكينز . لكن بدا لـ " دتش " أن مجهوداته ليست بالقدر المطلوب للتغلب على الجاذبية الأرضية . فى كل الحالات ، لم ينجح هوكينز فى أى شىء فعله ، سوى فى جذب الفرامل بالتدريج بشكل جعل الشاحنة تتوقف فى النهاية عن مواصلة الانحدار إلى أسفل والخروج عن الطريق .

حين توقفت الشاحنة فى النهاية ، تنفس هوكينز الصعداء قائلاً : " اللعنة . لقد كدنا نهلك " .

" حاول مرة أخرى " .

أدار هوكينز رأسه سريعاً بشكل جعل عروق رقبته تبرز كحبات الفيشار .

ثم قال : " هل جننت ؟ " .

" شغل الشاحنة وحاول مرة أخرى " .

هز هوكينز رأسه ككلب مبتل قائلاً : " لا فائدة . يمكنك أن تخرج مسدسك مرة أخرى وتصوبه بين عينى ، لكن على الأقل ستكون هذه ميتة سريعة . أفضل من أن تنهرس أمعائى تحت الشاحنة وأطنان الرمال . لا ، شكراً يا سيدى . يمكنك أن تنتظر حتى يزول هذا الثلج ، أو تقود الشاحنة بنفسك . لا يهمنى أى شئ سوى أننى لن أقوم بهذا ! " .

حاول دتش أن يحملق فيه لإرهابه وحمله على الانصياع ، لكنه حدق فيه هو الآخر بعينيه المحمرتين إحمرار الدم ، وفكه المتدلية إلى الأمام بشكل بغيض . شعر الاثنان بالمفاجأة حين طرق شخص النافذة المجاورة لمقعد الراكب .

نظر إليهما ويز من الخارج قائلاً : " هل أنتما على ما يرام بالداخل ؟ " .

رد دتش من خلال الزجاج قائلاً : " إننا بخير " .

صاح هوكينز قائلاً : " لست أظن ذلك " .

حين صعد ويز إلى باب الشاحنة وفتحه ، شعر على الفور بخوف هوكينز ، فقال : " ماذا يحدث ؟ " .

أشار هوكينز بأصابع مرتجفة إلى دتش قائلاً : " لقد سحب مسدسه وهددنى به ، وقال إنه سيقتلنى إذا لم أصعد به هذا الجبل . إنه مجنون كفأر فى مصيدة " .

حول ويز نظرته غير المصدقة ناحية دتش الذى قال فى صوت مرهق : " لم أكن لأطلق النار عليه . كنت أريد فقط إخافته كى يبذل أقصى جهد لديه " .

نظر إليه ويز عن كثب للحظة ، ثم خاطب هوكينز بصوت خفيض سرى قائلاً : " إن زوجته فى الكابينة هناك بأعلى الجبل مع رجل آخر " .

لبث هوكينز حتى استوعب الأمر ، ثم نظر إلى دتش ، وقد أصبح يراه فى ضوء آخر ، قائلاً : " ياه يا رجل . إن هذا مؤلم " .

إن المؤلم حقاً هو أن يكون المرء محل شفقة أمثال هوكينز .

قال ويز : " كال ، هل تظن أن بإمكانك الرجوع بسيارتك إلى الطريق الرئسى ؟ " .

قال هوكينز ، وقد جعله التعاطف على دتش أكثر تجاوباً ، إنه سيحاول . رجع هوكينز - بمساعدة الآخرين - بالشاحنة إلى الطريق السريع ودار فى اتجاه المدينة . أمر دتش بول بالركوب مع هوكينز ، منبهاً إياه إلى أن يكون حذراً ولا يسمح له بعمل أى شىء يقضى على استخدام الشاحنة فى المستقبل .

قال دتش وهو يتبع الشاحنة فى السيارة البرونكو : " لن أسمح له بتدمير الشاحنة عامداً متعمداً حتى لا يضطر إلى المحاولة مرة أخرى فى الغد " . ثم أصر على أسنانه وهو يقول : " هذا الوغد الجبان السكران " .

قال ويز : " إن نهاية كال هوكينز الأصغر لن تمثل خسارة كبيرة ؛ لكن ألا تظن يا دتش أنك تجاوزت التصرف بعقلانية حين صوبت المسدس نحوه ؟ " .

" هل كان يجب عليك أن تخبره بأن ليلى مع رجل آخر ؟ سيشيع الأمر فى البلدة كلها قبل فجر الغد ، ولا يعلم إلا الله ما

سيقولونه عما تفعله ليلى مع تيرنى للشعور بالدفء ولتمضية الوقت . أنت تعرف كيف تعمل عقول هؤلاء الناس " .

" بل إننى أرى كيف يعمل عقلك أنت " .

صوب إليه دتش نظرة غاضبة .

تابع ويز قائلاً : " بالإضافة إلى أننى لم أذكر تيرنى بالاسم . كل ما يعرفه هوكينز هو أنها حُبست مع شخص غريب " .

" جميل ! " .

" اسمع ، لقد أخبرته لأن هذا موقف يستطيع أن يفهمه ، لكن أتظنه يفهم القيادة إلى أعلى الجبل وسط هذه العاصفة لإنقاذ مواطنة فى مأزق ؟ إنه لا يفهم هذا الشعور بالواجب ، لكن الذهاب وراء امرأتك التى مع رجل آخر يفسر له أى تصرف طائش ، مثل تهديده بالمسدس مثلاً ".

لم يقولا شيئاً آخر حتى وصلا إلى المرآب ، فطلب دتش من بول العودة إلى المقر الرئيسى ليرى ما إذا كان مطلوباً هناك ، فإن لم يكن مطلوباً فيمكنه الذهاب إلى البيت . قال الضابط بارتباك : " سأفعل يا سيدى " ، ونظر إلى الأرض ، ثم تابع قائلاً : " آسف بشأن عدم تمكننا من الوصول إلى زوجتك " .

قال دتش باقتضاب : " أراك غداً " .

اتجه الضابط نحو سيارة الشرطة ، وكان هوكينز يصعد بالفعل إلى شاحنته حين لحق به دتش قائلاً : " أول شىء سأفعله فى صباح الغد هو البحث عنك ، ومن الأفضل بالنسبة لك أن أصل إليك بسهولة " .

" سأكون بمنزلى . أتعلم لمين يكون ؟ " .

" سأمر عليك عند الفجر ، وإن وجدتك سكراناً أو تعانى آثار الشراب حين أصل إليك فستتمنى لو أننى كنت قد أطلقت النار عليك " .

تبع دتش وويز شاحنة هوكينز فى خروجها من المرآب ، ولم يكن مدهشاً أن يكون أحد مصابيحها الخلفية مفقوداً . قال دتش حين انفصل عنهما هوكينز فى أحد المقاطعات : " يجب أن أستخرج تصريحاً رسمياً بإحضاره " .

حين وصل الاثنان إلى بيت عائلة هامر ، قال ويز : " اسمح لى بالنزول عند نهاية ممشى السيارات ، فلا داعى للدخول " .

أوقف دتش السيارة البرونكو ، وظل الاثنان صامتين لعدة لحظات . ثم حدق ويز بانقباض خلال حاجب الرياح وقال أخيراً : " لا يوجد ما يشير إلى هدوء العاصفة ، أليس كذلك ؟ .

لعن دتش الثلج والمطر المتجمد المنهمرين وقال : " سأصعد إلى هناك فى الغد ، وإن استدعى الأمر أن ينبت لى جناحان للطيران بهما " .

قال ويز : " هذا بالضبط ما قد تضطر إليه . إلى أين ستذهب الآن ؟ " .

" سأتجول بالمدينة بعض الوقت لأراقب ما يدور " .

" لم لا تأخذ راحة الليلة يا دتش ؟ خذ قسطاً من النوم " .

" لن أستطيع إن حاولت . إن جسدى يموج بالأدرينالين والكافيين الآن " .

تفحصه ويز للحظة قبل أن يقول : " لقد رشحتك لهذا العمل " .

استدار دتش ونظر إلى صاحبه بشدة قائلاً : " هل أنت نادم على ذلك ؟ " .

" لا . ولكنى لا أحتاج إلى أن أخبرك بأن مستقبلك يعتمد بقوة على نجاحك هناك " .

" اسمع ، إذا كنت تعتقد أننى أهمل فى عملى ـــــ "

" لم أقل ذلك " .

" إذن فماذا تقول ؟ " .

" أقول إن سمعتك فى الميزان ، وكذلك سمعتى " .

" وأنت دائماً تجيد تغطية ظهرك ، أليس كذلك يا ويز ؟ " .

رد ويز غاضباً : " بالفعل أنا كذلك " .

تذمر دتش قائلاً : " لقد كان لاعبو الهجوم ضخام الجثة دائماً ما يعوقنك ، وحين لا يفعلون ذلك كنت تحيل حياتهم إلى جحيم ، وكنت أنا الذى أتقدم لأتلقى الأذى على أيدى لاعبى الدفاع الذين كان عنق الواحد منهم أضخم من خصرى ، ولم تكن تهتم بما يصيبنى من الأذى مادمت لا تتعرض أنت له " .

وحين أدرك دتش تفاهة ما يقوله بالحديث عن أيام لعب كرة القدم ، توقف عن إبداء المزيد من التعليقات . إن ما قاله ويز كان يمثل الحقيقة المؤسفة بعينها ، وهو يعرف ذلك ، لكن ضايقه فقط أن يسمعها .

قال ويز بنبرة صوت متزنة : " دتش . نحن لا نلعب لعبة الأقراص والكأس الآن ، ولا حتى كرة القدم . إن فى بلدتنا الصغيرة شخص مجنون غريب الأطوار يختطف النساء . اختطف خمسة منهن حتى الآن ، ولا يعلم أحد ما يفعله بهن إلا الله .

إن الناس خائفون متحفزون ، يتساءلون عن عدد ضحاياه قبل أن يتم الإمساك به " .

" ماذا تعنى ؟ " .

" أعنى أننى لم أرك تجهد نفسك فى حل أزمة بلدتنا مثلما تفعل بشأن وجود ليلى محبوسة فى كابينة لطيفة دافئة فى أمسية عاصفة ! بالتأكيد أنت قلق بشأنها . حسناً ، يمكن تبرير بعض القلق ، لكن بالله عليك وازن الأمور " .

تكلم دتش بصوت هادىء يتناقض مع البركان الذى يغلى بداخله قائلاً : " لا تعظنى يا سيادة رئيس مجلس المدينة ، فلست ممن يتمسكون بالأخلاق بشكل كبير يا ويز " . ولكى يجعل ما يعنيه واضحاً أضاف قائلاً : " خصوصاً فيما يتعلق براحة النساء " .

الفصل ١١

" **هل أنت مصابة بالربو ؟** " .

أدارت ليلى يدها في داخل حقيبة يدها الفارغة وهى تعلم أنه لا جدوى من ذلك وهي تقول : " ربو مزمن ، من النوع الذى لا تسببه الحساسية " . لم تكن الحافظة الصغيرة التى تضع فيها ليلى دواءها داخل حقيبة اليد . دفعت ليلى أصابعها فى شعرها بقلق ثم احتوت فمها وذقنها فى يدها وقالت : " أين تكون ؟ " .

" أنت لا تعانين من نوبة ربو الآن " .

" إننى أتناول الدواء لمنع تلك النوبات ، فهناك بخاخة استنشق منها ، وهناك قرص أتناوله " .

" وبدونهما ـــــ "

" من الممكن أن أصاب بنوبة ربو ، وهو ما سيكون أمراً غير طيب ؛ حيث إننى ليس معى موسع الشُعب الخاص بى " .

" موسع ـــــ "

قالت بنفاد صبر : " موسع الشُعب عبارة عن بخاخة تستخدم فى النوبات " .

" لقد رأيت أناساً يقومون بهذا " .

قالت ليلى : " بدونها لا أستطيع التنفس " ، ثم نهضت ودارت تروح وتجىء فى دائرة مغلقة وهى تقول : " أين تلك الحافظة ؟ إنها بهذا الحجم " ، ورفعت أصابعها ، موسعة بينها بمقدار ست بوصات وتابعت قائلة : " من الحرير الأخضر ، عليها خرزات بلورية . أهدتنى إياها إحدى العاملات معى فى العيد الماضى ، وكانت قد لاحظت أن الحافظة التى أستخدمها بالية " .

" ربما تركتها ـــــ "

حتى قبل أن ينتهى من جملته ، كانت ليلى تهز رأسها مقاطعة وتقول : " إنها دائماً فى حقيبة يدى يا تيرنى . دائماً . لقد كانت فيها بعد ظهر اليوم " .

" هل أنت متأكدة ؟ " .

قالت ليلى : " بالطبع . إن استنشاق الهواء البارد قد يتسبب فى إحدى النوبات ، لذا فقد استخدمت البخاخة قبل مغادرتى الكابينة " ، وبدأ توترها يزيد لحظة بعد أخرى ، فشبكت يديها فى توتر وقالت : " لقد كانت فى حقيبتى بعد ظهر اليوم . لكنها ليست بها الآن ، إذن فماذا حدث لها ؟ " .

" اهدئى " .

انفجرت فى وجهه غاضبة لعدم مقدرته على فهم سبب ذعرها ؛ فهو لا يعرف كيف يكون الأمر حين يلهث المرء لالتقاط

الأنفاس وهو يخشى أن يصبح غير قادر حتى على فعل ذلك ، وقالت : " لا تطلب منى أن أهدأ . أنت لا تعلم ـــــ "

أمسك تيرنى بها من كتفيها وهزها هزة خفيفة قائلاً : " صحيح . أنا لا أعرف أى شىء عن الربو إلا أن الهيستريا ليست مفيدة لك . إنك تدفعين نفسك إلى الجنون . اهدئى الآن " .

أخافتها نبرة صوته الصارمة ، لكنه بالطبع كان محقاً . أومأت له برأسها وخلعت نفسها من بين يديه قائلة : " حسناً ، لقد هدأت " .

" لنرجع إلى الوراء . لقد استخدمت البخاخة وأنت تغادرين الكابينة ، أليس هذا صحيحاً ؟ " .

" بينما كنت خارجة من الباب لآخر مرة ، بعد ذلك وضعتها مرة أخرى فى حقيبة يدى . أتذكر الآن أننى أخذت أعبث بقفل الحقيبة لأننى كنت أرتدى القفاز ، وحتى إن كنت قد تركتها بطريق الخطأ ، فستكون فى هذه الغرفة . لقد فتشنا كل بوصة مربعة من هذه الكابينة . إنها ليست هنا ، وإلا لرآها أحدنا " .

" لقد سقطت حقيبة يدك وكانت معلقة فى لوح داخل السيارة وذلك عندما ارتطمت بسيارتك فى الشجرة ، هل تذكرين ذلك ؟ " .

لا ، إنها لم تتذكر ذلك إلا الآن . صاحت قائلة : " بالطبع . لابد أن الحافظة قد سقطت عندئذٍ . لابد أنها كانت فوق كل محتويات الحقيبة لأننى كنت قد وضعتها فى الحقيبة فحسب " .

" إذن فهذا هو التفسير الوحيد المنطقى . حين أخذت حقيبة يدك من على أرضية السيارة ، هل تحققت من وجود حافظة الدواء بها ؟ " .

" لا . لم يخطر ببالى أن أبحث عن أى شيء من الممكن أن يكون قد وقع على الأرض . كان عقلى مركزاً على المشكلة التى نمر بها " .

" فى ظل الظروف العادية ، متى ستحتاجين إلى الأدوية مرة ثانية ؟ " .

" قبل النوم . إلا إذا أصابتنى إحدى النوبات ، ففى هذه الحالة سأحتاج إلى البخاخة بشكل فورى " .

فهم تيرنى ذلك ، ثم قال : " إذن سيكونْ علينا أن نفعل كل ما بوسعنا لمنع إصابتك بإحدى النبوات . ما الذى يسبب تلك النبوات بجانب استنشاق هواء بارد ؟ وبالمناسبة ، كيف استطعت السير صاعدة التل وأنت تكادين تحملينني ولم تصابى بالنوبة ؟ " .

قالت ليلى : " إن الدواء يكون له مفعول طيب فى منعها . إذا تصرفت بعقلانية وتناولت دوائى ، يمكننى أن أفعل أى شيء أريده ، مثل ركوب الزوارق على سبيل المثال " ، وابتسمت ابتسامة واهنة .

" لكن الوصول إلى هنا فى أعلى الجبل أتعبنى بالفعل يا ليلى ، فكيف فعلت أنت ذلك ؟ " .

قالت ليلى : " ربما أكون قد اكتسبت قوة تفوق القوة البشرية ! " ، ولكى يفهم تيرنى المزحة شرحت له الأمر قائلة : " حين كنت راقداً على الطريق ، وكنت أنا أهرول لإحضار

البطانية وما إلى ذلك ، تعجبت من سبب عدم شعورى بارتفاع نسبة الأدرينالين التى من المفترض أن يمر به الناس فى مواقف الأزمات " .

" ربما يكون قد حدث هذا ، وكل ما فى الأمر هو أنك لم تشعرى به " .

" من الواضح ذلك . عموماً ، فالنوبات تنتج عن الجهد الزائد ، بكل تأكيد ، بالإضافة إلى مثيرات الحساسية مثل : الغبار ، والفطريات ، وتلوث الهواء ، وأنا لا أتعرض لأى من هذه الأشياء فى هذا المكان المرتفع ، خصوصاً فى الشتاء . لكن لايزال الضغط أحد الأسباب ؛ فقد تنتج نوبات الربو عن الضغط " .

واصلت ليلى قائلة : " بعد أن ماتت آمى ، كنت أعانى من كثرة النوبات بسبب إفراطى فى البكاء . بعد ذلك قلت النوبات بمرور الوقت بالطبع ، لكن يجب أن أتفادى الإجهاد " . وابتسمت له ابتسامة تمنت أن تبدو له دالة على الشجاعة ، ثم تابعت قائلة : " إننى واثقة من أننى سأكون بخير ، فقد لا يهمني عدم تناول بضع جرعات من الدواء " . نظر تيرنى إليها مفكراً ، ثم نظر إلى الباب وقال : " سأذهب إلى السيارة وأعود به " .

قالت : " لا " ، وأمسكت به من كمه وكأنها تمسك بآخر نفس فى الحياة ، فالأسوأ من ألا يكون الدواء فى متناول يدها هو ألا يكون الدواء كذلك وهى تعانى من إحدى النوبات وحدها .

بعد موت آمي بقليل ، أصابتها إحدى النوبات فى أثناء الليل ، وكان صوت لهاثها مرتفعاً لدرجة أنه أيقظها من النوم ، ثم بدأت تسعل مخرجة أبشع مخاط رأته ، حيث كانت قنواتها الهوائية مسدودة بالكامل تقريباً قبل أن تستنشق الدواء الذى أنقذ حياتها .

لقد كانت تلك نوبة مخيفة بشكل خاص لأنها كانت وحدها . لم يكن دتش قد عاد إلى البيت فى تلك الليلة ، ولم يكن قد اتصل ليخبرها بأنه سيتأخر ، فبعد أن نفدت أعذاره الواهية ، وجد أنه من الأسهل ألا يتصل على الإطلاق ليتذرع بذريعة كاذبة .

يئست ليلى فى النهاية من انتظاره وذهبت إلى الفراش ، وتتذكر الآن أنه ربما كان من الأفضل فى تلك المرة ألا تستخدم البخاخة فى الوقت المناسب ! أو أنها لم تكن كافية لتنقية قنواتها الهوائية ! أو أنه عاد إلى البيت ليجدها مختنقة بينما كان هو مع امرأة أخرى .

حين أدركت أنها لاتزال ممسكة بكم تيرنى بقبضة مستميتة ، تركته قائلة : " لا يمكنك الذهاب إلى السيارة والعودة دون أن تنهار . ستكون فى الخارج ضالاً الطريق أو متجمداً أو فاقداً الوعى ، وسأظل أنا هنا بدون دوائى . سيكون الأمر أسوأ ، لا أفضل " .

أخذ تيرنى نفساً عميقاً وأخرجه ببطء ثم قال : " للأسف فأنت محقة . سوف أضطر إلى تأجيل الذهاب حتى يصبح لا خيار لدينا سوى ذلك " .

قالت ليلى : " إن حدث ذلك ، فلا تذهب دون أن تخبرنى " ، وكانت تشعر بالحرج لتفجر المشاعر بداخلها ، لكن كان من المهم جداً بالنسبة لها أن يفهم ذلك . تابعت قائلة : " لقد عشت مصابة بالربو طيلة حياتى ، لكن مازلت أخشى إلى حد الرعب الإصابة بنوبة حادة . يهمنى أن أكون وحدى مادمت بخاخة الطوارىء قريبة منى ، لكن الأمر ليس كذلك . لا أريد أن أستيقظ من النوم لاهثة الأنفاس أبحث عن الهواء وأجد نفسى وحيدة هنا يا تيرنى . عدنى بذلك يا تيرنى " .

تعهد لها بهدوء قائلاً : " أعدك " .

انهارت قطعة من الوقود بالمدفأة مثيرة سحابة من الشرر إلى أعلى المدفأة . تركته ليلى وذهبت إلى المدفأة لتقليب قطع الجمر أسفل الشبكة الحديدية .

" ليلى ؟ " .

ردت ليلى قائلة : " نعم ؟ " ، ولما لم يجب عليها تيرنى ، أدارت رأسها قائلة : " ماذا ؟ " .

ما رأيك فى أن ننام فى غرفة واحدة ؟ " .

* * *

قضت ماريلى ريت أمسيتها مسترخية .

رغم أن الأمر لم يُعلن رسمياً ، كانت ماريلى تعرف أنه لن تكون هناك دراسة فى الغد ، فحتى إن تمكنت الحافلات من السير ـ وهو ما لن يحدث ـ ستتكلف إدارة المدرسة مبالغ طائلة لتدفئة المبانى فى مثل هذه البرودة .

ومع ذلك ، يبدو أن المدير كان مستمتعاً بإعلام الجميع بالإجازة فى آخر لحظة ممكنة ، وعادة ما يكون ذلك فى الصباح قبل الموعد الذى يدق فيه الجرس بساعة واحدة ، فقد كان هذا أسلوبه في ممارسة سلطته لحرمان الجميع من مواصلة النوم .

وبدلاً من أن تقوم ماريلى بتصحيح الكراسات ، وهو ما كانت تفعله عادة فى المساء ، جلست تشاهد أحد أفلام الفيديو التى أحضرتها إلى البيت من الصيدلية ، وكانت البطولة النسائية لامرأة لا شخصية لها ، أما البطل فكان شريراً لا يتصف بأية خصلة من خصال الخير ، لذا كانت ميزة الفيلم تتمثل فى الكيمياء الموجودة بين الممثلين الذين يتسمون بنفس القدر من الجاذبية ، والأغنية الجيدة التى غناها ستينج لها . إذن فما أهمية أن تكون القصة غير محبوكة أو يكون الحوار مملاً ؟ إنها لا تشاهد قصة لـ " ديستوفيسكى " ، بل تتفرج من أجل المتعة والترويح عن النفس ، ولقد استمتعت .

تجولت ماريلى بالمنزل وتأكدت من إطفاء كل الأضواء وإغلاق كل الأبواب ، ثم ألقت نظرة على باب غرفة نوم ويليام فلم تجد ضوءاً يأتى من ورائه ، فخمنت أنه قد أوى إلى فراشه منذ ساعات ، فقد كان يبكر فى النوم ويبكر فى الاستيقاظ . دخلت ماريلى غرفة نومها وأغلقت الباب ، لكنها لم تشعل المصباح . كان هناك ضوء ينبعث من أحد مصابيح الإنارة بالشارع خلال النافذة بما يكفى لأن ترى طريقها فى الغرفة . فأزاحت وسائد الزينة من فراشها وطبقت غطاء الفراش .

بعد ذلك دخلت ماريلى الحمام حتى ترتدى ثوب النوم وبدأت تخلع ملابسها على مهل وتتبطأ فى خلع كل قطعة منها فقد كانت رغم كل شيء تشعر بملل شديد .

خلعت ماريلى الشريط المطاط الذى يجمع شعرها فى شكل ذيل حصان وتركته ينسدل حراً طليقاً ، وأخذت تمرر أصابعها بين خصلات شعرها الذهبية اللون التى كانت تشعرها بنشوة التميز بينها وبين نفسها . كانت تحب أن تشعر بملمس شعرها حراً طليقاً على كتفيها العاريين .

كان ثوب النوم الخاص بها معلقاً على مشجب بظهر الباب ، وكان غير مناسب لهذه البرودة ، لكنها كانت تحب ملابس النوم الشفافة الحريرية وترتديها على مدار العام . بدأت ماريلى ترتعد من البرد ، فعادت إلى غرفة نومها .

كادت تصعد إلى السرير حين أمسك بها من خصرها بذراع واحدة وألصق يده الأخرى بفمها . حاولت أن تصرخ وقوست ظهرها محاولة أن تتخلص منه .

قال فى أذنها مباشرة : " صه . اهدئى وإلا اضطررت لإيذائك " .

توقفت ماريلى عن المقاومة .

قال : " هذا أفضل بكثير . هل أخوك نائم ؟ "

" من ؟ " .

ضغط خصرها بقوة أكبر بشدة وقسوة نحو صدره ، ثم قال : " لقد سألت عما إذا كان أخوك نائماً " .

ترددت للحظة ، ثم أومأت برلسها .

" حسناً . هذا أمر طيب . افعلى ما أطلبه منك ، ولن أوذيك ؟ أفهمت ؟ " .

كان قلبها يخفق بقوة بين أضلاعها ، لكنها أومأت بالموافقة مرة أخرى .

" إذا رفعت يدى عن فهل ستصرخين ؟ " ، هزت رأسها ، ربما بشكل بدا لسرعته دليلاً على عدم الصدق . زمجر قائلاً : " إن فعلت ذلك ــــــ "

هزت رأسها بصلابة أكبر .

رفع يده ببطء عن فهما ، تألمت قائلة : " ماذا ستفعل بى ؟ " .

وأراها بعد ذلك ما سيفعله بها .

الفصل
١٢

جذبها نحوه بشدة وقبلها ونظرت إلى عينيه مبتسمة وقالت :

" إنه أنت "

قال لها : " ألا تحبين ذلك ؟! " .

قالت ماريلى : " لابد أننى أحب ذلك ، وإلا ما طلبت منك أن تتسلل إلى هنا " ، ثم جلسا معاً .

" ألم تشعرين بأننى أراقبك ؟ " .

" بأمانة ، نعم . فى اللحظة التى دخلت منها الغرفة ، علمت بأنك موجود هنا " .

" أنت التى طلبتى أن أفعل ذلك ، ألا تحبين المخاطرة فى الحب ؟ " .

" نعم ولكنى لم أتوقع مجيئك بسبب الجو " .

جلسا يتهامسان معاً وذهبا فى عالم آخر .

خارج غرفة ماريلى وقف ويليام لدى الباب منصتاً لبضع دقائق أخرى ، ثم ابتسم بزهو ، وكان لا يستطيع منع نفسه من القهقهة وعاد فى هدوء عبر الصالة المظلمة إلى غرفته .

جاء سؤال تيرنى على حين غرة من ليلى ، فحدقت فيه مصدومة إلى درجة تمنعها من الرد .

" ربما يكون من المفروض أن أمهد لهذا الأمر بشكل أكثر لطفاً ، بدلاً من أن أفاجئك به بهذه الطريقة ، فأنا فى العادة أكون أكثر تلطفاً " .

يكون أكثر تلطفاً حين يدعو امرأة للاستجابه له . ولقد تساءلت ليلى فى نفسها عن عدد المرات التى فعل فيها ذلك ، رغم ثقتها بكثرة ما فعل ذلك ، وكانت بنفس القدر واثقة من أن القليلات من اللاتى دعاهن لذلك رفضن دعوته .

أتت ضحكتها زائفة وهى تقول : " هل ينبغى أن يشعرنى هذا بالفخر أم بالغضب ؟ لماذا اعتقدت أن التعامل معى بشكل أكثر تلطفاً لن يجدى معى ؟ " .

" لا شيء من القواعد ينطبق عليك يا ليلى " .

" لم لا ؟ " .

" أنت ذكية جداً وجميلة جداً ؟ " .

" أنا لست جميلة ربما أكون جذابة لكننى لست جميلة " .

" لقد آمنت بذلك فى اللحظة التى صعدت فيها إلى الحافلة " .

تذكرت ليلى أنها كانت قد تأخرت لعدة دقائق فكانت آخر من صعد إلى الحافلة . بعد ذلك وقفت مواجهة الآخرين ، باحثة

عن مقعد لها ، وكان تيرنى يجلس فى الصف الثالث ، بجانب النافذة ، وكان المقعد المجاور للمشى فارغاً ، فتلاقت عيونهما ، وردت ليلى ابتسامته الصامتة لكنها لم تقبل دعوته للجلوس بجانبها . بدلاً من ذلك ، تجاوزت ليلى كرسيه وأخذت مقعداً من الصف التالى له .

أغلقت الأبواب وتحركت الحافلة ، ثم وقف مرشد الرحلة فى المشى بين صفى المقاعد للترحيب بالجميع وتحدث لعشر دقائق حول احتياطات الأمان ، وما يجب عليهم توقعه فى أثناء وجودهم عند نهر فرنش برود ، وكان مزاحه سخيفاً ، لكنها ضحكت من باب الأدب ، وكذلك فعل تيرنى !

حين انتهى المرشد من حديثه الفكاهى وجلس خلف السائق ، بدأ أشخاص آخرون فى المجموعة يتجاذبون أطراف الحديث مع بعضهم البعض. استدار تيرنى ناحيتها .

أنا بين تيرنى .

ليلى مارتين .

إننى مسرور للقائك ، يا ليلى مارتين .

قالها لها : " لقد كنت تبدين رائعة فى ذلك اليوم يا ليلى " .

كانت تعلم أنه ينبغى عليها أن توقف الحوار عند هذا الحد ، فقد كان ذلك ينحرف عن القاعدة التى وضعتها ، والتى تقتضى حصر العلاقة فى إطار الأمور العملية وعدم الدخول فى أية تفاصيل شخصية ، لكن الأنثى التى بداخلها أرادت أن تسمع ما سيقوله . حملقت فيه بشك قائلة : " كنت رائعة فى الثياب الرياضية التى كنت أرتديها ؟ " .

" إن ملابس رياضة الزوارق لم تكن جميلة من قبل كجمالها عليك " .

" غير حقيقى ، لكن شكراً على أية حال " .

" لقد قدمت نفسك حينها باسمك العذرى ، ولم أعرفه إلا فى رحلتى التالية إلى كليرى أن ليلى مارتين هى فى الحقيقة السيدة بورتون ، الزوجة الناشز لـ " دتش " ، مأمور القسم الجديد " .

" لقد استخدمت اسمى العذرى بشكل عملى ، فبمجرد أن طلبت الطلاق بشكل رسمى ، بدأت أستخدمه طوال الوقت . من الذى أخبرك بأننى أنا ودتش كنا زوجين ؟ " .

" رجل عجوز اسمه جوس إلمر . هل تعرفينه ؟ " .

هزت رأسها بالنفى .

" إنه مالك مجمع الكبائن الذى أقيم به حين أكون بالمنطقة ، وهو شخص مثير ، متلهف دائماً للحديث إلى ضيوفه . دون أن أجعل الأمر واضحاً أكثر من اللازم ، سألته إن كان يعرف ليلى مارتين التى لها كابينة فى الجوار ؟ " .

" وتدفق على أذنك الحديث " .

ابتسم تيرنى بخبث قائلاً : " لو أن جوس كان لديه أى مانع أخلاقى يمنعه من النميمة ، فإن شراب البوربون كان كفيلاً بإراحة ضميره ، فقبل أن تفرغ الزجاجة ، كنت قد عرفت الحقائق الأساسية بشأنك ، بما فى ذلك موت آمى . ولقد فسر لى ذلك الكثير " .

" عمَّ ؟ " .

تدبر إجابته ملياً ثم قال : " في ذلك اليوم عند النهر ، لاحظت أنك في كل مرة كنت تضحكين فيها ، كنت تستنكرين الضحك وتتوقفين عنه فجأة ، وتتلاشى ابتسامتك . ويختفي بريق عينيك !

لقد أدهشني الأمر حينذاك ، فلقد تعجبت من السبب الذى يجعلك تحرمين المرح على نفسك . لقد بدا الأمر وكأنه لا حق لك في أن تستمتعي بوقتك ، أو أنه من الخطأ أن تعيشي وقتاً طيباً " .

" لقد كان الأمر كذلك بالضبط يا تيرني " .

" استمتاعك بالوقت يشعرك بعقدة الذنب ، لا شيء إلا لأن آمي قد ماتت وأنت مازلت حية " .

" هذا صحيح طبقاً لما قاله الإخصائي النفسي " .

لقد كان فهمه لها دقيقاً . بدا وكأنه يعرف ما هو مخبأ في أعمق أعماق قلبها . من الواضح أنه استطاع قراءة أفكارها حتى في اليوم الذى تقابلا فيه . لقد كان من المريح التحدث بحرية عن آمي ، لكن بصيرته كانت تقلقها .

انتقل إلى جانبها أمام المدفأة قائلاً : " حين أخبرتني الليلة بنفسك عن موت آمي ، عرفت في عينيك ذلك الحزن الذى لاحظته في ذلك اليوم عند النهر " .

" آسفة ! " .

" لم الأسف ؟ " .

" إن الأسى يشعر الناس بعدم الراحة " .

" ربما الآخرين . أما أنا فلا " .

نظرت إليه بفضول قائلة : " لم هذا ؟ " .

" لقد أعجبتنى الطريقة التى حاولت الانتصار عليه بها " .

" لم أنجح فى ذلك طيلة الوقت " .

قال تيرنى : " لكن المهم هو أنك لم تستسلمى له " . ولم يضف عبارة : " مثل زوجك " ، لكن هذا ما كان يعنيه .

قالت ليلى : " ليكن ما تقوله ، ولكن الناس جميعاً يبتعدون عمن يعيش فى حالة من الحزن " .

" أنا مازلت هنا " .

" لا يمكنك الفرار . أنسيت أننا محاصران هنا ؟ " .

قال تيرنى : " إننى لا أشتكى . فى الحقيقة ، لدىَّ ما أريد الاعتراف به . إننى سعيد بوجودنا هنا معاً وحدنا ، منعزلين عن بقية العالم " . وخفض من صوته وهو يقول : " لقد بدأ هذا الحوار بسؤال " .

" لا ، لن أنام معك فى حجرة واحدة " .

" اسمعينى يا ليلي لا تسيئ الظن بى ، فكل ما أريده هو توفير الوقود . فبدلاً من أن ينام كل منا فى غرفة مستقلة ونستهلك الكثير من الوقود من أجل التدفئة يمكن أن ننام فى غرفة واحدة كل فى مكان منفصل عن الآخر ونستخدم البطاطين فقط من أجل التدفئة وندخر الوقود " .

قالت ساخرة : " آه ، فهمت . إذن المسألة مسألة ضرورة بحتة وليس من أجل شىء آخر " .

" إنها كذلك " .

مد تيرنى يده وتناول خصلة من شعرها ، لكن لم تكن لمسته كلمسته لها فى السيارة ، حيث إنه لم يترك خصلة شعرها على الفور . أخذ يتحسسها بين أصابعه قائلاً : " إننى معجب بك

حقاً يا ليلى من اليوم الأول ، وأعلم أنك تشعرين بإعجابى هذا " .

" كل ما أريده هو أن تمنحينى فرصة التقرب منك حتى تطمئن إلىّ ... وإننى لن أقترب منك إلا عندما ترغبين أنت فى ذلك إننى أرغب فى الزواج منك يا ليلى " . قال تيرنى ذلك ثم فرد أصابعه وراقب شعراتها تتسرب من بينها ، ثم تلاقت الأعين وهو يقول : " أقسم لك على ذلك " .

حين رأت ليلى الصدق فى عينيه وسمعته فى صوته ، وثقت فى أنه سيحافظ على كلمته . حسناً ، إلى حد ما . ولكن ليلى كانت تخشى من عواقب الأمور ... ترى ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك .

كانت تعلم أنه حقاً يريدها زوجة له . لكنها لم تعرفه سوى لمدة ... لمدة ماذا ؟ بل اليوم الذى التقيا فيه عند النهر ، فقد قضت معه حوالى خمس عشرة ساعة فى المجموع ، وحتى فى هذا العصر الذى يتسم بالسرعة فى كل شىء ، ليبدو أمر الشعور بالعاطفة نحوه يفوق كل السرعات المتوقعة فلم التعجل فى الأمور ؟

كل ما كانت تعرفه عنه هو أنه مستمع جيد ، وأنه يستطيع كتابة مقالات موجزة ممتعة . هل هى مستعدة لأن تتزوج من رجل لا تعرف عنه الكثير ؟ إن النساء اللائى من جيل أصغر من جيلها سيقولون عنها إنها عتيقة التفكير مترددة جبانة ، لكنها تفضل أن ترى نفسها على أنها حذرة ذكية .

" لا ، يا تيرنى . إجابتى تبقى بالنفى " .

قال تيرنى : " حسناً " ، وابتسم نصف ابتسامة ثم تابع قائلاً : " بأمانة ، إذا عكسنا الأدوار ، لن أثق فى نفسى " ، ثم نهض وهو يقول : " إذن ننتقل إلى الخطة " ب " ، وهى أن نغلق بابى غرفة النوم والمرحاض ونغلق كل الغرف بشكل تام ، ونكتفى بالجلوس هنا فقط ، فلدينا مخزون احتياطى صغير من الحرارة " .

قال تيرنى : " يمكننى أن أحضر مرتبة السرير وأضعها لك بالقرب من المدفأة . سأنام على إحدى الآرائك ، على بعد آمن منك يبلغ قدماً ونصف القدم . لكن إن كنت لا تريدين حتى هذا التجاور ، سأتفهم الأمر بكل تأكيد " .

نهضت ليلى واقفة وأزالت الغبار عن بنطالها وهى تقول : " شكراً لك " .

قال تيرنى : " تسعدنى موافقتك . سوف أبدأ فى التنفيذ على الفور " ، واتجه نحو غرفة النوم .

" تيرنى ؟ " .

توقف تيرنى والتفت إليها .

" أشكرك على لطفك الشديد معى" .

نظر إليها للحظات ، ثم اجتاز المسافة الفاصلة بينهما فى خطوتين واسعتين قائلاً : " لست بهذا اللطف " .

الفصل ١٣

" هل تكثر القراءة فى الكتب الدينية يا هوت؟".

" لا ، يا سيدى. لا أقرأ الكثير منها ". أغلق الضابط بيحلى الكتاب الدينى ، الذى كان يقرأ فيه على مدى العشرة أميال السابقة التى قطعها العميل الخاص وايز تقريباً فى ساعتين: "إن الله يبتلى البشر حتى يختبر إيمانهم".

"نعم يا سيدى".

" لقد قتلهم يا هوت".

وفى محاولته اليائسة لإبقاء السيارة على الطريق ومتابعة بيحلى فى نفس الوقت، حاول هوت أن يفهم هل يقصد الضابط بيحلى فى إشارته هنا الشخص المجهول الذى يفتك بأهالى كليرى أم شخصاً آخر. فمن هو الشخص المقصود؟

لكنه قال فى النهاية: "أنت محق يا سيدى. على الرغم من ذلك ، فإذا كان يقصر نشاطه على هذه المنطقة ـــ وحتى الآن لم نستطع أن نربط بين هذه الحالة وأية حالة أخرى فى

البلاد - فإن هذا يجعل المرء يتعجب من عدم ظهور أية آثار له حتى الآن " .

قال بيجلى : " لكن انظر إلى هذه المنطقة " ، وأخذ يحك النافذة المغطاة بالصقيع التى بجواره بكمه ليرى المنطقة المتجمدة حوله بشكل أوضح وهو يقول : " هناك مئات من الأميال المربعة من الغابات هناك . والأرض جبلية وعرة ، هذا بالإضافة إلى الشواطئ الصخرية للأنهار والكهوف . حتى الغابات فى جانبه . ما أظن إلا أنه يجعل من هؤلاء الفتيات طعاماً للدببة " .

أثار هذا الحديث المرارة فى نفس هوت ، ولقد كان يشعر بمرارة آخر فنجان شربه من القهوة السادة فى حلقة . قال هوت : " لندعُ الله ألا يكون هذا هو ما يفعله يا سيدى " .

" إنه إقليم قليل الكثافة السكانية . أنسيت أن هذا الوغد الذى فجر حديقة أطلانطا الأوليمبية اختبأ هنا لسنوات عديدة قبل أن يعثروا عليه ؟ لا يا هوت . أنا لو كنت قاتل نساء صغيرات لاخترت بلداً كهذا لاصطيادهن " ، ثم أشار أمامه قائلاً : " هل وصلنا ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

لم يكن هوت سعيداً بالوصول إلى مكان ما قدر سعادته فى هذه المرة . لقد كان يقود السيارة طوال الليل على طرق لا تصلح للقيادة على الإطلاق . وفى أحد الكمائن بمكان غير بعيد عن تشارلوت ؛ كانت هناك سيارة دورية خاصة بالطرق السريعة تسد الطريق . خرج الضابط من سيارة الدورية وأشار لـ " هوت " أن يتراجع . تنفيذاً لأوامر بيجلى ، بقى هوت فى مكانه .

اقترب ضابط الدورية منهما وهو يصيح غاضباً ويقول : " ألا ترى أننى أشير إليك ؟ لا يمكنك أن تأتى من هذا الطريق . إن الطريق السريع مغلق " .

أنزل هوت زجاج النافذة المجاورة له . انحنى بيجلى نحو الضابط ومد له بطاقة الشرطة الخاصة به ، وشرح له أنهما فى مطاردة محمومة لأحد المجرمين الخطرين وأخذ يتجادل معه ، وأظهر له رتبته ، ثم فى النهاية هدده بأنه سيصدم سيارة الدورية اللعينة لإزاحتها من الطريق إن هو لم يفعل ذلك على الفور ، فتحرك الشرطى بسيارته .

كان هوت قد استطاع أن يسير على الطريق السريع دون أن تختل عجلة القيادة في يده ، لكن عضلات عنقه وظهره تقلصت منذ ذلك الحين ، وكان يبدو أن بيجلى لا يعى الخطورة التى يتعرضان لها . إما ذلك وإما أنه يثق فى مهارات القيادة لدى هوت أكثر من نفسه .

سمح بيجلى بالتوقف مرتين فقط لتناول الأطعمة الخفيفة والقهوة اللتين أخذاهما معهما ، وفى المرة الأخيرة التى توقفا فيها ، لم يكد هوت يفرغ من قضاء حاجته حتى كان بيجلى يطرق الباب ويطلب منه الإسراع .

أزال نور الفجر البازغ جزءاً طفيفاً من ظلمة الليل ، فقد كان غطاء السحب كثيفاً وقريباً من الأرض ، بينما يحد الضباب والثلج المنهمر من القدرة على الرؤية ويقصرها على بضعة أقدام . كانت عينا هوت قد كلتا من التركيز لرؤية الطريق أمام السيارة مباشرة ، وكانت أقصي سرعة يسير بها هى خمسة عشر ميلاً فى الساعة ؛ فالقيادة بسرعة تزيد عن ذلك تعد انتحاراً ، وكان

المطر المتجمد والصقيع اللذان انهمرا بـالأمس يتراكـم فوقهمـا الآن ما ينهمر من جليد لم يره هوت إلا نادراً خلال عمره الـذى يبلـغ السابعة والثلاثين .

كان هوت قبل أن يلتقي بـ " بين تِيرنى " يتمنـى أن يـتمكن من حلاقة ذقنه ويأخذ حماماً ويشرب فنجاحاً كـبيراً مـن القهـوة السـادة ويتنـاول إفطـاراً شـهياً سـاخناً ، لكـن حـين اقتربـا مـن وجهتهما ، طلب منه بيجلي أن يتجه مباشرة إلى مجمع الكبائن فى ضواحي المدينة .

كان مجمع كبائن ويسلر فولز لودج عبارة عن مجموعة كبـائن تقع على بحيرة صغيرة تكونت بواسطة مياه الشلال الذى يعلوهـا مباشرة ، وقد تراكم الـثلج بكثافـة بامتـداد سـور أحـد الأفنيـة ، بينما يتصاعد الدخان من مدخنة المكتب . وفيما عدا تلك الإشارة الدالة على وجود بشرى ، بدا المكان خالياً مهجوراً .

قاد هوت السيارة بحرص منحرفاً عن الطريـق السـريع إلى مـا تمنى أن يكون المدخل الخاص بالسيارات ، فلم يكن هوت ينتبه تحـت أكـوام الجليـد . سـأل بيجلـى قـائلاً : " أى الكبـائن كابينته ؟ " .

قال هوت : " رقم ثمانية " ، وأومأ برأسه فى ذلـك الاتجـاه قائلاً : " الكابينة الأقرب إلى البحيرة " .

" ولايزال مسجلاً ؟ " .

قـال هـوت : " كـان كـذلك حتـى مسـاء أمـس " ، وأردف محنقاً : " لكن سيارته الشيروكى ليست هنا " ، لم تكـن هنـاك سوى كابينة واحـدة أمامهـا سـيارة مدفونـة وسـط الثلـوج بشـكل

جزئى ، ولم تكن هناك آثار للإطارات . تابع هوت قائلاً : " هل ينبغي علينا أن نبلغ المدير ؟ " .

سأله بيجلى قائلاً : " لماذا ؟ " . نظر إليه هوت ، فتابع بيجلى قائلاً بابتسامة خبيثة : " أستطيع أن أرى من مكانى هنا أن باب الكابينة رقم ثمانية موارب أيها العميل الخاص وايز ، وأراهن أننا إن طرقناه فسوف ينفتح من تلقاء نفسه " .

" لكن يا سيدى ، إن كان هذا هو رجلنا ، فلا نريد أن يفلت بسبب انتهاكنا لحقوقه المدينة " .

" إن كان هذا هو رجلنا ، فسوف أفجر رأسه برصاصة قبل أن أسمح له بالإفلات على أساس تفاهات إجرائية " .

ركن هوت السيارة أمام الكابينة رقم ثمانية ، وحين هبط من السيارة ، شعر بالارتياح لنهوضه وقدرته على التمطى ، رغم أنه غاص حتى كاحليه فى الثلوج ، وشعر لشدة الرياح بخلو رئتيه من الهواء ، وبدا أن مقلتيه تجمدتا على الفور ، لكن القدرة على فرد ظهره كانت تستحق كل هذه المصاعب .

لم يبد أن بيجلى كان يلاحظ الثلوج المنهمرة أو الريح القارصة ، فشق طريقه صاعداً درجات السلم المؤدية إلى بهو الكابينة . حاول أن يفتح الباب ، وحين وجده محكم الإغلاق ، أدخل بجسارة بطاقة ائتمان بين مصراعيه ، وبعد ثوان كان هو وهوت فى الداخل .

كان الجو بالداخل أكثر دفئاً من الخارج ، لكن لم يكن بالدفء الذى يساعد على تصاعد أنفاسهما ، ووجدا المطبخ المجاور للغرفة الرئيسية نظيفاً ؛ فلم تكن هناك بقايا طعام ، وقد تم غسل الأطباق وتركها فى المجفف لمدة كانت كافية لتجف .

وضع بيجلى يديه على خاصرتيه وجال بناظريه فى المكان ببطء كى يتعرف على تفاصيل الغرفة الرئيسية قائلاً : " يبدو أنه لم يكن هنا منذ فترة ، فلم يخرج بسيارته الشروكى هذا الصباح ، وإلا لرأينا بعض الآثار حتى مع انهمار الجليد بهذه الطريقة . هل لديك أية فكرة عن المكان الذى قضى به ليلته يا هوت ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" أليست له صديقة فى المنطقة ؟ " .

" على حد علمى لا يا سيدى " .

" أقارب ؟ " .

" لا . أنا واثق من هذا . لقد كان ابناً وحيداً ، وقد توفى والداه " .

" إذن فأين بخق السماء قضى ليلته ؟ " .

لم يكن لدى هوت إجابة عن هذا السؤال .

تبع هوت بيجلى إلى داخل غرفة النوم الأمامية ، وبعد أن نظر بيجلى حوله نظرة عامة أشار نحو السرير المزدوج قائلاً : " لو رأت زوجتى هذا السرير لما أعجبها ترتيبه ، ولقالت إن هذه هى الطريقة التى يرتب بها الرجل الفراش إن هو رتبه أصلاً " .

" نعم يا سيدى " .

كان هوت رجلاً ، لكنه لم يترك قط فراشا غير مرتب ، وكان يحرص دائماً على أن تكون الحواف السفلية لملاءة السرير متساوية الارتفاع عن الأرض ، ولم يكن ليترك الأطباق فى المجفف ، بل يجففها بنفسه ويضعها فى المكان المناسب ، كما

أنه كان يرتب الأقراص المضغوطة هجائياً حسب اسم الفنان المسجل صوته عليها ؛ لا العنوان ، هذا بالإضافة إلى ترتيب الدرج الخاص بالجوارب على أساس اللون ؛ من الأفتح إلى الأغمق ، ومن اليسار إلى اليمين .

لكن هوت يفضل أن يقطع لسانه قبل أن يعارض رأى زوجة السيد بيجلى .

وبخلاف الغرفة الرئيسية بالكابينة ، كانت غرفة النوم التى ينام بها تيرنى يبدو عليها أن هناك من يستخدمها . كانت هناك حقيبة ملابس مفتوحة تتوسط أرضية الغرفة وقد برزت منها قطع الملابس ، بينما كانت المجلات مبعثرة على المكتب الموجود أسفل النافذة . أخذ هوت يدافع رغبته الشديدة فى ترتيبها وهو يفحص سريعاً أغطية السرير .

سأل بيجلى قائلاً : "هل هى مجلات إباحية ؟ " .

" مغامرات ورياضة ورحلات ولياقة ، وهى الموضوعات التى يكتب مقالاته فيها " .

قال بيجلى بلهجة محبطة : " اللعنة . هذه الغرفة تظهر أن تيرنى رجل غريب الأطوار " .

قال هوت : " وهو ما يناسب المجرم الذى نبحث عنه " ، وهو يعلم فى أثناء قوله ذلك أنه يشير إلى ميوله هو التى تبلغ حد الهوس .

" حسناً ، لكن ما هذا ؟ اللعنة . إن هذه الغرفة تبدو كغرفة ابنى الأكبر . إذن فأيهما يكون تيرنى ؟ هل هو مريض نفسى ، أم أنه هو ما يبدو لنا بالضبط؟ هل هو شخص عادى يحب التنزه ومتزن ومنضبطالسلوك ؟ " .

لم يجب هوت بكلمة واحدة .

كان باب المرحاض مفتوحاً ؛ فنظر بيجلى داخله قائلاً : " إنه مرحاض عادى ، لكن به أشياء فخمة " ، وكان يفحص عدداً من الملصقات .

قال هوت : " ستشهد حسابات بطاقة ائتمانه بذلك . إنه لا يتسوق من متاجر التخفيضات " .

استدار بيجلى على عقبيه وترك الغرفة سريعاً . واجتاز غرفة المعيشة وفتح باب الغرفة الثانية ، ولم يكد يخطو خطوتين بها عندما توقف فجأة قائلاً : " ها قد وصلنا يا هوت " .

هرع هوت للانضمام إليه فى مدخل الغرفة قائلاً : بصوت هامس : " يا إلهى ! " .

كانت صور النساء الخمسة المفقودات ملصقة على الحائط فوق مائدة تعرف فيها هوت على مائدة الطعام التى كان يجب أن تكون بالمطبخ ، ولم ينتبه لعدم وجودها بالمطبخ إلا حين رآها هنا .

كان على المائدة حاسب آلى شخص ، وكنز من المواد المطبوعة التى تعتبر دليل إدانة ، وكان عليها أيضاً قصاصات جرائد تحوى أخباراً تم قصها من جريدة كليرى كول وغيرها من الجرائد التى تصدر فى أماكن بعيدة مثل رالى وناشفيل ، مع تمييز الفقرات الخاصة بالموضوع بأقلام ملونة .

كانت الأجزاء القانونية تضم صفحات من الملاحظات المكتوبة بخط اليد ، بعضها مكتوب داخل النص ، وبعضها موضوع تحتها خطوط أو مميزة بطريقة أو أخرى على أنها جديرة بالمراجعة أو التذكر . وكانت هناك أيضاً خمسة ملفات ورقية ،

كل منها خاص بإحدى النساء المفقودات ، وتضم أوراقاً عليها ملحوظات مكتوبة بخط اليد وقصاصات صحف وصور تم نشرها على ملصقات الإعلان عن النسوة المفقودات أو فى وسائل الإعلام .

وفى كل مرة يتم فيها ذكر المجرم الذى لم يتم التعرف عليه ، كانت هذه المعلومة مميزة بقلم أزرق .

أثار بيجلى إلى فقرة تحمل هذا المعنى قائلاً : " الأزرق".

" لقد لاحظت ذلك يا سيدى " .

" اللون الذى يوقع به " .

" هذا ما يبدو " .

" منذ أن اختطف تورى لامبيرت " .

" نعم يا سيدى " .

" الحاسب ـــــ "

" لابد أنه يحتاج إلى كلمة مرور " .

" هل تظن أن بإمكانك اختراقها يا هوت ؟ " .

" سأحاول ذلك بكل تأكيد يا سيدى " .

" حسناً ، توقفا مكانكما ، إلا إذا كنتما تريدان أن أفجر رأسيكما " .

كانت تلك هى الكلمات التى سمعها بجيلى وهوت من صوت يشبه صوت عامل بناء . قال صاحب الصوت مرة أخرى :

" ارفعا أيديكما واستديرا ببطء " .

فعل بيجلى وهوت ما طلب منهما فوجدا نفسيهما أمام بندقية ذات فوهتين .

قال هوت : " أهلاً ، سيد إلمر . هل تذكرنى ؟ أنا تشارلى وايز " .

وكان صاحب الصوت يقف فى منتصف الغرفة وقد رفع البندقية إلى مستوى صدره . حين دعاه هوت بالاسم ، ضيق ما بين عينيه لكى يركز بشكل أفضل . كان وجهه محمراً ومجعداً كحيوان بقى فى الشمس لفترة طويلة ، وكان يرتدى قبعة بالية تبرز منها شعرات مجعدة بيضاء اللون كلون لحيته ، بينما كان يلوث شفتيه عصير التبغ . افترت شفتاه عن ابتسامة كشفت عن فم خال من الأسنان فيما عدا ثلاثة جذور أسنان بنية اللون .

أنزل الرجل بندقته قائلاً : " يا إله السموات . كان من الممكن أن أقتلكما . هل جئتما لإعطاء السيد تيرنى مكافأته ؟ " .

كان على هوت أن يفكر للحظة حتى يتذكر القصة التى اختلقها لتفسير اهتمامه بـ " بين تيرنى " ثم قال : " لا . هذا هو العميل الخاص المسئول بيجلى . نحن ـــــ " .

" جوس . هل أنت بالداخل ؟ " .

قال جوس إلمر : " اللعنة . لقد اتصلت بالفعل بالشرطة ظناً أن هناك شخصاً يسرق أشياء السيد تيرنى فى أثناء غيابه " .

غمغم بيجلى بصوت خفيض بسيل من الكلمات النابية .

استدار الرجل لإدخال ضابط الشرطة الذى أدخل رأسه من الباب الرئيسى ، ودخل ممسكاً بمسدسه ثم ألقى على عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية نظرة تتسم بالفضول قائلاً : " هل هذان هما السارقان ؟ " .

قال بيجلى : " لسنا سارقين " ، وكان ذلك بصوت أدرك منه هوت أن صبره على هذا الهراء قد نفد ويوشك أن يعيد السيطرة على الموقف الذى تطور سريعاً .

دفع بيجلى هوت إلى الأمام وأغلق الباب وراءهما لمنع الاثنين الآخرين من رؤية ما اكتشفاه .

تابع بيجلى قائلاً : " إننا عميلان لمكتب التحقيقات الفيدرالية ، وأود أن تعيد سلاحك إلى غمده قبل أن تطلق الرصاص على أحد ، وعلىّ أنا بشكل محدد " .

كان الضابط شاباً تحت الثلاثين بعدة سنوات ، إن لم يكن بيجلى قد أخطأ فى التخمين . تهيب الضابط الشاب رنة الصوت الحاسمة الآمرة فى كلام بيجلى ، فلم يتذكر أن يطلب هويتهما إلا بعد أن أبعد مسدسه ، وقد نفذا له ما طلب .

حين اطمأن الضابط إلى أنهما بالفعل كما يزعمان ، قدم نفسه باعتداد قائلاً : " هاريس . قسم شرطة كليرى ، ومس حافة قبعته المغطاة بثلج منصهر ، بينما كان طرف بنطاله موضوعاً فى حذائه طويل الرقبة ، وبدت سترته الجلدية أضيق مما يجب بدرجة أو درجتين بشكل منعه من تحريك ذراعيه بشكل طبيعى على جانبيه .

حك جوس إلمر لحيته ناظراً إلى هوت وهو يقول : " هل أنت عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ بلا خداع ؟ " .

رد بيجلى بدلاً من هوت قائلاً : " بلا خداع " .

" إذن فماذا تفعلانه هنا ؟ ما الذى تريدانه من السيد تيرنى ؟ " .

" أن نتحدث " .

" عم ؟ هل هو مطلوب في أمر ما ؟ ماذا فعل ؟ " .

قال هاريس : " أريد أن أعرف هذا أنا نفسى . هل أتيتما للقبض عليه ؟ " .

" لا شيء من هذا القبيل . لدينا فقط بضعة أسئلة لنوجهها إليه ".

قال هاريس : " أسئلة " . وتدبر ذلك قليلاً وهو ينظر إلى كل منهما بشك ، ثم قال : " هل لديكما إذن بتفتيش هذا المكان ؟ " .

قال هوت في نفسه : " إن هاريس ليس ذا خبرة كما كان يبدو عليه " .

سأله بيجلى متجاهلاً سؤاله : " رئيسك اسمه بورتون . أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا سيدى . دتش بورتون " .

" أين يمكننى أن أجده ؟ " .

" الآن ؟ " .

ولقد كان السؤال فى منتهى الغباء ، فلم يهتم بيجلى بالإجابة عنه ، حيث إن بيجلى لا يعرف موعداً إلا الآن .

حين أدرك هاريس غلطته تلعثم قائلاً : " حسناً ، لقد سمعت لتوى من جندى المراسلة أن المأمور كان يبحث عن كال هوكينز ـ فلديه شاحنة الترحيل الوحيدة فى البلدة ـ ثم أخذه لتناول القهوة فى الصيدلية " .

سأل بيجلى قائلاً : " أتعلم أين تكون الصيدلية يا هوت ؟ " . أومأ هوت ، واستدار بيجلى إلى هاريس قائلاً :

" أخبر المأمور بورتون بأننا نود مقابلته خلال نصف ساعة أفهمت ؟ " .

" سأخبره . لكنه قلق من أجل ــــ "

" لا شيء مثل هذا الأمر في الأهمية . أخبره بأنني قلت ذلك " .

رد هاريس قائلاً : " حاضر يا سيدى . ماذا عن إذن التفتيش ؟ " .

قال بيجلي : " فيما بعد ، وأشار بإصبعه إلى الضابط الشاب فأتاه مهرولاً . وبخلاف سترته الضيقة ، كان حذاؤه أكبر مما يجب بدرجة واحدة . اقترب منه بيجلي وتحدث بلهجة توحي بأهمية ما يقول قائلاً : " إذا أبلغت رسالتي إلى المأمور بورتون عبر لاسلكي الشرطة ، فأخبره فقط بأنه من المهم جداً أن نلتقي هذا الصباح . لا تذكر أية أسماء . أفهمت ؟ إن الأمر له أولوية قصوى ، هذا إلى كونه شديد الحساسية ، وتعد السرية فيه هامة جداً . هل يمكنني الاعتماد على حرصك على السرية التامة ؟ " .

قال الضابط الشاب : " بكل تأكيد يا سيدى " ، ثم لمس حافة قبعته مرة أخرى واندفع خارجاً .

حين تمت إعادة تعيين هوت بمكتب تشارلوت ، رحب بهذه الفرصة ليخدم تحت إمرة رئيسه الأشهر . وحتى الآن ، لم تتح له الفرصة للعمل مع بيجلي إلا في أعمال هامشية . وكانت هذه فرصته الأولى لمراقبة عمله وملاحظة المهارات التي أصبح من أجلها أسطورة حية بالنسبة للعملاء والمجرمين على حد سواء .

كان زملاؤه يتعلمون منه ، وكان الخارجون على القانون يتعلمون منه أيضاً ، لكن في غير صالحهم .

ورغم أنه لم يناقش أيام خدمته فى الشرق الأوسط ، فإن القصة تقول إن بيجلى أنقذ نفسه وثلاثة آخرين من الإعدام بتهمة القيام بعمليات جاسوسية . وعلى الرغم أن هذا هو بالضبط ما كانوا يفعلونه ، فقد أقنع بيجلى معتقليه بأن اعتقالهم نوع من الخطأ ، وأن المسألة ليست سوى لبس فى إثبات الهوية ، وأنهم سيدفعون الثمن غالياً إن مسهم أى أذى أو أسيئت معاملتهم بأية طريقة من الطرق أو قُتلوا .

بعد خمسة أيام من إلقاء القبض عليهم ، دخل الرجال الأربعة يغطيهم الغبار وهم يشعرون بالظمأ إلى بهو فندق الهليتون فى وسط المدينة وسط دهشة الزملاء والدبلوماسين وأفراد البعثات الإعلامية الذين كانوا قد اعتبروهم أمواتاً .

كانت تضاف إلى القصة تفاصيل جديدة فى كل مرة يعاد سردها فيها ، لكن هوت لم يشك قط فى جوهرها . كان بيجلى مستقيماً كالسهم ، لكن كان له عقل وروح رجل مثقف ، وكانت السمعة التى اكتسبها مستحقة .

إن بيجلى لم يكشف للضابط الشاب هاريس عن شىء ذى أهمية ، لكنه أرضى غروره بإشراكه فيه بقوله : " الأمر ذو الأولوية القصوى بالغ الحساسية " ، وجعله بذلك ينسى أنهم ليس معهم إذن تفتيش وأنهم ضبطوا متلبسين باقتحام المكان بالقوة .

أكد بيجلى على هاريس أن يتصل برئيسه دون أى تأخير ، وهو ما أدى بشكل فعال إلى التخلص منه بشكل أعطاهم الحرية لسؤال جوس إلمر دون أن يكون هناك أحد آخر .

قال بيجلى بشكل مفاجىء : " أريد بعض القهوة ، ما رأيك فى ذلك يا هوت ؟ سيد إلمر ، هل يمكننا أن نعتمد على حسن ضيافتك فى هذا ؟ " .

ضيق العجوز ما بين عينيه ناظراً إلى بيجلى فى عدم فهم قائلاً : " ماذا ؟ " .

قال هوت مفسراً : " هل لديك أية قهوة ؟ " .

" نعم . بكل تأكيد . بكل تأكيد . فى المكتب . وهناك نار مشتعلة جيدة أيضاً . راقبا خطواتكما . هذه الدرجات زلقة جداً " .

بعد ذلك ببضع دقائق جلسوا على كراسى هزازة أمام نار مشتعلة .

كان الجليد ينصهر فى حذاء هوت بشكل أشعره بالبرد والرطوبة وعدم الراحة فى قدميه ، فقربهما من النار قدر استطاعته . كان كوبا القهوة اللذان قدمهما لهما جوس قديمين مكسورين كأسنانه الثلاث المكسورة ، لكن كان البن قوياً ولذيذاً ، أو ربما كان مذاقه طيباً لأن هوت كان فى شوق شديد إليه .

ورغم كل استعداده للتعاون فى أحد التحقيقات الفيدرالية ، لم يقدم لهما جوس إلمر معلومات تزيد كثيراً عن المعلومات التى حصل عليها منه هوت بالفعل . كان بين تيرنى نزيلاً هادئاً جيد التعامل يسدد مصروفات بطاقة الائتمان الخاصة به دائماً . كان

الشيء الغريب الوحيد بشأنه هو أنه كان يرفض السماح لموظفى الإشراف الداخلى بتنظيف الكابينة فى أثناء إقامته فيها ، ولقد كان تفسير هذا الشيء الغريب يكمن فيما اكتشفه بيجلى وهوت فى غرفة النوم الثانية .

قال جوس : " لكن حين يكون هذا هو الشيء الغريب الوحيد ، فإننى لا أشتكى . إنه عميل مثالى ، ودائماً ما يترك الكابينة فى حالة جيدة ، ويطفئ كل الأنوار ، ويضع قمامته فى صفائح القمامة فلا تصل إليها الدببة . وفى اليوم الذى يغادر فيه الكابينة . يخرج قبل منتصف النهار . نعم يا سيدى ، إنه يلتزم بالقواعد بالفعل " .

قال بيجلى : " هذا وعل هائل يا إلمر " ، وكان يشير إلى الرأس المحشو المعلق على الحائط الصخرى فوق المدفأة ، ثم قال : " هل أنت صائده ؟ " .

كانت تلك حيلة اشتهر بها بيجلى . ففى أثناء استجواباته ، كان من حين لآخر يرمى بملاحظة لا علاقة لها بالموضوع ، وكان يقول إن هذا يساعد على المحافظة على تلقائية الأجوبة ، فبتغيير الموضوع بشكل مفاجىء ، يحول دون أن يتوقع الشخص المستجوب السؤال التالى وإعداد إجابة له ذهنياً . كانت تلك طريقة للحصول على إجابة غير معدة مسبقاً عن الأسئلة المتعلقة بوضوح الاستجواب .

" هل تحدث معك من قبل عن النساء ؟ " .

أدار إلمر ، الذى كان ينظر بإعجاب إلى التذكار الخاص به رأسه ونظر إلى بيجلى مستغرباً وهو يقول : " النساء ؟ " .

قال بيجلى : " عن زوجة أو زوجة سابقة أو صديقة أو عشيقة ؟ " وخفض صوته مضيفاً : " هل أشار بأى شكل من الأشكال إلى حياته الجنسية ؟ " .

ضحك العجوز قائلاً : " ليس فيما أذكر ، وأظنني سأذكر شيئاً كهذا . لقد سألته ذات مرة إن كانت زوجته ستنضم إليه ، فأخبرنى بأن هذا لن يحدث ، على أساس أنه مطلق " .

" هل تظنه مستقيماً ؟ " .

فغر العجوز فاه حتى ظهرت لهما لثته غير الجذابة الخالية من الأسنان وقال : " هل تقصد أنه شخص مريب ؟ هو ؟ " .

رد بيجلى قائلاً : " ليس لدينا أى سبب يجعلنا نعتقد أنه شاذ ، لكن يبدو غريباً بعض الشيء ، إن شخصاً أعزب وسيماً مثله لم يتحدث إليك قط عن الجنس اللطيف " .

مرة أخرى ، شعر هوت بالإعجاب . كان بيجلى يفحص ذاكرة إلمر دون أن يكون ذلك واضحاً . لقد كان يتوقع أن يكون إلمر متحيزاً لأبناء جنسه ، فرجل مثله لن يرضى أن يُقال عن الساكن المنتظم لديه ، والذى أصبح على علاقة ودية معه ، إلا إنه محب للنساء ، لأنه رجل حتى النخاع . لذا فإذا كان تيرنى قد ذكر اسم امرأة من قبل فى محادثاتهما ، فلابد أن إلمر الآن يجهد ذاكرته ليتذكر ذلك الاسم .

بينما كان إلمر يركز تفكيره ، كان يضع إصبعه البنصر وسط الشعر النامى فى أذنه ويبدأ فى العبث بها لاستخراج الشمع . قال إيلمر : " الآن تذكرت لقد أخبرنى ذات صباح عن الفتاة الأخيرة التى اختفت " .

قـال بيجلـى : " هـل تمـانع فـى أن أصـب لنفسـى كوبـاً آخر ؟ " ، ودون أن ينتظر إجابة ، نهض من مكانـه وذهـب إلى ماكينة صنع القهوة على مائدة فى الناحية الأخرى من الغرفة .

قال إلمر : " لقد أتى هنا إلى المكتب ليأخذ نسخة مـن مجلـة كول ، وأخذ يقرأ الصفحة الأولى . قلت له يبـدو أن هـذه المدينـة قد ابتلاها الله بشخص مجنـون ، فقـال إنـه متعـاطف مـع أهـل الفتاة وما يعانونه من أجلها " .

عاد بيجلى إلى كرسـيه الهـزاز وهـو يـنفخ فـى قهوتـه لتـبرد وقال : " هذه قهوة ممتازة يا سيد إلمر . اكتب اسـم الصـنف مـن فضلك أيها العميل الخاص وايز " .

" بالطبع " .

" أريد أن آخذ بعضها معى إلى تشارلوت من أجل زوجتـى . هل هذا هو كل ما قاله السيد تيرنى عن الفتاة ؟ " ، وكان سؤاله موجها إلى إلمر .

قال العجوز محاولاً التذكر : " لنر . لا ، لقد قـال إنـه رآهـا قبل اختفائها بيوم أو يومين " .

سأله هوت : " هل قال لك أين رآها ؟ " .

" فى المتجر الذى يشترى منه أدواته . قـال إنـه مـر بـالمتجر ليشترى زوجاً جديداً من الجوارب ، وقامت هى بتغليفه له " .

" متى كان ذلك ؟ " .

" أتعنى الموعد الذى كان فى المتجر ؟ لم يذكر لى ذلـك . لقـد طبق الجريدة وأخذ إحدى الخرائط وقـال إنـه سـيذهب للتريـض فوق قمة الجبل . ولقد حذرتـه مـن الدببـة ، فضحك قـائلاً إنـه سيحاول ألا يحدث له ذلك ، وعلى أية حـال ، ألـيس هـذا هـو

موسم البيات الشتوى بالنسبة لها ؟ بعد ذلك اشترى قطعتين من الجرانولا وذهب " .

" هل تحدث عن أى من النساء المختفيات الأخريات ؟ " .

قال إلمر : " لا ، حسبما أتذكر لم ـــــ " ، ثم توقف فجأة ، ونظر إلى بيجلى نظرة متخصصة ، ثم حول نظرته الفاحصة إلى هوت الذى حاول الاحتفاظ بتعبير وجهه محايداً . حين عاد إلمر بنظرته إلى بيجلى ، ازدرد ريقه بصعوبة ، بينما كان هوت يتمنى فقط أن يلفظ معظم التبغ أولاً . قال إلمر : " هل تظنان أن السيد تيرنى هو من يختطف هؤلاء النساء ؟ " .

" كلا على الإطلاق . إننا فقط نريد أن نتحدث معه حتى نستطيع استثناءه من قائمة المشتبه بهم " .

لكن بيجلى قد أظهر لامبالاة فى إجابته ، فلم ينخدع جوس إلمر بطريقته اللامبالية فى الحديث . هز إلمر رأسه وهو يحك صدره بلحيته الخفيفة قائلاً : " إنه آخر شخص أتخيل أنه يقوم بفعل خسيس كهذا " .

مال هوت إلى أمام سائلاً : " هل سمعته من قبل يقول أى ملاحظات مهينة عن النساء ؟ " .

" ملا ... حظات ... ماذا ؟ " .

" ملاحظات سلبية أو سيئة " .

" عن النساء ، تقصد ؟ " .

سأل هوت قائلاً : " إما عن النساء بصفة عامة أو عن امرأة بعينها ؟ " .

قال إلمر : " لقد قلت لك ـ المرة الوحيدة التى تحدث فيها عن .. " ، وتوقف قليلاً ليتناول علبة فارغة وبصق فيها ، ثم

تابع قائلاً : " انتظر دقيقة واحدة . لقد تذكرت شيئاً " ، وأغمض عينيه قائلاً : " نعم ، نعم . إننى أتذكر الآن . لقد كان ذلك فى الربيع الماضى . إننى أذكر ذلك الآن ، لأننا كنا نجلس سوياً فى الخارج نتطلع إلى الخضرة النامية ، وسألنى عما إذا كنت أريد أن أشاركه الشراب ، فوافقته على ذلك . وكان ذلك لمجرد التغلب على برودة تلك الأمسية . المهم أن الحديث وصل بنا إلى ذكر اسم دتش بورتون " .

ساله هوت مظهراً دهشته : " مأمور القسم ؟ " .

" نعم . نعم . لم يكن دتش قد أصبح مأموراً لفترة طويلة ، لشهر واحد فقط أو نحو ذلك ، وكنت أنا وتيرنى نتحدث عن المسئولية التى تنتظره فى ظل اختفاء هؤلاء النسوة وغير ذلك " .

" ما الذى قاله عن ذلك بالتحديد ؟ " .

قال إلمر : " لا شيء . فقط هذا " ، وبصق في العلبة مرة أخرى ، ثم مسح فمه بظاهر يده ونظر إليها ساخراً وهو يقول : " لقد كان مهتماً أكثر بزوجة دتش . زوجته السابقة الآن " .

نظر بيجلى إلى هوت كما لو كان يريد أن يتأكد أنه منتبه وقال : " ماذا عنها ؟ " .

قال إلمر : " يبدو أن السيد تيرنى قد قابلها فى الصيف " . وكرر ابتسامته الساخرة فيما يشبه الارتياح قائلاً : " فى الحقيقة ، يمكننى أن أقول بكل تأكيد إنه رجل طبيعى . لقد كان يبدو شغوفاً بزوجة دتش السابقة " .

توقف بيجلى عن الاهتزاز فى كرسيه بشكل مسترخ ثم قال : " شغوف بها ؟ " .

ضحك العجوز ضحكة ساخرة قائلاً : " يمكنك أن تقول مسحور أو كسير القلب ، أو معجب أو أيًّا ما تريد قوله " .

الفصل

١٤

حين استيقظت ليلى كانت تشعر بالبرد ، واستغرق الأمر لحظة حتى تتذكر أين هى ولماذا . كانت ترقد بكامل ملابسها تحت ثلاث بطانيات وقد ثنت ركبتيها إلى صدرها ، وقد نفذ البرد الذى يفتت العظام إليها من خلال كل هذه الطبقات .

رقدت ليلى مواجهة للمدفأة ، لكن المدفأة لم يعد يصدرٌ منها أى حرارة ؛ فقطع الخشب التى كانت متأججة حين أضاء تيرنى النور قد تحولت منذ فترة طويلة إلى رماد ، فأنزلت البطانية عن وجهها وأخذت تستنشق الهواء من فمها ، فكانت أنفاسها تشكل سحابة من البخار .

لابد أن خزان البروبين قد فرغ أثناء الليل ، وستكون المدفأة هى المصدر الوحيد للدفء الآن . ينبغى عليها أن تنهض الآن وتضع أخشاب الوقود فى المدفأة وتشعل النار ، كما أن الحركة ستعيد إليها الدفء ؛ لكنها لم تقو على النهوض وترك هذه الشرنقة من الدفء النسبى .

كانت الغرفة لاتزال مظلمة ، لا ينفذ من الستائر إلا قدر ضئيل من الضوء ، كما كانت الرياح لاتزال بنفس قوتها الليلة السابقة . من حين لآخر كانت الأغصان التى تنكسر بفعل الثلوج المتراكمة عليها ترتطم بالنوافذ . وإذا كان هناك يوم يمكن اعتباره مثالياً لالتماس الدفء ، فهو هذا اليوم .

ألح عليها تيرنى مرة أخرى فى أن تأكل شيئاً ، لكنها قالت إنها ليست جائعة ، فقال إنه ليس جائعاً هو الآخر .

عرض عليها أن تستخدم الحمام قبله ، وفى أثناء وجودها بالحمام . قام هو بسحب المرتبة من السرير إلى غرفة المعيشة . وحين عادت ، لامته على عدم انتظاره لها كى تساعده ، فقال إنه لا ينبغى أن يتركها تبذل مجهوداً فى سحب المرتبة وهو يعلم أن ذلك من الممكن أن يتسبب لها فى نوبة ربو . ذكرته بأنه مصاب بارتجاج فى المخ ولا ينبغى أن يجهد نفسه أيضاً . لكن كان الأمر قد انتهى ، فانتهى الجدال عند هذا الحد .

بخروجه من الحمام ، وجدها قد تدثرت بنصيبها من البطاطين ، فأطفأ النور وتمدد فوق إحدى الآرائك . سألها إن كانت تشعر بالدفء كما ينبغى وعرض عليها إحدى بطانياته ، لكنها رفضتها ، قائلة بأنها على ما يرام ، شاكرة له عرضه .

كان تيرنى قلقاً ، واستغرق بعض الوقت حتى سكن فى موضعه . سألته عما إذا كان رأسه يؤلمه ، فقال إنه لا يؤلمه بشكل كبير . سألته إذا كان يريدها أن تفحص الجرح له وتضع له المزيد من المطهر والضمادات الجديدة ، فرفض ذلك شاكرا لها ، فقد تفحصه فى أثناء وجوده فى الحمام . تساءلت عن كيفية تمكنه رؤية الجانب الخلفى من رأسه فى حين أنه لا

توجد سوى مرآة واحدة هناك ، لكنها لم تقل شيئاً آخر عن هذه النقطة .

قال إنه رغم الكدمات الشديدة المصاب بها ، لم يلحظ أية إشارات لنزيف داخلى ، فردت غير واعية بعبارة منخفضة قائلة : " هذا شىء طيب " ، وأصدر تيرنى همهمة غير مفهومة فكانت إيذاناً بانتهاء الحوار .

استغرقت ليلى على الأقل ساعة كاملة إلى أن راحت فى النوم ، وكانت متأكدة تمام التأكد من أنه كان لايزال متيقظاً حين غلبها النوم فى النهاية . وفى أثناء الوقت الذى مر منذ لحظة إطفاء النور حتى استسلامها للنوم ، كانت ترقد جامدة صامتة و ... ماذا ؟ مترقبة ؟

لقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً كى تفهم السبب الذى جعل دتش يقيم علاقات مع نساء أخريات خلال تلك السنوات المبكرة من زواجهما ، حين كانت حياتهما مازالت تتسم بالحيوية والجودة . لقد أدركت أنه كان يحتاج باستمرار إلى اكتساب الثقة والحب ، بالتأكيد . وبشكل أكبر ، أدركت أيضاً أنه من المرهق جداً بالنسبة لها إكسابه الثقة على هذا النحو المستمر . لم يكن أى قدر من الدعم كافياً .

كانا قد تقابلا فى حفل لجمع التبرعات بالمؤسسة الخيرية لقسم شرطة أطلانطا . واستغلالاً لموجة من الدعاية التى تسبب عنها قيامه بحل قضية قتل معقدة ، كان دتش هو فتى القسم المدلل وطلب منه إلقاء حديث فى أثناء مأدبة الغداء .

وعلى منصة الحديث ، كان دتش وسيماً ساحراً وبليغاً . كان يمثل مجموعة من الصفات المبهرة : فهو نجم الجامعة فى كرة

القدم الذى تحول إلى بطل حل ألغاز الجرائم . ولقد دفع حديثه المشاركين إلى التبرع بسخاء ودفع ليلى أيضاً إلى أن تقترب منه فيما بعد وتقدم له نفسها . بنهاية الأمسية ، كانا قد اتفقا على موعد لتناول العشاء .

خلال ستة أشهر كانا قد تزوجا ، ولمدة عام كامل كانت حياتهما كأروع ما تكون . عمل الاثنان جاهدين كل فى طريق التقدم بحياته العملية ، لكنهما أيضاً كانا يجتهدان فى حياتهما الزوجية وحبهما . اشتريا الكابينة ولاذا بها فى إجازات نهاية الأسبوع ؛ وأحياناً كانا لا يغادران غرفة النوم مطلقاً .

فى أثناء تلك الأوقات ، جلب دتش ثقته فى نفسه إلى زوجته ، فكان ذلك يظهر فى حسن معاملته لها ؛ فقد كان حساساً وكريماً معها ، وكان عاشقاً غير كل العشاق لطيف المعشر ، وكان زوجاً معيناً لها .

بعد ذلك بدأت المشاجرات ، وكان سببها هو قدرتها على الحصول على دخل يفوق دخله بكثير . كانت تقول له إنه لا يهم من يحصل على دخل أكبر وإنه اختار إحدى مهن الخدمة العامة التى تعد أشق المهن وأقلها دخلاً وغالباً لا تكون محل تقدير .

لقد كانت تقول الحقيقة ، أما هو فلم يكن يسمع سوى تبريرات لما يظنه فى نفسه من الفشل . كان يخشى ألا يستطيع الوصول إلى نفس المستوى من الإنجاز فى قسم الشرطة مثلما ستفعل هى مجلتها .

تحول هوس الفشل بمرور الوقت لديه إلى نبوءة ذاتية التحقق . وفى نفس الوقت ، كان نجم ليلى آخذاً فى البزوغ .

استمر نجاحها فى النيل من كبريائه ، فحاول أن يصلح ذلك بالنساء اللاتى كن يرين فيه البطل المغوار الذى كان يريد يائساً أن يكونه .

فى كل مرة كانت ليلى تواجهه بخيانته ، كان يعرب لها عن شديد الندم ، ويدعى أن علاقاته لا تعدو كونها نزوات لا معنى لها . لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لـ " ليلى " التى هددته فى النهاية بتركها له . قال لها دتش إنها إن تركته فسيموت غماً ، وأقسم على أن يبقى وفياً لها ، وأخبرها بأنه يحبها ، وتوسل إليها أن تغفر له ، فغفرت له ؛ لأنها كانت حاملاً فى آمى .

أعاد الحمل تقوية رباط زواجهما ؛ لكن هذا لم يدم إلا عندما ولدت آمى .

خلال الشهور التى تلت الولادة ، بدأ دتش فى مواعدة إحدى الشرطيات ، وحين اتهمته ليلى بما كانت تعرف أنه حقيقة ، أنكر ما قالته وأرجع سبب شكها فيه إلى الإرهاق والاكتئاب وإفراز اللبن والهرمونات غير المستقرة . أثارتها سخريته أكثر مما أثارتها أكاذيبه الفجة .

فى وسط حلبة القتال الزوجية هذه ، أقامت آمى منطقة محايدة يمكنهما التعايش فيها معاً . أعطته من حبها ما يكفى لجعل الأمور تبدو تقريباً طبيعية ، وساعدت فرحتهما المشتركة بالطفلة على نسيان خلافات الماضى . تجنب الاثنان الموضوعات التى تسبب التصادم ، ولم يكونا سعيدين تماماً ، لكنهما كانا مستقرين .

بعد ذلك ماتت آمى ، فانهارت سريعاً الدعامات الواهنة التى كانت تمسك بزواجهما تحت وطأة الحزن . ساءت علاقتهما بشكل مضطرد حتى ظنت ليلى أنها لا يمكن أن تصبح أسوأ من ذلك .

لكنها ازدادت سوءاً بالفعل بعد ذلك .

إنها حين تذكر الآن الواقعة التى كانت بمثابة الضربة القاضية لزواجهما ، تشعر برعدة فى جسدها وتضم ركبتيها إلى صدرها بشكل غريزى وتدس وجهها فى الوسادة بشكل أعمق .

ومع ذلك ، فبعد بضع لحظات ذكرت نفسها بأن زواجها قد أصبح الآن ماضياً . بل لم تعد مضطرة حتى للتفكير فيه الآن . لقد شهد الأمس تحررها من دتش ، فلم تعد مرتبطة به الآن عاطفياً أو شرعياً ، لذا يمكنها الآن أن تتطلع إلى الأمام .

كان توقيت ظهور بين تيرنى فى حياتها للمرة الثانية يشعرها بترتيبات القدر . لقد ظهر ثانية فى نفس اليوم الذى أصبحت فيه حرة . فى الليلة السابقة ، لم يوقظ فقط مشاعرها الأنثوية الراقدة ، بل لقد انجذبت إليه فى اللحظة التى ابتسم لها فيها من كرسيه بالأتوبيس المتهالك الصدء .

وخلال ذلك اليوم الذى قضياه معاً عند النهر ، أصبحت تحب كل ما فيه.. أصبحت تحب شكله ، بكل تأكيد . ما الذى يمكن ألا يعجبها فيه ؟ لكنها أيضاً أحبته كإنسان ، أحبت ذكاءه والسلاسة التى يتحدث بها فى أى موضوع كان .

ولقد جذب إليه آخرين أيضاً فى المجموعة فى ذلك اليوم ، فلم تخف فتاتا الجامعة إعجابهما به . وحتى المغرورين فى المجموعة ، والذين أبغضوا تميزه فى ركوب الزورق فى البداية ،

جاءوا إليه يسألونه المساعدة فى نهاية اليوم . كان تيرنى يجذب الناس إليه بلا مجهود واضح ، حتى لم يعد هناك أحد غريباً بالنسبة له .

لكنه بقى غريباً .

كان يصادق الناس بدعوتهم للحديث عن أنفسهم ، لكنه لم يكشف شيئاً عن نفسه . هل كان هذا التناقض هو ما يجعله غامضاً ومغوياً ؟

لقد أدهشها حتى التفكير فى الكلمة " مغو " ، لما لها من إيماءات تنطوى على الشر . لكنها لم تكن تستطيع التفكير فى كلمة أفضل من تلك لوصف جاذبية تيرنى . فى المرتين التى قابلته فيهما ، استجابت لتلك الصفة غير المحددة بدرجة جعلتها غير مستريحة .

منذ أول تحية تبادلاها ، كانا يعلمان أن هذا سوف يحدث ولكن بشكل منفصل ، وبدا الأمر وكأنه قضاء محتوم تم تأجيله ببساطة لعدة أشهر .

ولابد وأنها حركت بداخله مشاعر جميلة مثل تلك التى شعرت بها ليلى على يقين من أنه تأثر أكثر منها .

لقد أوضحت له بشكل قاطع أنها ليست لديها أية ميول رومانسية نحو دتش ، ولابد أنه لا يتصور أنها مرتبطة بأى شخص آخر ، لكن ــــ

خرج قطار أفكارها عن قضبانه !

لم تكن هى مرتبطة بأى شخص آخر ، لكن ماذا عن تيرنى ؟

إنـه لا يرتـدى خـاتم زواج ، ولم يـذكر أمامهـا قـط أن لـه زوجة ، أو أن له أية علاقة أخـرى ذات بـال ، لكنهـا أيضـاً لم تسأله عن ذلك بشكل محـدد . إن طلبـه موعـداً منهـا فـى اليـوم الذى تقابلا فيه لا يعنى شيئاً .

إنه لم يشر ليلة أمس إلى وجود زوجة تقلق بشأن عدم عودتـه إلى البيت ، ولكن هذا لا يعنى عدم وجود زوجة ثائرة فى البيت الآن فى جنون متسائلة عن مكانه وعمن معه ؟ تماماً مثلما كانـت تفعل من أجل دتش فى عدد لا يحصى من الليالى .

يالسذاجتها حين تظن أنه لا توجد امرأة فـى حياتـه ! أهـذا ما تتصورينه يا ليلـى عـن رجـل بهـذه الوسـامة ؟ لا يـا ليلـى ، كونى أكثر واقعية .

تحولـت نظرتهـا منـه إلى حقيبتـه التـى كانـت لاتـزال علـى الأرض أسفل المائدة البعيدة حين دفعها ليلة أمس ، مـدعياً أنهـا لا تحوى شيئاً مفيداً .

مع ذلك ، فربما يكون بها شيء يدلها على الخبر اليقين .

" سكوت " .

" إمممم ؟ " .

" استيقظ " .

" إمممم ؟ " .

" لقد قلت استيقظ " .

انقلب سكوت على ظهره وفتح عينيه عن آخرها . كـان ويـز يقف فى مدخل غرفة نومه ، مكشـراً فـى وجـه سـكوت . رفـع سكوت جسـده علـى مرفقيـه ونظر خـلال النافـذة فـرأى اللـون

الأبيض محيطاً . لم يكن حتى يستطيع رؤية سور الفناء الخلفى ، فقال : " ألم يلغوا الدراسة اليوم ؟ " .

" لقد ألغوها بالتأكيد ، لكن إذا كنت تعتقد أنك ستظل راقداً فى كسل طوال اليوم ، فاسمع ما سأقوله لك . انهض . سأنتظرك فى المطبخ . أمامك ثلاث دقائق " .

ترك ويز الباب مفتوحاً ، موحياً إلى سكوت بأنه غير مسموح له بالعودة إلى النوم . وضع سكوت رأسه مرة أخرى على الوسادة لاعناً . حتى فى هذا اليوم الثلجى غير مسموح له بالإجازة . جميع من فى البلدة سيستريحون اليوم ، أما هو ـ ابن المدرب ـ فلن يكون مسموحاً له بذلك .

أراد سكوت أن يجذب الأغطية فوق رأسه ، فبإمكانه أن ينام اليوم كله لو أنه ترك يفعل ما يريد . لكنه إن لم يكن فى المطبخ خلال ثلاث دقائق ، فسيفتح على نفسه أبواب الجحيم . لن يجديه ذلك إذن .

أطلق سكوت لفظة نابية وهو يزيح عن نفسه الأغطية .

كان والده يحسب له الوقت بالفعل ، وحين دخل سكوت المطبخ ، نظر ويز إلى ساعة المطبخ ، ثم نظر إليه نظرة جعلته يعلم أنه لم يف بالمعود بالضبط عندئذٍ جاءت والدته لإنقاذه .

" صباح الخير يا حبيبى . هل تريد لحماً وبيضاً أم تريد بعض الكعك ؟ " .

قال سكوت : " أيهما أسهل " . وجلس إلى المائدة . ثم أخذ يصب لنفسه كوباً من عصير البرتقال وهو يتثاءب بشدة .

سأله والده : " متى عدت إلى المنزل فى الليلة الماضية ؟ " .

" لست أذكر على وجه التحديد . لم تكن قد عدت بعد " .

" لقد كنت مع دتش " .

" طوال ذلك الوقت ؟ " .

" لساعات " .

" هل استطعتما صعود الجبل ؟ " .

حينما انتهى ويز من حكاية أحداث الليلة السابقة ، كانت دورا قد وضعت أمام سكوت طبقاً به لحم وبيضتان مقليتان وكعكتان ، شكرها سكوت بابتسامة .

قال ويز : " لقد كانت مغامرة حقيقة ، خصوصاً رحلة الذهاب إلى المكان الذى أخذنا كال هوكينز منه . ومن حسن حظنا أننا استطعنا الفرار قبل أن يطلق علينا ثلاثة من الأوغاد النار " . ثم قال لفظاً نابياً .

" ويز ! " .

ضحك لصدمة زوجته قائلاً : " هونى عليك يا دورا ، إن سكوت يعرف أن هذه الأشياء تحدث ، أليس ذلك يا بنى ؟ " .

شعرت سكوت بالحرج من أجل والدته ، فظل خافضاً رأسه مستمراً فى الأكل . كان والده يحب أن يستخدم ألفاظاً غير لائقة أمامه ، وكأنه يضمه بذلك إلى مجتمع الرجال المسموح لهم بهذه الميزة . كان ذلك زيفاً بالطبع ، ففيما عدا ذلك كان ويز يعامل سكوت على أنه طفل ـ ليس له من العمر سوى سنتين . إنه بعد بضعة شهور سيحتفل بعيد ميلاده التاسع عشر ، ومع ذلك مازال يُملى عليه ما يأكله ومتى ينام ومتى يستيقظ !

لقد كان سكوت أكبر طالب فى السنة النهائية ، فقد جعله والده يعيد السنة السادسة ، ليس لأنه فشل فى أى من المواد ، وليس لأنه كان غير ناضج اجتماعياً أو لديه نقص فى أى ناحية

من النواحى ، ولكن لأن ويز أراد أن يعطيه سنة إضافية كى ينمو فيها جسمه ويتطور قبل أن يدخل إلى عالم الرياضة فى المدرسة الإعدادية .

كان ذلك أمراً مهيناً ، لكن ويز كان قد اتخذ القرار قبل أن يناقشه مع سكوت أو مع والدته ، وتمسك بقراره رغم معارضاتهما .

قال ويز : " إن معسكرات كشافة الجامعة تبدأ فى البحث عن اللاعبين من سن مبكرة فى الصف السابع أو الثامن . إن سنة أخرى من النمو ستعطيك ميزة ، وانتماؤك إلى مدرسة صغيرة كمدرستنا يجعلك تحتاج إلى فعل كل ما تستطيعه لتتميز " .

مازال ويز يتخذ كل قرارات سكوت نيابة عنه . من الناحية القانونية ، كان سكوت رجلاً بإمكانه أن يحارب ويموت من أجل وطنه ، لكنه لا يستطيع مواجهة والده .

قال ويز وكأنه قرأ أفكار سكوت : " انته من تلك النماذج اليوم . لا عذر لديك فى ألا تفعل ذلك " .

" إن الجميع مدعوين للبقاء فى بيت جارى " . كان جارى أحد زملاء سكوت فى الفصل ، ولم يكن يحبه بشكل كبير ، لكنه لديه إمكانيات الترفيه الرياضى ، وقضاء اليوم فى التمتع بهذه الإمكانيات خير له من قضائه فى ملء نماذج التقدم للجامعة .

قال والده : " انته من النماذج أولاً . فى هذه المرة سأتحقق بنفسى من الانتهاء منها . بعد الغداء ، سأصطحبك فى السيارة إلى صالة الألعاب الرياضية حتى لا يفوتك التمرين " .

" أستطيع الذهاب وحدى " .

هز ويز رأسه قائلاً : " لا تستطيع القيادة فى طريق زلج بفعل الثلوج ، فقد تصطدم بشيء ما وتكسر رجلك . لا ، سوف أصطحبك معى " .

قالت والدته : " لا أظن أن التغيب عن تمرين واحد سيكون مشكلة " .

" إذن فهذا يدل على قلة معرفتك بالأمر ، أليس كذلك يا دورا ؟ " .

رن الهاتف .

قال سكوت : " سوف أرد على الهاتف" .

خطف ويز منه السماعة قائلاً : " سأرد أنا . ابدأ أنت فى النماذج " .

حمل سكوت طبقه إلى الحوض وعرض على والدته مساعدتها فى وضع الأطباق بغسالة الأطباق ، هزت والدته رأسها قائلة : " الأفضل أن تفعل كما قال ويز كلما انتهيت مبكراً ، استطعت الانضمام إلى أصدقائك مبكراً " .

وضع ويز السماعة قائلاً : " لقد كان ذلك ويليام ريت ".

شعر سكوت بقشعريرة واضطراب .

" لقد طلب منى أن أذهب إلى الصيدلية الآن " .

سأله سكوت قائلاً : " لم ؟ " .

نظرت دورا خارج النافذة قائلة : " هل الصيدلية مفتوحة اليوم ؟ " .

" نعم إنها مفتوحة وهو بها يمارس أعماله . لن تصدقا من الذى وصل إلى الصيدلية الآن ليقابل دتش " . وسكت لعدة ثوان

جاعلاً سكوت ودورا ينتظران فى لهفة قبل أن يقول فى همسة سريعة : " رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية " .

سألت دورا قائلة : " ماذا يريدون من دتش ؟ " .

كان سكوت بإمكانه أن يخمن ، لكنه انتظر حتى يقول لهما والده السبب .

أحضر ويز معطفه وأخذ فى ارتدائه وهو يقول : " أراهنكما أن الأمر يدور حول ميليسنت . بوصفي رئيس مجلس المدينة . اعتقد ريت أننى يجب أن أعرف شيئاً بشأن هذا التطور " .

وفتح الباب الخلفى وهو يقول فى أثناء خروجه : " ربما يكون قد ظهر لهم أى خيط " .

تابعه سكوت وهو ينصرف ، وأخذ يحدق طويلاً فى الباب الذى أغلقه والده وراءه .

الفصل

١٥

فى الأحوال العادية ، كانت ليندا ويكسلر تبدأ عملها فى صيدلية ريت فى تمام الساعة السادسة ؛ حيث كانت تبدأ بإعداد القهوة وعمل الاستعدادات اللازمة لفتح الصيدلية فى السابعة من أجل المنتظرين فى إصرار كل صباح لتناول البرغل واللحم المحمر .

فى ذلك الصباح ، لم تكن ليندا ستفعل هذا ، فاتصلت بـ " ويليام " قبل طلوع الشمس لتخبره بأن بيتها يبدو كأحد بيوت سيبريا ؛ فقالت : " لايزال الثلج ينهمر فى منتهى الشدة . لن أستطيع مغادرة المنزل قبل أن تقوم شاحنة الرمل بإصلاح الطرق الخلفية . أنا اليوم فى إجازة " .

أبلغ ويليام ماريلى بذلك ، فحاولت ماريلى إقناعه بعدم مغادرة المنزل وفتح الصيدلية ، وقالت له : " من يغامر بالخروج من منزله فى هذا الصباح ؟ انتظر بضع ساعات على الأقل ، حتى يتم ترميل الطرق " .

لكنه كان ملتزماً بفتح الصيدلية فى موعدها بعناد وقال : " لقد أخليت بالفعل مدخل المرآب من الثلج . بالإضافة إلى أن عملائى يعتمدون علىّ " .

كانا يوقفان سيارتيهما فى سقيفة السيارات المرفقة بالمنزل . ولقد شاهدت ماريلى ويليام من خلال نافذة المطبخ وهو يستقل سيارته ويدير المحرك ويشير إليها بإبهامه من خلال حاجب الرياح . تراجع ويليام بالسيارة بحذر . وابتعد بها .

ورغم أن ماريلى حاولت أن تقنعه بعدم الذهاب ، فإنها رحبت بفكرة بقائها وحدها فى المنزل . إن حريتها التى ستمتلكها ليوم كامل تجعلها تشعر بسعادة طاغية . عادت ماريلى إلى غرفة النوم وصعدت إلى سريرها الدافىء لتنعم بالدفء .

لم يمكث معها محبوبها طوال الليل بالطبع ، لكنها كانت تجد سعادتها كلها فى تلك الساعات القليلة التى تمضيها معها . كانا يتبادلان الكلمات الرقيقة ويتحدثان بلغة العيون المعبرة ... لم تكن تمنع عنه أى شىء قط بل كانت تعامله كزوج لها لتعوض معه سنوات من التعطش والحرمان .

قبل محبوبها هذا ، كانت حياتها الجنسية أرضاً خراباً غير محددة المعالم . فأول مرة لهما معاً كانت لا تنسى .

وقد أتى التمهيد لهذه المرة الأولى تدريجياً ، فقد كانت تعرفه منذ سنوات ، لكن مفهوم كل منهما عن الآخر تغير فجأة . بدا وكأن كلا منهما . فى نفس الوقت ، قد بدأ يرى صاحبه فى ضوء مختلف . كان كل منهما غير واثق من أن هذه الرؤية

الجديدة متبادلة ، لذا فقد انجذب كل منهما نحو الآخر بحذر ، إلى أن تم الإقرار بإقامة هذه العلاقة بشكل ضمنى .

وحين حدث ذلك ، بدأ كل منهما فى اختلاق الأسباب للوصول إلى الآخر . كانت محادثاتهما مليئة بالإيماءات ، رغم أنهما كانا يبدوان لأى شخص آخر فى منتهى البراءة والأدب . حين كانت الأعين تتلاقى ، حتى فى الأماكن المزدحمة العامة ، كانت تتبادل التعبير بلا كلام عن إعجابهما ورغبتهما ، كما كانا يعترفان لبعضهما البعض فيما بعد .

بعد ذلك ، وفى إحدى الأمسيات ، نالا ما كان كل منهما يتمناه بينه وبين نفسه ـ اختلى أحدهما بالآخر ـ كان ويليام قد ذهب إلى أعلى الجبل ليتابع العمل فى المنزل القديم ، فلم تكن ماريلى بحاجة للإسراع إلى البيت بعد المدرسة ، فبقيت فى فصلها مفضلة أن تقوم بتصحيح الأوراق على مكتبها بدلاً من أن تحملها معها إلى البيت لتعود بها مرة أخرى فى اليوم التالى .

لاحظ هو سيارتها فى مكان انتظار السيارات ، فدخل إلى المبنى بحجة البحث عن شخص آخر .

حين ظهر لها فجأة عند باب الفصل المفتوح ، ارتاعت لأنها كانت تظن أنها وحدها فى المبنى . انهكما بعد ذلك فى حديثهما العادى المهذب ، فسألها عما إذا كانت قد رأت الشخص الذى من المفترض أنه يبحث عنه ، فقالت إنها لم تره ، وكان كل منهما يعلم أن الأمر برمته مزيف .

بقى فى مكانه لم ينصرف ، وأخذت هى دباسة الأوراق وراحت تفحصها وكأنها اختراع جديد غير مفهوم ثم إعادتها إلى مكانها بالضبط . بعد ذلك خلع سترته وطبقها فوق ذراعه ،

بينما أخذت هى تتحسس قرطها اللؤلؤى ، ثم أخذا يتبادلان دردشة عادية .

وسرعان ما نفدتِ كل الأشياء التى يمكن قولها دون الوقوع فى الابتذال . ومع ذلك ، لم ينصرف . بقى فى مكانه محدقاً فيها بشوق ، منتظراً إشارة لإرضاء اللهفة التى يشعر كل منهما بها فى حضور الآخر .

فى الواقع ، تنازل هو لها عن زمام المبادرة ، فلم يكن لديه الحرية لاتخاذ عشيقة . وكانت ماريلى تعرف ذلك وتتقبله وتتغاضى عنه . لمرة واحدة فى حياتها ، ستكون أنانية وتحصل على ما تريده دون أن تضع فى اعتبارها رأى أى شخص آخر . ولتذهب العواقب إلى الجحيم .

كان أجرأ شىء فعلته فى حياتها أنها طلبت منه اصطحابها إلى المخزن لحمل صندوق من الكتب وإحضاره إلى الفصل . قالت : " طلبة الفترة الخامسة سيبدأون فى قراءة إيفانو الأسبوع المقبل " ، وكانا يجتازان الطرقة القصيرة الخالية التى تردد حوائطها المعدنية صدى صوت أقدامهما . تابعت قائلة : " الكتب موجودة هنا " .

فتحت ماريلى قفل باب المخزن ودخلت أمامه ، ثم جذبت السلك المتدلى من مصباح السقف فأضاءته ، ثم مدت يدها خلفه لتغلق الباب وتحكم إغلاقه ، ووقفت أمامه واضعة ذراعيها فوق جبينها ومنتظرة ما سيفعله . لقد أوصلته بتدبيرها إلى هنا ، أما الخطوة التالية فعليه هو أن يقوم بها .

وهنا كانت بداية علاقتهما الآثمة المحرمة ، وتوالت اللقاءات بينهما فطلبت منه أن يتسلل إلى غرفتها من خلال

الباب السرى فى الناحية البحرية وعندما سألها عن ويليام أخيها أكدت له أنه ينام مبكراً .

أخذت ماريلى تتذكر كيف دخلت معه فى هذه العلاقة ولكن عندئذٍ رن الهاتف فقطع حبل أفكارها .

نظرت ماريلى إلى رقم الطالب ووجدت أنه ويليام يتصل من الصيدلية . إذا لم ترد على الهاتف ، يمكنها بكل بساطة أن تدعى أنها كانت فى الحمام . لكن ماذا لو أنه يحتاج إلى مساعدتها بالفعل ؟ هل تستطيع أن تغفر لنفسها عدم الرد لأنها متعبة وترغب فى نيل قسط من الراحة ؟ فى النهاية ، كانت الغلبة لعقدة الذنب .

" ما الأمر يا ويليام ؟ " .

كان الغضب بادياً على صوت ماريلى . تساءل ويليام عما إذا كانت قد عادت إلى النوم بعد أن ترك هو المنزل ، ربما . إنها لم تأخذ قسطاً كبيراً من النوم ليلة أمس . حسناً ، فهذا هو ثمن العاطفة المشبوهة سيكون من الأفضل لها أن تضع حداً لكل هذا .

كان ويليام غالباً ما يشعر برغبة جارفة فى أن يفاجىء أحدهما أو كليهما بمعرفته بعلاقتهما غير الشرعية ، فكان ينتظر بنفاد صبر اللحظة التى يكشف فيها عن معرفته بأمر علاقتهما المحرمة . سوف يحملقان فيه مرتعبين ، ويدركان أن مستقبلهما أصبح وفق هواه .

إنها ستكون لحظة انتظار رائعة . وبالطبع ، كان نصف المتعة يكمن فى حقيقة أن هذه اللحظة آتية لا محالة ، لذا يمكنه أن ينتظر . سيعلم متى سيكون الوقت مناسباً ، وحين يكون

مناسباً سينصب الفخ . فى أثناء ذلك ، سيضبطهما فى حالة تلبس .

كان من الصعب ألا يبدو عليٍ صوته أنه يبتسم وهو يقول : " أريد أن تأتى إلى الصيدلية حالاً يا ماريلى " .

" لماذا ؟ ما الأمر ؟ " .

قال ويليام بصوت خفيض : " لا شيء . إن لدى عملاء . عملاء مهمون . اثنان من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية . كانا ينتظران فى سيارتهما حين وصلت إلى هنا ، وسوف يلتقيان مع دتش لمناقشة اختفاء جان . يجب أن أقدم لهما الإفطار ، وكما تعلمين فإن ليندا لا تستطيع الوصول إلى هنا " .

" لا أعرف كيفية استخدام ذلك الموقد " .

" سيكون الأمر صعباً بهذه الطريقة . أعرف أنك ستستطيعين التصرف . لا تتأخرى . إننى أحتاج إليك هنا الآن . لقد اتصلت بـ " ويز " ــــ "

" لماذا ويز ؟ " .

" بوصفه رئيس مجلس المدينة . أعتقد أنه ينبغى أن يعلم بهذا الأمر . على أية حال ، إنه فى طريقه الآن . متى يمكنك الوصول إلى هنا ؟ " .

" أمهلنى عشر دقائق " .

وضع ويليام السماعة مبتهجاً بنفسه .

دق الجرس الموجود أعلى الباب فى أثناء دخول دتش إلى الصيدلية ، فأحنقه الصوت المرح الذى أصدره الجرس .

وبقبضة مستميتة على مرفق كال هوكينز ، كان دتش يكاد يجره إلى طاولة الغداء ويجلسه فوق أحد الكراسى بلا مقدمات متمنياً أن توقظه هذه الحركات المفاجئة .

قال دتش لـ " ويليام ريت " : " أحضر له بعض القهوة من فضلك " ، وكانت ابتسامة ويليام المرحة تزعجه كما أزعجه ذلك الجرس الغبى الموجود فوق الباب . تابع دتش قائلاً : " اجعل القهوة بدون سكر ومركزة ، واصنع لى نفس الشىء " .

أشار ريت إلى إناء صنع القهوة قائلاً : " حالاً " .

بشكل غير مثير للدهشة . لم يكن هوكينز قد استيقظ واستعد بعد للذهاب حين وصل دتش إلى منزله المتهادى . لم يرد هوكينز عليه حين طرق الباب ، لذا فقد دخل دتش دون إذن . كان المكان مليئاً بالقمامة لدرجة تجعله عرضة للحرائق ، وكانت تشيع به رائحة السباكة التالفة واللبن الحامض . وجد دتش هوكينز ينام بكل ملابسه فى فراش يأبى كلب أجرب أن ينام فيه . جذبه دتش من الفراش وأخذ يجرجره إلى خارج المنزل حتى وصل إلى سيارته البرونكو المنتظرة .

وفى أثناء الطريق إلى وسط المدينة ، أعاد دتش على مسامع هوكينز أهمية أن يجمع شتات نفسه ويصعد الجبل بشاحنة الرمل . ورغم أن هوكينز رد على كل ما قاله له بايماءة من رأسه أو بصوت يدل على الموافقة ، لم يكن دتش مقتنعاً بأنه واعٍ بشكل كامل .

بالإضافة إلى ذلك ـ وكأن التعامل مع هوكينز لم يكن أمراً سيئاً بما يكفى ـ كان على دتش أن يتلطف مع عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية . كان ذلك أبغض شىء إلى نفسه فى أى

وقت من الأوقات ، لكن بعد الليلة التى قضاها سيكون الأمر مزعجاً بشكل خاص .

بعد أن أوصل دتش ويز إلى منزله ، لم يذهب مباشرة إلى المقر الرئيسى ، لذا كان الوقت متأخراً جداً حين وصل إلى هناك ، وعلى سبيل التحية سلمه جندى المراسلة عشرات الملاحظات باتصالات هاتفية وردت إليه .

كانت كل الاتصالات عبارة عن شكاوى لا يستطيع أن يفعل شيئاً حيالها حتى يتحسن الجو ، من قبيل : وجود نافورة متجمدة أمام مبنى البنك . وضياع بقرة حلوب . وفرع شجرة انكسر من وطأة ثقل الثلج عليه فسقط على حوض المياه الساخنة الخارجى للمالك وكسر غطاءه .

وكانت تلك مشكلته ، لماذا ؟

كان هناك اتصال من السيدة كرامر التى كانت تتمتع بثراء فاحش نتيجة بيع زجاجات المياه الغازية التى كان جدها الأعظم بحكمته قد اشتراها بثمن بخس ، لكن لا يوجد على الأرض من هو أبخل وأخس منها . اتصلت لتبلغ عن لص تسلل إلى فنائها الخارجى . أعاد دتش قراءة الرسالة كما كتبها جندى مراسلاته ، وقال : " هل هذا الاسم هو سكوت إتش . ؟ " .

" نعم ، ابن ويز هامر . قالت السيدة إنه كان ماراً بمنزلها وكأنه فى إحدى أمسيات شهر مايو وليس فى تلك البرودة ، وإن سألتها عن سبب إتهامها له فلا فائدة من ذلك " .

قال دتش : " حسناً ، أنا لم أسألها ، وعلى أية حال فهى مريضة بالوهم . لقد كنت فى منزل عائلة هامر ، وكان سكوت

بغرفته مطلقاً صوت جهاز الاستريو على آخره . بالإضافة إلى ذلك ، لم يكن ويز ليتركه يخرج فى ليلة كهذه " .

رفع جندى المراسلة كتفيه العريضين فى عدم اهتمام ، ولم يرفع عينيه عما كان يشاهده فى التلفاز الأبيض والأسود الذى أمامه ، ثم قال : "ماذا تتوقع من معتوهة كهذه لا هواية لها سوى التنقيب في صفائح القمامة ؟ "، وكان معروفاً عن السيدة كرامر أنها تصنع قفازاً مطاطياً وتنقب فى صفائح القمامة تحت جنح الظلام . إنها شخصية غريبة !

كور دتش ورقة هذه الملاحظة وألقى بها فى سلة المهملات ، ووضع الأوراق التى تضم باقى الملاحظات فى جيب قميصه ليتعامل معها فيما بعد ، لكن ليس قبل أن تنزل ليلى سالمة من على قمة جبل كليرى . هذا هو كل ما يهمه فى هذا الصباح ، أن يجعل كال هوكينز يصعد الجبل بشاحنة الرمل كى ينقذ ليلى .

صحيح أن الثلج مازال ينهمر بشدة ، وصحيح أن الثلج أصبح طبقات يعلو بعضها بعضاً ، وكان هذان هما الاعتراضان اللذان احتج بهما هوكينز رغم سكره البين ، وكان محقاً ، ولكن لن يكون الأمر بالصعوبة التى مروا بها ليلة أمس حين كان الظلام الدامس أحد العوائق . على الأقل كان هذا رأى دتش .

حين رأى نفسه فى مرآة الحائط الخلفى لنافورة الصودا ، أدرك ما سيراه عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية ـ سيريانيه خاسراً أنهكه التعب ـ لقد نام بطريقة غير مريحة على كرسى مكتبه حتى الفجر ـ تقطع نومه باستمرار أفكار مزعجة عن ليلى

وتخيله لما تفعله فى أية لحظة من اللحظات . وما كان يفعله بين تيرنى . وما كانا يفعلانه معاً .

قبل أن يغادر المقر ، اغتسل وحلق ذقنه فى أحد مراحيض الرجال مستخدماً شفرة غير حادة وقطعة صابون رديئة وماء فاتراً وحوض استحمام ضحل . ولو أنه كان يعلم أنه سيقع تحت أعين رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية ، لذهب إلى المنزل وأخذ حماماً وارتدى زياً نظيفاً .

لا فائدة الآن .

سأل ريت قائلاً : " ما أخبار القهوة ؟ " .

" دقيقة أخرى أو دقيقتين . سأحضرها لك حين تكون جاهزة " .

بعد أن استنفد أسباب تأجيل المقابلة ، استدار دتش نحو المكان الذى ينتظره به العميلان كعقابين يحلقان فوق حيوان يحتضر ، وكان الأكبر سناً فيهما حريصاً بين الحين والآخر على النظر فى ساعة معصمه .

هذان الوغدان . هل يظنان أنه تحت أمرهما ؟ يبدو ذلك ، خصوصاً بعد الطريقة التى فرضا عليه بها هذه المقابلة دون إعطائه إنذاراً .

فلم يكد يتجاوز منزل هوكينز ، حتى تلقى اتصالاً من هاريس الذى كان لاهثاً متلعثماً من شدة الإثارة ، لكن فى النهاية استطاع دتش أن يفهم ما يريد قوله : أن يقابل عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية فى الصيدلية خلال نصف ساعة .

" من الذى طلب هذا ؟ العميل الخاص وايز ؟ " .

رد هاريس قائلاً : " لا . الرجل الأكبر سناً ، والذى قدم نفسه على أنه القائد " .

" وأين قابلتهما ؟ " .

" لا أظن أن باستطاعتى أن أقول هذا . لقد طُلِبَ منى ألا أذكر أسماء عبر جهاز اللاسلكى " .

" ما الذى يرغبان فى مقابلته من أجلى ؟ " .

" هذا شىء آخر ليس من المفترض أن أقوله عبر اللاسلكى " .

أخذ دتش يسب ويلعن بصوت خفيض ، ما الذى حدث لـ " هاريس " ؟ هل هو مسحور ؟ قال دتش : " حسناً ، إن كانا فى الصيدلية حين أصل هناك فلا بأس ، لكننى لن أنتظرهما إن لم يكونا بها " .

" لا أظن أن من مصلحتك إغضاب هذا الرجل يا سيدى " .

كان دتش يكره تحدى سلطته ، خصوصاً من قبل ضباط قوته ؛ فقال : " لا أظن أن من مصلحته هو الآخر إغضابى " .

قال هارس: " لا يا سيدى ، لكنه قد أخبرنى أنه من المهم أن تقابله هذا الصباح . ولقد أدركت من الطريقة التى قال بها ذلك أنه سيكون غاضباً جداً إن لم تأت إليه . هذا مجرد رأى يا سيدى ".

والآن بعد أن رأى دتش القائد بنفسه ، اتفق مع هاريس فى رأيه . من النظرة الأولى عرف دتش أنه رجل حازم لا يعرف الهزل ، فلديه الكثير من الخبرة فيما يتعلق بهؤلاء الأشخاص ضيقى الأفق فى قسم شرطة أطلانطا ، وهذا ما جعله يكره الرجل على الفور .

ودون استعجال ، مشى دتش متمهلاً إلى المكان الذى يجلس به العميلان وجلس قبالتهما قائلاً بدون اهتمام : " صباح الخير " .

قام وايز بمهمة التقديم قائلاً : " أيها المأمور دتش بورتون ، هذا هو القائد كين بيجلى " .

كان بيجلى فظاً حتى فى نطقه لكلمة " بورتون " التى نطقها وهو يصافح دتش ، وكان هذا وحده يكفى دليلاً على رأيه فى دتش ، فقد قلل من أهميته حتى قبل أن يتبادلا تحية التعارف المعتادة ، فكانت هذه الأمور بالنسبة له مجرد شكليات لابد أن يؤديها قبل أن يتعرف على رجل الشرطة الغبى .

إن الأوغاد عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية هؤلاء يدعون أنهم لا ينظرون إلى رجال الشرطة المحلية تلك النظرة ، فالقواعد تقضى بأن كل من يضع شارة مكتب التحقيقات الفيدرالية يكون أجدر الناس بالاحترام . هراء . قد تجد استثناء لهذه القاعدة إن دققت النظر بين صفوفهم ، لكن بصفة عامة فهم يظنون أنهم يعرفون كل شيء ويستحقون كل الاهتمام .

قال وايز : " إننا نعتذر لأن الأمر جاء مفاجئاً " .

كان دتش قد تعرف على وايز بعد فترة قصيرة من عودته إلى كليرى واستلامه العمل كمأمور ، وبينما كانا يتصافحان ولأول مرة ، قال وايز إنه قد استراح لأن شخصاً ذا خبرة سيبدأ العمل فى قضايا النساء المختفيات . لكن دتش كان يرى ما وراء هذه الأخلاق العالية ، فقد كان وايز يسخر منه ويعامله كسياسى محترف .

قدم لهم ريت ثلاثة أكواب من القهوة . تجاهل بيجلى كوبه . وفتح وايز عبوة صغيرة تحتوى على مادة تحلية . بينما ارتشف دتش رشفة من كوبه قبل أن يسأل قائلاً : " ما هو الأمر الطارئ ؟ " .

قال بيجلى : " هل تعنى إلى جانب اختفاء خمس نساء ؟ " .

كان كلامه كورقة صنفرة خشنة تخدش أعصاب دتش المضطربة ، فأراد دتش أن يضربه ، ولكن بدلاً من ذلك ، تبادل دتش النظر مع العميل كبير المقام وأعرب كل منهما فى صمت عن ازدرائه للآخر .

سعل وايز سعالاً خفيفاً خلف قبضة يده ورفع نظارته التى كادت أن تسقط قائلاً : " سيدى ، أنا واثق من أن السيد بورتون لم يقصد التقليل من أهمية العثور على النساء المختفيات " .

" لقد أوقفت سوء الأحوال الجوية تحقيقاتى بشكل مؤقت " .

سأله بيجلى قائلاً : " ماذا يعنى هذا ؟ " .

وبأسلوبه الدبلوماسى خفف وايز بسرعة من حدة سؤال بيجلى قائلاً : " ربما يجدر بك أن تطلعنا على آخر ما توصلت إليه تحقيقاتك أيها المأمور بورتون " .

كان صبر دتش قد أوشك أن ينفد ، لكن كلما أسرع فى إجابة سؤالهما جعله هذا ينتهى منهما سريعاً ويواصل ما كان ينوى عمله ، فقال : " منذ أن علمت لأول مرة باختفاء ميليسنت جان أطلقت كل من استطعت توفيرهم من الرجال - من القسم

وشرطة الولاية ومكتب حاكم المقاطعة وعدد كبير من المتطوعين - لتمشيط المنطقة بحثاً عنها .

لكن طبيعة الأرض المحيطة بهذه المنطقة تجعل سير البحث بطيئاً ، وخصوصاً أننى طلبت منهم ألا يتركوا سنتيمتراً واحداً إلا ويبحثوا فيه . بالأمس ، حين بدأت العاصفة ، اضطررت إلى إلغاء البحث . فلن نستطيع مواصلة البحث بعد ما سيفعله هذا الجو بالأدلة " .

وبينما كان يشير إلى مقدمة المبنى ، شاهد ويز هامر وماريلى ريت يدخلان من ناحيتين متقابلتين ويصلان إلى الباب فى نفس الوقت . فتح ويز الباب من أجل ماريلى ، ثم تبعها سريعاً إلى الداخل ، وكانا يتضاحكان بخصوص الثلج العالق بملابسها ، ثم وقفا لدى الباب وأخذا يضربان الأرض بأرجلهما لإزالة الثلج عن حذائيهما .

خلع ويز قبعته وقفازه وخلعت ماريلى أيضاً قبعة من على رأسها وضحكت حين جعلت الكهربية الساكنة شعرها يقف . كانت أنف ماريلى محمرة ؛ لكن دتش شعر بالدهشة حين رأى ما تبدو عليه من جمال وحيوية فى هذا الصباح .

نادى ويليام ماريلى ، فذهبت إليه مسرعة خلف نافورة الصودا . نظر ويز نحو الكابينة التى يجلس فيها دتش مع عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، فلم يندهش لرؤيته معهما . إن ريت ، باعتباره الشخص الفضولى فى البلدة ، ربما يكون قد اتصل بـ " ويز " من أجل أن يعلمه بالمقابلة .

لقد تبادل دتش ليلة أمس بعض الكلمات الجافة مع ويز وانصرف كل منهما غاضباً من الآخر . وبعد ما قاله دتش عن ويز

والنساء ، فتح ويز باب السيارة البرونكو المجاور له بعنف وخرج منها قائلاً : " لا يمكنك إغضابى يا دتش ، فأنا تقريباً الصديق والحليف الوحيد الذى بقى إلى جانبك " ، ثم صفق الباب قبل أن يبدأ السير وسط الثلوج المنهمرة .

سيأكل منهما الآخر الآن بإيماءة مقتضبة ، ثم حول دتش انتباهه نحو وايز وبيجلى مرة أخرى .

تابع دتش قائلاً للعميلين : " لقد تحدثت إلى السيد والسيدة جان مساء أمس " ، لكنه لم يخبرهما بأن والدى ميليسنت هما اللذان سعيا إليه ، وليس العكس ، وشعر بالسعادة لأن لديه شيئاً كهذا ليقوله على الأقل ، فإن هذا يجعله يبدو متحكماً بزمام الأمور فى القضية .

" أطلعتهما على آخر ما توصلنا إليه بالنسبة لمن اتصلت بهم ميليسنت فى يوم اختفائها ، أولاً فى المدرسة الثانوية ، ثم بعد ذلك فى العمل . ولقد جمعنا قائمة شاملة لكننا لم نتمكن من مقابلة الجميع قبل أن تبدأ هذه العاصفة ، فالقسم صغير وعدد أفراده محدود ، وأنا أعمل بميزانية ضئيلة للغاية " ، والآن بدأت أعذاره تبدو وكأنه ينتحب ، توقف وأخذ رشفة أخرى من القهوة .

نظر دتش نحو نافورة الصودا ، فوجد هوكينز يجلس وقد تهدل كتفاه وهو يمسك بكوب القهوة بين يديه وكأنه يحتاج إليهما جميعاً كى يظل الكوب مستقراً ، وكان ويز يتحدث إلى ريت وماريلى بصوت خفيض ، لكنهما كانا منتبهين له تمام الانتباه ، وتساءل دتش عن سر كل هذا الانتباه لما يقوله ويز .

محولاً انتباهه إلى العمل مرة أخرى ، خاطب دتش وايز قائلاً : " هل عرفت أى شىء من قراءة يوميات ميليسنت ؟ " .

فليتحملا نصيبهما من المسئولية . إنهما مشتركان فى هذه القضية ، مثله تماماً . ورغم كل الموارد التى تحت أيديهما ، لم يحلا القضية هما أيضاً .

رد وايز قائلاً : " هناك فقرة أو فقرتان أثارتا فضولى " ، ثم أضاف عبوة أخرى من مادة التحلية لقهوته وأخذ يقلبها شارداً ثم تابع قائلاً : " وأظنهما غير مهمتين بالنسبة لمسألة اختفائها " .

قال دتش : " غير مهمتين ؟ لو كانا كذلك ، لما جئت إلى هنا ، وبالتأكيد لما جاء القائد بيجلى هو الآخر . ما الذى آثار فضولك ؟ " .

نظر وايز إلى بيجلى ، وواصل بيجلى تحديقه فى دتش دون كلام . تنحنح وايز ونظر إلى دتش مرة أخرى من خلال نظارته ذات العدستين الكبيرتين قائلاً : " هل تعرف رجلاً اسمه بين تيرنى ؟ " .

استيقظ تيرني فزعاً .

كان مستغرقاً فى نوم عميق بلا أحلام فى ثانية معينة، وفى الثانية التى تلتها كان يقظاً مفتوح العينين وهو يحس وخزاً فى أعصابه وكأن شخصاً قد نخسه .

دفع البطاطين بشكل غريزى وأخذ يحاول النهوض . أحس بدفقة من الألم تهاجمه بشكل جعله لاهث الأنفاس واسع العينين . لقد هاجمه الغثيان ، فظل ساكناً يأخذ أنفاساً متلاحقة

قصيرة حتى خف الألم إلى مستوى محتمل واستعاد بعض توازنه . ثم أنزل بحذر رجليه إلى الأرض وجلس فى مكانه .

كانت ليلى قد استيقظت بالفعل ، وكان تيرنى يعلم أن الوقت لابد أنه قد تجاوز الفجر . جرب إضاءة المصباح الموجود على المائدة البعيدة فأضاءت ؛ حيث لم تنقطع الكهرباء عن الكابينة بعد . ومع ذلك ، كان الجو بارداً لدرجة أنه كان يرتعد . من الواضح أن البروبين قد نفد فى أثناء الليل . أول ما يجب أن يفعله اليوم هو إشعال النار .

فى الأحوال العادية ، كان يبدأ فى عمل ذلك على الفور . أما هذا الصباح ، فمجرد الجلوس كان يبدو له مهمة صعبة . كان يشعر بالألم فى عضلاته ، بينما كانت مفاصله قد تيبست من الرقود طوال الليل فى وضع واحد ـ الوضع الوحيد الذى سمحت به الأريكة . حتى انبساط قفصه الصدرى فى التنفس كان يشعره بالألم .

رفع تيرنى ثيابه وأخذ يتفحص أسفل ظهره . كان الجزء الأيسر بالكامل بلون الباذنجان . وبنشاط ، أخذ يتحسس أضلاعه . لا يظن أن أحد أضلاعه مكسور ، لكنه لا يستطيع أن يقسم على ذلك . لو أنه له ضلعاً مكسوراً لكان الألم أشد من ذلك بكثير . ومن حسن الحظ أن أياً من أعضائه لم يحدث به تهتك ، فلو أن ذلك قد حدث لتسرب منه الدم ببطء . على أية حال ، فلم ينزف حتى الموت في أثناء الليل .

كان جرح رأسه قد ترك بقعاً من الدماء على غطاء الوسادة ، لكن الكمية لم تكن كبيرة ، وكان هناك ألم خفيف فى جمجمته

عبارة عن صداع خفيف ، بالإضافة إلى الدوار المتكرر الذى يمكنه التحكم به إن لم يتحرك بشكل مفاجىء .

لحسن الحظ لم يكن يشعر بالغثيان كما كان يشعر به ليلة أمس . فى الحقيقة ، لقد كان جائعاً ، وهو الأمر الذى جاء بمثابة علامة إيجابية بالنسبة له . حين فكر فى القهوة بدأ لعابه يسيل . لذا فسوف يأخذ من مخزون المياه لديهما ما يكفى لعمل كوب من القهوة لكل منهما .

نظر نحو الباب المغلق لغرفة النوم . كانت ليلى بالحمام ، ولابد أن الجو هناك أكثر برودة معا هو هنا . ما الذى تفعله ويجعلها تستغرق كل هذا الوقت ؟ سؤال حساس لا يمكن توجيهه إلى امرأة .

اللعنة . اللعنة على وجوده هنا معها وحدهما .

نهض تيرنى من الأريكة ومشى متعثراً نحو النافذة . كانت الريح لاتزال عاصفة ، لكن ليس بنفس قوة الليلة الماضية ، وكان هذا هو التحسن الوحيد الذى حدث . كان الثلج ينهمر بكميات غزيرة جعلته يتراكم قبالة الأسطح الرأسية ، كان سمكه على الأرض يبلغ ركبة الرجل . لن يستطيعا النزول من الجبل اليوم . لقد كره بشدة تلك المرات التى قام بها بالسير إلى المخزن ، لكن من حسن الحظ أنه فعل ذلك ، فسوف يحتاجان إلى الأخشاب التى أحضرها .

أنزل تيرنى الستارة على النافذة ، واتجه نحو باب غرفة النوم وأخذ يطرقه بهدوء قائلاً : " ليلى ؟ " ، ثم وضعه أذنه على الخشب . وأنصت لكنه لم يسمع أى حركة أو صوت .

هناك شيء خطأ .

لم يكن يشعر بذلك فقط ؛ بل كان متأكداً منه . كان متأكداً من الأمر مثلما هو متأكد من البرد الذى يشعر به فى قدميه ومن الألم الذى بدأ يشعر به فى رأسه مرة أخرى ، ربما بسبب ارتفاع ضغط دمه .

طرق الباب مرة أخرى ، بصوت أعلى هذه المرة : " ليلى ؟ " . ثم دفع الباب فانفتح ثم نظر بالغرفة . لم تكن ليلى في غرفة النوم . وكان باب الحمام مغلقاً . ذهب إليه مسرعاً وطرقه طرقاً شديداً آلم يديه الباردتين . صاح : " ليلى ؟ " . وحين لم يتلق رداً فورياً ، فتح الباب .

كان الحمام خالياً .

أحس بالذعر . واستدار على عقبيه ثم توقف فجأة حين رآها تقف وراء باب غرفة النوم ، ولابد أنها كانت هناك حين دخل إلى الغرفة .

اللعنة !

كانت محتويات حقيبته مبعثرة على الأرض عند قدمى ليلى .

وفى يديها ، كان مسدسه هو مصوباً مباشرة إليه .

الفصل
١٦

أخذ تيرني خطوة نحوها .

" ابق مكانك وإلا أطلقت النار عليك " .

أشار إلى الأشياء المبعثرة على الأرض قائلاً : " يمكنني تفسير كل هذا . لكن ليس وأنت تصوبين مسدساً نحوى " . وتقدم خطوة أخرى .

" توقف وإلا أطلقت النار " .

قال بهدوء يثير الغيظ : " ليلى . ضعى المسدس جانباً ، لن تطلقى النار علىّ ، أو على الأقل لن يحدث هذا عن عمد " .

" أقسم بالله إننى سأفعل " .

كانت يداها المرتعشتان تمسكان بالمسدس بالطريقة التى علمها إياها دتش . فرغم اعتراضاتها ، كان دتش مصمماً على أن تتعلم كيف تستخدم المسدس ، قائلاً إن له أعداء من المجرمين الذى قد يحاولون السعى وراءه حين يتم إطلاق سراحهم من سجنهم الذى كان مسئولاً عنه بشكل كبير . ولقد أخذها إلى مضمار رماية

وعلّمها الرماية حتى أصبح راضياً عن قدرتها على الدفاع عن نفسها فى مواقف الأزمات .

كانت تلك الدروس تجلب له هو السلام النفسى أكثر مما كانت تجلبه لها ، فلم تكن تتصور أبداً أن تضطر إلى الاستفادة مما تعلمته فيها ، وبكل تأكيد لم تكن تتخيل أن تضطر إلى استخدام ما تعلمته فى تلك الدروس مع بين تيرنى .

سألته قائلة : " من أنت ؟ " .

" تعلمين من أنا " .

قالت بجفاء : " كنت فقط أظن أننى أعلم " .

" كل ذكر فى هذه النواحى يزيد عمره على اثنى عشر عاماً يحمل سلاحاً نارياً " .

" صحيح . وجود مسدس فى حقيبة رجل يهوى التريض أمر لا يدعو إلى القلق " .

" إذن ما الذى يجعلك تصوبين المسدس نحوى " .

" أنت تعلم لماذا يا تيرنى ؛ أنت لست غبياً . لكن أظن أننى أنا التى كنت غبية " .

إن كثيراً مما قاله وفعله خلال الساعات الثمانية عشرة الماضية كان يبدو لها غريباً ، لكنه لم يكن مخيفاً بالنسبة لها بأى حال من الأحوال ، فإذا أضيف إلى ذلك المسدس الذى وجدته فى حقيبته ، فقد تغيرت رؤيتها له بشكل كبير جداً .

" ليلى ، ضعى ـــــ "

قالت ليلى : " لا تتحرك ! " ودفعت المسدس بوصة أخرى إلى الأمام حين اتخذ خطواته المترددة ، وتابعت قائلة : " إننى أعرف كيف يمكننى استخدام هذا ، ولسوف أستخدمه " .

كان صوتها ينقصه الحسم الكافى الذى يجعله مقنعاً ، ولأنها محاصرة دون أمل مع رجل تشتبه الآن فى أنه خطف خمس نساء ، وربما يكون قد قتلهن ، ولأنها فاتها جرعتان من دوائها ، فقد أصبحت الآن لاهثة الأنفاس .

ولم يغب هذا الأمر عن ملاحظته فقال : " أنت فى مشكلة " .

" لا ، بل أنت الذى فى مشكلة " .

" لقد أصبحت لاهثة الأنفاس " .

" أنا بخير " .

" لن يستمر ذلك طويلاً " .

" سأكون بخير " .

" لقد قلت إن الانفعال يمكن أن يسبب لك نوبة ربو ، سيفعل بك الخوف ذلك " .

" إن المسدس معى أنا ، فما الذى يجعلنى خائفة ؟ " .

" ليس هناك ما يدعو إلى أن تخافى منى " .

أصدرت صوتاً يدل على السخرية وحاولت أن تقاوم نظرته الزرقاء النافذة قائلة : " هل تتوقع أن أثق فيما تقوله ؟ " .

" لن أؤذيك . أقسم لك على هذا " .

" آسفة يا تيرنى . سيكون عليك أن تفعل ما هو أفضل من مجرد القسم . ماذا كنت تفعل على الجبل بالأمس ؟ " .

" لقد أخبرتك ، كنت ـــــ "

" لا تسخر من عقلى . لم يكن اليوم مناسباً للتنزه ، فمن يذهب للتنزه على قمة أحد الجبال حين تكون هناك توقعات

بحدوث عاصفة ثلجية ؟ بالتأكيد أن يكون شخصاً بخبرتك بالنسبة للأماكن المفتوحة " .

" إنني أعترف أن ذلك كان طيشاً " .

" طيشاً ؟ منك أنت ؟ لا يناسب ذلك شخصيتك . حاول مرة أخرى " .

زم تيرني شفتيه بحدة فأصبحت على شكل خط رفيع ، فتذكرت ليلى أنه يكره أن يعارض أحد كلمته ، ثم قال تيرني :

" قلتُ لك إن العاصفة جاءت مبكراً عما توقعت وتعطلت السيارة ، فاضطررت إلى النزول سيراً على الأقدام " .

" إنني أصدق هذا القدر " .

" كنت أسلك طريقاً مختصراً لأتفادى المنعطفات التي بالطريق . وضللت الطريق ــــــ "

قالت ليلى : " ضللت ؟ " وكانت تضغط على تلك الكلمة ، ثم قالت : " أنت ؟ مع وجود الحاسة السادسة الخاصة بالاتجاهات ، ضللت الطريق ؟ " .

وحين انكشفت كذبته ، تردد قليلاً ، ثم حاول حيلة أخرى .

" لقد أصابك الهوس أنت الأخرى " .

" الهوس ؟ " .

" بشأن اختفاء النساء . كل امرأة في كليرى تخشى أن يكون الدور عليها . المجتمع هنا كله مشغول بهذا الأمر . أنت هنا منذ أسبوع فقط ، فأصابتك عدوى الذعر وأصبحت تنظرين إلى أي رجل بريبة " .

" ليس كل رجل يا تيرنى . رجل واحد فقط . الرجل الذى ليس لديه تفسير منطقى للتجول فى البرارى فى أثناء عاصفة كهذه ! الرجل الذى كان يعرف موقع كابينتى وتصميمها دون أن أخبره بذلك ! الرجل الذى رفض أن يفتح حقيبته ليلة أمس لأسباب أصبحت الآن واضحة " .

قال بضيق : " أعدك بأن أفسر لك كل هذا ، لكن ليس وأنت تصوبين نحوى هذا المسدس " .

" يمكن أن تفسر الأمر كله لـ " دتش " " .

تصلبت ملامح وجهه ، وكأن جلده قد شد إلى عظمه بقوة أكبر .

سحبت هاتفها الخلوى من جيب معطفها ، فوجدت أن الخدمة مازالت مقطوعة .

" إنك ترتكبين خطأ يا ليلى " .

وجمدت كلماته ونبرته الحاسمة الدماء فى عروقها .

" غلطة كبيرة أن تتركى العنان لخيالك بهذه الطريقة " .

لا يمكنها أن تنصت له ، ولا يمكنها التراجع . لقد كان يكذب عليها منذ تلك الابتسامة الساحرة فى الحافلة . كان فقط يمثل دوراً ، دوراً لابد أنه نجح فى تمثيله من قبل . إن كل ما قاله وكل ما فعله كان كذباً .

" أتوسل لك أن تحتكمى إلى شكك فى الأمر " .

قالت : " حسناً يا تيرنى ، سوف أحتكم إلى شكى فى الأمر إن فسرت لى ما طلبت تفسيره " .

عند قدميها كانت هناك قيود المعصم التى وجدتها فى حقيبته مع المسدس ، فركلتها إلى الأمام ، فقد خرجت على

الأرضية الخشبية حتى استقرت عند قدمى تيرنى . حدق تيرنى فى القيود لحظة طويلة قبل أن يرفع رأسه إلى ليلى وينظر إليها نظرة تقطر سخطاً .

قالت ليلى : " هذا ما كنت أعتقده "، واحتفظت بالمسدس فى يدها اليمنى ، ثم راحت بيدها اليسرى تطلب رقم هاتف دتش الخلوى . كان الهاتف لا يزال ميتاً كحجر ، لكنها تظاهرت أن الرسالة قد وصلت إلى بريده الصوتى . " دتش ، إننى فى خطر شديد من ناحية تيرنى . تعال حالاً " .

" هذا خطأ كبير يا ليلى " .

أعادت الهاتف إلى جيب معطفها وأمسكت المسدس بكلتا يديها قائلة : " لا أظن ذلك " .

" أنصتى إلىّ من فضلك " .

" لقد انتهيت من الإنصات . ارفع القيود من على الأرض " .

" كيف يمكنك أن تظنى أننى الأزرق ؟ بسبب القيود والشريط ؟ " .

كانت قد سمعت دتش يشير إلى المتهم المجهول باسم الأزرق . وحين سمعت الاسم يخرج من بين شفتى تيرنى بهذه البساطة أخذ قلبها يدق بعنف بين جنبيها ، لكن لم يكن هذا ما أصابها بالرعب .

لابد أن الأمر ظهر على ملامحها ، فقد قال لها : " ليلى ، لا يمكنك أن تندهشى لمعرفتى بالاسم الحركى الذى يطلقه رجال الشرطة على هذا المتهم . نحن فى بلدة صغيرة ، وكل من فى كليرى يعرفون هذا الاسم " .

قالت ليلى وهى تلهث بشدة : " ليس ذلك ما أدهشنى . إننى لم أذكر أمر الشريط مطلقاً " .

كان السؤال الذى سأله العميل الخاص وايز خارج السياق ، أو هكذا بدا الأمر لـ " دتش " الذى ظل مذهولاً للحظة . " بين تيرنى ؟ " . لقد كانا يتحدثان عن تحقيقاته فى اختفاء ميليسنت جان حين خرج عليهما وايز بسؤاله عن بين تيرنى ، وكأن الأرض قد انشقت عن سؤاله ذلك .

نظر محتاراً إلى كل من وايز وبيجلى ، لكنه كان كمن ينظر إلى أعين دميتين . لم يكن يبدو أى تعبير فى أعينهما . فقال دتش : " ما العلاقة بين تيرنى وثمن الشاى فى الصين ؟ " .

سأله وايز : " هل تعرفه ؟ " .

قال دتش : " شكله واسمه ، هذا كل ما فى الأمر " ، ثم أصابته فجأة رعدة فى جسده ليس لها علاقة بدرجة الحرارة خارج الصيدلية . شعر بعدم الراحة التى يشعر بها دائماً وهو يدخل مبنى يعتقد أن به أحد المشتبه بهم . حيث يشعر بأن شيئاً على وشك الحدوث ولا يعرف كيف سيكون هذا الشىء، أو مدى سوئه ؟ ولا يعرف ما يجب أن يخافه . لكنه يعلم ما يكفى ليجعله خائفاً . قال دتش : " ما أمر بين تيرنى ؟ " .

نظر وايز فى قهوته وأسند الملعقة بعناية على حافة السكرية .

كان تحاشيه الرد أبلغ من أى شىء كان من الممكن أن يقوله : انقبض قلب دتش ، فقال : " اسمعا ، إن كان متورطاً فى هذا ـــــ "

" ما مدى معرفة زوجتك السابقة به ؟ " .

ترنحت نظرة دتش نحو بيجلي الذي وجه إليه السؤال . واندفعت الدماء إلى رأس دتش ، وقال : " ما الذي تتحدث عنه بحق السماء ؟ " .

" نعلم أنهما يعرفان بعضهما البعض " .

" من قادكما إلى هذا الفهم ؟ " .

" ما مدى معرفتها به ؟ ما هي طبيعة العلاقة بينهما ؟ " .

قال دتش غاضباً : " لا توجد علاقة . لقد قابلته مرة واحدة . لماذا تسألان ؟ " .

" مجرد فضول ! نحن نبحث على عدد من المحاور من أجل ـــ "

طرق دتش المائدة بقبضته بقوة كافية بعثرت الأواني التي فوقها . وسقطت ملعقة وايز من على السكرية إلى المائدة . وقال دتش : " اللعنة كفى هراء وقولا لي ما تعرفانه عن ذلك الشخص . إنكما عميلان في مكتب التحقيقات الفيدرالية ، ولكما أهميتكما واحترامكما ، لكنني شرطي لي الحق في أن تحترماني وتعطياني كل المعلومات المتعلقة بالتحقيق الذي أقوم به . والآن . ماذا عن بين تيرني ؟ " .

قال بيجلي : " اهدأ ، واعلم أنني لا أرغب في سماع كلمات غير لائقة ، فلا تفعل هذا في وجودي مرة أخرى " .

نهض دتش من مكانه وانتزع قبعته وقفازه وارتداهما غاضباً ، ثم انحنى وقرب وجهه من وجه بيجلي قائلاً في غضب : " أولاً : فلتذهب إلى الجحيم . ثانياً : أيها اللعين ، إذا كنت مهتماً بـ " بين تيرني " بشكل له علاقة باختفاء هؤلاء النسوة ،

فيجب أن أعرف ذلك ، لأننا ونحن نتحدث الآن ، زوجتى محاصرة معه فى كابينتنا التى على الجبل " .

أظهرا رد فعل لأول مرة ، وتراوح رد فعلهما ما بين الدهشة إلى درجة من الإشفاق جعلت دتش يتراجع خطوة قائلاً : " يا إلهى ! هل معنى ما تقول إن بين تيرنى هو الأزرق ؟ " .

ألقى وايز نظرة حذره نحو الجمع الموجود حول نافورة الصودا وقال بصوت خفيض : " لدينا بعض الأدلة التى تسمح لنا بمتابعة التحقيق " .

كان عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية يحوم حول نفس المشكلة الذى كان دتش يحوم حولها حين كان مخبراً جنائياً ، فهذا ما يجب قوله حين تعلم أن المشتبه به مذنباً من رأسه حتى أخمص قدميه وتريد فقط دليلا مادياً حتى تلقى القبض عليه .

أشار دتش بإصبعه نحو بيجلى قائلاً : " أنا لا أحتاج إلى مزيد من التحقيقات حتى أعلم أن هذا الوغد قضى ليلة أمس مع زوجتى ، فإن كان قد مس شعرة واحدة من شعرها ، فمن الأفضل فى هذه الحالة أن تدعوا الله أن تصلا إليه قبلى " .

أدار ظهره لهما ، وخطا بخطوات واسعة نحو مائدة الغداء ، ثم قبض على هوكينز من ياقته وانتزعه من على كرسيه قائلاً : " بدأ وقت الجد " .

" لو أن ذلك الأحمق اللعين أفسد القضية بعصبيته تلك ، فسوف أحطم عنقه القذر " .

كان هذا ما قاله عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية الذى أخبر دتش منذ أقل من ستين ثانية فقط بأنه لا يتسامح على استخدام اللغة غير اللائقة .

وبينما كان يقترب هو ووايز من نافورة الصودا ، كانت تعبيرات وجهيهما صارمة جداً وشكلهما يثير الخوف حتى شعرت ماريلى بأنها تريد الابتعاد من أمامهما . قال العميل الأكبر سناً فى صوت كالعواء : " هل يعلم أحدكم إلى أين سيذهب ؟ " .

رد ويز قائلاً : " لإنقاذ ليلى . أنا ويز هامر ، رئيس مجلس المدينة ، ومدرب فريق المدرسة الثانوية لكرة القدم " .

صافحهما ويز وهما يقدمان نفسيهما له ، وأشار بما يدل على عدم حاجته إلى الحافظتين الجلدتين الصغيرتين اللتين أظهراهما قائلاً : " لا داعى لإظهار الهويات . إننى أعرفكما ، فقد رأيتكما فى البلدة مرة أو مرتين قبل ذلك " ، وأشار نحو ماريلى ووليام وراء الطاولة قائلاً : " ويليام ريت وأخته ماريلى ريت " .

سأل ويليام : " هل أحضر لكما شيئاً ؟ مزيداً من القهوة ؟ إفطاراً ؟ " .

" لا . شكراً " . شعرت ماريلى أن الرجل المدعو بيجلى قد ضاق ذرعاً بهذه المجاملات ، فقالت : " لقد فهمت أن بورتون طلق زوجته ، وأنها تستخدم اسم ليلى مارتين الآن " .

قال ويليام : " لقد كان من الصعب عليه أن يقبل بهذا " .

قال ويز : " لقد فقدا ابنتهما منذ بضع سنوات مضت . إن ردود فعل الناس تجاه المآسى تختلف " .

نظر بيجلى إلى شريكه كما لو كان يطلب منه أن يسجل ما يقال ذهنياً ، وأدركت ماريلى أنه يفعل ذلك بالفعل .

سأل بيجلى قائلاً : " ماذا تعلمون عن محاصرتها مع بين تيرنى ؟ هل كانا يخططان للمقابلة هناك ؟ " .

قال ويز : " لست متأكداً ، أشك كثيراً فى أن يكون هذا موعداً غرامياً " . وأخبرهما عن الكابينة التى كانت ملكاً لـ " دتش " وليلى سابقاً ، والتى باعاها مؤخراً ، وتابع قائلاً : " لقد كانا هناك بعد ظهر أمس يحملان ما تبقى من متاعهما ، وقد اتجه دتش إلى البلدة قبلها ، ويبدو أنها فى طريقها إلى أسفل الجبل ، حدث لها حادثة ما أصيب فيها تيرنى . لقد تركت رسالة غير مفهومة على هاتف دتش الخلوى ، فقالت إن تيرنى قد أصيب ، لكنه معها في الكابينة ، وطلبت من دتش أن يرسل لها المساعدة بأسرع ما يمكن ".

" كيف أصيب ؟ " .

" لم تقل ، ولم تقل مدى إصابته . لم يكن هناك أى اتصال آخر . كان قد تم بالفعل قطع خط الهاتف الخاص بالكابينة ، كما أن خدمة الهاتف الخلوى عند تلك الجبال منعدمة ، فإن خدمة الهاتف الخلوى هناك في أيام الصحو تكون رديئة حقًا ، فما بالكم في الجو السيىء ! ففى مثل هذا الجو ، يمكنك أن تنساها تماماً " .

فهم ويز صمت بيجلى على أنه إشارة للاستمرار ، فقال : " اتصل بى دتش ليلة أمس كى أساعده فى العثور على كال هوكينز ، ذلك الشخص الذى انتزعه من هنا حالاً ، فلديه شاحنة الرمل الوحيدة فى البلدة " ، وقص عليه المحاولة

الفاشلة لصعود الطريق الجبلى ، ثم قال : " وفى النهاية اضطر دتش إلى الإقرار بأنه من المستحيل عمل ذلك . وهو غاضب ومصر على إعادة المحاولة هذا الصباح ، وهذا هو ما ذهبا الآن للقيام به " .

قال وايز : " لا أظن أنه سينجح فى هذا كثيراً هذا الصباح أيضاً " .

" حاول أن تخبره بذلك " .

قال بيجلى : " إننى أريد الوصول إلى هذه الكابينة أنا نفسى " . وكان يرتدى معطفه ، ثم قال : " إن آخر ما نحتاج إليه هو أن يصل بورتون إلى هناك وهو فى هذه الحالة من الغضب " .

" هل تظن فعلاً أن بين تيرنى هو الأزرق ؟ " .

رد بيجلى عليه قائلاً : " من أين سمعت ذلك ؟ " . ونظر نظرة حادة إلى ويليام الذى سأل هذا السؤال بغباء ، وكانت هذه النظرة كفيلة بأن ترهب أى شخص ، فمنعت ويليام من أن يقول شيئاً واضحاً للجميع ، وهو أنه يفضل أن يكون أصم عن ألا يسترق السمع لمحاورتهما مع دتش .

بدلاً من ذلك قال ويليام مرتبكاً : " إن الأمر منطقى فقط " .

" أحقاً ؟ كيف ذلك يا سيد ريت ؟ " .

" حسناً ، إن كل شخص فى البلدة معروف جيداً للجميع ، أما السيد تيرنى فغريب ، ونحن نعرف عنه أقل القليل " .

سأله العميل الخاص وايز : " ماذا تعرف عنه ؟ " .

" أعرف فقط ما كنت ألاحظه حين كان يأتى كثيراً ، وكان دائماً ... " . وألقى نظرة حذرة على مستمعيه ثم قال : " قد لا يكون هذا مهماً " .

ضرب بيجلى راحة إحدى يديه بقفازه فى نفاد صبر قائلاً : " ماذا يا سيد ريت ؟ دعنا نحن نقرر ما إذا كان ما لاحظته مهما أم لا " .

" حسناً ، ليس سوى أنه كان يجذب الانتباه حين يكون بالصيدلية " .

رمق بيجلى وايز بنظرة أخرى وهو يقول : " الانتباه ؟ ممن ؟ " .

رد ويليام ببساطة : " النساء . كان يجذبهن كالمغناطيس " . ثم نظر إلى ويز مضيفاً : " لقد سمعتك تتحدث مع دتش وأصدقائكما عنه ، وقد دعاه أحدكم بالطاووس " .

رفع ويز يده اليمنى قائلاً : " هل هو مذنب ؟ أظن أن هذا الرجل كان يعلم أن النساء يهمن حباً بهذا الصنف المغامر من الرجال " .

اتجهت كل الأنظار نحو ماريلى ، التى شعرت بدماء الخجل تصعد إلى وجهها بشدة وقالت : " لقد رأيت السيد تيرنى مرات قليلة ، لكننى قرأت بعض مقالاته . إن مقالاته جيدة بالفعل ، إن كنتم تهتمون بهذه الأشياء " .

من الواضح أن بيجلى لم يكن كذلك ، فاستدار نحو ويليام قائلاً : " هل كان يشرك النساء فى حواراته ؟ " .

" طيلة الوقت " .

" فى أى شىء كان يتحدث معهن ؟ " .

" ليس من عادتى التنصت إلى حوارات عملائى " .

كل الأدلة تثبت عكس ذلك ، هكذا قالت ماريلى فى نفسها . لقد اعترف لتوه أنه تنصت إلى حوار ويز مع دتش .

بدا على بيجلى التشكك فى ادعاء ويليام هو الآخر ، لكنه ترك الموضوع يمر دون تعليق ، وقال : " ماذا يشترى تيرنى حين يأتى إلى هنا ؟ " ، وأضاف ساخراً : " إن كنت تستطيع إخبارى بذلك دون أن يؤثر ذلك على شرف المهنة " .

ابتسم له ويليام قائلا : " لا ، على الإطلاق ، وهذا لأنه لم يأت أبداً برشتة مكتوبة . إنه يشترى مرطباً للشفاه ودهانا واقياً من الشمس ومعجون أسنان وماكينات حلاقة تستخدم لمرة واحدة . لا يوجد هناك شيء غير عادى ، إذا كان هذا ما تسأل عنه " .

" هو كذلك " .

" لا شيء غير عادى . الشيء الوحيد الغريب هو أنه عادة ما يشترى شيئاً واحداً فى كل مرة ، ففى يوم يشترى أشرطة لاصقة . وفى اليوم التالى يشترى علبة من الآدفيل ، ثم فى اليوم الذى يليه يشترى كتاباً ".

قال بيجلى مستفهما : " وكأنه يختلق الأسباب للمجئ إلى هنا ؟ " .

" حين أفكر فى الأمر الآن ، أظن أن هذا صحيح . ويبدو أنه لا يأتى إلى الصيدلية دائماً إلا حين تكون الصيدلية عامرة بالزبائن ، بعد العصر ، فالكثير من الناس يأتون إلى هنا فى طريقهم إلى منازلهم " .

" هل من بينهم ميليسنت جان ؟ " .

" بالتأكيد . الكثير من طلبة المدرسة الثانوية يأتون إلى نافورة الصودا بعد المدرسة . وطالما أنهم يتصرفون بأدب ، أسمح لهم ــــ "

" هل تصادف فى أى مرة أن كان بين تيرنى ومليسينت جان فى الصيدلية فى نفس الوقت ؟ " .

كان ويليام على وشك الإجابة حين استشعر أهمية السؤال فأطبق شفتيه ، ونظر إلى كل منهما على حدة ، ثم بدا وكأن حماسه قد فتر وهو يهز رأسه ببطه قائلاً : " الأسبوع قبل الماضى ؛ قبل اختفائها بيومين " .

سأله وايز : " هل تحدثا معاً ؟ " .

أومأ وليام برأسه مرة أخرى .

استدار بيجلى إلى ويز ، ثم قال : " أين يمكننا العثور على شاحنة الرمل تلك ؟ " .

" إن كنت تريد أن تتبعنى ، يمكننى أن أصحبك إليها " .

لم ينتظر بيجلى حتى يقوده ويز ، بل استدار وخطا بخطوات واسعة نحو الباب وهو يرتدى قفازه .

سأل ويليام وايز الذى كان يحاول إدخال يده تحت طبقات الملابس التى يرتديها من أجل إخراج محفظته : " هل هو دائماً بهذه الشدة ؟ " .

" لا . لقد كان مستيقظاً طيلة الليل ؛ لذا فردود أفعاله اليوم أبطأ قليلاً من المعتاد . كم الحساب ؟ " ، أشار له ويليام أن يرد النقود قائلاً : " على حساب صاحب المحل " .

" شكراً " .

" على الرحب والسعة " .

أومأ وايز لـ " ويليام " ، ولمس قبعة وهمية تحيه لـ " ماريلى " ، ثم انصرف لينضم إلى بيجلى .

كان ويز على وشك أن يتبعهما حين نادتة ماريلى وأعطته القفاز الجلدى الذى تركه على الطاولة قائلة : " ستحتاج إلى هذا " .

أخذ ويز منها القفاز ولمس أرنبة أنفها به ملاطفاً إياها ثم قال : " شكراً ، أراكم جميعاً فيما بعد " .

وبينما كانت ماريلى تنظر إلى ويز وهو ينصرف ، رأت فى المرآة ويليام يبتسم ابتسامة العارف بالأسرار ، فتجاهلته وقالت : " أظن أن أحداً لم يحتج إلى إفطار فى نهاية الأمر " .

قال ويليام : " سأقوم بقلى بيضتين " ، وأشعل الموقد قائلاً : " هل تريدين بعض البيض ؟ " .

" لا . شكراً . لم يكن يجب أن تذكر الأزرق " .

" ماذا ؟ " .

" الاسم الحركى . أنا واثقة من أنك لاحظت رد فعل بيجلى . من غير المفترض أن يعلم أحد بأمر الشريط الأزرق . لقد قلت لى ذلك ، ولقد أخبرك به ويز . من أخبر ويز ؟ " .

وضع ويليام بعض الزبد فى صينية القلى ، فأخذت تئز وهى تنصهر ، وقال ويليام : " لقد عرف ذلك من فم الأسد مباشرة " .

" دتش ؟ " .

" بالطبع دتش " .

قالت متعجبة : " إنه مأمور القسم . يجب أن يكون أذكى من أن يخبر ويز بدليل يفترض أنه سرى " .

قال ويليام : " إنهما صديقان حميمان ورفيقان لا يفترقان " ، وكسر بيضتين فى الصينية ثم قال : " لا يخفى أحدهما سراً عن الآخر ، ثم ما الضرر فى أن يقول له هذا ؟ " .

" قد يضر هذا بتحقيقه " .

" لا أعرف كيف يمكن أن يكون ذلك " .

" إذا كنا أنا وأنت نعرف هذا ، فكم من الناس يعرف غيرنا ؟ " ، ومد ويليام يده ليأخذ اللاحة وهزها فوق البيض قائلاً : " ما المشكلة فى ذلك الآن وقد تعرفوا على الأزرق ؟ " .

" لا مشكلة ، فيما أعتقد " .

قال وهو يقلب البيض : " ومع ذلك ، فهناك درس جيد يمكن تعلمه يا ماريلى " .

" وما ذاك ؟ " .

قال مبتسماً : " لا أحد فى هذه البلدة يمكن أن يحفظ سراً يا ماريلى " ، لكنها شعرت بعدم ارتياح لهذه الابتسامة التى رأت أنها ليست سليمة النية كما يتظاهر ويليام !

الفصل

١٧

دفعت ليلى بإصبع قدمها الشريط المخملى الأزرق الموجود على الأرض . كانت قد عثرت عليه فى جيب مغلق بحقيبة تيرنى فى أثناء بحثها عن دليل على وجود امرأة أخرى فى حياته . وحين رفعت عينها إليه ، لم تكن الكلمات ضرورية .

قال : " لقد وجدته " .

" وجدته ؟ " .

" بالأمس " .

" أين ؟ "

أشار بذقنه إلى ناحية قمة جبل كليرى .

" هكذا ، ملقى على الأرض فى الغابة ؟ شريط أزرق ؟ " .

قال تيرنى : " كان مشتبكاً ببعض الأغصان ، تهزه الريح ، وهذا هو ما جعله يجذب انتباهى " .

ولابد أن عدم تصديقها له كان واضحاً .

" اسمعى ، أنا أعلم أنك اضطربت حين رأيته ، وأعلم ما يعنيه ذلك الشريط " .

" كيف علمت ذلك ؟ " .

" إن الجميع يعرفون بأمر الشريط يا ليلى " .

هزت رأسها قائلة : " لا يعلم به سوى الشرطة والمتهم نفسه " .

قال تيرنى بهدوء : " لا . الجميع يعرفون به . إن قوة الشرطة التابعة لـ " دتش " ليست بهذا القدر من السرية . لقد سرب أحدهم أن شريطاً مخملياً أزرق تُرك فى المكان المفترض لحدوث كل حالة اختطاف " .

هذا هو ما أخبرها به دتش ، لكن بشكل سرى . قالت له : " إنهم يتعمدون إخفاء هذه المعلومة " .

قال تيرنى : " ليس كما يجب . لقد سمعتهم يناقشون الأمر فى الصيدلية . فى إحدى المرات كنت آخذ ملابسى بعد تنظيفها بالتنظيف الجاف ، أخبر مالك الصيدلية إحدى العميلات أمامى بأن تحذر الأزرق . وكانت تعلم عم يتحدث . الجميع يعرفون " .

أومأ تيرنى إلى الشريط قائلاً : " لست متأكداً من أن هذا الشريط الأزرق من نفس النوع الذى يتركه الأزرق خلفه ، لكن وجوده فى الغابة أمر غريب . لذا فقد أخذته من بين الأغصان ووضعته فى حقيبتى ، وكنت سآخذه معى إلى البلدة لأسلمه للسلطات " .

" لم تقل لى ذلك ليلة أمس " .

" لم تواتى الفرصة " .

" إن هؤلاء النساء المختفيات كن حديث كليرى لأكثر من سنتين . لو أننى وجدت شيئاً من المحتمل أن يكون دليلاً مهما ، أظنني كنت سأتحدث عنه " .

" لقد غاب الأمر عن ذهنى " .

" لقد سألتك عما إذا كان هناك شيء مفيد فى حقيبتك ؛ فقلت لى لا . لماذا لم تذكر الشريط عندئذٍ ؟ لماذا لم تقل لا ليس معى أى شيء مفيد ، لكن انظرى إلى ما وجدته يتمايل فى وسط الأغصان اليوم ؟ " .

" ولو أننى فعلت ذلك ؟ فكرى فى الأمر يا ليلى . لو أننى أظهرت لك الشريط الليلة الماضية ، هل كان هذا سيجعلك تستبعدين أننى أنا الأزرق ؟ " .

لم تكن لديها إجابة لذلك . لم تكن لديها إجابة لأشياء كثيرة . كانت تريد فى يأس أن تعتقد أنه كما يبدو لها تماماً : رجل ساحر موهوب ذكى مرح حساس . وعلى الرغم من ذلك ، فإن أياً من هذه الصفات لا تجعله غير أهل لارتكاب جرائم ضد النساء ؛ بل إن هذه السمات الشخصية قد تكون فى الحقيقة ميزة لصالحه .

لم يفسر بعد وجود القيود معه ، فباستثناء العاملين فى تنفيذ القوانين ، فما الفائدة التى من الممكن أن تكون لهذه القيود ؟ كان التخمين يصيبها بالاضطراب ، فقالت : " لقد أُبلِغَ عن غياب ميليسنت جان منذ أسبوع مضى " .

" كنت أتابع القصة " .

" هل مازالت حية يا تيرنى؟ " .

" لا أعلم . كيف يمكننى أن أعرف ؟ " .

" إن كنت قد أخذتها ـــــ "

" لم أفعل " .

" أعتقد أنك فعلت ذلك ، وأظن أن هذا هو سبب وجود الشريط الأزرق والقيود فى حقيبتك " .

" بالمناسبة ، ما الذى جعلك تفتشين حقيبتى ؟ " .

تجاهلت ذلك قائلة : " بالأمس على قمة الجبل ، كنت تفعل شيئاً تريد الانتهاء منه قبل العاصفة . التخلص من الجثة ، ربما ، حفر قبر ميليسنت ؟ " .

مرة أخرى . بدا وكأن جلده قد ازداد التصاقاً بملامحه . ثم قال : " بعد أن كنت تنامين على بعد قدمين منى ليلة أمس ، تظنين الآن أننى كنت أحفر قبراً قبل ذلك ببضع ساعات ؟ " .

كانت ليلى لا تريد أن تفكر فى سوء تقديرها للأمور وتعرضها للخطر ليلة أمس ، فأحكمت قبضتها على المسدس قائلة : " ارفع القيود من على الأرض " .

تردد تيرنى ، ثم انحنى ورفع القيود .

" ضع السوار حول معصمك الأيمن أولاً " .

" إنك تصنعين خطأ شنيعاً " .

قالت ليلى : " إن كان ما تقوله صحيحاً ، فسيقضى هذا على راحتك ويغضبك بضع ساعات . أما إن كنت محقه . فأنا بهذا أنقذ حياتى . وما دام الخيار بيدى ، فأنا أفضل إغضابك " . ورفعت المسدس قليلاً . قائلة : " أغلق السوار حول معصمك الأيمن . الآن " .

تردد بضع ثوان ، ثم فى النهاية فعل كما طلبت منه ثم قال : " فى حالة حدوث حريق فى الكابينة أو أصابك الاختناق بسبب أزمة ربو ، فهل سيكون المفتاح فى متناول اليد ؟ ".

" إنه فى جيبى . لكننى لن أتركك حتى تصل المساعدة " .

" وهو ما قد يستغرق أياماً . هل يمكن أن تنجو بحياتك كل هذه المدة بدون دوائك ؟ " .

" هذا شأنى أنا " .

قال تيرنى : " اللعنة ، إنه شأنى أنا أيضاً " . وكان صوته قد أصبح خشناً مبحوحاً .

تابع قائلاً : " إن أمرك يهمنى يا ليلى . كنت أظن أن مشاعرى نحوك قد بينت لك ذلك " .

اضطرب قلبها للحظات ، لكنها تجاهلت الأمر قائلة : " اصعد على رافعة الصناديق وأدخل ذراعك اليمن خلال حديد عارضة السرير " . وكان الحديد المشغول بقصد الزينة والمدعوم بإطار من الخشب القوى به فراغات كافية لكى يدخل ذراعه بها .

" أرجوك يا ليلى ــــــ "

" لن أتراجع " .

" لماذا ؟ " .

" اصعد فوق السرير يا تيرنى " .

" أنت تعرفين مدى مشاعرى نحوك " .

" إننى أحذرك ، إذا لم ــــــ "

" تريثى يا ليلى فإن ــــــ "

" اصعد إلى السرير " .

" ليلى أنت بالنسبة لى ... " .

" هذا هو التحذير الأخير " .

صاح غاضباً : " لن أقيد نفسى بهذه العارضة اللعينة " .

" وأنا لن أطلب منك ذلك مرة ثانية " .

" لقد رقدت هناك ليلة أمس لوقت طويل قبل أن تنامى ، أليس كذلك ؟ كنت أعلم أنك مستيقظة . وكنت تعلمين أننى مستيقظ . كنا نفكر بنفس الشىء . نفكر ــــ "

" اخرس وإلا أطلقت النار عليك " .

" لو أننا لم نتوقف عند ــــ "

ضغطت ليلى الزناد ، فاستقرت الرصاصة بالحائط وكانت قريبة منه جداً لدرجة أنه شعر بحركة الهواء على خده . كان تعبير وجهه يوحى بالصدمة أكثر مما يوحى بالخوف .

قالت : " إننى جيدة فى التصويب ، والطلقة التالية ستصيب الهدف " .

" لن تقتلينى " .

قالت وهى تضغط حروف كل كلمة تقولها : " لو أننى أصبت ركبتك فستتمنى لو أننى كنت قتلتك . اصعد إلى السرير " .

شاعراً نحوها باحترام متجدد ، تراجع حتى احتك فخذه بالسرير . ثم جلس ومال إلى الخلف على مؤخرته . كانت ليلى تعلم أن أمارات الألم التى تبدو عليه لابد أنها حقيقية ، لكنها لم تدع ذلك يوهن من عزمها . حين وصل تيرنى إلى عارضة السرير ، وضع يده اليمنى داخل تجاويف الحديد .

" والآن أغلق الحلقة الأخرى حول معصمك الأيسر " .

" ليلى . أتوسل إليك ألا تفعلى هذا بى " .

لم تقل شيئاً ، اكتفت بالتحديق فيه من خلف فوهة المسدس القصيرة حتى يئس وأحكم غلق السوار حول معصمه الأيسر .

قالت ليلى : " اجذبها بشدة ، لأرى ما إذا كنت قد أحكمت غلقها " .

شد تيرنى القيد عدة مرات بقوة حتى اصطدم الحديد بالحديد بصوت عال . كان القيد محكم الإغلاق .

سقط ذراعا ليلى إلى جنبيها وكأنهما كانا يزنان ألف رطل ، ومالت نحو الحائط خلفها حتى استقرت على الأرض ، ثم أراحت رأسها على ركبتيها المرفوعتين . حتى هذه اللحظة ، لم تكن تعى مدى شعورها بالبرودة ، أو ربما كانت ترتعش من الخوف لا من البرد .

كانت تخشى أن يكون اعتقادها بأنه هو الأزرق صحيحاً ، وكانت تخشى بنفس القدر أن يكون اعتقادها خاطئاً . وبتقييد تيرنى إلى عارضة السرير بهذه الطريقة ، قد تحكم على نفسها بالموت اختناقاً .

لا . أرادت ألا تفكر فى أى شىء سوى النجاة . إن الموت ليس بخيار . لقد سرق الموت عمراً مديداً كان ينتظر ابنتها ، ولن يخدعها هى الأخرى ، أبداً بعد بضع لحظات ، نهضت واقفة ، ودون أن تنظر ناحية تيرنى دخلت غرفة المعيشة . صاح بها قائلاً : " أنت فى حاجة إلى إحضار المزيد من الخشب قبل أن تخور قوتك " .

رفضت أن تدخل معه في حوار ، لكن هذا ما كانت تفكر فيه بالضبط . كان جلد حذائها مبتلاً وبارداً ، لكنها أدخلت فيه قدميها بغض النظر عما سيسببه لها ذلك من ضيق .

كانت قبعة تيرني قد تصلبت بفعل الدم الذى تجمد عليها ، لكن استخدامها كان أسهل من استخدم بطانية الاستاد كغطاء للرأس ، جذبت ليلى القبعة لتغطى أذنيها حتى وصلت إلى حاجبيها ، كما استخدمت غطاء الرأس الخاص به لتغطى رقبتها والنصف السفلى من وجهها . وكان قفازها المبطن بالكشمير غير كاف للوقاية من هذه البرودة القارصة ، لكنه كان أفضل من لا شئ .

حين أصبحت مستعدة توجهت نحو الباب .

قال لها تيرنى والذى كان يراقبها من غرفة النوم : " بالله عليك يا ليلى دعينى أقم بهذا بدلاً عنك . يمكنك أن تصوبى نحوى مسدسك طوال الوقت . لا يهمنى ذلك . لكن دعينى أقوم بهذا الأمر " .

" لا " .

" إن الهواء البارد ــــــ "

" اصمت " .

" اللعنة . لا تغادرى البهو . أدخلى الأخشاب إلى الداخل قبل أن تبدئى فى تقسيمها " .

نصيحة وجيهة . إنه يتمتع بمهارات ممتازة للنجاة . هل هو بنفس هذا القدر من التميز فى جعل النساء يثقن به ؟ من الواضح أنه كذلك . هناك خمسة قد وثقن به . فى الحقيقة سيصبحن ستة إذا أضفنا إليهن ليلى !

كان الجو داخل الكابينة بارداً ، لكن برودته لا تقارن بالخارج . صفع الهواء البارد وجنتيها العاريتين . اضطرت إلى جعل عينيها شبه مغمضتين . وكان الخشب مغطى بعدة بوصات من الثلج الذى اندفع من الخارج إلى ما تحت سقف البهو .

مدت ليلى يدها تحت الثلج وجذبت قطعة من أعلى كومة الخشب ، فسقطت القطعة من يدها من ثقلها ، ولأنها أيضاً كانت زلقة اصطدمت بأرضية البهو مصدرة دوياً عالياً ، وكادت أن تسقط فوق أحد أصابع قدميها . رفعت ليلى قطعة الخشب بارتباك واحتضنتها بذراعها ريثما تفتح الباب ، ثم حملتها إلى الداخل . وأغلقت الباب بقدمها .

وضعت ليلى قطعة الخشب أمام المدفأة ، ثم توقفت وتنفست بعمق من خلال فمها محاولة أن تملأ رئتيها بالهواء لتقنع نفسها بأنه ليست لديها مشكلة فى التنفس .

" ليلى ، هل أنت بخير ؟ " .

حاولت أن تتجاهله وتركز فى دفع الهواء إلى شعبها الهوائية التى بدأت تنقبض .

" ليلى ؟ " .

كان خوفه عليها يبدو مخلصاً حقيقيا . ارتطم القيد بحديد السرير وهو يجذبه . ابتعدت ليلى عن المدفأة فأصبحت أمام ناظريه وقالت : " توقف عن الصياح بى . إننى بخير " .

" بل لست بخير على الإطلاق " .

" إننى بخير إذا استثنينا وجودى وحدى مع سفاح أثيم . ماذا تفعل بهن وهن مقيدات يا تيرنى ؟ هل تعذبهن وتغتصبهن قبل أن تقتلهن ؟ " .

" إذا كان هذا ما أفعله ، فلماذا لم أعذبك وأغتصبك وأقتلك ؟ " .

قالت : " لأنني اتصلت بـ " دتش " وتركت له رسالة بأنني معك هنا " . وأتاها خاطر مفاجىء أظهر لها حقيقة ما فقالت : " لقد فهمت الآن لم كنت ترتعب في كل مرة كنت أنطق فيها باسمه ، ولم كنت مشغولاً به ، ولم حاصرتني بالأسئلة عن علاقتي الحالية به " .

" لأنني كنت أريد أن أعرف ما إذا كنت مازلت تحبينه " .

هذا ما كانت قد استنتجه تماماً . لقد خدعها حتى ظنت أن الغيرة هي سبب سؤاله بإصرار عن دتش ، الزوج السابق . أغضبها من نفسها أن الشرك قد غرها مثلما أغضبها منه ، فقالت : " لن أضيع أي نفس آخر في الحديث معك " .

جذب القيود عدة جذبات شديدة أخرى ، ولحسن الحظ لم ينكسر القيد .

عادت ليلى إلى الخارج . وأخذت تجاهد لما يقترب من ساعة كاملة ، حاملة قطعة خشب واحدة في كل مرة ، وكانت كل قطعة تبدو أثقل من سابقتها ، وازدادت المهمة صعوبة ، وطالت فترة الراحة ما بين الدخول والخروج .

لحسن الحظ كانت بعض قطع الخشب صغيرة بشكل يسّر على ليلى حملها وهي توقد النار تحتها ، وكان الدفء الذي انبعث من المدفأة محل ترحيب . لم تكن الفأس الصغيرة ـ كما كان متوقعاً ـ صالحة لتكسير قطعة الخشب الضخمة .

فكرت في أن تذهب إلى المخزن وتحضر الفأس التي لم يحضرها تيرني ، لكنها قررت ألا تفعل ذلك ، خشية ألا تتمكن

من العودة . بدلاً من ذلك ، استخدمت ليلى الفأس الصغيرة لقطع أجزاء صغيرة من الخشب تكفى فى مجموعها لإشعال النار لعدة ساعات أخرى .

والشيء الذى لم تكن متأكدة منه هو ما إذا كانت حياتها ستطول كل هذا الوقت أم لا !

" ليلى ؟ " .

جلست ليلى نصف ساعة كاملة على حاشية الفراش مسندة ظهرها إلى الأريكة لتأخذ قسطاً من الراحة وتهدأ أنفاسها .

" ليلى . أجيبينى " .

وضعت رأسها على حافة الأريكة وأغمضت عينيها قائلة :

" ماذا ؟ " .

" كيف حالك ؟ " .

كانت تود ألا ترد ، لكنه ظل ينادى باسمها طوال الخمس دقائق الأخيرة بلا انقطاع . كان من الواضح أنه لن يسكت حتى ترد .

ألقت ليلى عنها شالها ونهضت من باب غرفة النوم قائلة :

" ماذا تريد ؟ " .

كانت الصدمة بادية فى ملامحه وهو يقول : " يا إلهى ، ليلى " مما أكد لها أن شكلها كان يبدو بالفعل غريباً . لقد رأت نفسها وهى بين براثن نوبة ربو . لم تكن تبدو جميلة .

سألته بجفاء قائلة : " هل تشعر بالدفء بما يكفى ؟ " .

" إنك تلهثين للحصول على الأكسجين " .

كانت توشك أن تستدير حين قال بسرعة : " هل يمكن أن أضع بطانية على رجلى ؟ " .

أخذت إحدى البطانيات من على الحاشية ، وكان نسيجها قد اكتسب الحرارة المنبعثة من المدفأة ، ثم فردتها فوقه وهى تقف عن حافة السرير وجعلتها تستقر فوق رجليه الممدودتين .

" شكراً " .

قالت : " على الرحب والسعة ، " ولاحظت أن معصميه أتلفهما جذبه للقيد ، فقالت : " لن يفيدك هذا ، لن تجنى من ورائه سوى إيلام نفسك " .

نظر تيرنى إلى جلده المتسلخ وقال : " لقد توصلت فى النهاية إلى هذه النتيجة " ، ثم طرقع أصابعه عدة مرات وقال : " إن أصابعي تكاد تتجمد لعدم وصول الدورة الدموية إليها . لم أخطط جيداً حين قيدت نفسى إلى عارضة السرير ، فقد كان يجب أن أجعل يدى فى مستوى أقل ارتفاعاً ، فى مستوى خصرى ، ولو فعلت ذلك لما كنت الآن فى هذا الوضع السيىء غير المريح " .

" كان تخطيطك سيئاً " .

" لا أظنك ستفكرين فى فك القيود لفترة تسمح بـ ـــــ "

" لا " .

قال : " كنت أعرف ذلك " . وغيرّ وضعه مقطباً جبينه من الألم ، لكنها لم تستسلم للشفقة التى كان يحاول بثها فى نفسها .

سألته : " هل أنت جائع ؟ " .

" إن بطنى تئن من الجوع " .

" سأحضر لك شيئاً " .

" بعض القهوة ؟ " .

" حسناً " .

" سيأخذ هذا جزءاً من الماء المخزن " .

كان دائماً فتى الكشافة الذى يعمل لكل شىء حسابه !

عادت بعد ذلك بخمس دقائق إلى غرفة النوم تحمل كوباً من القهوة الطازجة وطبقاً به بعض الكعك المغطى بالزبد ، وهى أساسيات القوت التى أحضراها معهما من السيارة .

قالت : " لقد تركت المسدس ، مع مفتاح القيد الحديدى ، فى غرفة المعيشة " ، وتنحت جانباً حتى يرى المائدة البعيدة وراءها ، ثم تابعت قائلة : " فإذا كنت تفكر في إحراقى بالقهوة أو دفعي بقدميك أو التغلب علىّ بأية طريقة أخرى ، فلن يفيدك هذا شيئاً ، فلن تستطيع الوصول إلى المسدس أو المفتاح " .

" منتهى الذكاء " .

وضعت القهوة والطبق على الأرض ، ثم حلت غطاء الرأس من رقبتها وألقت به بعيداً " .

كشر تيرنى قائلاً : " هل أهنتنى لتوك ؟ " .

" يمكنك استخدام غطاء الرأس كسلاح " .

" إن حتفك به لن يكون بالفعل الذكى ، أليس كذلك ؟ ستموتين ، وسأظل أنا فى قيودى لا حول لى ولا قوة " .

" إننى لا أترك الفرصة لأى مغامرة " .

" لماذا كنت ترتدين غطاء الرأس الخاص بى ؟ " .

" هل تستطيع الإمساك بالكوب ؟ " .

" سأحاول . لا أعدك بأنه لن تتساقط منه القهوة . لماذا كنت تريدين غطاء الرأس الخاص بى ؟ " .

" للدفء يا تيرنى . ليس هناك سبب آخر " .

ووضعت الكوب بين يديه ، فأطبق أصابعه حوله ، ثم خفض رأسه إليه . وأخذ منه رشفة قائلاً : " أعتقد أنه من الجيد أن يداى ليستا فى مستوى خصرى على أية حال ، فلو أنا كذلك لما استطعت أن آكل أو أشرب " .

" لن أدعك تموت جوعاً أو عطشاً " .

قال تيرنى : " إنك سجانة طيبة يا ليلى . فلست ممن يقسون فى تنفيذ العقوبة . رغم كل شىء " . وتوقف حتى تأكد من أنها منتبهة له كل الانتباه قبل أن يقول : " سيكون من القسوة أن تموتى وتتركيننى " .

" لا أنوى فعل ذلك " .

" إننى أرى ذلك فعلاً " .

كان صوته يحمل مغزى معيناً ، وكذلك الطريقة التى نظر بها إليها . قاومت ليلى الصوت والنظرة قائلة : " هل أنت مستعد للطعام ؟ " .

" سأنتهى من القهوة أولاً " .

تراجعت ليلى وجلست فى الكرسى الهزاز على بعد آمن من السرير ، مميلة رأسها .

" كان دتش يتحدث إليك كثيراً عن النساء المفقودات ؟ " .

أدهشها السؤال ، فنظرت إليه بحدة .

" لابد أنه هو الذى أخبرك عن الشريط الأزرق ، وأن الاسم الحركى للقاتل هو الأزرق " .

" لم أطلب منه أبداً مناقشة قضاياه معى ، لكننى كنت أنصت إليه حين يفعل ذلك " .

" ماذا أخبرك عن حالات الاختفاء فى كليرى غير ذلك ؟ " .

ردت عليه بنظرة باردة ثابتة .

" تكلمى يا ليلى . إذا كنت مقتنعة بأننى الأزرق ، فإن ما ستقولينه لابد أننى أعرفه ، هل كان دتش يعرف مغزى الشريط المخملى الأزرق ؟ " .

" هل تعنى مغزاه بالنسبة للأزرق ؟ " .

أومأ برأسه .

" كان لديه تصور عن هذا " .

" ماذا كان ذلك التصور ؟ " .

ترددت فى مناقشة ما تعرفه عن القضايا مع تيرنى . لكنها إن فعلت ، فقد تعلم منه شيئاً . قالت : " إن أول المختفيات ، تورى لامبيرت ، هى الوحيدة التى ليست من أهل البلدة " .

قال : " كانت تقضى الإجازة فى كليرى مع والديها ، وذهبوا فى نزهة للاستمتاع بخضرة الخريف . تشاجرت مع والدتها ، ومثلما يحدث فى حالة المشاجرة مع فتاة فى سن الخامسة عشرة ، انطلقت البنت وحدها ، ولم يرها أحد بعد ذلك " .

" هذا صحيح " .

" توقفى عن النظر إلىّ هكذا يا ليلى . لقد أتيت إلى كليرى بعد اختفاء الفتاة بفترة قصيرة ، وكانت القصة تحتل الصفحات الأولى من الصحف لأسابيع . لقد قرأت الصحف كأى شخص

آخر . يمكن لأى شخص أن يخبرك ما أخبرتك به الآن . ماذا قال دتش عن الشريط " .

قالت ليلى : " هذا هو كل ما وجدوه عنها . كان جميع من في المجموعة التى خرجت للتنزه - بما فى ذلك والدها - يظنون أنها ستلحق بهم . وحين لم تفعل شعروا بالقلق وبدخول الليل أصابهم الذعر ، وبمرور أربع وعشرين ساعة أدركوا أن الأمر أكبر من أن يكون أحد تقلبات المزاج المرتبطة بالمراهقة ، وأنها ليست مختفية باختيارها ، فإما أنها أصابها حادث ولم تستطع العودة ، أو أنها ضلت الطريق بلا أمل فى العودة ، أو أنها اختطفت " .

قال تيرنى : " بحثت عنها فرق الإنقاذ لأسابيع ؛ لكن الشتاء حل مبكراً فى تلك السنة " ؛ ملتقطاً طرف الخيط فى سرد القصة ، تابع قائلاً : " الفتاة ــــــ "

قالت ليلى غاضبة : " توقف عن دعوتها بالفتاة . إن اسمها تورى لامبيرت " .

" اختفت تورى لامبيرت وكأن الأرض قد انشقت وابتلعها . لم يُعثر لها على أثر " .

قالت ليلى : " فيما عدا شريط مخملى أزرق . لقد عثر عليه بين بعض النباتات الكثيفة ، عبر حدود الولاية فى تينيسى " .

" هذا هو ما جعل السلطات تعتقد أنه قد تم اختطافها للوصول إلى البقعة التى عثر فيها على الشريط ، كان يلزمها أن تسير عشرة أميال فى منطقة من أشد المناطق وعورة شرقى نهر الميسيسبى " .

قالت ليلى : " تعرفت والدتها على الشريط وقالت إن تورى كانت تربط به شعرها فى ذلك اليوم " ، وحدقت فى مكان قريب منها ثم قالت : " لابد أن السيدة لامبيرت أصابها الجنون حين رأت الشريط . لقد كان شعر تورى طويلاً جداً وكان يصل إلى خصرها تقريباً . فى ذلك الصباح ، كانت تضفره ضفيرة واحدة . وكان الشريط مضفوراً " .

عادت بنظرتها إلى تيرنى ، ثم قالت : " والآن ، ما الذى فعلته بها غير ذلك ؟ هل أخذت وقتك فى فك ضفيرتها وحل الشريط ؟ " .

" فعل الأزرق ذلك " . تابعت وكأنه لم يعارض ما قالته : " إننى أتساءل عما إذا كان ذلك إهمالاً منك ، أم أنك تركت الشريط عن عمد " .

" ولماذا يُترك عن عمد ؟ " .

قالت ليلى : " لخداع فرق البحث . لتضليلهم . إلا إذا كان الأمر كذلك . فقد نجح . بعد العثور على الشريط ، ثم الاستعانة بكلاب التتبع المدربة ، وسرعان ما فقدوا الرائحة " ، وسكتت هنيهة ثم قالت : " إننى لأتعجب لماذا تأخذ الشريط كتذكار ؟ " .

" لقد أخذ الأزرق تذكاراً . أخذ تورى لامبيرت نفسها " .

جعلتها رنة صوته ترتعد ، ثم قالت : " إذن فالشريط ليس سوى علامة على النجاح " .

أخذ تيرنى رشفة أخيرة سريعة من القهوة ثم قال : " لقد انتهيت . شكراً " .

―

أخذت الكوب من يديه وأعطته كعكتين ، واحدة فى كل يد من يديه . التهم تيرنى الأولى فى قضمة واحدة ، وحين أحنى رأسه ليأكل الثانية ، لاحظت ليلى الضمادة ، فقالت : " هل جرح رأسك يؤلمك " .

" إنه محتمل " .

قالت ليلى : " يبدو أنه مازال ينزف " ، ومدت يدها له بكعكة ثانية ، لكن بدلاً من أن يأخذ منها الكعكة . أمسك بمعصمها وأطبق أصابعه بقوة حوله قائلاً : " سأعيش يا ليلى . إننى قلق بشأن نجاتك أنت بدرجة أكبر " .

حاولت أن تخلص يدها منه ، لكنه لم يتركها ، فقالت : " دع يدى " .

" فكى قيودى " .

قاومته بشدة وهى تقول : " لا " .

" سأذهب إلى سيارتك لإحضار الدواء " .

" تقصد لتهرب " .

ضحك ضحكة قصيرة قائلاً : " أهرب ؟ لقد كنت بالخارج . تعرفين حالة الجو بالخارج . إلى أى مدى يمكننى أن أهرب فى ظنك ؟ أريد أن أنقذ حياتك " .

" سأعيش " .

" إن وجهك شاحب . كنت أستطيع أن أسمع كل نفس تأخذينه حين كنت بغرفة المعيشة . إنك تعانين يا ليلى " .

" إن معاناتى بسببك " .

حين جذبت يدها هذه المرة ، أطلقها ، فأخذت عدة أنفاس لاهثة ثم قالت : " هل تريد هذه ؟ " ، وهى تمد يدها بالكعكة الأخيرة نحوه .

" من فضلك " .

وبدلاً من أن تضعها فى متناول يديه ، وضعتها على بعد بضعة بوصات من فمه قائلة : " لا تعضنى " .

قطب جبينه وكأنها أهانته مرة أخرى ، ثم أمال رأسه للأمام وأمسك بالكعكة بين أسنانه ، محاذراً ألا يلمس أصابعها . قبضت يدها بسرعة ، فعالج الكعكة بأسنانه حتى أدخلها فمه . رفعت ليلى الطبق الخالى والكوب واتجهت نحو غرفة المعيشة .

" إن كنت لا تريدين فك قيودى ، فعلى الأقل دعينى أنتقل إلى هناك كى تظل عينى عليك " .

" كلا " .

" هناك سأستطيع مراقبتك عن قرب " .

" لقد قلت كلا " .

" ليلى " .

" لا ! " .

" لم تخبرينى عن تصور دتش لأمر الشريط . ما الذى يمثله الشريط الأزرق ؟ " .

بعد لحظة من التردد ، قالت : " إن دتش يقول إنه يستخدمه كعلامة على نجاحه فى تحدى السلطات " .

" أوافقه فى ذلك . وقد تكون هذه هى المرة الوحيدة التى نتفق فيها أنا ودتش على شئ واحد . إننى أعتبره أحمق لأسباب كثيرة ، أحدها أنه تركك وحدك فوق هذا الجبل بالأمس

على الرغم من علمه باقتراب العاصفة الثلجية . ماذا كان يظن ؟ "

" لم يكن الخطأ خطأه بشكل كامل . لقد شجعته على أن ينصرف قبلى " .

" لماذا ؟ " .

" لن أتحدث معك عن علاقتى بـ " دتش " " .

نظر إليها نظرة طويلة ، ثم قال : " إننى أحترم ذلك منك . أحترمه بأمانة . ولا أريدك أن تحدثيه بما حدث بيننا أيضاً " .

" لا شىء بيننا يا تيرنى " .

" هذا غير حقيقى . غير حقيقى على الإطلاق . وأنت تعلمين ذلك . قبل أن تقررى أننى منحرف كنا فى طريقنا إلى إقامة علاقة بيننا " .

" لا تحمل الأمور أكثر مما تطيق " .

" فى الأحوال العادية لا أفعل ذلك . لكن تلك علاقتنا لم تكن عادية " .

كانت تعلم أنها يجب أن تنصرف من أمامه دون أى تأخير ، وأن تصم أذنيها وتتجنب النظر فى عينيه ، لكنها ظلت فى مكانها وكأنها مسحورة .

" مهما حاولت الإنكار يا ليلى ، أنت تعلمين أن ما أقوله هو الحقيقة . لم يبدأ الأمر بيننا ليلة أمس فقط . لقد بدأ منذ أن وضعت قدمك بالأتوبيس . لقد ظللت طوال ذلك الوقت أحاول التقرب إليك " .

تجاهلت الشعور الذى بدأت تشعر به قائلة : " هل هذه هى طريقتك ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" هل تخدع النساء بكلامك المعسول حتى يذهبن معك بإرادتهن ؟ " .

" هل تظنين أن ما أقوله كلاماً معسولاً ؟ " .

" نعم " .

" لخداعك ؟ " .

" نعم " .

" حتى تفكى القيود وأصبح حراً لالتهامك ؟ " .

" شيء من هذا القبيل " .

" إذن فاشرحى لى السبب الذى جعلنى أتوقف عن إيذائك ليلة أمس " .

وأخذ يفحصها بعينيه منتظراً إجابة لم تأت قط .

فى النهاية قال : " لقد توقفت لأننى لم أكن أريد استغلال الموقف . لقد كنا نمر بظروف خطرة . انقطعت بنا السبل عن بقية الجنس البشرى . كنا نتحدث عن آمى ، كنت هشة من الناحية العاطفية ، تحتاجين إلى من يخفف عنك ويرفق بك " .

" قد كان كل منا أيضاً محروماً ويشتهى الآخر . إننى كنت أعلم إلى أى مدى كانت ستصل بنا الأمور لو أننا تمادينا فى علاقتنا . وعلمت أيضاً أنك فيما بعد إما ستندمين أو ستشكين فى دوافعى . لم أكن أريد لك أن تندمى فيما بعد يا ليلى . هذا هو السبب الوحيد الذى جعلنى لا أتعدى حدودى معك يا ليلى " .

كان الصدق بادياً فى صوته . يا إلهى ، هل هو صادق فعلاً ؟ قالت ليلى : " يا لها من تضحية ، أيها القديس تيرنى ! " .

نظر فى عينيها بحدة قائلاً : " لا . لو أنك طلبت منى الزواج منك لما ترددت طرفة عين " .

استنشقت ليلى الهواء بسرعة بشكل جعل رئتيها تصفران ، ثم قالت " أنت جيد يا تيرنى " ، وكان صوتها وهى تقول ذلك مبحوحاً ، ليس فقط بسبب الربو . تابعت قائلة : " فى لحظة تقول معسول الكلام ، ثم تقول كلاماً مثيراً فى اللحظة التى تليها . طريقتك هذه هى الطريقة الصحيحة " .

همس لها قائلاً : " فكى القيود يا ليلى " .

" اذهب إلى الجحيم " .

كانت نجاتها فى الليلة السابقة تعتمد على ثقتها فيه ، لكنها تعتمد اليوم على عدم الثقة فيه .

الفصل

١٨

" ما الأمر يا ويز ؟ ".

" قبل أن تفسد كل شيء ، توقف وفكر في الأمر " .

انضم ويز إلى دتش حيث كان واقفاً أمام سخان كهربى لم يكن يجدى نفعاً فى تدفئة المرآب الضخم ، لكن الأسلاك المحمرة المتوهجة كانت تعطى دتش الانطباع بأن مجرد الوقوف أمام السخان يستطيع تفادى البرد القارص . كان ذلك مجرد انطباع ، فقد كانت الأرضية الأسمنتية توصل البرد من خلال نعلى حذائه وجوربه الصوفى إلى قدميه ورجليه .

أخذ دتش يدق الأرض برجليه كى يستمر سريان الدم بهما ، كما كان يدقها أيضاً لنفاد صبره من كال هوكينز ، فمنذ أن وصلا لم يغادر مرحاض الرجال ، وفى آخر مرة استعجله فيها دتش كان لا يزال يقضى حاجته .

قال ويز : " إنهما كانا سيتعبانك على أية حال " ، وكان يقصد عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية اللذين اتبعاه إلى المرآب

في سيارتهما الخاصة . كان عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية قد ظلا داخل السيارة دون أن يوقفا تشغيل المحرك ، وماسورة العادم كانت تخرج سحابة من العادم بدت لـ " دتش " وكأنها أنفاس وحش يطارده .

قال ويز : " إن ذلك المدعو بيجلي يريد أن يصل إلى تيرنى كما تريد أنت تماماً فبدلاً من أن تجوب الجبل وحدك ، لم تدعه يتحمل بعض المسئولية ؟ " .

ورغم أن دتش كان يكره أن يعترف بذلك ، فإن كلام ويز كان منطقياً . إذا حدث شيء سيىء هناك في أعلى الجبل - على سبيل المثال ، لو أن تيرنى تلقى رصاصة قاتلة وهو يحاول الفرار - ستكون هناك استجوابات ومجالس مراجعة واستجوابات روتينية لا تنقضى ، فلم لا يدع عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية يأخذان نصيبهما من ذلك ؟

قال ويز وهو يومئ برأسه نحو هوكينز الذى خرج لتوه من المرحاض : " إذا لم يجدِ هذا الشخص ، فإن رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية لديهم المعدات اللازمة وفرق الإنقاذ المدربة والمعدات عالية التقنية وكل هذا " .

قال دتش : " لكن إن أنا استخدمتهم . فسأكون تابعاً لهم . بالإضافة إلى أننى حين أصل إلى تيرنى ـــــ "

قال ويز بصوت خفيض : " إننى معك مائة فى المائة يا صاحبى فى هذا الموضوع ، خصوصاً وأنه مختطف امرأتنا نحن . كل ما أقوله هو ـــــ "

" أن نستخدم مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى حد معين " .

ضربه ويز على ظهره ضربة خفيفة وابتسم له تلك الابتسامة التى كان يبتسمها له فى الملعب وهما يتفقان على اللعبة التى ستقصم ظهر الفريق الآخر ، ثم قال : " هيا لنبدأ رحلتنا ، لكن بينما كانا متجهين إلى شاحنة الرمل ، قطب ويز جبينه قائلاً : " هل تظنه على ما يرام ؟ " .

كان هوكينز فى مقعد القيادة ، لكن كان ذراعاه متهدلين فوق عجلة القيادة محتضناً إياها وكأنها هى التى ستحفظ عليه حياته . فتح دتش الباب المجاور لكرسى الراكب وصعد إلى الشاحنة قائلاً : " إن أفسد الأمر ، فسأقتله ، ثم سأضعه فى السجن ليتحلل بداخله " .

قال له ويز : " إننى وراءك مباشرة إن احتجتنى " .

حين أغلق ويز الباب المجاور لكرسى الراكب ، جفل هوكينز قائلاً : " لا داعى لصفق الباب " .

قال دتش : " أدر الشاحنة يا هوكينز " .

أدار هوكينز مفتاح التشغيل قائلاً : " سأديرها ، لكن لن يجدى ذلك . لقد قلت ذلك ألف مرة ، وسأقوله مرة ثانية . إن هذا هو الجنون بعينه " .

نظر إليه دتش متشككاً وهو يقول : " هل تفوح من فمك رائحة الخمر ؟ " .

رد هوكينز وهو ينظر فى المرآة الجانبية قائلاً : " بقية مما شربته ليلة أمس " .

نظر دتش فى المرآة المجاورة لكرسى الراكب وراقب العميل الخاص وايز وهو يخرج من السيارة ، وبعد ذلك أخرج ويز سيارته إلى الشارع مخلياً الطريق أمام هوكينز .

بعد أن انطلق الركب من المرآب بما لا يزيد عن خمس ثوانى ، كانت حاجبة الرياح قد غطتها الثلوج .

كانت نظرة هوكينز نحو دتش تقول : لقد أخبرتك بهذا .

غمغم هوكينز محدثا نفسه ، ثم حول السرعة . تحركت الشاحنة إلى الأمام بصعوبة بالغة - أو هذا هو ما بدا لـ " دتش " .

مهد المحراث الملحق بمقدمة السيارة طريقًا مؤقتة للسيارات التى تتبعها ، كما وضع هوكينز أيضاً مزيج الرمل والملح على الطريق . أعانهم ذلك على الحركة بالسيارتين ، لكن فى كل مرة كان دتش ينظر فيها فى مرآة الجانب ، كان يجد وايز وويز يبحثان عن طريق للسيارة ، لذا توقف عن النظر فى المرآة .

كان دتش قد ضبط هاتفه على إصدار اهتزازات ، لا رنات ، وبينما كان يعلم أنه لم يصدر أى اهتزاز ، فإنه فحصه على أية حال ليرى ما إذا كان قد أتاه بريد صوتى . لم يجد بريداً صوتياً . طلب دتش رقم هاتف ليلى الخلوى ، متمنياً أن تكون هناك إشارة . فتلقى الإشارة المتوقعة بعدم وجود خدمة !

قال دتش فى نفسه إنها لو كانت تستطيع الاتصال لاتصلت . لابد أن هاتفها عديم الجدوى كهاتفه تماماً ، وإلا لاتصلت به .

أخرج دتش رأسه ينظر نحو قمة كليرى . لم يكن يستطيع أن يرى أبعد من بضع أقدام أمام الشاحنة ، فقد كان الجليد ينهمر بشدة بحيث أصبح من العسير تمييز وحدات الثلج المنهمرة على حاجبة الرياح من بعضها البعض .

إذا كان الجو بهذا السوء أسفل الجبل ، فلابد أنه أكثر سوءاً عند قمته ، لكن لأنه لا يريد أن يحبط هوكينز ، لم يقل ذلك بصوت عال ، لكن هوكينز قرأ أفكاره .

قال هوكينز : " كلما ازددنا ارتفاعاً ، ازداد الجو سوءاً " .

" سنتقدم قدماً بقدم " .

قال هوكينز : " بل بوصة ببوصة " ، وبعد لحظة قال : " إن ما أتعجب بشأنه ... " .

نظر إليه دتش قائلاً : " ماذا ؟ " .

" هل تريد إنقاذ زوجتك السابقة ؟ " .

" ما رأيك يا هوت ؟ " .

" قال هوت : " بشأن ماذا يا سيدى ؟ على وجه التحديد " ، وكان تركيزه منصباً على مركز مقدمة السيارة ، محاولاً أن يجعلها فى منتصف الدرب الذى تفتحه شاحنة الرمل أمامها .

" دتش بورتون . ما رأيك فيه ؟ " .

" حساس جدًا بالنسبة للنقد ، وحتى عندما يكون النقد ضمنياً . فسرعان ما يجعله ذلك متحفزاً " .

" رد الفعل المتوقع من شخص يعانى من الفشل الدائم يفتقد احترام الذات . ماذا غير ذلك بشأنه يا هوت ؟ " .

" يريد إبعاد زوجته السابقة عن بين تيرنى بدافع الغيرة أكثر منه اقتناعاً بأن تيرنى هو الأزرق . إنه يتصرف كرجل ، لا كمنفذ للقانون " .

نظر إليه بيجلى وكأن شخصًا حكيمًا أعطى الإجابة الصائبة عن سؤال صعب . " ما الذى اكتشفه بيكنز عن السيدة ؟ " .

فى أثناء انتظاره وصول المأمور بورتون إلى صيدلية ريت ، استخدم هوت هاتف العملة للاتصال بمكتب تشارلوت . وكان معه حاسبه المحمول بالطبع ، لكن حواسب المكتب تصل إلى شبكات المعلومات الأكثر شمولية بسرعة وبشكل أفضل . طلب هوت من بيركينز أن يجمع ما يستطيع جمعه من معلومات عن زوجة بورتون السابقة ، وحذره من أن بيجلى يتعجل الحصول على المعلومات .

قال بيكنز : " اللعنة اتفقنا . أعطنى عشر دقائق " . واتصل مرة ثانية فى أقل من خمس دقائق .

قال هوت لـ " بيجلى " الآن : " هى رئيس تحرير مجلة اسمها " سمارت " " .

" إنك تثير أعصابى " .

" لماذا يا سيدى ؟ " .

" إن السيدة بيجلى تهيم بهذه المجلة . لقد رأيتها ذات مرة تقضى أسبوعاً كاملاً على أحد أعدادها ، كما أنها أعادت تنظيم ديكور غرفة المعيشة ليحاكى ديكوراً رأته بها . هل أنت متزوج يا هوت ؟ " .

أذهله السؤال المفاجىء ، فقال : " سيدى ؟ أوه . لا يا سيدى " .

" ولم لا ؟ " .

لم يكن معارضاً للفكرة . بل فى الحقيقة . لقد كان مؤيداً لها . لكن المشكلة كانت تكمن فى العثور على امرأة لا تمله

أو تمل حياته الروتينية . كانت هذه هى خبرته مع النساء : بضعة مواعيد ، دون أن ترتقى لعلاقة حقيقية تنتهى بالزواج ، فقد كانا يفتقران إلى الحماس .

كان يتبادل مؤخراً الرسائل الإلكترونية مع امرأة عرفها عن طريق الإنترنت، وكانت هذه المرأة تعيش فى ليكنسجتون ، وكان حديثها ممتعاً . لم تكن المرأة تعرف أنه يعمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية . كانت النساء دائماً ما يهمن بالفكرة المثيرة السائدة عن المكتب أكثر مما يهمن به هو شخصياً . كل ما كانت كارين ـ وهذا هو اسمها ـ تعرفه عن عمله هو أنه ينطوى على استخدام الحاسب ، وكانت المعجزة أنها مع ذلك ظلت مهتمة به .

دامت آخر دردشة بينهما ساعة وثمان وثلاثين دقيقة ، وقد جعلته وهو جالس إلى حاسبه فى مكتب منزله يضحك ملء فيه على حكاية قصتها عليه عن محاولتها الوحيدة لادخار النقود بتلوين شعرها ، مؤكدة له أن النتيجة المأساوية عولجت فى أحد الصالونات وكانت تستحق كل مليم أنفق عليها . جعله هذا يظن أنه ربما يحتاج لبعض الإثارة فى حياته .

حدثته أكثر مرة عن جمال بلدتها فى الربيع ، ولو أن هذه المقدمة كانت توطئة لدعوته ليرى بنفسه جمال هذه البلدة لفكر جديًا فى الذهاب ، لكنه أصابه التوتر من فكرة رؤيته لها وجهاً لوجه ، لكنه كان متوتراً توتراً لذيذاً .

تمنى هوت ألا يكون بيجلى قد رأى الحمرة التى علت وجنتيه ، ثم قال بهدوء : " كان تركيزى فى السنوات القليلة الماضية هو متابعة حياتى العملية يا سيدى " .

" حسناً . هذا جيد يا هوت . لكن هذا عملك ، لا حياتك . اعمل في هذه الناحية أيضاً " .

" نعم يا سيدى " .

" إن السيدة بيجلى توفر لى راحة البال والسعادة . لا أعرف ماذا يمكنني أن أفعل بدونها . أريد أن تقابلها يوماً ما " .

" شكرا يا سيدى . سيكون هذا شرفاً لى " .

قال بيجلى : " ليلى مارتين . هل من المنطقى أن أتصور أنها امرأة مثقفة ؟ " .

حاول ذهن هوت أن يواكب هذا التحول بنفس المهارة ، وقال : " نعم يا سيدى ، إنها حاصلة على درجة جامعية مزدوجة فى الآداب والصحافة . بدأت صحفية هاوية فى مجلة أخرى ، وتدرجت فى المناصب حتى وصلت إلى منصبها الحالى . لقد رشح لى بيركينز بعض مواقع الإنترنت التى يمكننا الإطلاع عليها فيما بعد ، ويقول إن ليلى تبدو فى الصور جذابة جداً " .

وألقى هوت نظرة على بيجلى قبل أن يتابع قائلاً : " وكان هناك شيء آخر يا سيدى . شيء عن بين تيرنى . لقد قال بيركينز إن فى حسابات بطاقة ائتمانه توجد مصروفات أنفقها فى محل لبيع الأسلحة اشترى منه سلاحاً نارياً وقيداً حديدياً " .

" يا إلهى . منذ متى ؟ " .

" المصروفات مقيدة بتاريخ أغسطس الماضى يا سيدى".

عض بيجلى مفكراً على شفته السفلى قائلاً : " لقد أخبرنا السيد إلمر أن تيرنى قابل ليلى الصيف الماضى " .

" وأثارته بجمالها " .

قال بيجلى : " ما لا نعرفه هو ما إذا كان هذا الإعجاب متبادلاً أم لا ؟ ربما كانا يتقابلان منذ الصيف الماضى . وبوصفها زوجته السابقة ، ليس بالضرورة أن يعرف بورتون بذلك " .

" صحيح " .

قال بيجلى : " من ناحية أخرى ... " .

" إذا لم تكن ليلى قد أعجبت بـ " تيرنى " ، وإذا كان هو الأزرق ... " .

تنهد بيجلى قائلاً : " نعم . إنه لن يدعها تصده " ، وصمت مكتئباً لعدة دقائق ثم ضرب فخذه بقبضة يده قائلاً : " الوغد ! ليس هذا بالأمر الهين يا هوت . لقد قال ريت ـ وأيده ويز هامر فى ذلك ـ إن النساء ينجذبن إلى تيرنى بشكل طبيعى . إذن قل لى ما الذى يجعله يختطفها . قل لى يا هوت ؟ هل لديك أية أفكار ؟ " .

ورغم أن بيجلى كان ينتظر بنفاد صبر أن يسمع رداً ، فإن هوت تفكر فى الأمر أولاً ، ثم قال : " حين كنت فى المدرسة ـــــ "

قاطعه بيجلى قائلاً : " بالمناسبة ، لقد علمت منذ فترة قصيرة أنك حاصل على شهادة فى القانون . لماذا لم تصبح محامياً ؟ " .

قال هوت دون تردد : " لقد كنت أريد أن أصبح عميلاً فى مكتب التحقيقات الفيدرالية . هذا هو كل ما كنت أريده منذ أن بدأت أعى الأشياء " ، وكان طموحه مثار سخرية الطلبة الأشداء فى المدرسة ، وحتى إن والديه قد اقترحا عليه أن يضع فى ذهنه

بديلاً آخر ليكون عمله فى حالة عدم قدرته على تحقيق الخيار الأول ، لكنه لم يدع شكوك الآخرين تثنيه عما اعتزمه .

" لقد كانت المشكلة يا سيدى . حسناً ، كانت المشكلة هى أننى لم أخدم فى الجيش ولم أتلق أى تدريب فى أعمال الشرطة ، ومن ينظر إلىّ لا يظن على الفور أننى أصلح لأن أكون مرشحاً لأفضل وكالة فى تحقيقات الجرائم على مستوى العالم ، ولا تنطبق علىّ الصورة التى فى أذهان الناس عن العميل الفيدرالى . كنت أخشى ألا يقبلنى المكتب إلا بعد أن أثبت تميزى فى ناحية أخرى ، وفكرت فى أن حصولى على شهادة فى القانون من الممكن أن يساعدنى فى ذلك . ولقد حدث هذا كما ترى " .

نظر هوت نحو بيجلى الذى كان المكتب قد اختاره لسجله العسكرى المميز وصفات القيادة المتوفرة فيه ، والأهم من ذلك الجوائز التى حصل عليها ؛ لذا فقد كانت مؤهلات كل منهما تختلف عن الآخر بشكل مضحك .

كان بيجلى يقيِّم هوت فى نفسه مفكراً ، لكن ليس بشدة . قال هوت فى نفسه إنه يأمل أن يحصل ولو على درجة صغيرة فى تقدير بيجلى ، فليس هذا بالشىء الهين . فى الحقيقة إنه لشىء عظيم ، إنه أفضل ما يستطيع أن يصل إليه من تقدير .

" لقد سألتنى يا سيدى عن السبب الذى يجعل تيرنى يأخذ النساء ، ولقد كنت على وشك أن أحدثك عن مثال قد ينطبق على حالته . فى الفصل الدراسى الأولى لى بكلية الحقوق ، كنت فى مناقشة حامية مع أحد زملائى للحصول على الموقع الأول بين طلبة الفصل . وكان زميلى هذا يبدو مثل جون كينيدى

شاباً رياضياً محبوباً ، وكان يواعد إحدى فتيات الإعلانات . وبالإضافة إلى كل هذه الصفات ، كان عبقرياً . كان عبقرياً بالفعل .

لكنه كان غشاشاً . بشكل كبير . تقريباً في كل امتحان ، في كل سنة من سنوات الدراسة بكلية الحقوق ، كان يغش في كل تدريب نكلف به أو كل امتحان ندخله ، وانتهى بنا الأمر إلى حصوله على تقدير أعلى منى قليلاً ، وحصوله على المركز الأول على الدفعة في سنة التخرج " .

" لم يتم الإمساك به أبداً ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" لابد أن هذا كان أمراً صعباً بالنسبة لك " .

" لا يا سيدى . في الواقع ، فربما كان بإمكانه التفوق على في كل الأحوال . ما أعنيه هو أنه لم يكن بحاجة إلى الغش " .

" إذن فلماذا كان يغش ؟ " .

" لم تكن كلية الحقوق تمثل له تحدياً ، أما الغش دون أن ينكشف أمره فكان بمثابة التحدى الذى يريده " .

أمامهما ، أضاءت مصابيح سيارة ويز هامر ثلاث مرات ، فهم هوت من ذلك على أنه إشارة إلى أنه سيحتاج إلى استخدام الفرامل عاجلاً . خفف هوت الضغط على البنزين . وخلف هامر جاءت أضواء مصابيح شاحنة الرمل ومعها إشارة الدوران نحو اليمين ، فاستخدم هوت فرامل سياراته برفق حتى يستطيع الإبطاء من سرعة السيارة تدريجياً .

بدا أن بيجلي لا يشعر بأى شيء حوله فيما وراء حاجبة الرياح ، فقد كان يفكر في دافع تيرنى ، فقال : " إذن فنحن

أمام شخص نشط آخر نفذت كل التحديات أمامه ، فبدأ يتخذ تحديات أخرى ليرى ما إذا كان سيستطيع قهرها . لكن لم هؤلاء النسوة ؟ لم لا ــــــ "

فك فجأة حزام المقعد واستدار نحو المقعد الخلفى بشكل جعل هوت يشعر بتوتر شديد . مد بيجلى يده بين الكراسى وأخذ الملفات الخمسة المحتوية على كم هائل من نماذج مكتب التحقيقات ، والمعلومات التي جمعها هوت عن كل من النساء الخمس المفقودات . متجهاً إلى الأمام مرة أخرى . وضع بيجلى الملفات في حجره . تنفس هوت الصعداء حين أعاد بيجلى ربط الحزام .

قال بيجلى : " ليلة أمس ، بينما كنت أتصفح هذه الملفات ، كان ما يخطر ببالى دائماً هو أننى أقرأ نفس القصة فى كل مرة . لقد فهمت الآن السبب " .

قال هوت : " لا أفهم يا سيدى " ، واستدار بالسيارة السيدان فى حرص . بسيره وراء سيارة هامر على بعد آمن . كان باستطاعته أن يتوقف دون أن يصطدم بالجزء الخلفى من سيارة هامر . وأمام هامر ، كانت شاحنة الرمل تجاهد للسير على المنحدر الذى برز بعد المنعطف مباشرة .

ضرب بيجلى بكفه فوق الملف العلوى ، فباغت الصوت المفاجىء هوت لدرجة كانت كافية لتجعله يقفز من مقعده . قال بيجلى : " هؤلا النسوة بينهن شىء مشترك يا هوت " .

" لم يستطع أحد ممن عملوا بالقضية الوصول إلى خيط مشترك بين الضحايا يا سيدى ، لا من حيث أماكن العمل ولا الصفات الجسمانية ولا الخلفية ــــــ "

" إنها الحاجة " .

لم يكن هوت متأكداً من أنه قد سمع بشكل صحيح ، فغامر بإدارة رأسه نحو بيجلى قائلاً : " سيدى ؟ " .

" قد كن جميعاً يعانون الحاجة بشكل أو بآخر ، فكما نعلم كانت ميليسنت مريضة بفقدان الشهية ، وهو عرض يدل على وجود مشاكل عاطفية ومشاكل متعلقة بنظرة المرء لنفسه ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا هو ما أفهمه " .

سار بيجلى بترتيب تنازلى وهو يتحدث عنهن ، فقال : " وقبلها كانت كارولين مادوكس . أم منفصلة ، تعمل لساعات طويلة من أجل رعاية طفل مريض بالسكر . ولاورين إليوت " ، وفتح بيجلى ملفها وفحص محتوياته ثم تابع قائلاً : " آه طولها خمس أقدام وثلاث بوصات ، ووزنها مائتان وأربعون رطلاً . كانت بدينة . أراهن أننا لو تقصينا الأمر لوجدنا أن البدانة كانت مشكلة حياتها . وأنها مارست كل أنواع الحمية الغذائية التى تم التوصل إليها " .

" لقد كانت تعمل ممرضة . ولعملها فى هذه المهنة ، كانت دائماً ما ترى أمامها المخاطر الصحية المرتبطة بالسمنة ، وربما مورست عليها ضغوط إما أن تنقص وزنها أو تفقد عملها " .

" إننى أرى إلى أين تتجه بحديثك هذا يا سيدى " .

" بيتسى كالهون توفى زوجها بسرطان البنكرياس قبل اختفائها بستة أشهر بعد زواج دام سبعة وعشرين عاماً ، وكانت ربة منزل . ماذا يعنى كل هذا يا هوت ؟ " .

" أوه ... " .

" الاكتئاب " .

" بالطبع " .

" لقد تزوجت بيتسي كالهون بعد إنهائها تعليمها الثانوى مباشرة ، ولم تعمل أبداً خارج المنزل . كان زوجها يتولى كل أمورها الشخصية ، فربما لا تكون قد اضطرت حتى إلى توقيع شيك إلا بعد موته . لقد وجدت نفسها فجأة تتولى أمور نفسها ، بالإضافة إلى أنها فقدت حب عمرها والسبب الذى تعيش من أجله " .

كان بيجلى متحمساً لهذا الحديث لدرجة أن هوت لم تواته الجرأة كى يقول إن كل هذا ليس سوى استنتاجات . استنتاجات قائمة على المنطق السليم ، لكنها لاتزال استنتاجات لم يقم عليها دليل ، ولن تكون لها أهمية فى قاعة المحكمة .

تابع بيجلى قائلاً : " هذا هو المفتاح يا هوت . إنه لم يأخذ امرأة آمنة فى عملها أو تعيش علاقة رومانسية حقيقية أو مستقرة عاطفياً . قبل أن تختفى النساء الخمسة ، كانت كل منهن تعانى فى حياتها وتتفادى الضربات الموجهة إليها " .

" إحداهن تعانى من الاكتئاب ، والأخرى من البدانة ، والثالثة تعانى الأمرين لكسب القوت والمحافظة على طفلها فى حالة شبه صحية ، والرابعة تقتات على الطعام الذى لا فائدة فيه حتى تتقيأ " ، ثم تابع بلهجة مزرية قائلاً : " ثم يأتى المنقذ بلطفه وتفهمه ورأفته وطيبته وجاذبيته الجنسية " .

متحمساً لهذه النظرية ، قال هوت : " يصادقهم ويكسب ثقتهم " .

" يمنحهن صدراً حنوناً للبكاء عليه ويحتويهن بين ذراعيه القويين السمراوين " .

" إن شعاره هو مساعدة النساء المحتاجات " .

" ليس المساعدة فقط يا هوت ، بل الإنقاذ . فبوسامته هذه ومغامراته المثيرة ، يستطيع أن يحصل على ما يريده منهن متى شعر بالحاجة إلى ذلك ، لكن ما يثيره بشكل أكبر هو أن يكون منقذ هؤلاء النسوة " .

حينئذٍ خطر ببال هوت خاطر من شأنه انهيار كل هذا التصور ، قال هوت : " لقد نسينا توري لامبيرت . الأولى ، كانت جميلة وطالبة مستقيمة ، محبوبة من زميلاتها فلا توجد لديها أي منغصات أو مشاكل كبرى " .

وتابع هوت قائلاً : " بالإضافة إلى أن الأزرق لم يسع إليها ، بل قابلها مصادفة حيث تركت مجموعة المتنزهين التي كانت برفقتهم ، ولم يكن يعرف أنها ستتجول وحدها في الغابة في ذلك اليوم . لقد أخذها لمجرد أنها متاحة له ، لا لأنها تعاني من الحاجة " .

قطب بيجلي جبينه وفتح ملف توري لامبيرت وبدأ يتصفح متحوياته قائلاً : " ماذا عن الرجال في تلك المجموعة من المتنزهين ؟ " .

" حضروا وأوضحوا أماكن تواجدهم في وقت اختفائها ، وقد تمت استجوابهم باستفاضة ، وتبين أن أحدًا لم يترك المجموعة سوى توري ! " .

" لماذا فعلت ذلك ؟ " .

" أقرت السيدة لامبيرت ، والدة تورى ، فى المقابلات بأنها تشاجرت معها فى ذلك الصباح . لم يكن الأمر خطيراً ، ليس سوى وجهات النظر المعتادة المرتبطة بالمراهقة . أعتقد أنها كانت تكره أن تقضى الإجازة مع والديها " .

" هذا هو بالضبط ما يحدث بيننا أنا والسيدة بيجلى وابنتنا ذات الخمس عشرة سنة . إنها تخجل منا ، وتخجل إن مدحناها أمام الناس " ، .وأخذ يتفكر فى ذلك للحظة قبل أن يتابع قائلاً : " لذا فقد صادف الأزرق تورى فى حالة مزاجية غاضبة وقد اعترتها التقلبات المزاجية لمن فى مثل سنها ، ثم دردش معها وأظهر تعاطفه معها وتأييده لها ضد والدتها ، وقال لها إنه يعلم كم أن الآباء متعبون من الممكن ... " .

قال هوت : " وحينها تصبح الفتاة ملكه " .

قال بيجلى بلهجة حاسمة : " وبعد فترة تبدأ فى النهاية بالشعور بعدم الراحة تجاهه وتحاول العودة إلى والديها فيسألها عن السبب الذى يجعلها تريد العودة إليهما بينما يعتبر هو الصديق الذى تحتاجه . وحين تشعر بالخوف ، تحاول الفرار فيفقد أعصابه ، وتموت هى بين يديه " .

تابع بيجلى قائلاً : " ربما لم يكن فى نيته قتلها ، وربما تكون الأمور قد خرجت عن نطاق سيطرته ولم يدرك إلا بعد فوات الأوان أن أنفاسها قد توقفت ، وسواء قام باغتصابها أم لا فإنه يفلت بفعلته " .

أغمض بيجلى عينيه وكأنه يتبع أفعال الجانى وتدبيره ، ثم قال : " بعد ذلك ، حين لا يتم القبض عليه أو لا يفكر به أحد على الأقل كمشتبه فيه ، يدرك كيف كان الأمر سهلاً ، فيبدأ

فى الاستمرار فى جرائمه ، فالشعور بالانتصار هو أعلى مراتب إشباع الذات ، وما يشعره باللذة هو أن يكون مصير شخص ما بيديه " .

" وحين يذهب لتسلق جبال الثلج أو عمل أحمق آخر مما يقوم به ، يدرك أن هذا العمل لم يعد مثيراً كما كان من قبل ، فالأدرينالين لا يندفع فى دمائه كما كان يحدث من قبل ، فيبدأ فى التفكير فى الإثارة التى شعر بها جراء قتل تلك الفتاة ، فيشعر فجأة بالرغبة العارمة فى أن يفعل ذلك مرة أخرى " .

" ويقرر العودة إلى كليرى ويبحث عن نوع المساعدة التى يستطيع تقديمها لأنثى أخرى تعانى الحاجة حتى يحصل على تلك المتعة المميزة مرة أخرى . وهو يعود إلى هنا لأن احتمال القبض عليه غير قائم تقريباً ، فهو يرى أن رجال الشرطة حمقى ، لا يبلغون درجة ذكائه . كما أن هناك الكثير من الأماكن التى يمكن الاختفاء بها والمناطق الشاسعة من الغابات يمكنه إخفاء الجثث بها . إنه يحب هذا المكان ، فهو المكان الأمثل لممارسة آخر هواياته المثيرة " .

حين انتهى بيجلى من ذلك السيناريو المتخيل كان الغضب بادياً فى كلماته وهو يفتح عينيه قائلاً : " لماذا لا نتحرك ؟ " ، وأخذ يمسح حاجبة الرياح بكم معطفه قائلاً : " ما الذى يؤخرنا كل هذا الوقت بحق السماء ؟ " .

داخل كابينة شاحنة الرمل ، كان دتش قد بدأ يفقد صبره سريعاً ، حيث قال : " يمكنك أن تفعل أفضل من هذا يا كال " .

قال هوكينز وصوته يبدو وكأنه يوشك على البكاء : " يمكنني ذلك إن توقفت عن الصياح في وجهي . إنك تشعرني بالتوتر . كيف تتوقع مني القيادة وأنت لا تتوقف عن إرباكي هكذا مع كل نفس أتنفسه ؟ انس ما قلته لك عن زوجتك السابقة ، عما إذا كانت تريد أن يتم إنقاذها . لم أقصد إغضابك . كنت أسأل فقط " .

" إن ليلى هي ما يهمني " .

غمغم هوكينز ببضع كلمات بصوت خفيض من قبيل : " كيف وهي لم تعد زوجتك ؟ " ، لكن دتش لم يرد على هذا ، فإن هوكينز كان محقا بالفعل . من ناحية أخرى ، كانا يقتربان من المنعطف الخطير الثاني بالطريق الذي لم يستطيعا تجاوزه ليلة أمس ، وكان دتش يريد أن يوجه هوكينز كل اهتمامه لهذا المنعطف .

أبطأ هوكينز من السرعة ، ولاحظ دتش أن يده وهي تقوم بذلك كانت ترتعش . ولكن ماذا عساه أن يفعل بشأن ذلك .

دخل هوكينز إلى المنعطف .

أو حاول ذلك .

أطاعت الإطارات الأمامية أمر عجلة القيادة ، فدارت نحو اليمين ، لكن الشاحنة لم تدر ، بل واصلت تقدمها إلى الأمام متجهة بلا تردد نحو الحافة التي كان دتش يعرف أن تحتها هوة بعمق ثماني أقدام على الأقل .

" اجعلها تدور ! " .

" إنني أحاول ذلك " .

اقتربت السيارة من هامات الأشجار التى تحف بالطريق ، وصرخ هوكينز وهو يقبض بشكل لاإرادى على مغير السرعة والفرامل ، ثم ترك عجلة القيادة وعقد ساعديه أمام وجهه .

كان دتش لا حول له ولا قوة فى إيقاف سرعة الانزلاق . اصطدمت السيارة بالحاجز الجانبى للطريق الذى انهار تحت وطأة اندفاعها . وتخطت الإطارات الأمامية حافة الطريق وبدا وكأنها ظلت معلقة لعدة ثوان قبل أن تهوى الشاحنة إلى أسفل .

تذكر دتش فيلم " المبارزة " ، حيث انحرفت فى مشهد الذروة شاحنة ضخمة عن الطريق السريع وسقطت من فوق أحد الجبال . وتم تصوير ذلك بالحركة البطيئة ، هكذا بدا له الأمر الآن من مشاهدة سقوطهما والشعور به بالحركة البطيئة المؤلمة .

لم تكن الرؤية واضحة ، وحدث كل شىء فى وقت واحد ، لكن الأصوات كانت واضحة بشكل كبير ؛ أصوات تحطم حاجب الرياح وارتطام الصخور بالجزء السفلى من السيارة وتكسر أغصان الأشجار وطرقعة معدن السيارة . وصرخات هويكنز المرتعبة وصيحته الحيوانية الدالة على عدم التصديق والهزيمة .

فى الواقع ، ربما تكون الأشجار قد أنقذت حياتيهما بالإبطاء من حركة السيارة ، ولو أن المنحدر لم يكن كثيف الأشجار لكانا سقوطهما أسرع وأكثر خطورة على حياتيهما . وبعد وقت بدا وكأنه دهر بأكمله ، توقفت الشاحنة أمام كتلة غير قابلة للتحريك واصطدمت بها قوة مزلزلة . اندفعا إلى الأمام بفعل القصور الذاتى ، رغم أنهما لم يتحركا ملليمتراً واحداً . واستسلمت الشاحنة وتوقفت فى سكون تام .

بمعجزة حقيقية. لم يتفتت مخ دتش بفعل الاصطدام ، ودهش حين وجد أنه لايزال حيا لم يصبه أذى يذكر . من الواضح أيضاً أن هوكينز قد نجا ؛ فقد سمعه دتش ينتحب بشكل مثير للشفقة .

فك دتش حزام مقعده وأسند كتفه إلى الباب الذى بجواره ودفعه فاتحاً إياه ، ثم خرج من الشاحنة مستقراً أسفلها بعدة أقدام وسط ثلوج غاص فيها حتى خصره تقريباً حين حاول النهوض على قدميه .

حاول دتش أن يتبين موقعه لكن أعماه الثلج المنهمر الذى تذروه الرياح فى وجهه . لم يستطع حتى أن يتبين الكتلة التى أوقفت هبوط الشاحنة ، وكل ما استطاع تبينه كان غابة جذوع من الأشجار السوداء وسط حقل شاسع من اللون الأبيض .

رغم ذلك ، لم يكن فى حاجة إلى رؤية ذلك .

كان يسمعه .

كان يشعر بالاهتزازات فى الأرض وفى جذع الشجرة الذى استند إليه للتوازن .

لم يهتم بالصياح لتنبيه هوكينز أو محاولة انتشاله من بين الحطام إلى الأمان ، كما أنه لم يحاول الجرى للفرار بنفسه . لقد جردته الهزيمة من القدرة على المبادرة وشلت حركته .

وصلت حياته إلى قمة عدم جدواها فى هذه اللحظة ، فلا يهمه أن يحدث هذا الآن مادام أمله فى الوصول إلى ليلى قد تلاشى .

راقب ويز فى عدم تصديق اختفاء الشاحنة عبر حافة الطريق .

قفز ويز من سيارته ووقف ببابها المفتوح ، وكأن الوقوف خارج السيارة سيعطيه فهماً أوضح لما حدث .

كان بوسعه سماع صوت الشاحنة تهوى فوق المنحدر ، وعقب ذلك سمع صوت ارتطام هائل بدا وكأنه تنهيدة معدنية أو شهقة الموت التى أطلقتها الشاحنة . تلى ذلك صمت غريب أكثر بثاً للرعب ، فقد كان الصمت مطبقاً ، واستطاع ويز سماع ارتطام قطع الثلج المنهمرة بملابسه .

قطع الصمت كل من بيجلى ووايز اللذين اقتربا بسرعة بقدر ما يسمح المنحدر الزلق به للاقتراب ، وقد كانت سيارتهما وراء ويز بمسافة جعلتهما لا يملكان نفس ميزته . اقترب منه بيجلى أولاً وهو ينفخ وينفث سحباً من البخار من فمه وقال : " ماذا حدث ؟ " .

" لقد هويا " .

قال هوت : " اللعنة " .

لم يلم بيجلى هوت على هذه الكلمة التى قالها هامساً ، لأن ثلاثتهم فى هذه اللحظة سمعوا صوتاً آخر ، صوتاً لم يستطيعوا التعرف عليه لكنهم علموا أنه ينذر باستمرار الكارثة .

تبادل الثلاثة نظرات حائرة .

قرر الثلاثة فيما بعد أن ما سمعوه هو صوت انكسار الأخشاب . إن أشجاراً لا يستطيع حتى ثلاثة من الرجال البالغين الإحاطة بإحداها كانت تتهاوى بسهولة ويسر . فى ذلك الوقت ، لم يستطيعوا رؤية ما يحدث بسبب انهمار الثلوج .

قال ويز متحدثاً بالنيابة عن ثلاثتهم : " ما هذا بحق الجحيم ؟ " .

بعد ذلك رأوا ما يحدث ، فمن بين السحب المنخفضة والضباب هوى نحو الأرض كسفينة فضاء بمصابيح التنبيه الحمراء التى لاتزال مضاءة . فقد سقط أحد أبراج خط الطاقة مرتطماً بالأرض بقوة لم تمتصها حتى الطبقات العميقة من الثلوج . فيما بعد كان ويز يقسم لمن يقص عليهم هذا المنظر العجيب أن أثر الاصطدام جعل سيارته تقفز فى مكانها .

وقف هو وعميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية لا يقويان على النطق من شدة الخوف لعدة لحظات . وغير قادرين على فهم ما رأوه لتوهم وغير مصدقين بأنهم قد نجوا بأرواحهم .

لو أن البرج سقط على بعد ثلاثين ياردة أخرى إلى ناحيتهم ، لسقط فوق رؤوسهم . كان مصير دتش مجهولاً ، وكان ويز يتمنى فقط أن يكون قد نجا هو وهوكينز . لكن الضحية الأخرى كانت تتمثل فى طريق جبل لوريل . لقد أصبح الآن تقطعه أطنان من المعدن وحطام الغابات التى شكلت حاجزاً يبلغ فى ارتفاعه ارتفاع ثلاثة طوابق ويبلغ فى سعته نفس هذا البعد . لا أحد يستطيع المضى فى هذا الطريق الآن . وكان يستحيل اجتيازه أيضاً بالنسبة للقادم من الناحية الأخرى .

الفصل
١٩

أضافت ليلى قطعة من الخشب إلى الأخشاب المتوهجة بالفعل فى المدفأة . ولقد كانت حريصة فى استخدامها لقطع الأخشاب . فتضع واحدة فقط فى كل مرة . ولا تفعل ذلك إلا حين يكون الأمر ضرورياً للإبقاء على اشتعال النار .

ورغم اقتصادها . فقد تضاءل مخزون الأخشاب الذى حملته من الخارج إلى بضع قطع صغيرة كانت قد فصلتها من القطع الكبيرة . وإذا استمر اشتعال النار بهذا المعدل ، فربما لن يكون لديها ما يكفى من الأخشاب لمدة ساعتين أخريين .

لم تكن ليلى تعرف ما ستفعله حين ستنفد الأخشاب ، فحتى داخل الكابينة من الممكن أن تتجمد فى الليلة المقبلة إن لم تكن هناك نار مشتعلة . كانت ليلى فى حاجة ماسة إلى استمرار اشتعال نار المدفأة . لكن ـ من المثير للسخرية ـ فإن المجهود الذى ستبذله فى حمل الأخشاب إلى الكابينة قد يؤدى إلى قتلها .

" ليلى ؟ " .

زمت ليلى شفتيها وأغمضت عينيها ، متمنية أن تستطيع إغلاق أذنيها بنفس هذه الكفاءة . كان صوته مقنعاً جداً ، وكان منطقه معقولاً ، وإن تركتهما يؤثران عليها ، فقد تصبح الضحية السادسة .

كان الجدال معه مرهقاً ؛ حيث تدور معه فى حلقة مفرغة ولا تصل إلى نتيجة ما . إنها لن تطلق سراحه ، بينما لديه هو ألف سبب وسبب يجعله يطلب منها ذلك . بالإضافة إلى ذلك ، فقد كان هناك لهاثها . إن الحديث يتعبها ؛ لذا فقد توقفت عن الرد عليه بالكلية .

" ليلى ، قولى شيئاً . إن كنت لم تفقدى الوعى بعد فأنا أعرف أنك تستطعين سماعى " .

أصبح صوته غاضباً بعض الشىء ؛ حيث أثاره رفضها الرد عليه . تركت ليلى مكانها بالقرب من المدفأة ، وذهبت إلى نافذة غرفة المعيشة ، ناظرة خلال باب غرفة النوم المفتوح وهى تمر به قائلة : " لم لا تصمت ؟ " .

أزاحت ليلى الستار جانباً ونظرت إلى الخارج متمنية أن ترى تراجع انهمار الثلج . لم تر من ذلك شيئاً . لقد كان الثلج المنهمر غزيراً لدرجة أنها لا ترى أبعد من بضع أقدام خلف بهو الكابينة . أصبحت قمة الجبل بالنسبة لها كوكباً آخر يغلفه البياض والصمت والعزلة .

" هل خف انهمار الثلج بعض الشىء ؟ " .

هزت ليلى رأسها ، وتحولت عن النافذة واحتضنت مرفقيها للحصول على الدفء . إن ابتعادها عن المدفأة لفترة وجيزة جعل

البرد يخترق طبقات الملابس التى ترتديها . يمكنها أن تنفخ فى يديها للحصول على الدفء ؛ لكنها لا تستطيع التضحية بأنفاسها .

لم يشك تيرنى من البرد ، فمحاولاته المريرة للتخلص من القيود كانت تكسبه الدفء . ومن الواضح أنه كان يرى أن التخلص من القيود يهون أمامه أن يدمى معصميه ويؤلمهما . لم يحاول حتى إخفاء الأصوات ، فقد ظلت ليلى تسمع باستمرار طرقعة المعدن فى اصطدامه بالمعدن ، واصطدام عارضة السرير بالحائط والسباب الذى يطلقه تيرنى من الإحباط حين يعجز عن فك القيود .

سألها : " كيف حال أخشاب المدفأة ؟ " .

" لا بأس حتى الآن " .

" حتى الآن . ماذا عما بعد ؟ بعد ساعة من الآن ؟ " .

دخلت من الباب المفتوح قائلة : " سوف أشغل بالى بهذا حين أضطر لذلك " .

" حين تضطرين لذلك ، سيكون قد فات الأوان " .

إنه بذلك يعبر عن أسوأ مخاوفها ، لذا فلن تضحى بأنفاسها فى معارضة ما قاله . قالت ليلى : " هل تريد ... بطانية أخرى ... فوق رجليك ؟ " ، وكانت مضطرة للتوقف بين الكلمات لالتقاط أنفاسها .

" متى أخذت آخر جرعة من دوائك " .

قالت لاهثة : " الأقراص ؟ صباح أمس " .

" لا يبدو أنك متأكدة من هذا " .

يا إلهى ! ألهذا الحد يستطيع أن يقرأ أفكارها ؟

كانت الحقيقة هى أنها لا تذكر أنها تناولت الأقراص صباح أمس ، فحين تعود بذاكرتها مستعرضة أحداث اليوم لا تصل بذاكرتها إلى تناول الدواء .

لقد قضت بعض المهام فى المدينة ؛ فذهبت إلى الشركة المحلية لشراء بعض صناديق حزم الأمتعة . وتذكرت أنها بعد ذلك مرت بالبنك لسحب بعض النقود من أجل العودة إلى أطلانطا .

وكانت آخر محطة لها قبل العودة إلى الكابينة فى الصيدلية . لقد تناولت آخر قرص تناولته فى الليلة السابقة . لحسن الحظ ، حين بدأت فى زيارة كليرى بشكل منتظم . جعلت أحد الأطباء المحليين يصف لها عقار الثيوفيللين ؛ وهو العقار الذى تناولته للمساعدة فى منع نوبات الربو ؛ فكانت الجرعة الإضافية التى وصفها لها الطبيب المحلى بمثابة جرعة احتياطية بحيث لا تخلو يدها من العقار مطلقاً .

أعطاها ويليام ريت أمس الدواء . وعند هذه النقطة تصبح ذاكرتها غير واضحة ، فهى لا تتذكر ما إذا كانت قد تناولت القرص حين توقفت عند نافورة الصودا لتشترى مشروباً من ليندا ويكسلر ، أم أنها انتظرت كى تتناوله حين تصل إلى الكابينة .

إنها لم تنس بالتأكيد أن تتناول القرص . فلم يحدث قط أن نسيت دواءها . لقد كان جزءاً من روتينها اليومى . ومع ذلك ، كان الأمس يوماً غير عادى ، ليس فقط بالنسبة لمواعيدها . لقد سبب لها دتش عدم الاتزان عاطفياً .

كان دتش ينتظرها حين عادت إلى الكابينة . كان جالساً على حافة الأريكة محدقاً أمامه ، وقد تهدل كتفاه وبدا عليه

اليأس . كانت تحيته لها عبارة عن : " كيف يمكنك أن تفعلى بى هذا ؟ " .

وفى ضوء الأحداث التى تلت ذلك ، قد يكون تناول الدواء قد سقط من ذاكرتها .

" هل أنت واثقة من أنك تناولت الأقراص بالأمس يا ليلى ؟ " .

أعادت تركيزها إلى تيرنى قائلة : " بالطبع واثقة " ، لكنها كانت تكذب .

" لكن ذلك كان منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة " .

أو ست وثلاثين ساعة .

قال تيرنى : " لقد انتهى مفعولها . إنك تعانين " .

" حسناً ، هذا يحدث ... حين يكتشف المرء ... أنه محبوس مع .... سفاح قاتل " .

" أنت تعلمين أننى لست قاتلاً . فكى القيود . سأخرج لإحضار دوائك " .

هزت رأسها .

" إنك تضيع الوقت " .

" من الممكن أن يتم إنقاذنا ـــــ "

" لن يصعد أحد هذا الجبل قبل الغد على الأقل ، وربما لن يحدث هذا حتى فى الغد ، وإذا كنت تعتمدين على محاولة إنقاذك بالهليكوبتر على طريقة رامبو ، ففكرى فى الأمر مرة ثانية . إن أشجع الطيارين لن يجرؤ على الطيران فى هذه العاصفة ويعرض نفسه لخطر السقوط بالطائرة تحت وطأة هذه الرياح أو الاصطدام بجبل لا يراه " .

" بطريقة ما .... " .

قال تيرني بغضب متزايد : " لن يحدث . ربما تكون لديك الرغبة فى المغامرة بحياتك ، أما أنا فلا . أعطنى المفتاح " .

" ربما يأتون ... على الأقدام " .

" لا أحد بهذا الجنون " .

" فيما عدا أنت " .

أسكته هذا الرد ، لكن لعدة ثوان ، ثم قال : " نعم . فيما عدا أنا . إننى مستعد للتعرض لأى خطر من أجل الإبقاء على حياتك . لا أريد أن تموتى يا ليلى " .

" إننى .... لا أحب ... هذه الفكرة كثيراً ... أنا شخصياً " .

" أطلقى سراحى " .

" لا أستطيع " .

زم شفتيه فى غضب قائلاً : " دعيني أخبرك بما لا يمكنك عمله . لا يمكنك أن تجعلينى هكذا مقيداً إلى هذا السرير اللعين . كل ثانية نقضيها فى الجدل نستهلك وقتاً وأنفاساً لا تملكينها . والآن أعطنى المفاتيح وفكى هذه ـــــ "

" لا ! " .

" ـــــ القيود اللعينة ! " .

انطفأ النور .

اقتربت دورا هامر من الباب المغلق لغرفة نوم سكوت التى بدت صامتة بشكل مقبض بدون جهاز الاستريو الذى اعتاد أن

يرج الجدران . طرقت دورا الباب مرتين قائلاً : " سكوت . هل أنت بخير ؟ " .

فتح سكوت الباب وكأنه كان يتوقعها ، وقال : " بخير ، فيما عدا انطفاء النور " .

" أظن أنه مقطوع على مستوى المدينة كلها . لا أرى أى أضواء فى نوافذ جيراننا . هل تشعر بالدفء بما يكفى هنا ؟ " .

" لقد ارتديت مزيداً من الملابس " .

" قد يفيدك هذا لبعض الوقت ، لكن لن يمر وقت طويل حتى يصبح البيت بارداً ، وحتى تعود الكهرباء ، سيكون علينا الاعتماد على المدفأة فى الحصول على الدفء . هل يمكنك إحضار المزيد من الخشب من المرآب بعد إذنك ؟ " .

" سمعاً وطاعة يا أمى " .

" أحضر أيضاً السراج الذى تأخذه أنت ووالدك فى المعسكرات . هل لدينا وقود له ؟ " .

" أعتقد ذلك يا أمى . سوف أرى " .

اختفى سكوت عبر الصالة ، وتبعته دورا جزءاً من الطريق قبل أن ترتد سريعاً إلى غرفة نومه . كانت نماذج التقدم إلى الكلية مبعثرة على مكتبه . لم يكن لديها الوقت لقراءتها ، لكنها ألقت عليها نظرة سريعة فعلمت أنه كان يعمل على إكمالها كما طلب ويز .

تحركت سريعاً إلى أقرب نافذة لترى ما إذا كان جرس نظام الإنذار فى موضعه ، وكان هناك مغناطيسان ، أحدهما على إطار النافذة ، والآخر على المقبض ، يكونان اتصالاً إذا تم كسره سينطلق صوت الإنذار متى كان الجرس قد تم ضبطه . وجدت

دورا المغناطيسين فى موضعهما ، وكأن نفس الشىء ينطبق على النافذة الثانية التى تحققت منها .

لم تكن دورا تريد أن يضبطها سكوت متلبسة ، فوقفت تنصت . كان بوسعها أن تسمع سكوت يرص قطع الخشب فى المكان المفتوح بالحائط الصخرى لمدفأة حجرة المعيشة ؛ وسمعته ينفض كفيه وهو يعود إلى المرآب للحصول على مجموعة أخرى من الأخشاب .

ذهبت دورا إلى النافذة الثالثة ، فوجدت مغناطيسين قد حققا الاتصال المطلوب ، تماماً . لكن المغناطيس الموجود على مقبض النافذة كان مغناطيساً عادياً ، مغناطيساً لعبة تم استخدامه لاستبدال المكون الأصلى ، وتم وضعه هكذا حتى لا يحدث أى كسر للاتصال حين يتم فتح النافذة .

" أمى ؟ " .

حين نادى سكوت عليها ، قفزت دورا وكأنها هى المذنبة . أسرعت دورا من غرفة نوم سكوت ، متمنية أن تبدو أكثر هدوءاً أكثر مما كانت حين انضمت إليه فى غرفة المعيشة .

" هل ينبغى أن أضع بعض الخشب هنا أمام المدفأة ؟ " .

" فكرة جيدة . سيجنبك هذا مشقة الذهاب لإحضار المزيد فيما بعد " .

" حسناً . هل تريدين منى إضاءة السراج ؟ " .

" لندخره إلى الليل " .

" إن حاوية الكيروسين ممتلئة عن آخرها . سأضعها هى والسراج فى المطبخ " .

" حسناً . لدى خمس شموع يمكنك استخدامها إلى أن يحل الظلام ، وهناك عدد كبير من البطاريات لاستخدامها فى الكشافات " .

تبعته حتى المطبخ ، حيث اختفى من خلال الباب المؤدى إلى المرآب . أرادت أن تذهب وراءه وتضع ذراعيها حوله وتضمه إليها . كان ويز يتهمها بتدليله . حسناً ، ماذا فى هذا ؟ لقد كان سكوت طفلها المدلل . إن عاشت لتراه رجلاً عجوزاً كبيراً فى السن ، فسيظل أيضاً طفلها الذى تريد أن تحميه .

كان هناك شيء ما يحدث له ، وأياً كان هذا الشيء الذى يحدث لولدها فإنه " يرعبها حقاً " . إنها لا تبالغ عندما تفكر فى أن ذلك يرعبها ، فبعد الكشف الذى اكتشفته فى غرفة نومه أصابها القلق بالدوار .

لقد عطل سكوت نظام الإنذار فى نافذة غرفته حتى لا ينطلق صوت الإنذار ويفلت بفعلته حين ينسل خارجاً من البيت . فأى تفسير آخر يمكن أن يفسر عبثه بجهاز الإنذار ؟ منذ متى وهو يفعل هذا ؟ هل أصابها العمى والصمم حتى إنها لم تعرف أنه كان يغادر المنزل ؟

إنها لم تشتبه فى الأمر مجرد الاشتباه إلا بالصدفة ، فقد كانت تضع الغسيل فى غرفته هذا الصباح حين لاحظت أن حذاءه على الأرض بجوار السرير .

كان الحذاء غير منفذ للماء ، مبطنا بالصوف ، أى أفضل ما يمكن ارتداؤه فى عاصفة كهذه لكن سكوت لم يكن يرتديه بالأمس حين عاد إلى البيت لتناول العشاء . فى الظاهر ، لم يغادر المنزل منذ ذلك الحين .

لكن ها هو الحذاء ، يتوسط بركة صغيرة من الماء الناتج عن انصهار الجليد عنه ، وكانت توشك أن تسأله عن الوقت الذى خرج فيه ، لكنها أمسكت لسانها .

لقد قررت أنه ينبغى أن تتسلح ببعض الأدلة قبل أن تتهمه بالتسلل من البيت ، وقد أعطاها انقطاع الكهرباء الفرصة لتقصى الأمر .

ومع ذلك ، فرغم قدرتها الآن على مواجهته بتعطيل نظام الإنذار ، فإنها كانت غير راغبة ـ وأصابها الجبن ـ فى أن تفعل ذلك . إنه بكل تأكيد كبير بما يكفى لأن يخرج ويدخل كما يريد . كان ويز يفرض حظر تجول عليه ، إلا أنه إذا أراد ترك المنزل ، فلن يكون أمام ويز ما يفعله سوى أن يمنعه بالقوة .

إذن فلماذا لا يتحدى ويز ويخرج من الباب بكل بساطة ؟ لماذا يتسلل خارجاً من البيت ؟ لقد كان هذا مؤشراً على تغيرات أخرى حدثت له . إن طفلها اللطيف الحساس المطيع تحول إلى شخص متجهم يمكن القول بأنه تنتابه نوبات من حدة الطبع . لقد أصبح محبًا للعزلة عدائياً لا سبيل إلى توقع تصرفاته .

وبسبب الضغط المستمر الذى يفرضه عليه ويز فلابد أن قلقه بشأن أدائه مسئول بشكل جزئى عن المشكلة . لكن لأن دورا كانت تعرف ابنها جيداً ، فقد خشيت أن تكون تغيرات شخصيته راجعة إلى شىء أسوأ عاقبة من الضغط الذى يفرضه عليه ويز . لم يعد سكوت كما كان فى السابق ، وكانت دورا تريد أن تعرف السبب فى ذلك .

عادت بذهنها إلى الوراء مستعرضة السنة الماضية ، محاولة أن تحدد الوقت الذى بدأت ترى فيه هذه التغيرات .

الربيع الماضى .

تقريباً فى ذلك الوقت .

كل شىء داخل دورا توقف بشكل فظيع .

لقد بدأ سكوت يتغير تقريباً منذ الوقت الذى انقطعت علاقته فيه بـ " ميليسنت جان " .

حين رن الهاتف ، كاد قلب دورا أن ينخلع .

قال سكوت : " سأرد أنا . ربما يكون جارى " . وكان قد عاد لتوه من المرآب . وضع سكوت السراج على المنضدة ، ومد يده ليتناول سماعة الهاتف . كان الهاتف من نفس نوع الهواتف الحائطية العتيقة ، بدون كاشف لرقم الطالب أو أى شىء آخر يتطلب تشغيله وجود الكهرباء .

قال سكوت : " أهلاً يا والدى " ، وسكت لعدة ثوان ، ثم قال : " كيف ذاك ؟ حسناً ، إنها هنا " ، وأعطى السماعة لـ " دوار " قائلاً : " إنه يتصل من المستشفى " .

لم يكن بيجلى يشعر بشعور طيب نحو دتش بورتون ، بل كان فى الحقيقية يود لو أن يغرس قدميه الكبيرة الحجم فى بورتون ، وقرر أن يحدثه بصدق . قال : " إن وجهك يبدو كاللحم البقرى النيىء " .

قال بورتون : " إنها جروح سطحية فحسب " ، وكان يجلس عند نهاية منضدة الفحص ، وكان فى جلسته يشبه جوالاً من البطاطس سعة خمسين رطلاً ممتلئاً حتى ثلاثة أرباعه فقط . تابع قائلاً : " لقد انتزع الطبيب شظايا الزجاج ، وأنتظر الآن

عودة الممرضة ببعض المطهر لوضعه على الجروح . لن يكون هذا جيداً . لكننى سأكون بخير " .

" أنت أفضل من هوكينز . لقد انكسر ذراعه ، وأعاد الأطباء الكتف المخلوع إلى موضعه ، لكن عظام كاحليه سيحتاجان إلى بعض العناية ؛ فقد حدث بكل منهما شروخ شديدة " .

غمغم بورتون قائلاً : " أتمنى لو أن هذا كان فى جمجمته " .

قال هوت من مكانه الذى يفصل مناطق العلاج في استقبال المستشفى المحلى : " لقد كان السيد هوكينز سكراناً " . ومن الجانب الآخر للستارة الصفراء ، كان بوسعهم سماع صوت انتحاب هوكينز . تابع هوت قائلاً : " إن معدل الكحول بدمه يفوق المعدلات المسموح بها بكثير " .

قال بورتون مدافعاً عن نفسه : " إذن فقد كذب علىّ . لقد سألته عما إذا كان قد تناول الخمر ، لكنه قال ـــــ "

قاطعه بيجلى قائلاً : " أظنك تسمع فقط ما تريد سماعه " .

نظر إليه بورتون بغضب .

قال هوت : " إن إعادة إصلاح كاحليه ستحتاج إلى جراحة دقيقة . لا يستطيع الأطباء إجراءها هنا ، وبسبب الجو ، قد يستغرق الأمر عدة أيام قبل أن يكون من الممكن نقله إلى المستشفى الذى به فريق جراحة عظام . وفى هذه الأثناء ، سيكون بائساً " .

قال بورتون غاضباً : " اسمع . ليست غلطتى أن الرجل مدمن خمور " .

زمجر بيجلى قائلاً : " لم يكن ليصعد إلى هذا الجبل بالشاحنة وهو يعى ما يفعله . بفضلك انقطعت الكهرباء عن المنطقة كلها ، ومن حسن حظك أنه يوجد بالمستشفى مولد احتياطى . والا كنت تجلس هنا الآن وسط الظلام والبرد تبدو كالمهرج الأحمق بقطع الزجاج تلك التى كانت فى وجهك " .

كانت شاحنة هوكينز قد اصطدمت بإحدى دعامات البرج الأربعة . فى الظروف العادية ، كان من الممكن أن تتحمل الدعامة التلف الناتج عن الاصطدام ، لكن مع كل هذا الثلج الذى يغطيها ، انهارت وأخذت معها عشرات من الأشجار العتيقة وشبكة من أسلاك الكهرباء . والأسوأ من ذلك ، فقد سقطت على طريق الجبل ، بشكل يحول دون الوصول إلى القمة .

لقد سمح دتش بورتون لعواطفه أن تطغى على عقله ، وهو سلوك لا يغتفر بالنسبة لمن يعمل بالخدمة العامة ، ولقد كان تصميمه المدفوع بدافع الغيرة لصعود طريق الجبل اليوم غير منطقى وينطوى على خطر جسيم ، وأسفر عن العديد من الإصابات : هوكينز ربما يكون قد أصابه الشلل لبقية حياته ، شاحنة الرمل أصبحت خارج الخدمة فى خضم واحدة من أسوأ العواصف منذ عقود ، وقد امتد انقطاع الكهرباء إلى عدة مقاطعات مجاورة .

كل هذه الأمور كانت مأساوية .

ولكن ما أغضب بيجلى حقاً هو أن حماقة بورتون قضت على إمكانية تعقب تيرنى . لن يستطيع محاولة القيام بذلك مرة أخرى حتى تتم إزالة الفوضى الحادثة على الطرق ؛ وهو ما قد

يستغرق أسابيع ، أو إلى أن يصفو الجو بما كيفى لكى يقله أحد الجرارات إلى القمة . فى كلتا الحالتين ، هناك وقت ثمين سيتم إهداره . ولم يكن إهدار الوقت أحد الأشياء التى يكرهما بيجلى فحسب ، بل كان يعتبرها خطيئة !

كان عزاؤه الوحيد أنه ليس وحده الذى سيعوقه ما حدث ، فـ " تيرنى " هو الآخر لن يستطيع الذهاب إلى أى مكان .

قال هاريس الضابط الشاب الذى قابله بيجلى وهوت فى وقت سابق بمجمع الكبائن وهو يدخل رأسه من وراء الستار :

" عذراً ؟ سيادة المأمور ؟ " .

" ما الأمر ؟ " .

" لقد اتصل بى جندى المراسلة ويقول إن السيد والسيدة جان بقسم الشرطة " .

غمغم بورتون قائلاً : " اللعنة . هذا ما ينقصنى . قل لمن هناك أن يخبرهما بأننى فى المستشفى وسأذهب إلى البيت ، ثم سأقابلهما متى استطعت ذلك " .

قال هاريس : " لقد حاول ذلك بالفعل ، لكنهما لم ينصرفا . لأنهما لا يريدان التحدث إليك . إنهما ... " ، وأومأ برأسه ناحية بيجلى ثم تابع قائلاً : " يريدان أن يعرفا ما إذا كان بين تيرنى هو الأزرق حقيقية " .

استشاط بيجلى غضباً ، لكنه استطاع أن يتحكم فى مستوى صوته ، بينما كانت كلماته يعتريها الغضب وهو يقول : " أتمنى أن تكون مازحاً " .

" لا يا سيدى " .

تقدم بيجلى نحو الشرطى الشاب قائلاً : " من قال لهما ؟ من قال لهما إننا نهتم بأمر تيرنى ؟ لو كنت أنت الذى فعلت ذلك أيها الضابط هاريس ، فسوف أكسر عنقك " .

" لم أفعل يا سيدى . أقسم على ذلك . لقد فعل ذلك جوس إلمر . ذلك الرجل العجوز بمجمع الكبائن " .

قال هوت : " لقد أخبرناه بألا يتحدث بأمر تحقيقنا مع أى أحد " .

قال هاريس : " أظنه لم يكن يقصد . إنه لم يتحدث إلى السيد والسيدة جان بشكل مباشر . لقد كان يتصل بقريبة له ليطمئن عيها ويعرف أحوالها فى هذه العاصفة ، لأنها كنت مصابة بالأنفلونزا ، ويبدو أن لسانه قد زلَّ بالحديث " .

" لسانه قد زلَّ بالحديث ؟ " .

أثارت صيحات بيجلى هوكينز وأيقظته من نومه بفعل النوم الذى تناوله فصاح بصوت عال متألماً . تراجع هاريس خطوة إلى الوراء فى حذر قائلاً بلهجة معتذرة : " وقريبته هذه تقوم بكى الملابس للسيدة جان . أظن أنها اعتقدت أن واجبها يقتضى بأن تفضى إليهم بما عملته ، أعنى أن ... " ، وتلعثم هارس ولاذ بالصمت تحت وطأة نظرة بيجلى .

قال بيجلى : " لمن أيضاً تقوم قريبة السيد إلمر بكى الملابس ؟ " ، ولم يدرك هاريس السخرية الكامنة فى السؤال ، وبينما كان الضابط الشاب يفكر فى الإجابة ، استدار بيجلى إلى دتش بورتون قائلاً : " أريد أن استخدم مكتبك فى إجراء مقابلة مع عائلة جان " .

" حسناً ، لكننى آتٍ أنا أيضاً " .

" وماذا عن وجهك ؟ " .

" لدىّ بعض الدهان الذى يمكننى وضعه عليه " .

وخرجوا جميعاً . نظر بيجلى باتجاه كال هوكينز وهو يمر بفراشه فوجده مستغرقاً فى النوم بفعل المنوم ، ورغم دفاعه عنه أمام دتش بورتون ، فإنه لم يكن متعاطفاً معه ألبتة .

وبمجرد أن استقلوا السيارة وانطلقوا بها ، قال هوت : " لقد كنت أعلم أنك تخطط للحديث مع عائلة جان على أية حال يا سيدى " .

" كنت سأتصل بهما بمجرد خروجنا من المستشفى " .

" إذن فلماذا تضايقت فى المستشفى ؟ " .

" كنت آمل أن يخيفهم هذا بحيث يدركوا أهمية المحافظة على سرية التحقيق . يجب أن أعتقل تيرنى قبل أن يعرف كل هؤلاء المواطنين بأننا نبحث عنه " .

" أنت تعلم مدى سرعة انتقال الشائعات " .

" هذا هو ما يقلقنى يا هوت . إذا لم نقبض على تيرنى سريعاً ، فأخشى ما أخشاه أن يفترض مجموعة من الغوغاء ، يقودهم مأمور القسم نفسه ، أنه الأزرق ويتصرفوا من تلقاء أنفسهم ، فالغضب المستفحل يضر فى ثقل قانون البلاد فى كل موقف من هذه النوعية من المواقف .

" فهؤلاء الرجال المتحفزون لحماية نسائهم قد يلجئون إلى قانون الجبل غير المكتوب ، فإذا وصلوا إلى تيرنى قبل أن نصل إليه . سيكون من حسن حظه أن تتلى عليه حقوقه وهو غارق فى دمائه . ألن تكون هذه فضيحة ؟ سيكون ذلك يوماً مشهوداً بالنسبة لوسائل الإعلام التى ستعيد إلى الأذهان ذكرى روبى

ريدج و " واكو " ، وسيملأ المتعصبون للسيطرة على حيازة الأسلحة وسائل الإعلام ، وتزداد الأمور تعقيداً بالنسبة لنا " .

" وستظل الكثير من الأسئلة بلا أجوبة " .

" بالضبط . مثل مكان وجود الجثث الخمسة " .

ساد الصمت بينهما للحظة ، ثم قال هوت : " لقد قلت إنك تخشى أن يذهبوا وراء تيرني ظناً منهم أنه الأزرق . فماذا لو لم يكن كذلك ؟ " .

قطب بيجلى جبينه قائلاً : " هذا شيء آخر أخشاه " .

الفصل

٢٠

للاحتفاظ بالحرارة داخل الكابينة ، تم إنزال كل الستائر ، وحين انقطعت الكهرباء ، غرقت غرفة النوم فى الظلام .

قال تيرنى : " لقد كان هذا محتوماً " .

انتظرت ليلى بضع ثوان حتى تعتاد عيناها الظلام ، ثم ذهبت إلى النافذة وأزاحت جانب إحدى الستائر . فأعطت الظلمة المبكرة الموجودة بالخارج تيرنى سبباً جديداً للجدال .

قال تيرنى : " سيعم الظلام الشامل قبل منتصف الظهيرة ، وهو ما يعنى أنه لم يعد أمامنا من نور النهار سوى ساعتين ، وسأحتاج تقريباً إلى هذا الوقت للذهاب إلى السيارة والعودة إذا خرجت الآن " .

وضعت ليلى باطنى يديها على جانبى رأسها قائلة : " لم أعد ... أستطيع ... الجدال " .

" إذن لا تجادلى . فقط فكى قيودى " .

" ستقتلنى " .

" إننى أحاول إنقاذ حياتك " .

هـزت رأسـها وهـى تجاهـد لكـى تلـتقط أنفاسـها قائلـة :
" يمكننى أن ... أشهد ... بأنك أنت الأزرق " .

" لن تشهدى بأى شيء إن فقدت حياتك مختنقة " .

" ملحوظة " .

" آه ، قد فهمت . ستكتبين ملحوظة تخبرينهم فيها أننى الأزرق . وستضعينها فى مكان تثقين أنهم سيصلون إليها فيه " .

أومأت برأسها .

قال تيرنى : " إن حدث هذا ، فسأقول بأنك كنت تتوهمين أشياء غريبة بسبب نقص الأكسجين ، وأنك كنت مقتنعة أيضاً بأن هناك فيلة ترقص داخل الحائط . وسيصدقوننى . وبالنسبة لهذا ـ وأومأ باتجاه الشريط الأزرق الملقى على الكرسى الهزاز ـ سأخبرهم بما أخبرتك به ، سأقول إننى وجدته وكنت سآخذه معى إلى المدينة وأسلمه للسلطات " .

أشارت ليلى ناحية يديه .

" نعم ، إن تفسير وجود القيود سيكون أكثر صعوبة ، ولكن لدىَّ يومًا أو يومين للتفكير فى تفسير مقبول ، ومن المحتمل أيضاً أن أخلص يدى قبل أن يصل أحد إلى هناك " .

قالت : " لا أظن ذلك " ، وهى تومىء ناحية معصميه الداميين ، ثم تابعت : " حتى لو ... مت أنا ... سيقبضون عليك " ، واستدارت تاركة الغرفة منهية الحديث عند هذا الحد .

" ما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث ؟ " .

توقفت ليلى لكنها لم تلتفت إليه .

ركز على هذه النقطة قائلاً : " إن أطلقت سراحى ، ما هو أسوأ شيء يمكن أنه يحدث يا ليلى على فرض أننى الأزرق . لنفترض أننى قتلتك كى لا تسلمينى إلى السلطات ؛ ستموتين على أية حال . وفى خلال ساعات ، إن طال بك الأجل ؛ لذا فما الفرق بين أن أقتلك أنا أو تموتى وحدك ؟ " .

استدارت لتواجهه قائلة : " إنقاذ ... ضحية أخرى " .

" آه ، إننى أفهم ما تقولين . إنك لا تريدين إطلاق سراحى فانطلق إلى المجتمع الذى لا يعرف بحقيقتى ، وأصبح حراً فى أن أعتدى على ضحية أخرى وأفعل بها ما فعلته بالأخريات . أليس كذلك ؟ " .

أومأت برأسها .

" معقول جداً . منتهى الإيثار . إنك تضعين حياة الآخريات فوق حياتك أنت شخصياً " . وفكر تيرنى فى الأمر للحظة ، ثم قال : " بمجرد أن أعود بدوائك ، وبمجرد أن أحضر ما يكفى من الوقود ليوم كامل آخر ، سأدعك تقيديننى مرة ثانية ، وسأظل مقيداً حتى يتم إنقاذنا " .

حاولت أن تضحك ، لكن لم تستطع لضيق تنفسها . فقالت " لست ... بهذا الجنون ... ولم أحرم ... من الأكسجين ... إلى هذه الدرجة بعد " .

" ألا تثقين فى أننى سأفى بكلمتى يا ليلى ؟ " .

" لا " .

" يمكنك الوثوق بى يا ليلى . أقسم لك . يمكنك أن تثقى بى " .

قالت ليلى : " أعطنى سبباً ... سبباً واحداً " ، ورغم محاولتها عدم البكاء ، ملأت الدموع عينيها .

همس تيرنى بصرامة : " لا تبكى " .

اقتربت ليلى منه خطوة وأخذتها نظرته الحادة لها وذكرتها بالقبلة التى تبادلاها ، ثم قالت : " أعطنى ... سبباً واحداً ... يجعلنى ... أثق بك يا تيرنى " .

كان يوشك أن يرد على كلماتها حين رن هاتفها الخلوى .

لثانية أو ثانيتين لم تدرك ماهية الصوت أو مصدره ، حيث ظلت واقفة فى مكانها تحملق فى تيرنى الذى بدا هو الآخر مذهولاً بنفس القدر بسبب الصوت غير المتوقع .

حين أدركت أن الصوت صادر عن هاتفها الخلوى ، أخرجته بلهفة من جيب معطفها وفتحته قائلة : " دتش ؟ دتش ! " بصوت مبحوح . لكن لم يكن وضوح صوتها مهماً ، فقد انقطع الاتصال . كان الاتصال مؤقتاً على سبيل الإغاظة فقط .

انفجرت ليلى باكية وركعت على ركبتيها ، محتضنة هاتفها الصامت إلى صدرها .

" لا تبكى يا ليلى " .

" دعنى وشأنى " .

" لابد ألا تبكى ، إن البكاء سيزيد الأمور سوءاً " .

تسبب بكاؤها فى نوبة سعال ، فاجتاحت الانقباضات جسدها كله ، وتقلصت كل عضلة منه مخرجة الهواء الثمين من رئتيها . وبينما كانت تجاهد من أجل التنفس ، سجل ذهنها سباب تيرنى المكثف ومحاولاته المضاعفة لكسر قفل القيد .

احتاجت إلى عدة دقائق للسيطرة على السعال ، لكنه تراجع فى النهاية إلى لهاث عال .

" ليلى ؟ " .

رفعت رأسها ومسحت الدموع من عينيها . كان تيرنى قد ركل البطانية عن رجليه وأخذ يجذب القيد كحيوان محاصر فى أحد الأفخاخ ، وهو على استعداد لتقطيع يديه حتى يتمكن من الوصول إليها .

قال تيرنى : " بالفعل ، هناك القليل الذى يجعلك تثقين بى ، والكثير الذى يجعلك لا تثقين بى . لكنى مؤمن بأنك تعرفين ، تعرفين أننى لست شخصاً يجب أن تخافيه . استفتى قلبك ، وثقى به حتى وإن كنت لا تثقين بى " ، وظل ينظر إليها لعدة لحظات قبل أن يضيف : " لا تموتى بسببى " .

حللت ليلى كل ملمح من ملامح وجهه ، باحثة عن أى أمارة تشى بالنذالة . لو أنه مختطف نساء حقير ، ألا يمكنها أن تعرف ذلك ؟ أما كان بوسعها أن تشعر بنزوع مستتر إلى الشر ؟

نظرت ليلى ، ونظرت بشدة ، لكنها لم تجد أى أثر للخداع . لو أنه مخادع بالفعل ، فلابد أنه يتقن فن الخداع . لقد بدا لها مخلصاً جديراً بالثقة إلى درجة تجعلها تشك فى نفسها .

ولكن ضحاياه لم يكتشفن حقارته أيضاً ، فلقد وثقن به .

لابد أن إصرارها على عدم الوقوع فى الفخ كان واضحاً ، لأنه قال غاضباً : " حسناً ، تجاهلى حاستك وتجاهلى المنطق السليم الواضح . انسى اليوم الذى قضيناه عند النهر ، لا تحسبى حساباً لأى من هذا ، لكن لا تستسلمى لمصيرك المحتوم ".

" مصيرى المحتوم ؟ " .

" احرصى على الحياة ، وستكون لديك الفرصة للإمساك بالأزرق ، لأنك إن مت فلن تكون أمامك هذه الفرصة " .

كان عقلها يصرخ قائلاً : " **لا أعرف ماذا أفعل** " ، لكن الصوت الوحيد الذى كان يصدر من حنجرتها كان صوت خشخشة فظيعة .

" أن يكون أمام المرء فرصة ضعيفة خير من ألا يكون أمامه أية فرصة يا ليلى " .

كان كلامه منطقياً ! لكن بمجرد أن تطلق سراحه ، فمن المحتمل أن يقتلها ، وستموت معها فرصتها الضعيفة فى تسليمه للعدالة .

مستغلاً ترددها ، قال تيرنى : " لقد ادخرت أكثر براهينى وخصوصاً إلى النهاية . المسدس . مازال المسدس معك ، وأنت تعرفين كيف تستخدمينه . ما الذى أستطيع أن أفعله لك وأنت تضعيننى تحت تهديد السلاح ؟ " .

فكرت ليلى فى هذا البرهان لبضع ثوان . إنه محق . حين نجنب كل البراهين والتخمينات . يكون مصير تيرنى بيدها هى . نهضت ليلى واقفة ببطء ، وحاولت التغلب على الضعف الذى أصابها بسبب نقص الأكسجين ، ثم استدارت متجهة نحو غرفة المعيشة .

" ليلى ! اللعنة ! " .

عادت بنفس السرعة التى خرجت بها ، وكانت تحمل المسدس فى يد ومفتاح القيد فى اليد الأخرى .

ارتخى كفتاة فى ارتياح قائلاً : " الحمد لله " .

وضعت ليلى المسدس على الكرسى ، بعيداً عن متناول يده . ثم مدت يدها له بالمفتاح وهى تقترب من السرير قائلة : " قم ... أنت .... بذلك " .

بمجرد أن أمسك بالمفتاح ، تراجعت ليلى مسرعة واستعادت المسدس ، مصوبة إياه نحوه .

كان القيد متسعاً حول يديه فقط بما يكفى لأن تنثنى إحدى يديه لأسفل والأخرى لأعلى وبمهارة مذهلة ، وضع المفتاح فى الثقب الصغير وأداره .

انفك السوار الذى يحيط بيده اليسرى ، وفى غضون ثوان كان السوار الآخر قد انفك عند ذلك ، وبحركة واحدة خاطفة . قفز تيرنى من السرير وأوقع المسدس من بين يدى ليلى . حدث ذلك فى أقل من طرفة عين ، وقبل أن يستوعب ذهن ليلى ما يحدث ويعطى الأمر بإطلاق النار . استدارت ليلي وحاولت أن تفر منه ، لكنه أحاط خصرها بيده موقفًا حركتها ومثبتاً ذراعها اليسرى إلى جنبها ، ثم رفعها عن الأرض وحملها على صدره .

حين حاولت الصراخ قال لها آمراً : " توقفى عن هذا !" .

قالت لاهثة فى هيستريا : " كنت أعلم ذلك . كنت أعلم ذلك . أنت هو " ، ودفعت بمرفقها الآخر فى صدره وأنشبت أظافرها فى مؤخرة عنقه .

" أيها الوغد " . حملها تيرنى كالجوال إلى غرفة المعيشة وألقى بها على الأريكة . ثم رفع يده إلى فمه وأخذ يمص الدماء التى تسيل من الخدوش الغائرة .

تكومت ليلى على حافة الأريكة بما يكفى لتتنفس عدة أنفاس . ثم ألقت بنفسها عليه ، موجهة هجومها نحو رأسه .

ولكن نقص الأكسجين أثر على تناسق ردود أفعالها ، فشعرت بثقل وتراخٍ فى ذراعيها . حاولت أن تضرب رأسه بقبضتيها ، لكن محاولاتها باءت بالفشل ، فكانت معظم ضرباتها لا تصل إلى رأسه أو تطيش فى الهواء . وإن وصلت كانت لا تكاد تذكر .

حين أمسكها ودفعها إلى الأريكة ، وجدت نفسها لا تقوى على فعل أى شىء سوى أن تستلقى على مساند الأريكة . وضع تيرنى المسدس فى جراب بنطاله الجينز ، ومسح يده الدامية على رجله ، لكن سرعان ما تقاطرت الدماء من الخدوش بقدر يماثل ذلك الذى مسحها .

كان قد أصبح مثلها تقريباً لاهث الأنفاس . وكان يستنشق بصوت مسموع دفقات كبيرة من الهواء ويرمش رمشات سريعة ، وكأنه يريد أن يبعد الدوار عن نفسه ــ وقد انحنى إلى الأمام بجذعه الأعلى من نقطة الخصر ، فقد كانت الضربة التى وجهتها إلى ضلوعه الواهنة جعلت وقوفه منتصباً أمراً غير ممكن بالنسبة له .

قالت فى نفسها حسناً . **أتمنى أن تكون آلامك فظيعة** ، وكانت تريد أن تقول هذا بملء فيها ، لكن أنفاسها لم تسعفها .

نظرت ليلى إليه فى تحد . إذا كان سيقتلها الآن ، فإنها تريد أن تنظر فى عينيه . أرادت أن يأخذ تحديها معه إلى الجحيم ويتذكره طيلة خلوده بها .

بدا وكأنه يوشك أن يقول شيئاً ، لكنه دون أن ينطق بكلمة واحدة اتجه إلى الباب وفتحه . وخلال ثوان عاد حاملاً مجموعة من قطع الخشب ألقاها أمام المدفأة ، ثم ركع على ركبتيه وأخذ

يقلب الفحم لإعادة إضرام النار فى القطع الموجودة بالفعل فى المدفأة ؟ " .

قالت بوهن : " ألن ... تقتلنى ... ؟ " .

قال بجفاف وهو ينهض من على الأرض : " لا " ، ثم أشار إلى قطع الأخشاب التى أحضرها لتوه قائلاً : " حين تجف هذه القطع ، ضعيها فى المدفأة . سيكفيك هذا لساعتين " .

حينها فقط أدركت نيته . إنه لا يحتاج إلى قتلها . كل ما يريده هو عزلها وتركها بين براثن نوبة ربو ويترك أمرها ليحل نفسه بنفسه . لماذا يضيف جريمة قتل أخرى إلى رصيد جرائمه وهو غير مضطر لذلك ؟

" لتغطية الجرائم التى كان قد ارتكبها بالفعل ، كان له من حضور الذهن ما جعله يسترد الدليل الذى يدينه من غرفة النوم ، فلقد أعاد القيود والشريط إلى حقيبته ، وبينما كان يغلق عليهما جيوباً منفصلة فى الحقيبة ، كان يتحاشى النظر إليها . هل كان يشعر بتأنيب الضمير ؟

إنه بعدم قتله لها ، تركها تقاسى التفكير فى أسوأ ما كانت تخشاه ، فحين كانت مترددة بين إطلاق سراحه وعدم إطلاق سراحه ، كان هناك سيناريو واحد لم يخطر ببالها ، وهو أن يتركها وحيدة تعيش الكابوس حتى تستسلم له فى النهاية . انقبض قلبها ، وقالت : " لقد وعدت ـــــ "

قاطعها بقسوة قائلاً : " إننى أعلم ما وعدت به " .

ارتدى تيرنى معطفه ووضع القبعة فوق رأسه ، ثم وضع بطانية الاستاد فوق رأسه ، وثنى أطرافها فوق صدره قبل أن يدخلها المعطف ويغلقه فوقها ، ثم وضع غطاء الرأس الصوفى

حول عنقه والنصف السفلى من وجهه ، وبعد ذلك ارتدى قفازه . فى النهاية ، رفع حقيبته وعلقها فى كتفه ، وبدأ يتحرك وكل حركة تجعل ملامحه تتوتر وتجعله يتأوه فى ألم . ومع ذلك تحرك فى سرعة وثبات .

وبينما كان متجهاً نحو الباب ، شعرت ليلى أنها تريد أن يعود إليها مرة أخرى ، وتتوسل إليه أن يطلق عليها النار الآن ، فسيكون ذلك موتاً سريعاً خالياً من الألم ، بعكس الموت البطىء والمرعب الذى ينتظرها ، ولقد كانت مرعوبة من انتظار الموت فى خوف وكراهية أكثر من الموت نفسه .

لكن كبرياءها منعها من أن تتوسل إليه فى أى شىء ، كما أن غريزة النجاة لديها لا تسوغ لها استعجال الموت بإرادتها ؛ لذا فقد راقبته وهو ينصرف ، تاركاً إياها تجاهد من أجل كل نفس تتنفسه إلى أن تعجز عن المجاهدة وتموت وحدها .

حين وصل إلى الباب ، توقف وهو يضع يده على المقبض وأدار رأسه فقط ، ومن بين ثنايا غطاء الرأس الموضوع على وجهه التقت عيناه بعينيها ، لكن للحظة واحدة فقط ، لا أكثر .

فتح تيرنى الباب ، فأطاحت به موجة من الجليد المنهمر ، واختفت سريعاً كما اختفى هو سريعاً .

رن هاتف ليلى الخلوى مرتين ، وكان الاتصال ينقطع فى كل مرة ، فكان ذلك أكثر تعذيباً لـ " دتش " مما لو أنه لم يرن على الإطلاق ، حيث إن الاتصال المقطوع قبل اكتماله كان يزيد من إحباطه الذى كان قد بلغ بالفعل نقطة الانهيار .

كانت الغرفة الملحقة بقسم الشرطة أكثر ازدحامًا من أى وقت مضى منذ أن أصبح دتش مأموراً للقسم ، وقد وجد دتش أن عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية بها . كان العميل يقدم بيجلى بصرامة إلى والد ميليسنت حان ، ألا يبتسم أبداً ذلك الرجل ؟ كانت السيدة جان تبدو أكثر نحافة اليوم مما كانت عليه بالأمس .

كان ويز ـ لأسباب لا يعرفها دتش ـ موجوداً هناك حين وصلوا ، وكان يشرب القهوة ويدردش مع الضابط الموجود . إنه رئيس مجلس المدينة ، لكن منذ متى يهتم ويز بتحقيقات الشرطة .

كان هاريس قد تبعهم من المستشفى فى سيارة الشرطة . وكان مفتوناً بـ " وايز " وبيجلى يتبعهما أينما ذهبا كجرو صغير ، ويتعثر فى قدميه الكبيرتين لحرصه بلهفة على المساعدة . لماذا لا يخرج فى الدورية . وهو ما يجب أن يفعله ؟ ولماذا لا يأمره دتش بالعودة إلى وحدته والخروج إلى الشوارع حيث من الممكن أن يكون أكثر فائدة من زيادة ازدحام المكان هنا وإرباك الآخرين ؟

بسبب ما ، لم يحرص دتش على توجيه الضابط الشاب ، فيبدو أن إصدار الأمر من منطلق أى مستوى من مستويات السلطة لم يكن يستحق الجهد الذى سيبذل فيه . لقد كان دتش يشعر بالانفصال بشكل غريب عما يحدث حوله ، ولم يكن يتساءل فقط عن النقطة التى فقد عندها السيطرة ، بل كان يتساءل أيضاً عن الوقت الذى بدأ فيه لا يهتم بشىء .

هل حدث ذلك عندما تدخل مكتب التحقيقات الفيدرالية فى الأمر من خلال عظيم الشأن بيجلى ؟

أم حين بدأ ويز هامر ، وهو من يدعوه أفضل أصدقائه ، في في التملق إلى بيجلي كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؟

أو ربما منذ أن سأله كال هوكينز السؤال الذي بدأ يسأله لنفسه : **هل تريد زوجتك السابقة أن ينقذها أحد ؟**

لم يشعر بهذا الشعور من الهزال قط منذ ما حدث له في أطلانطا . لقد كانت تلك الضربة القاضية ، الخطأ الذي لا يجدي معه لخطورته إجراء تأديبي مثل الإيقاف أو التحويل إلى التحقيق . لا يجدي سوى الفصل في هذه الحالة . حين يشهر المرء سلاحه الميرى في وجه طفل في التاسعة من عمره لأنه ظن أن عصا البيسبول التي يلعب بها بندقية لأن السكر قد أعماه ، فلا يكون أمام قسم شرطة أطلانطا سوى فصله ، ولا يكون له الحق في تقاضي المعاش ، بل يطرد من الخدمة فقط !

لقد أحس اليوم بنفس الشعور من الهزيمة ، فلقد خانه الجميع : الزوجة والطقس ، وأفضل أصدقائه ، وعمله . وحظه السيء دائماً !

إنه بحاجة إلى شراب .

كان الضابط هاريس يقود عائلة جان وعميلي مكتب التحقيقات الفيدرالية عبر الطرقة القصيرة نحو مكتب دتش الخاص . استدار بيجلي ـ الذي كان في مؤخرة هذا الصف ـ نحو دتش قائلاً : " هل ستأتي معنا أيها المأمور بورتون ؟ " .

" سوف آتي حالاً ، بمجرد أن أطلع على ما لديّ من رسائل " .

أومأ بيجلي ، ثم استمر في طريقه ودخل مكتب دتش من خلال الباب الذي كان حارسه يقف فاتحاً إياه له .

حين ابتعدوا بمسافة تجعلهم لا يسمعون ويز ، استدار ويز إلى دتش وأخذ يقيم الجروح التى بوجهه قائلاً : " كيف حالك ؟ " .

انتزع دتش قطعة من ورق قرنفلى اللون خاص بكتابة الملاحظات من جندى المراسلة وهو يقول لـ " ويز " : " بخير أشكرك " .

" هل وجهك يؤلمك ؟ " .

" ألم شديد " .

" هل وضعوا عليه شيئاً ؟ " .

" سيكون بخير " .

" يمكننى الذهاب إلى الصيدلية لإحضار شىء تضعه عليه " .

هز دتش كتفيه قائلاً : " غير مهم " ، ثم اتجه نحو الطرقة ، لكن ويز أمسكه من مرفقه .

" هل أنت واثق من أنك بخير يا دتش ؟ " .

أزاح دتش يد ويز قائلاً : " لا . لست على ما يرام . اللعنة " .

وحين أدرك أن الضابط الموجود كله آذان مصغية ، أخفض صوته وتحدث بصوت يشبه الغمغمة قائلاً : " لقد كان هذا الصباح سيئاً جداً ، فربما تكون لم تلحظ ذلك " .

تنهد ويز ومرر يده فوق شعره القصير قائلاً : " سؤال غبى . أنا آسف . اسمع يا دتش ، إن ليلى بخير . أنا واثق من ذلك " .

قال دتش : " نعم " ، وفى الحقيقة كان يخشى أن تكون أفضل من أن يقال عنها إنها بخير .

قال ويز : " سأقول لك شيئاً . سأنطلق إلى الصيدلية فى أثناء حديثك مع أهل ميليسنت . سأحضر لك بعض المطهر لهذه الجروح التى بوجهك ، وأطلب من ريت وماريلى إعداد بعض الشطائر لإحضارها إلى هنا " .

نظر دتش فى وجه ويز ، فلم يجد فيه شيئاً يثير الريبة ، لم ير سوى ملامح صديقه القديم الوسيمة ، ونظرة الاهتمام الصادقة التى أصبح دتش يشك فيها ، رغم صداقتهما .

قال دتش : " سيكون هذا جيداً . شكراً لك " .

" اتفقنا . والآن ارجع إلى هناك ، فهذه مهمتك ، لا تنس ذلك " .

عرفت كلمات ويز الأخيرة طريقها إلى صميم شعوره بالهزيمة . إنها مهمته ، يا الله . إن الجميع ، بمن فيهم هو شخصياً ، يبدو أنهم نسوا ذلك ، وهذا هو أوان تذكيرهم .

وبينما كان متجهاً عبر الطرقة إلى مكتبه ، شد كتفيه وأضفى على خطواته قدراً أكبر من الثقة . كان هاريس واقفاً أمام الباب كالحارس . أشار دتش بإبهامه نحو مقدمة المبنى قائلاً : " إن سيارة الشرطة أصبحت باردة " .

نظر إليه هاريس بغباء قائلاً : " سيدى ؟ " .

صاح فيه دتش قائلاً : " اليوم ليس يوم إجازة يا هاريس . قم بواجبك " .

قال الضابط الشاب : " أمرك يا سيدى " ، وانطلق قاطعاً الردهة .

دخل دتش مكتبه فى اللحظة التى كانت فيها السيدة جان تخبر بيجلى بأنهما لم تكن لهما مشاكل خطيرة مع ابنتهما

ميليسنت ، اللهم إلا ما يتعلق باضطراباتها الغذائية ، وأنها لم تكن قد شفيت منها .

قالت السيدة جان : " لا أطيق أن أتصور أنها فى مكان ما خارج البيت وسط هذا الجو " .

" هذا هو السبب الذى جعلنا نرحب بهذه الفرصة للحديث معك يا سيدة جان " .

كان بيجلى يتحدث بلهجة أبوية عطوفة ، بينما كان دتش محبطاً للطريقة التى كان عائلة جان يستجيبون بها لتلك اللهجة . أعط بيجلى بضعة أيام فى القضية ، وسترى أنهم يناقشون طريقته فى العمل وفعاليتها مثلما يفعلون معه تماماً .

سأله السيد جان قائلاً : " هل توصلتم إلى أن بين تيرنى هو بى تى المذكور فى مذكراتها ؟ " .

رد بيجلى قائلاً : " لم نتأكد من ذلك بعد . إن العميل وايز ينظر عدداً من الاحتمالات ، والسيد تيرنى ليس إلا أحد الاحتمالات . لابد أن ندرس الأمر بشكل شامل قبل أن نستنتج أية نتائج " .

" لكن السيد جوس إلمر يقول إنكم قد أغلقتم مسكنه فى مجمع الكبائن بالشمع . هل وجدتم شيئاً به ؟ شيئاً يخص ميليسنت ؟ " .

رأى دتش العميلين يتبادلان نظرة غيظ ، ثم خاطب وايز السيد جان رداً على سؤاله قائلاً : " لقد أغلقنا مسكنه بالشمع لحماية الأدلة المحتملة فى حال ما إذا كان للسيد تيرنى علاقة باختفائهن . وليس معنى هذا أننا نؤمن بأنه له علاقة بالأمر " .

رد جان قائلاً : " لكنكم لم تغلقوا مسكن أحد غيره ، كم شخصاً حولنا هنا يبدأ اسمهم الكامل بالحرفين "بى.تى." ؟

تجنب بيجلى الرد عن هذا السؤال وسألهم : " هل تحدثت ميليسنت عنه من قبل ؟ " .

" لقد ذكرته " .

" فى أى سياق ؟ " .

" فى متجر أخى الذى تعمل به ميليسنت ، فهم يعلقون لوحة إعلانات فإن استطاع أحد الأشخاص اصطياد سمكة كبيرة يبيعونها فى المتجر ، أو الإيقاع بغزالة مستخدماً بندقية باعها له أخى ، يحضر الشخص صورة لأخى لكى يعلقها على لوحة الإعلانات تلك ، أى نوع من الدعاية المجانية " .

" إذن فمن الطبيعى أن مقالات تيرنى تعلق عليها أيضاً ، فهو أشهر عميل لديهم . أظن أن ميليسنت كان تنظر إليه كأحد المشاهير ، بصورته التى تراها فى المجلات وما إلى ذلك ، وتشعر بالإثارة فى كل مرة يأتى فيها إلى المحل ، وربما تكون قد عشقته عشق مراهقة " .

سأل وايز : " هل رأته من قبل خارج المحل ؟ " .

" لم تفعل ذلك حسب علمنا . لكننا بدأنا الآن نتساءل عن هذا الأمر . إن فتاة جميلة شابة مثل ميليسنت ، ترى النجوم تتلألأ فوق شخص أكبر منها ... " ، وتوقف ملقياً نظرة قلقة مع زوجته التى كانت تعطس فى منديل وضعته على وجهها . سعل جان خلف يده وقال : " هل وجدتم علاقة بينه وبين أى من النساء المختفيات ؟ " .

قال وايز : " هناك زميل فى مكتب تشارلوت يبحث هذا الأمر " .

قال بيجلى : " إننى أعتذر مقدماً لجرأة الأسئلة التي سوف أسألها " ـ محدثاً والدى الفتاة ـ ثم تابع قائلاً : " إن الدبلوماسية تستغرق وقتاً ، ولا أحد بيننا يريد إضاعة الوقت . أليس كذلك ؟ " .

" لا يا سيدى . اسأل ما بدا لك . لقد تم بالفعل إضاعة ما يكفى من الوقت " .

تجاهل دتش نظرة الانتقاد التى رماه بها إيرنى جان .

سأل بيجلى قائلاً : " ما الذى تسبب فى اضطرابات ميليسينت الغذائية ؟ هل تم تحديد سبب ذلك ؟ " .

قال السيد جان متحدثاً بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن زوجته : " إنها ضغوط التنافس بين الزميلات . أنت تعلم كم تهتم البنات بوزنهن " .

ابتسم بيجلى قائلاً : " إن لى ابنة مراهقة ، أصغر قليلاً من ميليسنت ، وهى قلقة من أن تكون بدينة أكثر من اللازم ، بينما وزنها قد يكون مائة وعشرة أرطال " .

قالت السيدة جان بصوت واهن : " لقد قل وزن ميليسنت إلى سبعة وثمانين رطلاً . كان هذا أقل وزن وصلت إليه ، وعند ذلك تدخلنا فى الأمر " .

وبناء على طلب بيجلى ، قصا له قصة مرضها وشفائها المزعوم .

ختم السيد جان بقوله : " لكنها كانت قد تحسنت ، نعم ربما تكون قد نقصت رطلين آخرين ، لكن كان هذا بسبب

أنشطتها الرياضية . إننا متأكدين أنها لم تكن تجبر نفسها على التقيؤ . لقد كانت قد تجاوزت ذلك " .

لم يكن دتش على هذه الدرجة من التأكد ، وكان يعتقد أن وايز وبيجلى كانا مثله .

سأله بيجلى : " ماذا عن الأصدقاء من الشباب ؟ " .

قال السيد جان : " كانت تصادق شباباً بين الحين والآخر ، مثلها مثل الأخريات ممن في سنها ، فكانت تغير أصدقاءها مثلما تغير تسريحة شعرها " .

" ألم يكن لها صديق دائم ؟ " .

" لا أحد بعد سكوت " .

ظهرت الدهشة على دتش ، ولاحظ العميلان ذلك . نظرا إليه بفضول ، ثم استدارا نحو عائلة جان .

سأل وايز قائلاً : " سكوت جان ؟ " .

رد السيد جان قائلاً : " هامر . ابن ويز . كان هو وميليسنت يتواعدان بشكل دائم فى السنة الماضية ، على الرغم من أنهما لا يقران بذلك الآن " . وتابع قائلاً : " لقد كانا معاً " ، وهو يكشر امتعاضاً من اللفظ .

قال وايز : " كانا كذلك ؟ " .

" لقد انفصلا قبل انتهاء الدراسة فى الربيع الماضى " .

" هل تعرف السبب ؟ "

هز السيد جان كتفيه : " سئم أحدهما من الآخر ، فيما أعتقد " .

تدخلت السيدة جان فى ضعف قائلة : " لا يا عزيزى . لقد حدث شيء جعلهما ينفصلان . كان هذا اعتقادى دائماً " .

انحنى بيجلى إلى الأمام قائلاً : " مثل ماذا يا سيدة جان ؟ " .

" لا أدرى . لم تخبرنى ميليسنت بذلك من قبل . رغم محاولاتى الكثيرة لجعلها تحدثنى بهذا الخصوص ، فإنها لم تفعل أبداً . فى النهاية توقفت عن سؤالها لأن الأمر كان يضايقها فتتوقف عن الأكل . لقد كنت مهتمة بأمر تناولها الطعام أكثر من اهتمامى بمشاكلها مع صديقها " .

ولو أنها صاحت بأعلى صوتها أن المشكلتين كانتا مرتبطتين لما زاد ذلك من اقتناع دتش وعميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية بالأمر شيئاً .

كان وايز أول من قطع الصمت الذى تلى ذلك قائلاً : " لم أجد شيئاً فى مذاكرتها عن سكوت هامر أو عن أمر انفصالهما " .

قال السيد جان : " لقد بدأت تكتب مذاكرتها منذ أن غادرت المستشفى ؛ فلقد كان ذلك جزءاً من علاجها المستمر . وقد قال طبيبها النفسى إنه ينبغى أن تبدأ فى كتابة أفكارها أفكارها الإيجابية " . وزم شفتيه وهو يقول : " وأظنها كانت تعد بين تيرنى من بين الأشياء الجيدة " .

قال بيجلى محذراً : " فى هذه المرحلة ليس لدينا سبب يجعلنا نرى خلاف ذلك يا سيد جان " ، وكانت لهجته أكثر صرامة من ذى قبل .

قال جان : " لك أن ترى ما يحلو لك يا سيد بيجلى " ، ثم نهض ومد يده إلى زوجته ليساعدها النهوض من كرسيها قائلاً : " إننى أراهن على جميع ما أملك على أنه كما أظن .

لقد عرفت كل شخص في كلـيرى والمقاطعـات الـثلاث المجـاورة طوال حياتى ، ولا يمكننى التفكير فى أى شخص من الممكـن أن يكون السبب فى اختفاء خمس نساء . لابد أنه شخص غريـب ، لكنه يعرف المنطقة كلها ويبدأ اسمه بالحرفين بـى.تـى. ، وهـذه المواصفات تنطبق على السيد بين تيرنى بكل المقاييس " .

الفصل
٢١

قال ويليام : " الأمر ليس عاديًا . لا يستطيع أى شخص أن يقوم به " .

" أظنني أستطيع معالجة الأمر . أعنى إلى أى حد تبلغ صعوبته ؟ " .

كان ويليام يمقت طريقة ويز هامر فى الحديث ، فليس معنى أنه مدرب الكرة اللامع أن لديه القدرة على إعطاء الحقن . قال ويليام : " سأمر ببيتك فى طريقى إلى المنزل و ـــــــ "

" أستطيع القيام بذلك يا ريت " .

كان ويليام يكره أيضاً أن يدعوه أحد بـ " ريت " ، وويز يدعوه ريت منذ أن كانا معاً فى المدرسة . كان مشاكساً حينذاك ، ولايزال كذلك . وكانا فى نفس السن ، لكن ويز كان يخاطبه بطريقة لا تزيد احتراماً عن مخاطبته لأحد تلامذته ، وكان ذلك يغيظه .

كان ويليام يميل بشكل كبير إلى أن يستعيد منه الحقن التى أعطاه إياها ، لكنه لم يفعل . فكونه المورد الذى يلجأ إليه ويز كان يعطيه ميزة كبيرة . وهذا ما كان يشعره بمتعة عظيمة .

" ما هذا ؟ " .

أخذهما ظهور ماريلى المفاجىء فى المخزن على حين غرة ، وكان ويز هو الأسبق فى التخلص من ذهوله ، حيث وضع المشتريات فى جيب معطفه ومنحها إحدى ابتساماته القاتلة قائلاً : " هل أنت مستعدة لى ؟ " .

ردت أخت ويليام على هذا السؤال الموحى بابتسامة ساخرة ، فمثلها مثل جميع النساء اللاتى كن يتعرضن لابتسامته المعنوية . تعاملت مع المسألة على الفور بسخرية .

قالت لـ " ويز " : " لقد أتيت لأقول لك إننى لا أستطيع تحميص الخبز لانقطاع الكهرباء . إن ليندا دائماً ما تصنع شطائر الجبن البيمينتو مستخدمة خبزاً محمصاً " .

" سيفهم الجميع الأمر " .

" مشهيات مسكرة أم مملحة ؟ " .

" النصف والنصف " .

" بطاطس مهروسة أم شطائر بطاطس ؟ " .

" النصف والنصف " .

انصرفت ماريلى ، فاستدار ويز إلى ويليام وربت على جيب معطفه قائلاً : " بكم أدين لك مقابل هذا ؟ " .

" سأضيفه إلى الحساب " .

" لكن لا تذكر الأصناف " .

" لست طائشاً إلى هذه الدرجة . والآن ، لقد ذكرت أن دتش يريد شيئاً لوجهه " .

وصف له ويز الجروح ، فأعطاه ويليام أنبوبة من دهان مطهر عبارة عن عينة مجانية من شركة لأدوية .

" سيمنع هذا تلوث الجروح ، فإذا لم يكن مجدياً ، فأنا لدىّ ما هو أقوى " .

قرأ ويز الملصق الذى على الأنبوبة ثم قال : " يوماً ما . ستقع فى شر أعمالك بسبب إعطائك الأدوية لنا دون إذن من الطبيب " .

سأله ويليام قائلاً : " أشك فى ذلك ، فمن سيبلغ عنى ؟ " .

ضحك ويز قائلاً : " أظن أنك على صواب ! " .

أشار له ويليام بالخروج من المخزن ، وبينما كانا يسيران سوياً ، حدث ويز ويليام فيما يتعلق بأحداث الصباح ، وقال : " من حسن الحظ أن الاثنين لم يلقيا حتفهما . لو حدث ذلك لاضطررنا أن نرسل إليهما النقالة بالحبال . لقد أجبر دتش هوكينز على ذلك ، ولم أسمع فى حياتى صراخاً من رجل بالغ مثل الذى سمعته من هوكينز ونحن نخرجه من السيارة . إن هذا المغفل يعانى من مشاكل كثيرة .

من الناحية الجسمانية ، دتش بخير ، لكن يجب تقييده لأن ليلى مازالت هناك مع تيرنى . ثم هناك عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية المغروران ، لذا فبالإضافة إلى مشاكل دتش الشخصية ، عليه أن يتعامل معهما ومع والدى ميليسنت " .

" ما الجديد بالنسبة للتحقيق ؟ " .

استدارت ماريلى إليهما وهما يقتربان من الطاولة ونافورة الصودا حيث كانت تقوم بلف الشطائر قائلة : " أستطيع أن أخبرك أنا بذلك " . وأومأت نحو الراديو المدار بالبطاريات والذى ينبعث منه صوت الإذاعة المحلية قائلة : " لقد قالوا منذ لحظات إن رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية عرفوا أن الأزرق هو بين تيرنى " .

-

شعر تيرنى بضعف لا يذكر أنه شعر به من قبل .

كان يشعر بدوار ، بسبب الجوع من ناحية ، وبسبب إصابة رأسه من ناحية أخرى . كانت جروحه مازالت تؤلمه ألماً حاداً مثل طعنات السكين أو ألماً خفيفاً مثل النبضات ، أصر على أسنانه من البرد الذى كان يشعر بأثره فى أعماق فكيه .

لم يكن هناك ما يستطيع عمله حيال هذه المعوقات ، ولكى ينجو ، سيكون عليه الاعتماد على عزيمته وإصراره فقط لا غير .

لسوء الحظ ، فإن صلابة الإرادة لا أثر لها على هذا الجليد الذى كان يجعل الحد الفاصل بين الأرض والسماء مبهماً وغطى معالم الطريق . وجد تيرنى نفسه محاصراً فى فضاء هائل من اللون الأبيض ، ودون أن يكون هناك أفق يجعله دليلاً له ، فمن السهل أن يفقد الاتجاه أو يضل الطريق .

ومع ذلك ، استمر فى طريقه غائصاً فى الجليد الذى كان يصل فى بعض الأماكن حتى ركبتيه وقبل أن يخرج من المنطقة المحيطة بالكابينة توقف لدى مخزن الأدوات ليأخذ جاروفاً كان قد رآه هناك ، فأفاده هذا إلى حد ما فى إزالة الثلوج من طريقه ، لكن كان بشكل رئيسى يستخدم جسده فى مقارعة

الثلوج المنهمرة ، وأصبح الجاروف كعصى يتوكأ عليها حين يوشك أن يسقط مغشياً عليه .

حتى فى أحلك الظروف ، يصعب على المرء التخلص من عاداته . بعناء ، أو ربما بحماقة ، أخذ تيرنى طريقاً مختصرة ليتفادى طريقاً شديد التعرج ، وهو يعلم أنه فى النهاية سيصل إلى الطريق ويوفر على نفسه سير مئات الياردات ، لكن في الغابة هناك مخاطر محتملة لا يستطيع رؤيتها ، فقد كان مهدداً بسقوط الصخور والأشجار وجذوع الأشجار عليه لتدفنه تحت قدمين من الثلوج . أصبحت الجذور فخاخاً يتعثر فيها ويقع على الأرض .

إن تعرضه لالتواء كاحله أو كسر رجله أو السقوط فى هوة لا يستطيع الخروج منها أو تعرضه لأن يضل طريقه وسط هذا المحيط من الثلوج يعنى الموت بالنسبة له . لو أنه توقف قليلاً ليتدبر المخاطر المهددة لحياته ، لاستدار على عقبيه وارتدا عائداً إلى حيث كان . لكنه أرغم نفسه على التركيز فى مواصلة طريقه خطوة بخطوه وانتزاع أقدامه من وسط الحفرة التى صنعتها فى الثلوج ووضعها فى حفرة أخرى .

لم يسمح لنفسه بالتفكير فى البرد أيضاً . ورغم أنه كان من المستحيل تجاهله . كانت ملابسه تدعو للضحك من قلتها ، فحين غادر مسكنه أمس كانت ملابسه كافية ليوم بارد فى مكان مفتوح - معطف وغطاء للرأس وقبعة . لكن مفهوم البرد اليوم يختلف اختلافاً كبيراً . لقد كان توقعه لدرجة الحرارة أقل من ذلك بكثير ، لكنها فى ظل هذه العاصفة الثلجية ، تنخفض

حتى خمس وعشرين درجة تحت الصفر . لم يتعرض تيرنى لشيء كهذا من قبل أبداً فى أى رحلة من رحلاته .

زاد معدل تنفسه وزادت نبضاته حتى وصلت إلى مستوى ينذر بالخطر . كان يشعر بأن قلبه كالبالون يوشك أن ينفجر ، لذا فالمنطق السليم يفرض عليه أن يتوقف ويستريح ، لكنه لم يجرؤ على ذلك . فلو أنه توقف ولو للحظة واحدة ، فهو يعلم أنه قد لا يستطيع التحرك مرة أخرى .

وفي النهاية ، سيتم العثور على جسده المتجمد ومعه الحقيبة وسيتم العثور على الشريط والقيود .

وسيتم العثور على جثة ليلى بالكابينة .

سيلى ذلك البحث في المنطقة بالكامل ، فتتوالى الاكتشافات المذهلة . وسيسفر تفتيش سيارته المهجورة عن العثور على الجاروف المثير للشبهات في مؤخرة السيارة ، وفى النهاية سيتم التوصل إلى القبور .

واصل تيرنى طريقه .

اختلطت برموش عينيه قطرات الماء التي كانت تتجمد فى مكانها ، بشكل كان يسبب له عمى مؤقتاً يبعث على الضيق وينذر بالخطر ، وكانت أنفاسه المتلاحقة تتجمد على غطاء الرأس بشكل جعله يتصلب بفعل بللورات الثلج .

تحت ملابسه ، كان العرق يتصبب فيه بسبب المجهود ، فكان يشعر بقطرات العرق تتدحرج على جذعه فى المكان الذى دفعت ليلى بمرفقها فيه من جانبه الأيسر .

فى الأحوال العادية ، كانت حاسة التوجيه لديه جديرة بالثقة كالبوصلة ، لكنه حين كان يتوقف حتى للنظر فى ساعة

معصمه ، كان يخشى أن تكون حاسته السادسة قد خذلته . فحتى مع الوضع فى الاعتبار طبيعة الأرض التى كان يسير عليها ، لابد أن يكون قد تجاوز الطريق المتعرج الآن . أخذ ينظر حوله دون جدوى ليجد أى شىء يستدل عليه . لكن فى هذه العاصفة الثلجية كانت كل الأشجار تبدو متماثلة ، والمعالم الطبيعية تمثل تكوينات الصخور والجذوع الميتة تغطيها الثلوج . وكان الشىء الوحيد الذى يختلف عما يحيط به من ثلوج هو آثار أقدامه .

كان عقله الواعى يخبره بأن حاسة التوجيه لديه قد تخطىء ، وأنه ربما يكون قد التبس عليه الطريق وأصبح يسير فى دوائر مفرغة . لكن غريزة الإقدام لديه تغلبت على ذلك ، فظل مصراً على أنه يسير بالطريق الصحيح ، وأن الخطأ الوحيد فى حساباته هو تقدير المسافة التى عليه أن يسيرها كى يتجاوز الطريق المتعرج ويصل إلى الطريق الرئيسى .

ما أكثر المرات التى اعتمد فيها على هذه الغريزة ، فلا مبرر لأن يبدأ الآن فى عدم الثقة بها . أحنى رأسه أمام الريح ، وواصل طريقه مؤكداً لنفسه أنه إن استمر بالدرب الذى يسير عليه مسافة قصيرة أخرى ، فسرعان ما سيجد الطريق الرئيسى .

ولقد فعل .

ليس كما توقع بالضبط .

لقد استقر عليه بعد أن سقط فى الهواء مسافة تسع أقدام .

استقرت قدمه اليمنى على الطريق أولاً ، وبفعل القوة الدافعة غاصت قدمه فى الثلوج لمسافة عشرين بوصة مصطدمة بالرصيف المتجمد تحت الثلوج بقوة جعلته يصيح صارخاً .

بعد أن أعلن إيرنى جان لـ " بيجلى " وهوت وبورتون أنه يعتقد أن بين تيرنى هو المتهم ، لم يعد لديه ما يقوله . ودون كلمة واحدة أخرى ، اصطحب زوجته بتصميم نحو الباب ، وخلف انصرافهما صمت ثقيل فى غرفة مكتب المأمور بورتون المزدحمة .

كسر بيجلى الصمت الثقيل قائلاً : " نريد أن نتحدث إلى ابن هامر هذا " .

كان هوت يتوقع أن تكون هذه هى خطوة بيجلى التالية .

" سيكون من المثير التعرف على رد فعله تجاه اختفاء ميليسنت " .

قال بورتون : " انتظر لحظة . التعرف على رد فعله ؟ لقد كان سكوت والفتاة صديقين منذ سنة مضت ، ماذا إذن ؟ " .

قال بيجلى : " إذن نريد أن نتحدث إليه . هل تعترض؟ " . ونظر إليه نظرة يتحداه بها أن يحاول فى الأمر .

" أريد أن أخطر ويز هامر " .

سأله هوت : " لماذا ؟ " .

قال بيجلى : " هذا تحقيق جنائى ، وكل الناس أمام التحقيق سواء ، ولا يهمنى من يكون والده " .

قال بورتون فى إصرار : " حسناً ، هذا هو الفارق بينى وبينك . لا يمكننا أن نباغتهم هكذا ونبدأ فى توجيه الأسئلة حول علاقة سكوت بفتاة مختفية " .

ضحك بيجلى بشكل فعلى ثم قال : " ولم لا بحق السماء ؟ " .

رد بورتون بصرامة قائلاً : " لأنه ليست هذه هى الطريقة المتبعة هنا " .

قال بيجلى : " حسناً ، الطريقة المتبعة هنا لم توصلكم بعد إلى هؤلاء النسوة . أليس كذلك ؟ " ، فازداد احمرار وجه بورتون ، لكن بيجلى رفع يده لإثنائه عن قول أى شىء يريد قوله قائلاً : " حسناً ، حسناً ، اهدأ . لا أريد أن يقال إن مكتب التحقيقات الفيدرالية يخرق النظم المتبعة محلياً . ألن يعود هامر ببعض الشطائر لغدائنا ؟ " .

" نعم " .

" حين يصل إلى هنا ، أخبره بأننا نريد الحديث إلى سكوت . لا تخبره بالتفاصيل ، بل قل له فقط إن لدينا بعض الأسئلة لنوجهها إليه . سنتجه إلى بيته بعد الطعام " .

لم يزد بورتون على إيماءة من رأسه ، ثم اندفع خارجاً .

قال هوت بعد أن صار بورتون خارج نطاق الاستماع : " إنهما صديقان حميمان " .

" لابد أن نضع هذا فى اعتبارنا " .

بعد أن قال ذلك ، طلب بيجلى بعض " الوقت الهادىء " ، وبينما كان هوت يغلق الباب رأى بيجلى يخرج أحد الكتب الدينية .

وفى حجرة الانتظار ، تجاهل هوت نظرة بورتون وطلب من جندى المراسلة أن يوفر له هاتفاً ، ثم طلب الاتصال بيركينز فى تشارلوت ، لكن رد عليه البريد الصوتى فى رسالة موجزة ، أخبر هوت زميله بانقطاع الطاقة الكهربية وسوء خدمة الهاتف الخلوى .

" إذا كنت لا تستطيع الوصول إلىَّ هاتفياً بقسم الشرطة ، اتصل بجهاز الاستدعاء الشخصى الخاص بى . ثم اضغط الرقم ثلاثة . ثلاثة ، ثلاثة ، وسيكون ذلك إشارة لى لفحص جهاز الكمبيوتر المحمول فيما يتعلق بالبريد الإلكترونى " .

وبينما هو يضع السماعة ، دخل ويز هامر يحمل صندوقاً مليئاً بالشطائر ، لكن الأخبار التى أحضرها لهم عما يبثه الراديو المحلى كانت أهم من الغداء . قال هوت : " لا يمكن أن تكون جاداً " .

قال ويز جاداً : " ما أقوله حقيقى كالموت والضرائب . هل تريدون منى أن أذهب وأخبرهم بتهدئة الأمور ؟ " .

قال دتش مجيباً بدلاً من هوت : " لقد خرج الحصان من الإسطبل ، ولا جدوى من إغلاق الباب الآن ".

من وجهة نظر هوت ، لم يبد بورتون منزعجاً بسبب إعلان الراديو عن اسم تيرنى فى هذا الوقت غير المناسب . فى الحقيقة . كان يبدو مسروراً بشكل ملحوظ . وفى المقابل ، كان من المتوقع أن تجعل هذه الأخبار بيجلى يستشيط غضباً . وكان من حظ هوت السيىء أن يكون هو من سيفضى إلى بيجلى بهذه الأخبار .

استمع هوت إلى القدر الذى شعر بأنه مهم من التفاصيل ، ثم ترك الآخرين مع الشطائر ، واتجه عبر الردهة نحو المكتب الخاص ، وطرق الباب طرقاً خفيفاً قائلاً : " سيدى " .

أنهى بيجلى قراءة إحدى الفقرات ، ثم قال : " ادخل يا هوت " ، وأغلق الكتاب الضخم وأشار لـ " هوت " بالدخول قائلاً : " هل جاء الغداء ؟ إننى أتضور جوعاً " .

أغلق هوت الباب ، ولم يضع أى وقت فى المقدمات ، فأخبر بيجلى بالأخبار مباشرة .

دق بيجلى بقبضته على المكتب ونهض واقفاً على قدميه ، وملأ المكان بسبابه البذئ ، بينما ظل هوت صامتاً حتى تهدأ ثورة البركان وتصير ناراً هادئة ، ثم قال : " سيدى ، إن الشيء الحسن الوحيد هو أن مستمعى المحطة مجوعة صغيرة ، ولا يستطيع الاستماع إليها إلا الأشخاص الذين لديهم أجهزة راديو تدار بالبطاريات فقط فى هذه الأيام " .

أعاد هوت قص المعلومات التى علمها من دتش وويز وقال : " القائمان على المحطة من المنطقة ، وقد اعتزلا مهنة الجراحة منذ بضع سنوات . وبدآ يبحثان عن مهنة يعملان بها فقاما ببث برنامج إخبارى محلى ، كنشرة أخبار محلية . صباح كل سبت ، ونجح الأمر فوسعوا بثهم ليشمل الأسبوع كله ، ويمتد برنامجهم كل يوم من السادسة صباحاً إلى السادسة مساء ، ومعظمه عبارة عن نميمة " .

" إنهما يستمتعان بحسن صوتيهما " .

" من الواضح أنهما يبثان الموسيقى ، معظمها موسيقى شعبية . بالإضافة إلى تقارير حالة الجو والأخبار ، لكن بشكل رئيسى يعتمدان على نشر الشائعات وإدارة المحطة إدارة بسيطة جداً ، فهما يبثان من غرفة مجمع كبائن إيلكز ، لكن لديهما مولدًا احتياطيًا للطاقة . لذا استطاعا بث برنامجهما رغم انقطاع التيار الكهربى " .

استدار بيجلي حول مكتب دتش ، وضرب إحدى قبضتيه بالأخرى قائلاً : " لو عرفت من سرب القصة إلى هذين الثرثارين ، سأمزقه إرباً إرباً " .

لم يستطع هوت أن يقول الرد الملائم لهذا القول ، لذا فقد لاذ بالصمت لعدة ثوان قبل أن يقول : " لا أظننا سنستطيع أن نصل إلى من سرب هذا أبداً يا سيدى . فهناك عدد كبير من الاحتمالات " .

" حسناً ، أيًا كان ، فقد قضى على سرية ما تقدمنا به " .

" نعم يا سيدى " .

اتسعت تكشيرة بيجلى وهو يقول : " لابد أن تحرص على الوصول إلى تيرنى قبل أن يصل إليه أى شخص آخر " .

ثم أشار بسبابته نحو هوت قائلاً : " تناول إحدى الشطائر ثم اتصل بمكتب تشارلوت واطلب توفير طائرة مروحية . أريد مروحية وفريق إنقاذ هنا بأسرع ما يمكن " .

نظر هوت خارج النافذة .

غمغم بيجلى بضيق قائلاً : " إننى أعرف ، أعرف ، ولكننى أريد طائرة مروحية بمجرد أن يكون الطيران بها ممكنا فى هذا الجو . هل فهمت ؟ " .

" فهمت يا سيدى " .

اتجه بيجلى نحو الباب ، ثم توقف قائلاً : " اجعل كل اتصالاتك بمكتب تشارلوت سرية يا هوت ، فكلما قل ما يعرفه الناس هنا عن خططنا كان ذلك أفضل " .

" حتى رجال الشرطة ؟ " . ـــ

فتح بيجلى الباب قائلاً فى صوت خفيض : " خصوصاً رجال الشرطة " .

أفرغ الألم رئتى تيرنى من الهواء ، وتجمدت الدموع إثر تكونها فى عينيه ، وبينما كان راقداً على ظهره أخذ يسب ويلعن بكثرة وبصوت عال فى ألم وغضب .

حين خفت الموجة الأولى الشديدة من الألم ، وبدأ تيرنى يشعر بأن رقوده على الجليد بهذه الطريقة يخفف عنه بعض الألم ، علم أنه يواجه خطر الموت متجمداً بشدة ، فهكذا يكون الأمر دائماً ، حيث تشعر الضحية بشعور مزيف من الراحة .

تطلب الأمر قدراً كبيراً من العزيمة . لكن تيرنى أجبر نفسه على تحريك كاحله المصاب ، فجعله الألم الذى اخترق رجله يلهث بشدة . لكن على الأقل فقد أخرجه هذا من الراحة الخادعة التى كان على وشك السقوط فى فخها .

نهض تيرنى جالساً ، وشعر بدوار فى رأسه جعله من شدته يمسكها بين يديه متمنياً أن يوقف هذا الدوار ، ولم يكد يزيح غطاء الرأس من فمه حتى بدأ يتقيأ وسط الثلوج . لم يكن فى جوفه سوى الأحماض التى تفرزها المعدة ، وذكرته انقباضات معدته بالألم الذى فى ضلوعه .

تنفس تيرنى بعمق عدة مرات ، ثم وضع كل ثقله على قدمه اليسرى ونهض واقفاً ، وجرب كاحله الأيمن بتحريكه حركة دائرية بطيئة . فشعر فيه بألم شديد ، لكنه لم يكن يعتقد أن به كسراً . هذا شىء جيد على الأقل . فى هذه المرحلة ، فإن أى شىء أقل من كارثة محققة يعد حظاً سعيداً .

بدأ تيرنى السير مرة أخرى ، مستخدماً جاروف الثلج كعكاز هذه المرة .

وفى محاولة لمواصلة السير ، فقد كل إحساس بالزمن والمكان ، فكان كل تريكزه الآن على كاحله . كان يشعر به يتورم داخل حذائه ، صحيح أن حذاءه الضيق سيؤدى إلى الحد من التورم . لكنه قد يؤدى إلى توقف تدفق الدم ويجعله يصاب بقرصة برد ، أو الغرغرينا . ما الذى يجعله لا يذكر الإسعافات الأولية الرئيسية ؟ أو لا يذكر رقمه البريدى ؟ أو رقم هاتفه فى فيرجينيا ؟ .

يا إلهى ، لقد كان جائعاً . لكنه أيضاً مصاب بالغثيان الذى ينتج عنه الآن شعور مؤلم باقتراب القيىء دون وجود ما يمكن تقيؤه .

لقد كان يشعر بنفاذ البرد إلى عظامه ، وفى نفس الوقت يشعر بالحمى فى بشرته .

لكن أسوأ ما فى الأمر كان الغثيان اللعين .

من الممكن أن كتلة دموية متجمدة قاتلة ـ تسبب عنها سقوطه على الرصيف ـ فى طريقها الآن عبر أوعيته الدموية إلى فمه أو رئتيه أو قلبه .

كانت أفكار عشوائية غريبة كهذه الأفكار تجوب عقله كذباب النار ، وتختفى قبل أن يتفهمها أو يربط ما بينها ، وكان واعياً بما يكفى ليدرك أنه مقبل على الإغماء .

فى الحقيقة ، كانت كل هذه الآلام فى صالحه ، فلولاها لدخل فى حالة من الراحة وظل راقداً على الثلج وأسند ظهره على وسادة من الجليد ومات فى مكانه . لكن الآلام كانت

مستمرة ، وكانت تدفعه إلى مواصلة السير وكأن هناك من يركله من الخلف ، كما أنها جعلته يظل متيقظاً واقفاً على قدميه حيًا . وفى نفس الوقت ، كان العقل يصرخ به أن يتوقف . أو يرقد . أو ينام . أو يستسلم .

الفصل
٢٢

" لماذا ؟ ما السبب ؟ لماذا أنا ؟ " .

قال ويز وهو يرفع صوته أعلى من صوت سكوت : " اهدأ . إنهم لن يأتوا إلى هنا لاتهامك بأى شيء " .

" وما أدراك ؟ " .

" حتى إن كانوا كذلك ، فليس لديك ما تخفيه . أليس كذلك ؟ أليس كذلك يا بنى ؟ " .

" كذلك " .

" إذن لم القلق ؟ " .

" لست قلقاً " .

ومن وجهة نظر دورا ، كان قلقاً .

كان سكوت متوترًا بشكل غير طبيعى بشأن الحديث إلى عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، وأخذت عيناه تنتقلان فى قلق بين دورا وويز . فبدا وكأنه يشعر بالذنب لشىء فعله بما

يناقض ما يقوله من أنه ليس لديه ما يخفيه ، كما أن تظاهر ويز بعدم المبالاة كان مقلقاً أيضاً .

قال ويز : " كل ما يبحثون عنه هو بعض المعلومات عن ميليسنت . ولقد قال لى دتش إنه أمر روتينى " .

قالت دورا : " يمكنهم الحصول على معلومات عن ميليسنت من مائة مصدر آخر . فلماذا اختاروا سكوت ؟ " .

" لأنه كان صديق ميليسنت الدائم " .

" كان هذا فى السنة الماضية " .

" أعرف متى كان ذلك يا دورا " .

" لا تتحدث بهذه الطريقة معى يا ويز . ما أريد قوله هو أن ميليسنت حدث لها الكثير جداً بين الربيع الماضى ، حين كانت وهى وسكوت صديقين ، وبين الأسبوع الماضى حين اختفت ، فما أهمية علاقتها الأخيرة به ؟ " .

قال ويز : " لا أهمية لها . وهذا ما سيخبرهم به سكوت " ، ثم استدار إلى سكوت قائلاً : " من المحتمل أنهم يسعون فقط لمعرفة مدة مواعدتك لها ومتى انفصلتما " . ثم نظر بشدة إلى سكوت فبادله سكوت النظر هو الآخر .

نظرت دورا إليهما وشعرت على الفور بحوار صامت بينهما . إنهما يخفيان شيئاً عنها ، ولابد أنه شىء يبعث على الجنون .

قالت دورا : " لماذا انفصلت عن ميليسنت يا سكوت ؟ " .

قال ويز : " لقد أخبرنا بالسبب . فلقد أصبح الجديد قديماً ، فمل علاقته بها " .

قالت دورا : " لا أظن أن هذا هو السبب فقط " ، ثم نظرت فى عينى ولدها مباشرة وألانت صوتها قائلة : " ماذا حدث بينكما ؟ " .

هزَّ سكوت كتفيه كمن يتخلص من السؤال قائلاً : " كما قال والدى تماماً ، لقد فقد كل منا شغفه بالآخر " . عبرت دورا عن شكها فى صمت ، فقال سكوت : " يا إلهى ! ألا تصدقيننى ؟ ما الذى يجعلنى أكذب عليك فى هذا الأمر ؟ " .

" ربما لنفس السبب تسللت من غرفتك ليلة أمس " .

بدا سكوت وكأن أحداً قد ضربه بين عينيه بقبضتيه ، وفتح فمه ، ثم أغلقه سريعاً ، فقد أدرك فيما يبدو عدم جدوى الإنكار .

استدارت دورا إلى ويز قائلة : " لقد اكتشفت هذا الصباح تعطيل جرس الإنذار الموضوع على نافذة غرفة نومه " .

" أعرف ذلك " .

كانت دورا هى التى شعرت هذه المرة بأن أحداً قد ضربها ، فقالت : " تعلم ؟ ولم تخبرنى بذلك ؟ " .

قال ويز بهدوء : " إننى أعرف كل ما يحدث بهذا المنزل . على سبيل المثال ، أعلم أنه كانه يعطل جرس الإنذار حين كان يقابل ميليسنت " .

قالت دورا فى نفسها إنه لابد أن يقول الحقيقة ، فقد احمرت وجنتا سكوت .

استمر ويز قائلاً : " لا يدهشنى أنه يتسلل خارجاً من حين لآخر ، ليس هذا بالأمر المهم " .

نظرت دورا إلى زوجها غير مصدقة قائلة : " لا أوافق على ذلك " .

" لقد كاد يبلغ التاسعة عشرة يا دورا ، والأولاد فى هذه السن يسهرون لأوقات متأخرة . أم أنك لا تذكرين ما كنت عليه فى شبابك ؟ " .

أغضبها تنازله هذا ، فكورت قبضتها قائلة : " ليست المشكلة فى أنه يسهر لساعات متأخرة يا ويز ، لكن المشكلة فى أنه يفعل ما يفعله متسللاً ، ثم استدارت إلى سكوت قائلة : " أين ذهبت ليلة أمس ؟ " .

" لم أذهب إلى أى مكان . لقد ... تمشيت . كنت أستنشق الهواء ، لأننى لا أتحمل أن أظل سجين هذا البيت طوال الوقت " .

" أرأيت ؟ " .

تجاهلت دورا ويز ، وقالت : " سكوت ، هل تتعاطى المخدرات ؟ " .

" يا إلهى . لا يا أمى . من أين أتيت بهذه الفكرة ؟ " .

" لا تفسير لحالاتك المزاجية المتغيرة سوى المخدرات ، إنك ـــــ "

قال ويز : " هلا هدأت يا دورا ؟ " ، واستمر فى لهجته الآمرة التى اتبعتها دورا ، وتابع قائلاً : " أنت كالعادة تضخمين الأمور " .

لم تكن لترجع عن هذا ، لكنها قالت : " إذا لم تكن المخدرات ، فلابد أن هناك شيئاً آخر . ما الذى تخفيه عنا يا سكوت ؟ " ، وجعلت صوتها هادئاً حنوناً محايداً لا يحمل

تهديداً ، ثم تقدمت نحوه وأخذت يده وضغطتها لتثبت في نفسه الثقة قائلة : " أخبرنا بما يحدث . مهما كان الأمر سيئاً ، سنقف بجانبك أنا ووالدك " .

" ما الأمر ؟ هل تعرف ما حدث .... ؟ " .

توقفت دورا غير قادرة على تكملة هذا السؤال المرعب دون أن تتنفس بعمق ، ثم قالت : " هل كانت علاقتك بـ " ميليسنت " تزيد عما يبدو لأعيننا ؟ هل اكتشفت السلطات شيئاً ــــــ "

قال ويز : " ألا تخرسي ؟ " ، وأمسك بذراعها وأدارها نحوه بعنف قائلاً : " هل جننت ؟ إن سكوت غير متورط فيما حدث أو في تناول عقاقير غير مشروعة ، أو أي شيء آخر سوى كونه شاباً عادياً في الثامنة عشرة من عمره " .

قالت دورا : " اتركني " ، وجذبت ذراعها من يده ، ثم قالت : " هناك مشكلة متعلقة بولدي ، وأريد أن أعرف تلك المشكلة قبل أن يأتي عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى هنا وأعرف منهما ماذا يجري ؟ " .

" لا شيء " .

صاحت قائلة : " هناك شيء ما يا ويز . إن ابننا ليس نفس الشخص الذي كان عليه العام الماضي . لا تقل لي إنه لا توجد مشكلة فلست عمياء ولست غبية ، رغم أنه يبدو أنك تظن ذلك . إن من حقي أن أعرف ما يحدث لابني " .

قرب ويز وجهه منها قائلاً : " تريدين أن تعرفي ؟ " .

" لا يا والدي " .

" تريدين أن تعرفيه يا دورا ؟ " .

" والدى ! " .

أدخل ويز يده فى جيب معطفه وأخرج علبة من المحاقن التى تستخدم لمرة واحدة وعدة قنينات ، ومد يده بذلك قائلاً :

" ما هذا ؟ " .

" منشطات " .

حدقت دورا فيه فاغرة فاها ، ثم استدارت إلى سكوت قائلة : " هل تأخذ حقناً منشطة ؟ " .

تحول سكوت بنظره إلى ويز . ثم عاد ينظر إليها قائلاً :

" ليس أنا . إنه السيد ريت " .

فى الصمت الذى ساد وسط صدمتها وعدم تصديقها ، طرق شخص ما الباب الخارجى طرقات عالية .

قال ويز : " لابد أن هؤلاء هم الجماعة " ، وأعاد الأشياء بهدوء إلى جيب معطفه ، ثم خلع المعطف وعلقه على المشجب بالقرب من الباب الخلفى ، ثم قال : " افتح لهم البابْ يا سكوت وادعهم إلى الدخول . لا تكن مرتبكا ، سيكون دتش معك . ثم أجلسهم على الكراسى وأخبرهم بأننا سنأتى على الفور " .

ظل سكوت واقفاً فى مكانه ، ينظر إلى أمه معتذراً خجلاً .

قال ويز : " هل سمعتنى يا سكوت ؟ " ، وكان صوته هادئاً لكنه كان صارماً .

استدار سكوت ودخل غرفة المعيشة ليرد على الطرقة الثانية التى كانت على الباب .

اقترب ويز من دورا ، وكانت أنفاسه حارة على وجهها وقال : " تصرفي وكأن كل شيء بهذا البيت يسير على ما يرام ، أتفهمين ؟ هذا أمر خاص ، فليبق في نطاق الأسرة " .

نظرت إليه بشدة قائلة : " كيف أمكنك أن تفعل هذا بولدك ؟ هذه الأشياء ليست إلا سموماً " .

" إنك تبالغين كعادتك " .

" هل فكرت في الأعراض الجانبية مطلقًا يا ويز ؟ " .

" ليس هذا سوى ثمن قليل للمستوى الذى سيصل إليه ــــ "

همست غاضبة : " لا تهمنى قدراته الرياضية اللعينة بأية حال " . وكانت مدركة لوجود الرجال فى الغرفة المجاورة ، ثم تابعت هامسة : " لا يهمنى إلى أى مدى تبلغ قوته أو مدى نشاطه في ملاعب كرة القدم . إن ما يهمنى هو حياته " ، وشعرت بأنها تفقد السيطرة على نفسها ، وليس هذا بالوقت المناسب لهذا . تنفست دورا عدة أنفاس بعمق لتهدأ ، لكن كان داخلها مازال يغلى وهى تقول متابعة : " ألا ترى كم غيرته هذه الأشياء ؟ " .

" حسناً ، ربما يكون متقلب المزاج . قد يكون هذا أحد الأعراض الجانبية " .

" وقد يكون السلوك العدوانى أيضاً أحد الأعراض الجانبية " .

هز كتفيه بلامبالاة قائلاً : " إن بعض العدوانية الزائدة قد تكون نافعة له ، لا عيباً فيه " .

ورغم كل أقوال زوجها السخيفة ، فإن هذا القول أحنقها بشدة . فقالت : " إنك متوحش " .

افتعل الضحك قائلاً : " ماذا ؟ لقد حسبتك ستسرين حين تعلمين أن التغيرات التى ترينها بـ " سكوت " ترجع إلى تعاطيه المنشطات لا إلى تورطه فى اختفاء تلك الفتاة البغيضة الشريرة ، فلقد كانت لا تزيد عن هذا الوصف " .

" كانت ؟ لماذا تشير إلى ميليسنت مستخدماً الزمن الماضى ؟ " .

انحنى ويز نحوها قائلاً : " لأنه فيما يتعلق بأسرة هامر ، أصبحت ميليسنت جزءاً من الماضى " .

لم تعد دورا الآن حانقة فقط ، بل خائفة أيضاً . " ماذا تقول ؟ " .

" تريدين أن تعرفى السبب فى انفصال سكوت عن ميليسنت ؟ إليك السبب ، وتذكرى أنك أنت التى سعيت لمعرفته . لقد كانت تتدخل فى تدريبه وتتصل به طوال الوقت وتحوم حوله فى كل تدريب حتى انتهى ، فقد كانت تهبه كل ما يريده ولم يكن يفكر بأى شىء آخر . وما كنت لأسمح هذه الفتاة اللعينة أن تفسد كل خططى له . ولكى أعيد ذهنه إلى التدريبات . كان يجب علىّ أن أتدخل . تريدين أن تعرفى السر الخطير وراء انفصالهما ؟ إنك تنظرين إليه الآن " .

" ماذا فعلت ؟ " .

" لا يهم . المهم هو أننى أنهيت إلى الأبد علاقتهما " ، ولكزها بقوة قائلاً : " هذا شىء آخر يبقى فى الأسرة " .

ثم استدار وتركها وحدها تحس وكأنها غريبة فى منزلها ، رغم أن كل شىء حولها مألوف لديها ، وتشعر بالفزع من الطريقة التى وصلت بها إلى هذه المرحلة من حياتها .

كانت تستطيع أن تسمع ويز في الغرفة المجاورة يتصرف بطريقته الاجتماعية المعتادة ، مُرحِبًا فى بيتهم بعميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية لسؤال ابنهما سكوت عن اختفاء ميليسنت جان .

غادر ويليام وماريلى الصيدلية معاً . فبدون الكهرباء فلا داعى لفتح الصيدلية . فلم يكن باستطاع ويليام تشغيل آلة إحصاء النقود أو الحاسب الذى يخزن كل بيانات عملائه ووصفاتهم الطبية . ولم يكن ذلك مهماً ، فلم يأت أحد إلى الصيدلية أصلاً منذ أن غادر ويز بالشطائر متجهاً إلى قسم الشرطة .

أخذت ماريلى الطعام من المجمد الخاص وأيضاً أخذت شراباً لهما من الصودا لتناوله فى البيت فيما بعد ، لأنها تعرف أنه سيفسد قبل إعادة فتح الصيدلية وعودة ليندا .

قررا ترك سيارة ماريلى هناك والعودة إلى البيت فى سيارة ويليام الذى قال : " لا معنى أن يحاول كل منا على حدة الخوض فى هذه الشوارع " ، وكان يحكم إغلاق الصيدلية ويترك رسالة ملاحظة على الباب الأمامى يخطر فيها أى عميل لديه بأن هناك حالة طوارىء وأنه موجود فى البيت .

بمجرد أن أصبح الاثنان فى سيارة ويليام ، قالت ماريلى وأسنانها تصطك من شدة البرد : " إذا اكتشف أى شخص أنك تبيع الأدوية من البيت فستفقد رخصتك " .

" إننى أحتفظ ببعض الأدوية لحالات الطوارىء فقط ، وللعملاء الذين أعرف أنهم لن يسيئوا استغلال هذه الميزة فقط . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأدوية التى أبيعها يمكن بيعها فوق الطاولة فى كل مكان ماعدا الولايات المتحدة . وأخذ يدور بالسيارة فى أحد المنعطفات ببطء ثم اقترب من حاجبة الرياح وحدق من خلال الزجاج المضبب قائلاً : " ليتنى أعرف السبب فى هذا الذى يحدث ! " .

كانا بالشارع الذى تسكن به عائلة هامر . وقد وقفت أمام منزلهم سيارة سيدان ماريلى . وسيارة دتش البرونكو .

سألت ماريلى قائلة : " أليست هذه هى السيارة التى يقودها عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ " .

" أظن ذلك . إن ذلك الشخص المدعو بيجلى هو أوقح شخص قابلته فى حياتى " .

" لا أظنه يتعمد الوقاحة . لكن أسلوبه هذا يرجع فقط إلى كفاءته وتمرسه فى ممارسة مهام سلطته " .

" إننى كفء ، ولدىَّ سلطة ، لكننى لا أتحدث إلى الناس بتغطرس " .

إن مقارنة إدارة إحدى الصيدليات والتى بها موظف واحد من الصعب مقارنتها بإدارة أحد فروع مكتب التحقيقات الفيدرالية ، لكن ماريلى قررت أن تحتفظ بهذه الملاحظة

لنفسها.. لم تكن تريد التشاحن مع ويليام ، رغم أنه كان يضايقها طوال اليوم .

حين وصلا إلى منزل عائلة هامر ، قال ويليام : " لست مندهشاً لرؤية دتش هنا ، لكن ما سبب وجود رجلي مكتب التحقيقات الفيدرالية هنا ؟ " .

قالت ماريلي : " ربما يتحدثان إلى ويز حول ما وضعه خلسة في جيب معطفه حين فاجأتكما في المخزن " . وكانت تلقي بالكلام بشكل مفاجئ لترى رد فعل أخيها .

رد عليها بشكل روتيني قائلاً : " دواء لعلاج حالات الصداع التي تعاني منها دوريا " .

" أنت تكذب " .

قال ويليام : " بينما أنت يا أختي لا تكذبين أبداً ، لا قولاً ولا فعلاً " . ونظر إليها قائلاً بوقاحة : " أم أنك تكذبين ؟ " ، ثم ضحك ساخراً من محاولتها التظاهر بالهدوء : " إذا أتيح لك الاطلاع إلى ما تحت السطح في حياة أشد الناس حذراً يا ماريلي ، فستجدين أنه يتسم بالخداع ، بما في ذلك حياتك أنت " .

أدارت رأسها بعيداً عنه ونظرت من خلال النافذة المجاورة لها قائلة : " أتمنى فقط أن تكون على صواب يا ويليام . إنني أتمنى لو أنني كنت أخفي سراً فظيعاً " .

" قد يكون لدى عائلة هامر سرهم أيضاً الذي اكتشفه رجلا مكتب التحقيقات الفيدرالية . أراهن على أن سكوت هو صاحب السر " .

" لماذا سكوت ؟ " .

" بالتأكيد أن هذين العبقريين من مكتب التحقيقات الفيدرالية قد ربطا بينه وبين ميليسنت " .

" لقد كانا حبيبين لبعض الوقت . ماذا فى هذا ؟ " .

قال ضاحكاً نصف ضحكة : " حبيبين ؟ يا لها من كلمة مهذبة عتيقة لوصف علاقتهما لقد ظن الناس أنهما مجرد صديقين ، ولكن الحقيقة أن علاقتهما كانت آثمة . لقد كانت تتعاطى حبوب منع الحمل " .

" لا تلقى بالتهم هكذا جزافاً " .

" إننى أعرف ذلك جيداً ، لقد قمت ببيع بعض منها بنفسى ، لكن أتعلمين أن ميليسنت امتنعت عن تناولها ؟ " .

" متى ؟ " .

" فى الربيع الماضى كانت تشتكى من أن هذه الحبوب تجعلها تحتفظ بالسوائل ، فيزيد وزنها . وحين انفصلت عن سكوت ، خطر ببالى أنها ربما يكون قد حدث لها شىء معه " .

" هل تعنى أنها حملت منه ؟ " .

" هذا هو ما أعنيه بالضبط " .

" رغم مرضها بفقدان الشهية للطعام ؟ " .

" قد يحدث هذا " .

" أنا واثقة من أنك مخطىء يا ويليام " .

" من موقعى فى الصيدلية ، أرى الكثير وأمتنع عن ترويج ما أراه .

فى أحد الأيام كان سكوت وميليسنت بإحدى الكبائن المجاورة لنافورة الصودا ، وقد كانا فى منتهى الانسجام والسعادة معاً . هل أحتاج إلى مزيد من التصريح ؟ " .

" لا " .

" ولكن فى المرة التالية التى أتيا فيها إلى الصيدلية فى نفس الوقت ، بعد ذلك بأقل من أسبوع ، لم يكن حتى ينظر إليها . حدث شيء فى الفترة ما بين اللقائين ، شيء فظيع . أظن أن هذا الشيء كان حملها سفاحاً ".

هزت ماريلى رأسها بحسم قائلة : " مازلت أشعر بأنك مخطيء . لو أن ميليسنت كانت حاملاً ، لتحمل سكوت المسئولية . وحتى لو لم يكن يريد إصلاح خطئه ، لتولى والداه الأمر " .

انطلقت ضحكة من فم ويليام وقال : " إن ويز لا يسمح لأى شيء بإفساد خططه لمستقبل سكوت . لأى شيء ، ولا حتى للبذور الخاصة ببذرته هو ، وكلنا يعلم كم هو فخور ببذرته " .

ضايقتها ملاحظته الأخيرة ، وكانت تعلم أنه يقصد مضايقتها بها ، ثم قالت : " أنا واثقة من أن سكوت ـ وبالتأكيد دورا ، وأيضاً ويز ـ لا يمكن لأى منهم أن يرفض ـــــ "

" لم أقل إنهم رفضوا حملاً غير مرغوب فيه وغير ملائم . إن ويز يمكنه ببساطة أن يفعل أى شيء يلزم حتى يحل المشكلة بشكل لائق ، فإن ويز يفعل أى شيء ليقضى على مشكلاته " .

أقرت ماريلى بضيق بأن ويليام على صواب ، فـ " ويز " قد يفعل هذا .

قال بيجلى بصوت خفيض : " ما الذى يحدث هناك بحق السماء ؟ " ، وهو يسير مع هوت فى مدخل بيت عائلة هامر شديد البرودة .

" لا أعلم يا سيدى " .

وبمجرد أن استقلا السيدان السيارة الخاصة بالمكتب وأدار هوت المحرك ، قال بيجلى : " أنت كذلك شعرت بشىء . أليس كذلك ؟ لم أكن أتخيل هذه الأمور الخفية ؟ " .

" على الإطلاق يا سيدى . لقد كنت أشعر وكأننا نشاهد مسرحية يمثل فيها كل شخص دوره بعناية " .

" مقارنة جيدة " .

خلع بيجلى قفازه وحك يديه فى بعضهما بشدة وهو يشاهد ويز ودتش يودع كل منهما الآخر عند الباب الأمامى لبيت عائلة هامر ، ثم يسير دتش بعد ذلك إلى سيارته البرونكو ويستقلها .

نظر بيجلى إلى مقدمة المنزل وراءه . ثم أخذ يفكر بصوت عال قائلاً : " كانت الأم تبدو علي وشك الانهيار ، وكان صوت ويز هامر عالياً ، كما كان متعاوناً ومرحاً أكثر من اللازم . لم أصدق شيئاً واحداً مما قاله ، وكان دتش يهتم بأشياء أخرى غير صلب القضية ، فهو مهتم بحماية صديق عمره منا ، ولا يعطى أدنى اهتمام حقيقى بـ " ميليسنت جان " لأنه مشغول بزوجته السابقة . والولد كان ــــــ "

" يكذب " .

" ويبدو عليه الارتباك " .

انتظر هوت حتى بدأت السيارة البرونكو فى الحركة ، ثم قاد السيارة السيدان خلفها تاركة مسافة آمنة بينهما .

أدار بيجلي أحد منافذ التدفئة نحوه ، رغم أن الهواء الخارج منه كان بارداً ، ثم قال : " لكن ما الذى كان يكذب بشأنه يا هوت ؟ ما الذى كان يخفيه الجميع عنا ؟ هذا ما لا أستطيع معرفته " .

" لا أعرف يا سيدى ، لكننى لا أظن أن بورتون يعرف شيئاً هو الآخر " .

" لقد بدا حائراً هو الآخر ، أليس كذلك ؟ " . بعد لحظة من التدبر ، قال هوت : " رغم أنه من المفترض أنه صديق حميم لـ " ويز هامر " ، فإننى أشعر بتصادم بينهما . أشعر ... بتنافس خفى بينهما " .

استدار بيجلي في كرسيه وتظاهر بإطلاق الرصاص عليه من مسدس متخيل قائلاً : " أحسنت يا هوت . لقد شعرت بذلك بينهما أنا أيضاً . إن كلاهما لا يبدى شيئاً ، كما أنهما يتصرفان تصرفات الأصدقاء المقربين . لكن هناك شيئاً ما تحت السطح " .

قال هوت : " كراهية . فبكل المقاييس ، يعد هامر رئيس بورتون بوصفه رئيس مجلس المدينة ، وبورتون يكره أن يكون خاضعاً له " .

قال بيجلي : " ربما يكون هذا هو السبب يا هوت " . ومسح حاجبة الرياح بكمه قائلاً : " لاتزال الرؤية ضعيفة ، أليس كذلك ؟ " .

قال هوت : " نعم يا سيدى " ، وفى نفس الوقت سمع بيجلي صوتاً يصدر من جهاز الاستدعاء الشخصى الخاص به ، فنزعه من حزامه ثم قال : " بيركينز " .

ومر وقت ولم يكن بالسيارة سوى صوت المساحات والهواء القادم إلى المنافذ التى بالسيارة واحتكاك الإطارات بالجليد . أخيراً قال بيجلى : " لقد صار الولد مرتبكاً بشكل خاص حين سألته عن انفصاله عن ميليسنت . وقد اشرأب الوالدان بعنقيهما ، وبدا أنهما مهتمان بشدة بمعرفة إجابة ذلك السؤال أيضاً " .

" خصوصاً السيدة هامر " .

" لأننى لا أظنها تصدق تبرير ولدها أكثر مما نصدقه نحن " .

" وماذا عن السيد هامر ؟ " .

" مازلت أفكر بهذا الأمر ، لكن حدسى يخبرنى بأن مدربنا يعرف أكثر بكثير مما يقول ! " .

" عن انفصالهما ؟ " .

" عن كل شىء . ما لم يكن المرء نجماً سينمائياً أو بائع سيارات مستعملة فلا حاجة به لابتسامة مثل ابتسامته ! " .

دخل هوت بالسيارة فى الفرجة الموجودة بجانب السيارة البرونكو خارج قسم الشرطة ، ودخل هو وبيجلى المبنى بعد ثوان من دخول دتش بورتون ، وكانت تفوح بداخل المبنى رائحة الصوف الرطب ، ورائحة رجال لم يستحموا لفترة من الوقت ، لكن كان المكان دافئاً على الأقل .

قال عسكرى المراسلة لـ " هوت " : " من المفترض أن تتصل بـ " بيركينز " فى تشارلوت بمجرد وصولك " .

" نعم ، هل لى أن استخدم هاتفك مرة أخرى ؟ " .

أشار له جندى المراسلة باتجاه مكتب خال .

انضم بيجلى ـ الذى وجد نفسه مضطراً للانتظار حتى يسمع من هوت ما سيعرفه إن عرف شيئاً ـ إلى بورتون الذى كان يصب لنفسه كوباً من القهوة وقال له : " بماذا خرجت من زيارتنا لعائلة هامر ؟ " .

رد بورتون قائلاً : " لم أخرج منها بشىء " .

" لا داعى للامتعاض " .

نفخ بورتون فى كوب القهوة وارتشف منه رشفة ، ثم سأل قائلاً : " بماذا خرجت منها أنت ؟ " .

" إن ويز ودورا هامر بينهما فجوة كبيرة ، وهناك مشكلة تتعلق بولدهما " .

" هل استنتجت كل هذا بعد ثلاثين دقيقة فقط معهما ؟ " .

" أكثر من ذلك " .

" بغض النظر عن المدة ، كان ذلك إهداراً للوقت وخرقاً لخصوصيتهم . لقد حددنا رجلنا . إنه بين تيرنى " .

" فى هذه المرحلة ، السيد تيرنى مطلوب للسؤال فقط . لا غير " .

قال بورتون : " كيف ذلك ؟ لقد كنت تفتش مسكنه فى مجمع كبائن جوس إلمر . أخبرنى هاريس بذلك . ما الذى وجدته وجعلك تقع فى هواه ؟ " .

لم يهتم بيجلى بالسؤال .

قال بورتون غاضباً : " حسناً ، إذا كانت هذه هى الطريقة التى ستدير بها اللعبة ، سأخرج وحدى وأبحث بنفسى " .

قال بيجلى بصوت خفيض لكنه ينطوى على التهديد : " أصغ إلىّ ، إن عبثت بأى شىء فى ذلك المسكن أو وضعت

رجلك فيه ، فسوف أسعى أنا شخصياً إلى فصلك من موقعك كضابط شرطة . فتحاول أن تسترد مكانك بالمال فلا تستطيع . وأنت تعرف أننى أستطيع عمل ذلك " .

" لماذا لا تحاول الصعود حيث يوجد تيرنى للقبض عليه ؟ " .

رد بيجلى غاضباً : " لأن شخصاً أحمق غيوراً قضى على كل فرصة للقيام بذلك صباحِ اليوم " .

غضب بورتون غضباً شديداً وقال : " وتركت الأمر لعميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية اللعينين كى يضايقا أعز أصدقائى وأسرته بشأن علاقة غرامية صبيانية لا علاقة بينها وبين القضية وتهديدى ، هذا بينما المتهم ـــــ "

أقحم هوت نفسه فى الحوار الدائر قائلاً : " عفواً . ستسعدان أنتما الاثنان حين تعلمان أننا استطعنا توفير طائرة مروحية وفريق إنقاذ صغير سيأتى بمجرد أن يصفو الجو . وهو ما نأمل أن يحدث صباحِ غد " .

قال بورتون : " أريد إنقاذ ليلى والقبض على تيرنى . قد تتوفر لكم كل المعدات التى تحتاجونها ، لكن هذه المنطقة هى منطقة نفوذى ، وتيرنى هو المشتبه به الرئيس بالنسبة لى " .

" إن جرائم الاختطاف جرائم فيدرالية . يمكننا ـــــ "

رفع بيجلى يده ناهيا هوت عن قول المزيد قائلاً : " مفهوم أيها المأمور بورتون " ، وقد اندهش هو نفسه لهدوئه ذاك .

لم يكن بيجلى متراجعاً ، كان يحاول فقط تهدئة رجل يقف على حافة الجنون . إنها فقط مسألة وقت قبل أن يدمر دتش بورتون نفسه بنفسه ، سواء عمداً أو عن غير عمد . فى الحالتين

كان بيجلى لا يريد استفزازه بشكل أكبر قبل أن يصبح تيرنى فى حوزة الشرطة وتصبح زوجة بورتون السابقة آمنة .

تابع بيجلى قائلاً : " من الآن وحتى تصل الطائرة المروحية . أقترح أن تقوم بمعالجة جروح وجهك بواسطة طبيب متخصص ، ثم تذهب إلى البيت وتستريح . إن الإرهاق يبدو عليك . يجب أن نكون جميعاً مستعدين لما يخبئه لنا الغد " .

بدا بورتون غاضباً بما يكفى لجعله يبصق فى وجهه ، لكنه لم يقل شيئاً .

ارتدى بيجلى قفازه وسأل هوت عما إذا كان قد حصل على ما كان يحتاج إليه من بيركينز . قال هوت وهو يمد له يده بأحد اللفات : " هنا يا سيدى . لقد كتبت ملاحظات بخط يدى " .

قال بيجلى : " حسناً . إننى مستعد لبعض الشراب ونار مدفأة مشتعلة . وأراهن أن جوس إلمر يستطيع توفير كليهما ، وبينما كان متجهاً نحو الباب ، رمى بورتون بنظرة تحذره حتى من محاولة تفتيش كابينة تيرنى فى مجمع كبائن ويستلر فالر حيث سيندم على عواقب هذا الأمر .

بعد ذلك ببضع دقائق ، كان هو وهوت قد عادا إلى السيارة الباردة يخترقان بها شوارع كليرى المهجورة . قال بيجلى : " إن دتش بورتون كارثة تنتظر الحدوث . تريد أن تعرف تخمينى ؟ سيقوده هذا إلى الجنون يوماً ما " .

ثم مرر يده على وجهه للتخلص من تلك الفكرة المزعجة ، ثم قال : " أعطنى ملخصاً لمحادثتك مع بيركينز ، إلا إذا كان

هناك شيء مهم جداً ، فيمكنك في هذه الحالة أن تحدثني بالتفاصيل " .

" كان بيركينز يبحث عن صلة بين تيرني والنساء الأخريات المختفيات " .

" ثم ؟ " .

" كارولين مادوكس " .

" الأم الشابة العزباء " .

" بالضبط . لقد عملت في نزلين محليين قبل المكان الذى كانت تعمل به حين اختفت . حتى الآن ، وليس هناك ما يشير إلى إقامة تيرني بأى من المكانين ، لكن بيركينز لا يزال يفحص حسابات بطاقة ائتمانه " .

" من الممكن أن يكون قد دفع الحساب نقداً " .

" في هذه الحالة سيكون علينا الاعتماد على سجلات النزل " .

" حيث من الممكن أن نجده قد كتب اسماً مستعاراً " .

أومأ هوت في امتعاض .

" لا أعتقد أنها عملت في مجمع كبائن السيد إلمر قبل ذلك " .

" لا يا سيدى ، هذا هو أول شيء بحث عنه بيركينز " .

" استمر " .

" لاورين إليوت . الممرضة . ليس لها أقارب أحياء سوى أخيها الذى يعيش مع زوجته في برمينجهام . وقد حاصرهما الجليد أيضاً ، لكن بيركينز استطاع الوصول إلى الأخ على هاتفه الخلوى . فقال لو أن أخته الراحلة كانت تعرف أحداً باسم تيرني ، فإنها لم تذكر له ذلك " .

" إن اسم تيرنى من الأسماء التى يتذكرها الإنسان بسهولة ، وذلك لأنه ليس اسماً شائعاً بشكل كبير " .

" هذا ما أظنه أنا أيضاً يا سيدى " .

" والأرملة ؟ " .

" بيتسى كالهون ، ابنتها مازالت تعيش فى كليرى ، ولم يستطع بيركينز الوصول إليها " .

" هل لديك عنوانها ؟ " .

" إننى متجه إلى هناك الآن . إنها تسكن فى البناية التالية " .

ابتسم بيجلى قائلاً : " ممتاز . والأخيرة ؟ " .

" تورى لامبيرت . المراهقة " .

" والتى ربما كانت ضحية عشوائية " .

" محتمل جداً ، لكننى أكره أن أتصور ذلك ، ثم نكتشف بعد ذلك وجود رابطة سابقة لم نلتفت إليها . مازال بيركينز يحاول الاتصال بوالدتها " .

" فى أثناء ذلك ـــــــ "

" ماذا يا سيدى ؟ " .

" هل نركز انتباهنا على تيرنى ونستثنى الآخرين ؟ " .

" سكوت هامر ، على سبيل المثال ؟ " .

" هل الأمر كما يقول بورتون يا هوت ؟ هل ينبغى أن نثق فى عائلة هامر ونصدق ما يقولونه وننهى تفكيرنا فى هذا الاتجاه تماماً ؟ من المعقول أن يكون لـ " سكوت " دافع لإيذاء ميليسنت ، بالنظر إلى فشل علاقتهما الغرامية وما إلى ذلك ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون قد صادف تورى لامبيرت فى الغابة فى ذلك

اليوم ، لكن ما الذى يمكن أن يريده شاب وسيم مثله من ممرضة سمينة وأم عزباء لها طفلة مريضة وأرملة أكبر من أمه ؟ " .

" وهذا يعيدنا إلى تيرنى ؟ " .

" والذى ينطبق عليه نفس السؤال . لنفترض أن تيرنى كان مغرماً بالمراهقات ، فهذا يفسر لنا الأمور حتى فى حالة كارولين مادوكس إذا اختصرنا بضع سنين من عمرها ، لكن ماذا عن الأخريات ؟ اللعنة ! لماذا لا نستطيع أن نجد خيطاً رابطاً ؟ " .

قدر بيجلى لـ " هوت " أنه لم يحاول الإتيان بأية إجابة لمجرد تبديد الصمت .

أخيراً قال بيجلى متنهداً : " حتى يصبح هذا القاسم المشترك واضحاً ، أعطنى تخميناً أساسيًا منطقيًا يا هوت . هل تيرنى هو رجلنا ؟ " .

توقف هوت بالسيارة فى العنوان الذى كان قد كتبه . كان البيت يزيد قليلاً عن كوخ صغير ، وقد أحاط بفنائه الصغيرْ سور من أوتاد بيضاء وقد صار الآن مغطى إلى نصفه بالثلوج . كان الدخان يتصاعد من المدفأة الصخرية المغطاة بتعريشة من نبات الويستيريا ، بينما كانت قطة صفراء سمينة تجلس على إفريز إحدى النوافذ تحدق فيهما من خلال الستارة " .

جلس الرجلان فى صمت وهما ينظران إلى البيت المملوك لابنة بيتسى كالهون . كان بيجلى يرى أن البيت يبدو بريئا بشكل لا يجعل من يمر به يتصور المأساة التى تحل بساكنيه . مع ذلك فإن ابنة بيتسى كالهون تذهب إلى فراشها كل ليلة وهى لا تعرف مصير والدتها !

قال بيجلى : " لابد أن هذا هو الجحيم بعينه " ، ولم يدرك أن فمه قد عبر عما يدور فى رأسه إلا حين رأى بخار أنفاسه يتصاعد أمام وجهه ، ثم قال : " لابد أن نمسك بهذا الوغد يا هوت " .

بدا هوت وكأنه قد تبع تسلسل أفكاره ، وقال : " بالتأكيد يا سيدى . لابد من ذلك " .

" إذن ، ورغم ارتباك عائلة هامر وتملصهم ، هل لايزال بين تيرنى احتمالاً قوياً فى ظنك ؟ " .

رد قائلاً : " نعم يا سيدى . مازال تيرني احتمالاً قوياً " .

قال بيجلى : " حسناً . إنه يبدو احتمالاً قوياً بالنسبة لى أنا أيضاً " ، ثم دفع باب السيارة المجاور له ففتحه وخرج منه ، ثم نظر باتجاه قمة الجبل التى تغطيها السحب ودعا فى نفسه من أجل ليلى مارتين .

الفصل
٢٣

فى كل مرة كانت ليلى تستنشق الهواء فيها ، كانت أنفاس الهواء التى تستنشقها تزداد ندرة .

كان البرد قد نفذ إلى عظامها ، لكن لم يكن لديها القوة ولا المبادرة للنهوض ووضع قطعة أخرى من الخشب فى المدفأة . فما الفائدة من وراء ذلك ؟

لم تكن من أولئك الذين يفكرون كثيراً فى الموت والاحتضار والقلق بشأنهما حتى يعجل القلق بوصولهما إليها . ومع ذلك ، فبعد أن ماتت آمى ، فمن الطبيعى أنها تدبرت الموت ، وتساءلت فى نفسها عن المرحلة الانتقالية التى تفصل هذه الحياة عن الحياة الأخرى ، ولم تكن تشك مطلقاً فى وجود حياة أخرى . من كان يتصور أن ابنتها التى كانت كالنجم الجميل الذى يشع بالحياة والطاقة سيخبو نجمها بهذه السرعة ؟ لكن آمى قد انتقلت من مستوى من الحياة تحكمه قوانين الطبيعة إلى مستوى آخر يحكمه عالم الروح .

هذا الاعتقاد ساعد ليلى على تجاوز محنتها ، إلا أن ما كان يعذبها هو طبيعة الرحلة بين العالمين . هل انتقلت آمى بين العالمين بسلام على بساط من نور ؟ أم أن رحلتها كانت مظلمة وشاحبة ؟

كان ذلك حين كانت ليلى تفكر فى موتها وهى تتساءل فى نفسها عما إذا كانت ستموت ميتة هادئة ، أم ستتعذب فى موتها . لكنها كانت لا تفكر فى الموت اختناقاً دون أن يكون معها أحد إلا فى كوابيسها .

على أقل تقدير . سترحل ليلى وهى تعلم أن الأزرق سيتم الإمساك به . قبل أن يصيبها الضعف الشديد ، استخدمت سكيناً لحفر الكلمتين تيرنى = الأزرق على إحدى الخزائن الموجودة بالمطبخ ، معتقدة أن هذا سيكون أكثر فعالية من كتابة ملحوظة على أحد شيكاتها الفارغة ، وهو ما يمكن ألا يلتفت إليه أحد فى الارتباك الذى لابد وأن يسود المكان فى أثناء اكتشاف جثمانها ونقله من الكابينة .

تيرنى .

مجرد التفكير فى الاسم جعل شهقة تنبعث من صدرها المنقبض . لقد شعرت بالضيق بسبب انخداعها . راحت تفكر من خلال شعورها بمقت الذات فى سهولة انخداعها بالمزيج النادر الذى يتسم به من الخشونة واللطف فى ذلك اليوم عند النهر ، وكيف أنها كانت تلوم نفسها خلال الأشهر الأخيرة لإضاعتها فرصة رؤيته مرة أخرى .

كان منذ البداية يبدو جيداً بشكل يجزم بأنه صادق .

اكتبى ملاحظة يا ليلى : كل من يبدو جيداً إلى هذه الدرجة عادة ما يكون مخادعاً .

إن عمرها أكبر قليلاً من أن تتعلم هذا الدرس الثمين ، ومن المؤسف أنها لن تواتيها الفرصة لتطبيقه على حياتها هى ، لكن تدوين هذا يستحق الجهد على أية حال ، أليس كذلك ؟ ربما ينبغى عليها أن تتركه منقوشاً على الخزانة أيضاً ، بنفس الطريقة التى يترك بها السجناء رسائل أخلاقية على جدران زنزاناتهم لمن سيشغلونها فى المستقبل .

لكنها الآن ليس لديها القوة الكافية للإمساك بالسكين . فنوبات السعال المصحوب بالمخاط تركتها أضعف من أن تقوى حتى على النهوض . لقد نفدت طاقتها ، فضلاً عن نفاد وقتها .

كانت هناك ميزة واحدة للموت ، وهى أن الأسئلة التى لم يكن من سبيل للإجابة عنها يجاب عنها أخيراً . على سبيل المثال : فهى تعلم الآن بيقين أن المرء ينتقل إلى ما بعد الحياة وسط نور مبهر ، فالموت على العكس من ذلك يتسلل إلى المرء كالغروب الذى ينشر أطرافه فى هدوء . كان الظلام تدريجياً ، وكان تضاؤل الرؤية لا يكاد ملحوظاً ، حتى لا يبقى من الحياة والضوء إلا نقطة واحدة .

بعد ذلك تبتلع الظلمة تلك النقطة ، فتصبح الظلمة مطلقة مطبقة .

بحثت عن آمى بلهفة وسط الظلام الدامس ، لكن لم تستطع أن تراها . لم تستطع أن ترى أى شىء . مع ذلك فقد اتجهت أذناها إلى صوت يأتيها من بعيد .

كان صوت والدها يدعوها إلى العودة للمنزل من المكان الذى كانت تلعب به فى البناية المجاورة .

" ليلى ! ليلى ! " .

إننى آتية يا والدى .

كانت تتخيله واقفاً فى بهو مظلم محيطاً فمه بيديه وهو ينادى عليها بتلهف حتى ترد عليه وتخبره بأنها عائدة إلى المنزل .

" ليلى ! " .

كان صوته يبدو فيه الخوف واللهفة والذعر .

ألا يسمعها ؟ لماذا لا يستطيع أن يسمعها ؟ إنها تجيب نداءه .

إننى قادمة إلى المنزل يا أبى . ألا ترانى ؟ ألا تسمعنى ؟ إننى هنا !

" ليلى ! ليلى ! " .

أمال تيرنى نصفها الأعلى على ذراعه وأخذ يدلك ظهرها بشدة ، فاندفعت قطعة من المخاط على البطانية التى تغطى حجرها . ضرب بيده على ظهرها مرة أخرى ، واندفع مزيد من المخاط سائلاً على فمها . حين تركها ، ارتمت بلا حراك على الأريكة ، وقد مال رأسها إلى أحد الجانبين .

خلع تيرنى قفازه وأخذ يضرب وجنتيها بيده ، وهو يقنع نفسه بأن وجهها مازال دافئاً ، كانت يده هى الباردة ، ليس بشرتها ، وضغط صدرها براحة يده ، وحين شعر بنبضات قلبها ، انطلقت صيحة لاإرادية من حلقه الجاف .

فتح بسرعة جيب معطفه الذى وضع به دواءها الذى كان فى كيس حريرى أخضر مزركش بحبات الكريستال ، تماماً كما وصفته . حين فتح تيرنى كيس الأدوية ، سقطت علبة الأقراص إلى الأرض وتدحرجت بعيداً حتى غابت عن ناظريه ، لكن كانت البخاخة هى ما يريده . فأخذ يطالع المكتوب عليها ، لكن وكأنه كان مكتوباً بالهيروغليفية .

تذكر أنها أخبرته بأن هناك بخاخة لمنع حدوث النوبات ، وبخاخة أخرى تستخدم فى الإسعاف الفورى لمن يعانى نوبة حادة ، لكن لم يكن يعرف هذه من تلك .

أدخل تيرنى فوهة إحدى البخاختين بين شفتيها الشاحبتين ثم مررها من بين أسنانها قائلاً وهو يضغط على زناد البخاخة " تنفسى يا ليلى " .

كانت ليلى ترقد ساكنة تماماً . لا تبدى أية استجابة . وكانت شاحبة كالموتى .

أدخل تيرنى ذراعه تحت كتفيها ورفعها مرة أخرى وأخذ يهزها بقوة قائلا : " تنفس يا ليلى ! استنشقى . أرجوك ، أرجوك ، أرجوك . هيا تنفسى " .

وتنفست ليلى . فعل الدواء ما كان مفترضاً أن يفعله ، فخفف على الفور من انقباض العضلات الذى أدى إلى غلق قنواتها التنفسية فأعاد فتحها .

أخذت ليلى نفساً كالصفير ، ثم نفساً آخر ، وبينما كانت تستنشق النفس الثالث فتحت عينيها ونظرت إليه ، ثم أمسكت بيديها يده التى كانت لاتزال ممسكة بالبخاخة داخل فمها

ضغطت ليلى زناد البخاخة مرة أخرى ، فجاء صوت تنفسها مقرقراً مزعجاً كالصفير .

قال تيرني : " هذه الأصوات كالموسيقى بالنسبة لأذني " .

فجأة . دفعت ليلى البخاخة بعيداً ، وسعلت في يديها ، فقال تيرني : " هنا " ، وقد أخذ من على الأريكة الأخرى المنشفة التي استخدمها في الليلة السابقة ليسند بها رأسه ودفع بها إليها .

سعلت ليلى في المنشفة ، فكان السعال يهز كل جسدها هزاً . ركع تيرني أمامها وأخذ يشجعها مغمغماً .

في النهاية ، توقف السعال ، فأنزلت ليلى المنشفة الملوثة عن فمها . فأخذها تيرني منها ، وبدت ليلى وكأنها ارتعبت من منظره ، فلم تدرك إلا في هذه اللحظة كم كان منظره مخيفاً .

مسح تيرني الثلج عن رموشه وحاجبيه ، وأنزل غطاء الرأس المتجمد بالجليد إلى ما تحت ذقنه قائلاً : " لست شبحاً . إنه أنا " .

كان صوت ليلى لا يكاد يسمع وهي تقول : " هل عدت ؟ لماذا ؟ " .

" لقد كانت هذه نيتي منذ البداية . كنت تظنين أنني سأدعك تموتين حتى أستطيع الفرار " .

أومأت برأسها .

" لو أنني وعدتك بأنني سأعود بدوائك . هل كنت تصدقينني ؟ " .

هزت رأسها ببطء بالنفي .

" حسناً . إذن فمحاولة إقناعك كانت ستجعلنى أضيع وقتاً ثميناً ، لذا لم يكن لدى خيار إلا أن أخرج وأنت تظنين فى أسوأ الظنون . لم يكن الخروج سهلاً " .

ارتكز تيرنى على مسند الكرسى ونهض واقفاً ، متحركاً كرجل يكبره بعقود ، كانت قدماه فى الحذاء فاقدة الإحساس ، فلم يكن يشعر بالأرضية تحت قدميه وهو متجه نحو المدفأة ليضع عدداً من قطع الخشب فى المدفأة ، ولكى يعيد إشعال النار فى الجذوات الخامدة ، وانحنى وأخذ ينفخ فيها برفق ، فعادت النار إلى الاضطرام ، وسرعان ما أخذت ألسنة اللهب الجائعة تلعق قطع الأخشاب .

تخفف تيرنى من حقيبته ووضعها على الأرضية ، ثم دفعها إلى أسفل المائدة بمقدمة حذائه . وفك غطاء الرأس عن رقبته ، وأنزل بطانية الاستاد والقبعة عن رأسه ، ثم وضعها مع معطفه على أحد الكراسى القريبة من المنضدة حتى تجف ، وأخذ يربت مؤخرة رأسه ويتحسسها ، ثم نظر فى أصابعه ليرى إن كان بها دم جديد أم أن الجرح لم ينزف بعد أو أن الدم قد تجمد ؟

جلس تيرنى على الأريكة مقابل ليلى وأخذ يفك رباط حذائه ، وتردد فى خلع حذائه الأيمن لعلمه أن كاحله قد يتورم بشدة بشكل يجعله غير قادر على ارتداء الحذاء مرة ثانية .

لكن إن لم تعد الدورة الدموية إلى قدمه ، فقد يفقد أصابعه بسبب شدة البرد .

صر تيرنى على أسنانه من الألم ، وأخذ يخلع رجله من الحذاء المبتل وينزع جوربه ، فوجد أن كاحله متورم بعض الشىء ، لكن ليس على النحو السيئ الذى توقعه لشدة الألم

الذى شعر به . ولم ير تيرنى أى أثر لقرصة البرد ، لكنه أخذ يدلك أصابعه بخشونة ، فشعر بألم شديد حين بدأ الدم يتدفق إليها مرة أخرى ، فكان هذا يعنى أن الشعيرات الدموية لم تتجمد إلى حد يستحيل علاجه .

وبينما كان تيرنى يفعل كل ذلك ، كانت ليلى لاتزال تجلس مفتوحة العينين عن آخرهما لا تنبس ببنت شفه ، وهى تحملق فيه وكأنه شبح . راح تيرنى يتحرك ببطه كى لا يروعها ونهض من مكانه ثم ذهب إلى الأريكة ليجثو أمامها مرة أخرى . حاول تيرنى أن ينطق باسمها ، لكن خرج صوته مبحوحاً وهو يقول : " هل أنت بخير الآن ؟ " .

لم تزد عن أن هزت رأسها مرة واحدة .

قال تيرنى : " يا إلهى ! لقد نسيت أقراصك " ، ثم وجد الزجاجة البلاستيكية الصغيرة تحت أحد الكراسى ، وأحضر لها كوب ماء من المطبخ . استخدمت ليلى البخاخة الثانية . ثم ابتلعت أحد الأقراص ، وبينما كانت تشرب الماء ، لاحظ تيرنى أن لون شفتيها بدأ يعود إلى شكله المعتاد ، فبث ذلك فى نفسه الثقة فى أنها بدأت تحصل على ما يكفى من الأكسجين ، رغم أن صوت تنفسها كان لايزال مزعجاً .

قال تيرنى : " هذه البخاخة جيدة . لم أكن أعلم أيهما يجب استخدامها فاعتمدت على التخمين ، وأظننى اخترت البخاخة الصواب " .

أومأت ليلى نصف إيماءة .

جال بنظراته فوق وجهها ورآها وقد بدأت تتحرك وتتنفس ، ورأى الدماء تعود إلى ملامحها ، لكنه كان يخشى أن يكون ذلك

من قبيل الهلوسة ، مثلما حدث له كثيراً فى طريق عودته من مكان السيارة .

كانت ليلى تحتل مركز كل هلاوسه ، وفى بعضها رآها وقد عاد إليها فوجدها زرقاء الجسد من البرد ونقص الأكسجين ، ميتة ، لاحراك فيها ، وفى بعضها الآخر رآها مشرقة تتوهج بالدفء والحياة .

وفى الحقيقة ، لم تكن ليلى لا ميتة ولا مشتعلة بالدفء ، لكنها كانت تعانى من الدوار . قال تيرنى : " لابد أنك غبت عن الوعى قبل أن أدخل مباشرة ، فقد ناديت باسمك عدة مرات لكنك لم تردى ، بل لم تتحركى أيضاً ، وكان صدرك ساكناً تماماً . لقد أرعبنى ذلك " ، ثم بدأ صوته يتهدج وهو يقول : " لقد حسبت أننى جئت بعد فوات الأوان " .

وفى صوت لا يكاد يسمع إلا همساً ، قالت ليلى " وكذلك أنا " ، ثم ثقلت ملامحها وامتلأت عيناها بالدموع ، وكأن سدا كان يحجز دموعها وانهار فجأة .

جاء رد فعله تلقائياً ، وفى لمح البرق كان بجوارها على الأريكة يطوق كتفها المرتعش بذراعه قائلاً : " لا بأس الآن . لقد حدث ، وأنت مازلت حية " .

انهارت ليلى على صدره ، فرفعها ووضعها على حجره كطفلة صغيرة ، ثم أحاطها بذراعيه ووضع رأسه فوق رأسها ، فشعر بيدها تقبض بقوة على سترته برد فعل منعكس .

أخذ يمسح شعرها بيديه قائلاً : " هونى عليك يا ليلى . لا تبكى . لا تنسى أنه ليس من المفترض أن تبكى ، فلست فى حاجة لأن يتسبب البكاء لك فى نوبة أخرى " .

رفع تيرنى رأسها وسلك شعرها المتشابك ، وحمد الله أن ملامحها لم تعد تحمل صفرة الموت ، ثم أمسك برأسها بين يديه وأخذ يمرر إبهامه على خدها ليمسح دموعها .

نظر تيرنى فى عينيها مباشرة ثم قال : " لم يكن ليمنعنى من العودة سوى الموت فى الخارج " .

نظر إلى وجهها فوجد أن الحياة بدأت تعود له مرة أخرى وأن شفتيها قد عاد إليها لونهما القرنفلى وقد بللهما ماء الشرب أو دموعها ووجد جلد وجهها ناعماً ينبض بالحياة .

نهض تيرنى وهو يرفعها معه ، وحملها إلى نهاية الأريكة حيث نزل وأنزلها معه إلى حاشية الفراش ، وجلس مرتكزا إلى مسند الأريكة ، ومد رجله نحو المدفأة وليلى على حجره .

أعاد رأسها إلى صدره . فأراحت خدها عليه ، ثم تناول إحدى البطاطين ووضعها عليهما ، ثم قربها منه ووضع ذقنه على قمة رأسها .

استكانت ليلى لما يفعله تيرنى ، فلم يخدع نفسه بالقول إنها تلعب دور الحمل الوديع لأنها تثق به ، فلقد رأى الرسالة التى نقشتها على خشب الخزانة الموجودة بالمطبخ . لذا فهى تسمح له باحتضانها لأن الصدمة التى أصابتها جعلتها مرهقة .

بعد أن نامت بفترة طويلة ، حدق تيرنى فى ألسنة اللهب ، وشعر باللذة والشقاء فى وقت واحد لكونها قريبة منه هذا القرب . من حين لآخر ، كانت أصابعها تشتبك بصوف سترته . فكان يحب أن يقنع نفسه بأنها تريد أن تتأكد من أنه مازال معها . رغم أن هذا قد يكون ببساطة فعلاً منعكساً بسبب توتر وقلق عقلها الباطن .

حاول ألا يفكر فى ذلك اليوم الرائع الذى قضياه معاً فى ذلك اليوم من الصيف الماضى .

لقد كان يحب ليلى بشدة ، وأراد أن يمتلكها ولكنه كان عليه الآن أن يقاوم رغبته تلك .

ثم راح فى النوم .

استيقظت ليلى فوجدت نفسها إلى جواره ، وشَعرت على الفور بأنه كان مستيقظاً . نهضت ليلى ، لكنها نحت وجهها جانباً بسبب حيائها .

كان كل ما قاله : " إن النار تحتاج إلى إذكائها " .

نهضت ليلى جالسة برفق قدر المستطاع ، واضطر هو إلى استخدام المسند ليرفع نفسه ، ولاحظت ليلى تغضن ملامحه من الألم وسألته عن حادثه .

" أحس ببعض الصداع " .

قالت : " لم يكن ينبغي أن تتركنى نائمة كل هذه الفترة . لابد أن الأمر لم يكن مريحاً بالنسبة لك " .

" لقد نمت أنا أيضاً ، واستيقظت منذ بضع دقائق " .

" كم من الوقت استغرقنا فى النوم ؟ " .

نظر فى ساعة معصمه ، ثم قال : " أربع ساعات " .

أربع ساعات ! أربع ساعات ؟ كيف استطاعت أن تنام بسلام كل هذه المدة بين ذراعى رجل تعتقد أنه الأزرق ؟ لابد أن تجربتها فى الإشراف على الموت قد شوشت على تفكيرها .

نظر إليها من شعرها حتى قدميها ، ثم قال : " كيف تشعرين ؟ " .

قالت ليلى : " أحسن بكثير . أحسن مما كان يخطر ببالى ، بالنظر إلى حدة النوبة التى مررت بها " ، ثم توقفت وقالت بهدوء : " لم أشكرك " .

" بل فعلت " .

" لا . لقد أصابنى انهيار عاطفى ونوبة بكاء " .

" لقد وصلتنى الرسالة " .

" لكننى لم أعبر عنها بالكلمات ، ينبغى أن أفعل . أشكرك يا تيرنى " .

قال تيرنى : " على الرحب والسعة " . ومرت ثوان قبل أن يستدير عنها ويتجه نحو الكرسى الذى ترك عليه معطفه .

" إن جرحك أصبح أسوأ " .

" نعم . فقد التوى كاحلى فى طريقى إلى السيارة ، ومن حسن الحظ أنه لم ينكسر " .

" ماذا حدث ؟ " .

قال تيرنى : " لم أكن أرى موضع قدمى و ... " ، وأشار إشارة تدل على أنه لا أهمية لذكر مدى إصابته ، وتابع قائلاً : " سأكون بخير " .

قالت ليلى وهى تشير إلى الكيس الحريرى الموجود على مائدة القهوة : " هل كان هذا تحت لوحة أجهزة القياس " .

قص عليها تيرنى كيف وصل إلى السيارة فى النهاية بعد أن كاد يفقد الأمل وقال : " كانت السيارة مغطاة تماماً بالجليد ، وقد تراكم الثلج تحتها ، وكان يبدو أن بابها لن ينفتح " .

لكنه فتحه . كان أصعب جزء ـ كما قال تيرنى ـ هو مقاومة حاجته وشعوره الملح إلى الراحة ، فقد كان يعلم أنه لو فعل ذلك لأصبح معرضاً لخطر الاستسلام للنوم والتجمد .

" بمجرد أن دخلت السيارة ، أعطيت نفسى ثلاثين ثانية لالتقاط أنفاسى . ثم بدأت العمل . كان على أن أدخل ذراعى خلال الفجوة التى تفصل لوحة أجهزة القياس عن كرسى الراكب ، وكان اتساعها لا يزيد عن بضع بوصات " .

اضطر تيرنى إلى أن يمد ذراعه كلها قبل أن يشعر أخيراً بالكيس الحريرى . تابع تيرنى قائلاً وهو يجسد ما يقوله :

" أمسكت بجزء من القماش بين إصبعين من أصابعى ، وكنت أخشى أن أدفع الكيس إلى مكان بعيد عن متناول يدى ، لكننى استطعت أن أجذبه ناحيتى حتى أمسكت به بشكل أفضل " .

" عندئذٍ كان عليك أن تقطع رحلة العودة ، وأنت تعانى من ارتجاج فى المخ وكاحل ملتو " .

قال تيرنى : " المهم هو أننى تمكنت من الوصول فى الوقت المناسب " . ثم نظر إلى المدفأة قائلاً : " سنحتاج إلى المزيد من خشب الوقود قبل انقضاء الليل " .

" هل ستذهب إلى الخارج حافى القدمين ؟ " .

كان قد ارتدى معطفه ، لكنه كان يسير نحو الباب حافى القدمين ، وقال : " لا أنوى البقاء فى الخارج طويلاً ".

خرج تيرنى إلى البهو وأغلق الباب وراءه سريعاً . كانت ليلى بالقرب من الباب لتفتحه عندما عاد وهو يحمل قدراً من أخشاب الوقود . شكرها تيرنى وهو يرص الأخشاب أمام المدفأة قائلاً :

" لقد رأيت الرسالة التى تركتها على خزانة المطبخ " .

لم تكن ليلى تدرى كيف تردٍ ، لذا لم تقل شيئاً .

نهض تيرنى وواجهها قائلاً : " لست الوحيدة التى تظن فىٌ هذا الظن . لقد أدرت محرك سيارتك وأدرت الراديو متمنياً أن أستمع إلى تقرير جوى " .

شعرت ليلى بهاجس غير مريح مما سيقوله تيرنى .

قال تيرنى باقتضاب : " إن مكتب التحقيقات الفيدرالية يبحث عنيٍ " ، ثم تجاوزها فى طريقة إلى البهو مرة أخرى ، وتابع قائلاً : " من الواضح أن أحد اتصالاتك بـ " دتش " قد بلغه على أية حال " . وأغلق الباب وراءه .

ارتخت ليلى على الأريكة ، وكانت ترتعش ، لكنها كانت غير متأكدة مما إذا كان ضغطها بسبب الارتياح أم الإحباط ؟ لو أنه الأزرق ، فهذه أخبار جيدة ، لكن لو أنه ليس الأزرق تكون قد اتهمت رجلاً بريئاً .

وسط موجة من الجليد المنهمر ، دخل تيرنى يحمل قدراً آخر من خشب الوقود وركل الباب مغلقاً إياه ثم قال : " قالوا فى النشرة الجوية إن العاصفة تنتهى الليلة ، وستبقى درجات الحرارة أقل من الصفر بكثير ، لكن الأوضاع ستتحسن " .

ثم تابع رص قطع الخشب أمام المدفأة ، وكان صوته طبيعياً لا أثر فيه للاهتمام وهو يقول : " ستبقى الطرق لعدة أيام غير صالحة للمرور ، لكن مع بعض الحظ ستكون هناك فرصة لإنقاذك فى الغد " .

" تيرنى ——— "

قاطعها تيرنى بجفاء قائلاً : " لايزال علينا أن نحتمل هذه الليلة رغم ذلك " ، ثم استدار نحوها وهو ينفض يديه قائلاً : " لابد أن هذا احتمال مقلق جداً بالنسبة لك " .

أشار تيرنى نحو حقيبته الموجودة تحت المائدة قائلاً : " تعرفين مكان المسدس والقيود إن كنت فى حاجة إليهما . مادمت قد حصلت على دوائك وعلى ما تحتاجينه من خشب الوقود ، تستطيعين الاعتماد على نفسك حتى تصلك المساعدة " .

قالت ليلى : " هل ستنصرف ؟ " ، وكانت تشعر بالذهول لخوفها من أن ينصرف مرة أخرى .

ضحك تيرنى ضحكة مريرة قائلاً : " أحب أن أفعل ذلك . لكنى لن أنصرف ، فالآن وقد أذاع الراديو اسمى ، لابد أن كل من معه بندقية صيد يبحث عنى الآن ، ويصبح جلدى هو تذكار الصيد هذا الموسم ، وفى حالة كهذه سأكون صيداً سهلاً . .

لن أنصرف ، فمتى أحصل على بعض الطعام والراحة ، سأظل مزعجاً لك ، لكن لا أريدك أن ترتعبى فى كل مرة أقترب منك فيها ، لذا فإن كنت تريدين تقييدى إلى السرير مرة أخرى فسأستسلم فى هدوء ، ليس عن رغبة تامة ، ولكننى لن أتعارك معك " .

أحنت ليلى رأسها ونظرت إلى الأرض ، نظرت إلى جوربها ، ثم إلى أصابع قدميه العارية التى تبرز من تحت طرف بنطاله الجينز المبتل ، وقالت : " لن يكون ذلك مهما يا تيرنى " .

" لم تعودى خائفة منى ؟ " .

نظرت إليه وقالت ببساطة : " لو أنك الأزرق ، لما عدت إلى هنا " .

" لكن ألا ترين يا ليلى أننى كنت مضطراً للعودة كى أنجو بنفسى . كنت سأموت بطريقة أو أخرى فى الخارج".

" لكن لم تكن مضطراً إلى إنقاذى من الموت . لو كنت الأزرق لتركتنى أموت " .

" وأين كنت سأحصل على المتعة والإثارة ؟ إن مشاهدتك وأنت تموتين ليست كإزهاق روحك بيدى . ليست هذه كتلك على الإطلاق " .

تفرست ليلى فى ملامحه لحظة طويلة وهى تبحث فى عينيه عن إجابات لأسئلة تفاداها بحذر من خلال توجيه مزيد من الأسئلة أو بالصمت أو الكذب أو بتقمص دور محامى الشيطان . لقد كان بارعاً فى هذه اللعبة ، لكنها سئمت اللعب .

قالت بإرهاق : " لا أعرف من تكون يا تيرنى ، أو ما تريده . لكننى لا أعتقد أنك تنوى إنهاء حياتى ، وإلا لكنت الآن ميتة " .

استرخى تيرنى فى وقفته وانبسطت ملامحه وهو يقول : " إنك محقة حين تثقين بى يا ليلى " .

" لا أثق فيك على الإطلاق . لكنك أنقذت حياتى " .

" أظن أن هذا أفضل من لا شىء " .

" على الأقل ينجيك هذا من القيود " .

" لكنه لا يعيدنا إلى حيث كنا فى ذلك اليوم عند النهر . ماذا يجب أن أفعل ؟ ماذا تريدين حتى أعود إلى تلك المكانة يا ليلى ؟ " .

لم يتحرك تيرني . ولم تتحرك هى أيضاً . لكن بدا أن المسافة التى تفصل بينهما هى التى ضاقت وظلت تضيق حتى تحركت جذوة بالمدفأة وتصاعد الشرر منها عبر المدفأة مبددا حالتهما المزاجية .

أومأ تيرنى برأسه نحو الباب قائلاً : " حين تفتحين الباب لى يسهل ذلك لى الأمور " .

أبقت ليلى الباب مفتوحاً فى أثناء قيامه بعدة رحلات إلى البهو لإحضار خشب الوقود ، وفى آخر رحلة له إلى الخارج ، أخذ معه دلواً معدنياً كانا قد ملآه بماء الشرب وأصبح الآن فارغاً " .

حين عاد ، كان الدلو مملوءاً بالثلج . قال تيرنى : " أريد أن استحم " . وأخذ عدة جذوات من المدفأة ووضعها على الأرض أمام المدفأة ووضع الدلو فوقها . وسرعان ما بدأ الثلج فى الذوبان .

" للأسف ، سأضطر إلى الاستحمام كما تستحم النساء بالإسفنجة " .

قالت ليلى : " كما تستحم النساء ؟ " .

" ألم تسمعى بهذا من قبل ؟ " .

" لم أسمع به منذ أن ماتت جدتى " .

" لقد عرفت ذلك جدتى أيضاً ، وكان جدى أيضاً يخبرنى بالكثير من الأشياء ، وكانت جدتى غالباً ما يعتريها الغضب بسبب ما يقوله " .

" ومتى كان يحدث ذلك ؟ " .

قال تيرنى : " كل يوم ، فهما اللذان ربيانى " .

وبينما كانت ليلى تفكر فى ذلك ، اختفى تيرنى فى غرفة النوم وعاد ومعه بعض المناشف .

" لم يعد هناك سوى منشفتين غير ملطختين بدمائى " .

" كيف حال رأسك ؟ " .

قال تيرنى : " أفضل الآن . لقد آلمتنى رأسى عدة مرات وأنا فى الخارج " . وأومأ برأسه نحو الباب . ثم غمس إصبعه فى دلو الماء قائلاً : " لا أظن أنه سيصبح أدفأ من ذلك . هل تحتملينه هكذا ؟ " .

" لقد ظننت أنه لك " .

" ستأخذين أنت هذا الدلو " .

" لا ، شكراً " .

أغضبه ردها المقتضب ، فقال : " سأظل فى غرفة النوم حتى تخبرينى بأنك انتهيت . هل يشعرك هذا بأن أحداً لن يفتشك ؟ " ، ثم أخذ نفساً عميقاً وأرخى رأسه وأخذ يهزها ثم أخرج الهواء من صدره مع الغضب الذى يحتمل به . ثم تابع قائلاً : " لقد اعتقدت أنك ستحبين الاستحمام ، هذا كل ما فى الأمر " .

أجدى هذا التوبيخ مع ليلى ، حيث تناولت حقيبة يدها . كان بين محتويات حقيبة اليد زجاجة بلاستيكية صغيرة بها صابون استحمام سائل . مدت ليلى يدها بالزجاجة تصالح تيرنى قائلة : " ساثرون منجوليا . سأعطيك بعضه " .

قال تيرنى : " فليكن ذلك . إن الساثرون منجوليا سيكون أفضل بكثير من الرائحة التى تغطيها جلدى الآن " ، ودخل غرفة النوم قائلاً : " خذى راحتك " ، وأغلق الباب .

خلعت ليلى كل ملابسها واغتسلت سريعاً . اقشعر جسدها المبتل من البرودة رغم أنها كانت تقف تقريباً فى المدفأة ، إلا أن أسنانها كانت تصطك بشكل لاإرادى . ومع ذلك ، فقد استخدمت الماء الفاتر وقماشة الاستحمام والصابون أفضل استخدام ، ثم جففت جسدها سريعاً وفتحت باب غرفة النوم قائلة : " انتهيت ، وكان الأمر رائعاً " .

كان تيرنى ملتفاً ببطانية أخذها من السرير ، لكنه كان مازال يرتعد . أغلق تيرنى باب غرفة النوم قائلاً : " الجو شديد البرودة بالنسبة لك فى الداخل ، واستنشاق ذلك الهواء قد يتسبب فى نوبة أخرى " .

" لقد أخذت دوائى " .

قال تيرنى بعناد : " لن تدخلى . إن رؤيتى لك تشرفين على الموت مرة واحدة يكفى ، شكراً " .

" أكره أن يفوتك حمامك " .

" لن يحدث هذا . أنا لست غبياً " .

حمل تيرنى ماء اغتسالها إلى الخارج وألقاه بعيداً وأعاد ملء الدلو بالثلج . فى أثناء انتظار تيرنى حتى ينصهر الثلج ويصبح الماء دافئاً ، كانت ليلى تفتش فى المطبخ قائلة : " لدينا بعض الأوانى ، هل تعتقد أن بإمكاننا تسخين بعض الحساء فى المدفأة ؟ " .

" بالتأكيد " .

نظرت ليلى وراءها فلمحته ينزع سترته من فوق رأسه بالطريقة التى يصعب تفسيرها ككل الرجال ، بشكل جعل شعر رأسه يقشعر ، وإذا به بعد ذلك يخلع ذراعيه منه .

لذا انتقلت ليلى إلى نافذة غرفة المعيشة وأزاحت الستار قائلة : " ربما يكون هذا تخيلاً . إلا أن الثلج يبدو أنه خف قليلاً " .

" أظن أن خبراء الأرصاد الجوية كان عندهم حق " .

" أظن ذلك " .

سمعت القرقعة المعدنية لحزامه وهو يصطدم بجسد المدفأة الصخرى حين سقط بنطاله الجينز على الأرض والصوت الهامس لقماشة الاستحمام وهى تدلك جسده ثم الطرطشة اللطيفة للماء حين يغمر قطعة الاستحمام فى الدلو .

وضعت ليلى طرف إصبعها السبابة على إفريز النافذة البارد ورسمت خطاً رأسياً فى الصقيع قائلة : " لا أظن أن أياً من اتصالاتى بـ " دتش " قد بلغته " .

شعرت ليلى أنه توقف تماماً عن الحركة ووقف ساكناً بالكلية محدقاً فى ظهرها . بعد لحظات ثقيلة عديدة ، سمعت صوت الماء وعلمت أنه يستأنف سماعه .

" إن هذا يعنى أن دتش لم يعرف أنك أنت الأزرق . إذن ، فإذا لم يكن دتش قد أبلغ عنك رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية ، فلابد أنهم كانوا يبحثون عنك من تلقاء أنفسهم . لماذا يا تيرنى ؟ " .

" يمكنك أن تسأليهم حين يأتون إلى هنا " .

" أفضل أن تخبرنى أنت بذلك " .

لم يقل تيرنى شيئاً لفترة طويلة جعلت ليلى تظن أنه سيتجاهلها . لكنه تكلم أخيراً قائلاً : " تلك الفتاة ، ميليسنت جان كنت أعرفها من مَحل الأجهزة الرياضية التى كانت تعمل

به ، وكنت هناك أشترى بعض الجوارب قبل الإبلاغ عن اختفائها بأيام - أو ربما فى نفس اليوم . أنا واثق من أنهم يتحرون عن أى شخص كانت له علاقة بها " .

" هل هذا ما قالوه فى الراديو ، أنهم يتحرون عن الجميع ؟ أم أن اسمك هو الاسم الوحيد الذى ذكروه ؟ " .

" ربما أكون أنا الشخص الوحيد الذى لم يستطيعوا الوصول إليه " .

كان هذا تفسيراً ، لكن لو أن هذا كل ما فى الأمر ، فلماذا أزعجه الموضوع إلى هذه الدرجة ؟ كما أنها تشك فى أن يذاع اسمه لو أن رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية لا يرون الأمر مجرد تحقيق روتينى .

" لو أننى لم أتمكن من نقش اسمك على الكابينة ، أعتقد أنه كان بإمكانى كتابته على الصقيع الموجود على النافذة " .

اكتشفت فجأة أن هذا ما فعلته بالضبط ، فمثل فتاة مراهقة تكتب اسم حبيبها على غلاف كتابها ، دون حتى أن تدرى أنها تفعل ذلك ، كانت قد كتبت اسمه على الصقيع .

شعرت ليلى بالخجل والغضب من نفسها ، فمسحت الاسم عن الزجاج . إلا أنها رأت انعكاس صورته فى زجاج النافذة وفى الماء الذى خلفته يدها عليها يقف وقد سقط الضوء المنبعث من المدفأة على ظهره .

انفرجت شفتاها فى محاولة سريعة لاستنشاق الهواء ، لم يكن تيرنى يعلم أنها تنظر إليه وهو ينحنى ليغمر قطعة القماش فى الدلو ، ثم وهو يعصرها قبل أن يضعها على صدره ويحركها بحذر على أضلاعه المصابة بكدمات وعلى بطنه المشدود .

أغمضت ليلى عينيها وضغطت جبهتها إلى إفريز النافذة ، فقد كانت دماؤها تتدفق حارة غزيرة ، وكان الطنين فى أذنها عالياً جداً لدرجة أنها لم تسمعه حين قال : " كان بمقدورك أن تفعلى ذلك . إن الزيت الذى ينزل من جلد الإنسان من الممكن أن يخلف أثراً على الزجاج يدوم حتى يتم غسيل النافذة " .

عم يتحدث ؟ لا تستطيع حتى أن تتذكر . رفعت ليلى رأسها ، ولكى تمنع نفسها من النظر إليه مرة ثانية ، أعادت الستارة مرة أخرى فوق النافذة قبل أن تفتح عينيها .

قال تيرنى : " أكاد أنتهى " ، وسمعت ليلى خشخشة الجزء المعدنى من حزامه حين رفع بنطاله الجينز . بعد ذلك ببضع ثوان قال : " يمكنك الالتفات الآن " .

حين ذهبت إلى موضعه ، لم تنظر إليه بشكل مباشر ، لكنها لمحته بطرف عينها يدخل عنقه فى رقبة سترته . دخلت ليلى المطبخ قائلة : " سأعد الحساء " ، وكانت تحتفظ بهدوء صوتها بمعجزة .

" حسناً ، فأنا جائع " .

خرج ليفرغ محتويات الدلو ، وحين انضم إليها فى المطبخ كانت قد أفرغت علبة من الحساء المعلب فى صينية وأضافت بعض ماء الشرب إليها .

قال تيرنى : " أشكرك على الساثرون ماجنوليا " .

" على الرحب والسعة " .

" إننى أكره أن أطلب منك هذا مرة أخرى ، لكن هل يمكنك أن تفحصى جرح رأسى ؟ " .

" بالطبع " .

مثل المرة السابقة ، امتطى تيرنـى أحـد الكراسـي ، ووقفت ليلى وراءه وفرقت شعره المبتل ؟ هل كان شعره مبتلا ؟ لابد أنـه غمر رأسه في ماء الدلو ، خجلت ليلى من نفسها بشدة لما رأته .

قالت ليلى : " لا دماء جديدة ، لكن ربما يجدر بى استبدال الضمادة " .

نظفت ليلـى الجـرح بضـمادة مطهـرة ، ثـم سـارا فـى نفس الخطوات المؤلمة التى مرا بها الليلة السابقة ، حيث قصت ليلـى الجزء الضاغط من الضـمادة إلى شـرائح مسـتخدمة مقـص العنايـة بالأظافر ، ثم وضعتها متعامـدة علـى الجـرح . حاولـت ليلـى أن تقوم بالمهمة بمهارة قدر المستطاع ، لكن مشاعرها كانت مرتبكة . شعرت به عدة مرات يجفل من الألم بشكل يضطرها إلى الاعتـذار عن إيلامه .

قاما بتسخين إناء الحسـاء فـى المـدفأة وتنـاولاه وكـل منهمـا يجلس على حاشية الفراش على هيئـة تقـاطع الأرجـل ، وحـين اكتشف أنهما كانا يتضوران جوعاً ، قاما بتسخين علبة أخرى .

فى منتصـف تناولهما لمحتوى العلبة الثانية ، قـال تيرنـى : " ليلى ، هل أنت بخير ؟ " .

رفعت رأسها مندهشة وقالت : " لماذا ؟ " .

" إنك صامتة بشكل مخيف " .

قالت كاذبة : " إننى مرهقة فقـط " ، ثـم عـادت إلى تنـاول حسائها .

قاما بإطالة وقت تناول الحساء قدر اسـتطاعتهما ، لكـن بعـد أن انتهيا ، كانا أمامهما ساعات رهيبة أخـرى لـيس لـديهما مـا يفعلانه فيها .

بعد عدة دقائق من الصمت الذى لم يكن يقطعه سوى طقطقة الأخشاب فى المدفأة قال تيرنى : " خذى راحتك فى النوم متى تشائين " .

" لا أشعر بالنعاس " .

" قلت إنك مرهقة " .

" صحيح ولكنى لا أشعر بالنعاس " .

" هذا ما أشعر به أيضاً ، فإننى متعب ، لكنى يقظ ملء جفونى " .

" تلك القيلولة الطويلة ــــ "

" نعم " .

أعقب ذلك فترة أخرى من الصمت . نظرت إليه ليلى أخيراً وقالت : " لماذا رباك جدك وجدتك ؟ " .

" مات والدى ووالدتى فى حادث سيارة ؛ فقدت كانت هناك شاحنة قائدها يقود بسرعة شديدة ولم يهتم بالتنبيهات التى كانت تحذر من أعمال إصلاح فى الطريق ، ولم يستطع الإبطاء فى الوقت المناسب فاصطدم بسيارتهما ودمرها سيارتهما ، واستمر إخراج أوصالهما من بين الحطام عدة ساعات " .

لم تخدعها لهجته التلقائية ، فلم يكن باستطاعته إخفاء المرارة التى تظهر فى كلماته .

" أخفوا عنى التفاصيل فى تلك الآونة ، لكن بعد ذلك بسنوات ـ حين كبرت بما يكفى للسؤال عما حدث ـ جعلنى جدى أقرأ تقرير الجريدة عن الحادث . فقد جداى ابنتهما ،

وأصبحت يتيماً . بينما نجا سائق الشاحنة المهمل دون أن يخدشه خدش " .

" كم كان عمرك آنذاك ؟ " .

قال تيرنى : " حين حدث ذلك ؟ ثمانية أعوام . كان والدى ووالدتى ذاهبين لقضاء عطلة نهاية أسبوع طويلة للاحتفال بالعيد العاشر لزواجهما وتركانى مع جدىَّ " ، وتناول مذكى النار وأخذ يقلب الجمرات .

" بعد الجنازة ، حين أدركت أن ما حدث لم يكن حلماً مزعجاً . رفضت العودة إلى بيتنا . أخذنى جدى إلى البيت لحزم حاجياتى . لكننى توقفت فى الفناء ورفضت الدخول . لم أكن أستطيع دخول تلك الغرف مرة أخرى وأنا أعلم أن والدىَّ ليسا هناك ، ولن يكونا هناك أبداً " .

قالت بهدوء : " كنت تحبهما ؟ " .

هز كتفيه فى خجل قائلاً : " كنت طفلاً . وأنظر إلى أى شىء يفعلاه لى على أنه مسلم به ، لكن ... نعم ، كنت أحبهما . كان جدىَّ لا بأس بهما أيضاً . فرغم أننى لابد كنت مقلقاً لراحتهما بشكل كبير ، لم يجعلانى أبداً أشعر بذلك . فى الحقيقة ، لم أشك أبداً فى أنهما كانا يحبانى " .

" هل عدت إلى منزلك بعد ذلك مطلقاً ؟ " .

" لا " .

وضعت ذقنها على ركبتها المرفوعتين وتأملت جانب وجهه قائلة : " أنت بعيد عن البيت الآن أيضاً ، فحياتك العملية تبعدك عنه لفترات طويلة " .

ابتسم لها ابتسامة ساخرة قائلاً : " أراهن أن الأطباء النفسيين سيكون لهم شأن مع هذا " .

" هل كان اختيارك لمهنتك غير مقصود ؟ أم عن تعمد ؟ " .

" كانت زوجتي تظن أنه اختيار عن تعمد " .

" زوجتك ؟ "

" في الزمن الماضي . تزوجنا لمدة وصلت إلى ثلاثة عشر شهراً " .

" متى كان ذلك ؟ " .

" منذ زمن طويل . لقد كان عمري وقتها لا يكاد يعطيني الحق في التصويت ، فضلاً عن الزواج . ما كان يجب أن أفعل ذلك . لقد كنت أنانياً ومؤثرا لنفسي ، ولم أكن مستعداً للاستقرار . وبكل تأكيد غير مستعد لأن أكون مسئولاً أمام أي أحد . كانت شهوة المغامرة لديّ هي شكاياتها الرئيسية ، بالإضافة إلى شكايات أخرى ، ولكنها كانت مستمتعة " ، وكان يقول ذلك بابتسامة مريرة .

لقد ظل فقدانه لوالديه مؤثراً فيه حتى بعد بلوغه ، حيث كان يؤثر على قرارته وعلى زواجه . ما هي الندوب العاطفية والنفسية الأخرى التي تركتها تلك المأساة على " بين " ذي الثماني سنوات ؟ هل شوهت روحه وجعلتها منحرفة ؟ لم يعد يتشبث بالأرض لعدم الدخول إلى المنزل ، لكن لابد أنه وجد قنوات أخرى للتنفيس عن غضبه .

هل هو الأزرق ؟

فإن الشريط والقيود وتضارب كلامه ومحاولاته للتخلص والمراوغة أدلة لا يمكن غض الطرف عنها . إذا كان الراديو قد

أذاع أن شرطة كليرى تبحث عنه ، فلابد أن إحدى مكالماتها إلى دتش قد بلغته . لكن ماذا عن مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ هناك أشياء متعددة فى تفسيره لاهتمام مكتب التحقيقات الفيدرالية به .

لكن حين نظرت ليلى إليه ، سألت نفسها للمرة الألف كيف يمكن أن يكون تيرنى رجلاً يختطف النساء ويقتلهن بعد ذلك بكل تأكيد . لو أن هناك مريضاً نفسياً يعيش بداخله خلف هاتين العينين لعلمت ليلى ذلك بكل تأكيد . إن بعينيه مشاعر قوية ، هذا صحيح ، فغالباً ما تلمعان بالغضب أو الضيق ، لكنهما تفتقدان البريق الجنونى المشكل لسفاح أثيم .

والأكثر دلالة من كل ذلك هو أنه لم يؤذها . فى الحقيقة ، لقد خاطر بحياته لإنقاذ حياتها . لقد كان الصوت الذى سمعته ينضح بالعاطفة والخوف ويناديها فى غيبوبتها تلك صوته بعد ذلك ولعدة ساعات ، لم يهتم بتعبه وأحضر لها دواءها وكان يلمسها بلطف و ـــــ "

توقفت أفكارها عند شىء مفاجىء أدركته . لقد كانت اللمسات التى تظن أنها جزء من حلم بديع ليست حلماً على الإطلاق .

وكأنه يشعر بأفكارها ويتناغم معها ، استدار تيرنى إليها ونظر إليها بعينيه الزرقاوين قائلاً : " أظن أنه حان وقت النوم " .

الفصل

٢٤

لم يكن لدى ابنة بيتسى كالهون الكثير لتقوله للعميلين بيجلى وهوت لذا فقد اكتفت بمشاركتهما كوبين من الشاى الساخن وبعض الكعك المنزلى المصنع . قالت ابنة بتسى إن زوجها خارج المدينة لشراء بضائع لمتجر التجهيزات المكتبية الخاص بهما فى شارع مين ستريت ، وبكت حين أخبرتهما بآخر مرة رأت فيها أمها .

" لقد مررت بمنزلها للاطمئنان عليها ، وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت لاتزال بلباس النوم " .

كما خمن بيجلى ، كانت بيتسى كالهون تعانى اكتئاباً مرضياً بسبب فقدها لزوجها .

قالت ابنتها : " كانت أمى نادراً ما تترك منزلها " ، وراحت شاردة تربت ظهر القطة الصفراء التى تحركت من إفريز النافذة إلى حجرها بعد وصولهما بفترة قصيرة ، ثم تابعت قائلة : " كنت أشجعها أن تشترك فى أنشطة المجتمع ودور

العبادة ، وأن تتطوع للعمل الخيرى أو تفعل شيئاً . لكن بدون والدى ، لم يكن لديها الدافع لفعل أى شئ " .

قال هوت : " إذا لم تكن الذاكرة قد خانتنى . فأعتقد أنه تم العثور على سيارتها فى مكان انتظار السيارات الخاص بالبنك " .

قالت ابنة بيتسى : " يعد هذا لغزاً ، فهى لم تكن قد ذهبت إلى البنك لشهور مضت . منذ أن مات والدى ، كنت أتولى كافة شئونها المالية . لا أعلم سبباً لوجود سيارتها هناك ، إلا أن تكون قد أخذت بنصيحتى فى الخروج من المنزل من آن لآخر " ، ثم مسحت عينيها بمنديل مطرز وقالت : " حين عثروا عليها وبها ذلك الشريط الأزرق اللعين مربوطاً إلى عجلة القيادة ، علمت أن شيئاً فظيعاً قد حدث " .

" هل من المحتمل أن تكون قابلت شخصاً ما فى ساحة انتظار السيارات ؟ " .

" مثل من ؟ " .

قال بيجلى بصبر ليس من عادته : " هذا هو ما نسأل بشأنه ، نحن نتمنى أن نعرف من عساه يكون هذا الشخص " .

" لقد أرهقت ذهنى فى التفكير ، صدقنى . ليس فى ذهنى أى شخص . إن أمى ليست امرأة اجتماعية " . فى الحقيقة كانت دائرة أصدقاء بيتسى كالهون تنحصر فى السيدات التى يحضرن معها الدروس الدينية .

قال هوت متردداً : " مع كل الاحترام الواجب لذكراها مع والدك ، هل من المحتمل أنها كانت تقابل صديقاً من الرجال وتحتفظ بذلك سراً ؟ " .

هزت رأسها فى صلابة قائلة : " ليست أمى . لقد حظيت بحب عمرها . فى الحقيقة ، إنها تخجل من الرجال الآخرين . لا أعتقد أنها واعدت يوماً ما رجلاً آخر غير والدى بعد وفاته ، وكانت لا تخرج إلا لصفف الشعر صباح كل يوم جمعة وكانت تذهب إلى دار العبادة وتذهب أحياناً إلى السوق " .

" وهل تذهب إلى محلات للملابس الرياضية ؟ " .

على حد علم ابنتها ، لم يكن لديها سبب قط للذهاب إلى محل الملابس الرياضية : " ما الذى يجعلها تذهب إلى هناك ؟ " .

سألاها عما إذا كانت تعرف بين تيرنى . قالت : " من ذاك ؟ " .

أعطاها هوت توضيحاً موجزاً ، لكنها هزت رأسها وقالت إنها تستطيع بكل ثقة أن تتعهد لهما بأن أمها لم تكن تربطها أية صلة بشخص كهذا .

قالت المرأة وهى تنتحب فى منديلها : " كل ما أريده أن يتم العثور عليها وتعود إلى البيت ، فإذا لم يستجب الله دعائى هذا ، فعلى الأقل أريد أن أعرف ما حدث لها " ، ثم نظرت إليهما من خلال دموعها وسألتهما : " هل تعتقدان أنكما ستجدانها ؟ " .

تعهد بيجلى لها وهو يضغط يدها بيده قائلاً : " سنبذل قصارى جهدنا " .

بعد ذلك ببضعة دقائق ، وبينما كانا يبتعدان عن المسكن الدفئ ، قال بيجلى : " امرأة لطيفة " .

قال هوت : " نعم يا سيدى " ، وكان قد بدأ يرتعد داخل معطفه منتظراً أن تسخن السيارة السيدان ، وما عاد يتذكر كيف يشعر المرء عندما تكون أقدامه دافئة جافة .

" ما رأيك فى الذهاب إلى مجمع كبائن ويستلر فولز يا سيدى ؟ " .

" لعدم وجود مكان آخر " .

فى العادة ، يمثل البقاء فى إحدى كبائن جوس إلمر طوال الليل دون وجود مرافق عادة شيئاً مخيفاً مقيتاً ، لكن هوت كان مرهقاً لدرجة أنه كان يتطلع إلى ذلك .

قال هوت : " هل تظن أنه يستطيع أن يقدم لنا وجبة ؟ " .

لم يلحظ بيجلى السؤال عن العشاء ، وذلك لأنه كان مشغولاً بالتفكير . قال بيجلى وهو يفكر بصوت عال : " هذه هى المسألة . لقد استنتجنا أن تيرنى هو الاحتمال الأكبر بالنسبة للاتهام " .

" إذن ما الذى يجعله يهتم كل هذا الاهتمام بقضايا الاختفاء ، ويجمع كل تلك المعلومات التى وجدناها فى مسكنه ؟ " .

" بالضبط يا هوت . إن هذا هو ما أعطى مصداقية لشكك فيه ـ لقد استنتجنا أيضاً ـ وبدقة فيما أعتقد أن دافعه هو أن يكون مخلص النساء المحتاجات . صحيح ؟ " .

قال هوت : " نعم يا سيدى " ، وفى الحقيقة كان بيجلى هو الذى استنتج ذلك ووافقه عليه هوت ، وحتى الآن لم يكتشفا شيئاً يعطى مصداقية لنظريتهما .

تابع بيجلى قائلاً : " هذه مشكلتى . أين تقابل أرملة خجول لا تخرج إلا لتصفيف الشعر وللدروس الدينية شخصاً مثل تيرنى ؟ لم تكن تمارس رياضة ركوب الزوارق بكل تأكيد " .

" لا يا سيدى " .

" كان لدى السيدة كالهون عدد صغير من المعارف ، وابنتها لم تسمع بـ " تيرنى " . إذن فكيف استطاع التعرف إلى بيتسى كالهون بشكل يجعله يختارها ضحيته التالية ؟ شخصان مختلفان هكذا ، أنى لطرقهما أن تتلاقى ؟ " .

" أعتقد أن هذا السؤال ينطبق على كل الضحايا باستثناء تورى لامبيرت التى قابلها مصادفة ، بالإضافة إلى ميليسنت جان " .

قال بيجلى : " بالنسبة لـ " كارولين مادوكس " فالأمر معقول . صعب ، لكنه معقول وربما يكون قد قابل لاورين إليوت فى العيادة التى كانت تعمل بها . من الممكن أن يكون قد أصيب بالأنفلونزا أو شيء من هذا القبيل . لكن أن تلتقى أرملة حبيسة بمغامر ؟ " ، وهز بيجلى رأسه قائلاً : " غير معقول " .

كان هوت يرى ذلك هو الآخر ، وراح يفكر فى الأمر عدة دقائق ثم قال : " لنفترض أن تيرنى قرأ نعى زوجها فى الجريدة المحلية . أتذكر جهاز اللاسلكى الذى طلبه تيرنى من الكتالوج ؟ ربما يكون قد راقب السيدة كالهون وأدرك كم هى وحيدة وتعيسة " ، بدا التفسير واهياً حتى لـ " هوت " نفسه ، ولم يضع بيجلى الوقت فى تفنيد أوجه ضعفه .

" إن تيرنى شخص نشط جداً بشكل يجعله لا يراقب أحداً . بالإضافة إلى ذلك ، شيء كهذا يستغرق وقتاً طويلاً ، كما أنه

ليس موجوداً طوال الوقت . أظنه قابلها مصادفة فى مكان انتظار السيارات الخاص بالبنك ، فربما تكون سيارتها قد تعطلت وطلبت المساعدة . أو شيء كهذا ، فرأى على الفور وحدتها وحاجتها ، فكانت اختياراً آخر عشوائياً ، مثل لامبيرت " ، وكان هذا التصور معقولاً ، لكن صوت بيجلى لم يكن يوحى بأى اقتناع . حدق بيجلى خلال حاجبة الرياح وهو يطرق بأصابع يده اليسرى على الحاجز بين الكراسى .

" هل تغير رأيك بشأنه يا سيدى ؟ " .

قال ممتعضاً : " لا أعلم يا هوت " .

" إذا لم يكن هو الأزرق ، فكيف تفسر كل المادة المكتوبة التى جمعها حول حالات الاختفاء ؟ " .

قال بيجلى : " هذا هو أول شيء سأسأله عنه " ، ثم أخذ يضرب شفتيه فى ضيق وغمغم شيئاً حول تلك القضية اللعينة والسبب الذى يجعله لا يستطيع حلها . لم يسمع هوت كل الكلمات ، لكن هذا هو فحوى الكلام .

استدار إليه بيجلى فجأة وقال : " هل سمعت أى شيء آخر من بيركينز ؟ " .

" لا يا سيدى . لكن ثق فى كلامى ، إنه يبحث عن المزيد ، وعندما يصل إلى شيء سيتصل بنا " .

حدق بيجلى فى السماء قائلاً : " آمل أن تصل الطائرة المروحية إلى هنا غداً . لا أعلم كم من الوقت أستطيع التحكم فى ضابط الشرطة الغيور وزمجر معبراً عن احتقاره لـ " دتش بورتون " ثم قال : " مع ذلك ، فطالما أن هذا الطريق مقطوع ،

لن يتمكن دتش من الوصول إلى أبعد مما يمكننا الوصول إليه أعلى الجبل ؟ " .

" وتيرنى لا يستطيع النزول " .

" صحيح يا هوت . إن هذا فى صالحنا ، وهذا هو الشىء الجيد الوحيد فى هذه الفوضى اللعينة " .

دخل ويز صالة الألعاب الرياضية بالمدرسة الثانوية قبل سكوت ، وكان عليهما الاعتماد على الضوء القادم من النافذة ، فكان الجو كئيباً ، كما لم تكن هناك أسطح لينة تمتص البرد . قال ويز : " بمجرد أن تندمج فى التدريب ، ستشعر بالدفء " ، وكان صوته يصطدم بالحوائط التى يغطيها الآجر فيرتد عالياً بشكل غير طبيعى .

بقى سكوت صامتاً متعكر المزاج وهو يخلع معطفه الخارجى ثم يفك سوستة سترته ويخلعها ، وكان يرتدى ملابس رياضية تحتهما .

أخذ ويز لحظة ينظر فيها بإعجاب إلى بنية ابنه الجسدية ، فقد كانت بنيته بنية بطل رياضى طبيعى . كان خصره مشدوداً وأطرافه طويلة بينما كانت الدهون فى جسمه لا تكاد تبلغ نسبة عشرة فى المائة ، وكانت كل عضلة مفتولة بشكل جيد وتبرز من تحت جلده بشكل يثير الإعجاب .

كان ويز يحسد بنية سكوت شبه الكاملة ، فلم يكن محظوظاً هكذا . فبسبب والدته ، كانت أرجله أقصر من الطول المثالى فقد ورث أرجله عنها ، كما كان عرضة للإصابة بالالتهاب العظمى

المفصلى الذى قد يأتيه من أسرة والده ، الذين انحنى معظمهم وارتخت أرجلهم فى سن الخمسين .

لكن سكوت امتاز من الناحية الوراثية بأفضل جينات ويز ودورا ، فورث القوة والحيوية منه ، واللطف والتناسق منها .

شاهد ويز ابنه وهو يقترب من الأثقال الحديدية ، وقال فى نفسه لو أن له مثل جسد ولده وقدرته الطبيعية لأصبح بطل العالم بلا منازع .

كان بوسع سكوت ذلك لو أراد ، لكن كانت هذه هى المشكلة ؛ فالرغبة والدافع والدم الحار فى المنافسة لم يتميز بهم سكوت مثلما تميز بالتفوق الجسمانى . لم يولد سكوت بالعزيمة اللازمة لتحويله من مجرد رياضى جيد إلى بطل عالم . لكن ويز سيفعل ما فى وسعه لبث هذه العزيمة فيه ، فإن اضطر إلى إضرام النار فى هذا الجسد لن يتردد إن كانت هذه هى الوسيلة الأخيرة المتاحة له .

لا يمكن القول بأن سكوت متحمس الآن ، فالمجهود الذى يبذله الآن فى التسخين لرفع الأثقال كان خالياً من الروح .

قال ويز : " لا يوجد من بين هذه الأثقال ما يوازى الثقل الذى على كتفك " .

نظر إليه سكوت من خلال المرآة التى على الحائط أمامه لكنه لم يرد .

" ما مشكلتك الليلة ؟ " .

واصل سكوت التسخين قائلاً : " لا شىء " .

" هل أنت غاضب لأنى جعلتك تأتى إلى هنا للتمرين بدلاً من الذهاب إلى بيت صديقك جارى ؟ " .

" جارى شخص تافه " .

" إذن فما المشكلة ؟ " .

وضع سكوت الأثقال على كتفيه وبدأ سلسلة من حركات القيام والقعود قائلاً : " لا شئ . كل شئ رائع " .

" إذن لماذا أنت عابس كطفل فى الرابعة من عمره ؟ " .

أعاد سكوت الأثقال إلى الرف قائلاً : " يا إلهى ، لا أعرف يا والدى " . وكان لايزال ينظر إلى والده فى المرآة ، ثم تابع قائلاً : " هل تظن أن هذه إحدى التقلبات المزاجية لأن جسدى ملئ بالمنشطات ؟ " .

أمسكه ويز من ذراعه وأداره ناحيته ثم دفعه بخشونة نحو المرآة ، ثم رفع بإصبعه أمام وجه سكوت قائلاً : " إن حدثتنى بهذه الطريقة مرة أخرى سأعرف كيف أعاقبك " .

ضحك سكوت قائلاً : " وكأننى أهتم بذلك " .

قال ويز : " حين أنتهى منك ستهتم . صدقنى ، ستهتم " ، وحدق فيه غاضباً ، ثم دفع ذراعيه إلى جانبه قائلاً : " لا أفهمك يا سكوت . لا أفهم نكرانك للجميل . هل تظننى أريد أن أتخلى عن قضاء هذه الأمسية كما يحلو لى لمجرد مراقبتك وأنت تتدرب ؟ إننى أفعل كل ذلك من أجلك " .

صاح سكوت : " من تظن أنك تخدع بهذا الكلام ؟ أنت تفعل ذلك من أجلك أنت " .

كان ويز يعرف أن سكوت لم يرث فقط جسد دورا المتناسق ، لكنه ورث أيضاً عنادها حين يزيد الضغط عليها . ود لو أنه صفع ابنه لرده عليه ، لكنه تحكم فى غضبه واحتفظ بهدوء صوته .

قال ويز : " أنت مخطىء يا بنى " ، وقال قبل أن يتمكن سكوت من مقاطعته .

" حسناً ، بالتأكيد أعترف أنه يرضى غرورى أن تكون الأقوى والأسرع والأفضل بين الرياضيين ، لكن ــــــ "

" لكنك لا تهتم بى أدنى اهتمام " .

أحس ويز بخيبة أمل حقيقية ، وقال : " كيف يمكنك أن تقول هذا بعد كل ما فعلته من أجلك ؟ " .

" أنت لم تفعل شيئاً من أجلى اليوم ، أليس كذلك ؟ حين تساءل عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية عن سبب انفصالى عن ميليسنت ، كانت يدى أنا فى النار وليست يدك . تلعثمت بتفسير غبى بينما كنت تجلس أنت فى مكانك دون أن تقول كلمة واحدة " .

قال ويز بهدوء : " هل كنت تحب أن أخبرهما بالحقيقة ؟ " ، ثم رأى لمحة من التردد فى عينى ولده واستغلها قائلاً : " لم نتحدث عن هذا من قبل . هل كان يجدر بنا أن نتحدث حول هذا الموضوع لأول مرة أمامهما ؟ أمام والدتك ؟ ألن يحرجك أن يعرفا أن صديقتك فضلتنى عليك ؟ " .

" لم تفعل " .

ضحك ويز ساخراً : " لم يكن هذا ما قلته . لقد كنت موجوداً ورأيت كل شىء . هل بدا لك أنها كانت مجبرة أم أنها كانت مقتنعة بما يحدث بكل كيانها لدرجة أنها رغبت فى الزواج منى ؟ " .

رأى ويز سكوت يكور قبضتيه على جانبيه ضاغطاً عليهما ، ورأى وجهه محمراً ؛ ليس بسبب المجهود الذى بذله فى

التسخين . لقد كان غاضباً ، وكانت أنفاسه قصيرة متلاحقة ، وكأنه يوشك على الانفجار .

تمنى ويز أن يفعل ذلك ، فليس لديه أفضل من أن يرى سكوت يشتبك معه ويتشاجر بكل عزيمة للفوز ، فالأفضل له أن ينفس عن بعض غضبه . كان ويز يريد أن يراه يتصرف كالرجال بدلاً من أن يكون طائراً مستأنساً كما تريد له دورا أن يكون .

لكن ما أثار خيبة أمله بشدة ، أو أثار اشمئزازه ، أنه رأى الدموع تترقرق فى عينى ابنه .

اتهمه سكوت قائلاً : " لقد تعمدت أن تجعلنى أراكما معاً " .

لم ينكر ويز ذلك : " لقد كان لابد أن يوقظك أحد على حقيقة أن الفتاة التى أصبحت متيماً بها ليست سوى فتاة خائنة " .

" ليس هذا صحيحاً . أنت ... أنت ... " .

" بمجرد أن أبديت لها إعجابى بها تجاوبت معى ونسيتك تماماً يا سكوت . فإننى لم أجبرها على شيء ؛ بل هى التى حاولت إقامة علاقة معى برغبتها ، ولو أنك تخليت عن غضبك منى وفكرت قليلاً لوجدت أنها أرادت أن تتسلى بالفتى ووالده فى آن واحد " .

" أنت تثير اشمئزازى " .

" أنا ؟ أثير اشمئزازك ؟ لماذا تنظر إلىّ على أننى الشرير ؟ لقد كانت هى التى تفعل ذلك من أجل التجديد والمتعة ، وقد فعلته أنا من أجلك " .

تلعثم سكوت قائلاً : " هذا ... هذا هراء ! لقد فعلته حتى تظهر لى أنك تستطيع أن تأخذ فتاتى منى " .

حاول ويز أن يضع يده على كتف سكوت ، لكن حين دفعها سكوت قال له غاضباً : " اسمع ، لو أننى جئت إليك . وحدثتك حديث الأب لابنه وأخبرتك أن حبيبتك غير مخلصة لك ، لم تكن لتصدقنى ، أليس كذلك ؟ أكنت ستصدقنى ؟ لا . ولكى تصدق ، كان يجب أن ترى بنفسك . كنت أعرف أنك حين ترانا معاً ، سيكون هذا هو نهاية علاقتك بها " .

قال سكوت ساخراً : " نجحت المهمة " .

" هذا صحيح بكل تأكيد . لقد نجوت منها للكثير من الأسباب . لقد صنعت بك معروفاً " .

" هل خيانتك لى مع حبيبتى خدمة لى ؟ " .

تنهد ويز قائلاً : " لا أستطيع مناقشة الأمر إذا كنت ستلوى عنقى على كل كلمة أقولها " .

" كم مرة ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" لا تتظاهر بالصمم . لقد سمعتنى . كم مرة تقابلت فيها مع ميليسنت ؟ هل كانت فقط تلك المرة فى مكتبك ؟ أم أننى عندما رأيتك حينها بالصدفة فى أثناء ذلك ، اخترعت هذه القصة الضخمة عن خدمتك لى ؟ "

" سكوت " .

" كم مرة ؟ " .

صاح ويز : " مرات عديدة . حسناً ؟ لا أستطيع إحصاء العدد . غير مهم . أنت ترفض أن ــــ "

تناول سكوت سترته ودفع ذراعيه فى كمها ، ثم انتزع معطفه واتجه نحو المخرج .

قال ويز آمراً : " عد إلى هنا يا سكوت . لم ننته بعد " .

" لا ، لقد انتهينا بالفعل " .

" إلى أين أنت ذاهب ؟ " .

استمر سكوت فى طريقه ولم يجب .

توقف سكوت عن السير والتفت ثم نظر مباشرة فى عينى ويز وابتسم قائلاً : " لقد انتقمت بالفعل . منكما أنتما الاثنين " .

الفصل

٢٥

حين قال تيرني إنه قد آن أوان النوم ، كان يعني ذلك بشكل حرفي . فترك ليلى تجلس أمام المدفأة ونهض من مكانه وجمع كل البطاطين ثم كومها على حاشية الفراش .

فأجاها تيرني وهي تنظر إليه بفضول ، فقال : " لن أنام على الأريكة ، فأنا متعب ومرهق وأحتاج إلى ما أستطيع الحصول عليه من الراحة . يمكنك وضع بطانية إضافية حولك حتى لا تكون هناك أية فرصة للتلامس بيننا ، ولو على سبيل الخطأ " .

" حسناً " .

نهضت ليلى وذهبت إلى الحمام . لم يكن بحاجة لتنبيهها إلى الإسراع ، حيث إن الجو شديد البرودة في غرف الكابينة .

حين عادت ليلى ، كان تيرني يضع أخشاباً جديدة على النار في المدفأة . قال : " نامي هنا ، بالقرب من المدفأة " ، فانتقلت إلى المكان الذي أشار إليه ، لكنها لم ترقد إلا حين

اختفى فى غرفة النوم . وكما اقترح عليها . وضعت ليلى بطانية حولها .

عاد تيرنى خلال بضع دقائق ، فرأته متردداً وينظر إلى رجلى بنطاله الجينز المبتلتين . قالت ليلى : " هل تريد أن تخلع بنطالك ؟ " .

قال تيرنى : " نعم ، لكننى لن أفعل " . ورقد فوق البطانية التى غطت نفسها بها ثم سحب البطانيات الأخرى فوقهما هما الاثنين ، وتأوه حين وضع جنبه على حاشية الفراش .

" هل تشعر بألم ؟ " .

" حين أتنفس فقط . وأنت ؟ هل تشعرين بالراحة ؟ " .

" بخير " .

" لم تسعلى لأكثر من ساعة " .

" إننى أفضل بكثير " .

" يبدو ذلك . ما عدت تصفرين أثناء التنفس " .

" أحياناً يزداد الأمر سوءاً فى الليل . آمل ألا يبقيك الألم مستيقظاً " .

" ينطبق نفس الشىء على غطيطى فى النوم . إذا خمدت النار فنبهينى لأضيف مزيداً من الخشب بالمدفأة " .

" سأفعل " .

استلقى الاثنان على ظهريهما ، لا يلمس أحدهما الآخر ، وأخذا يحدقان فى السقف . كان ضوء المدفأة يلقى ظلالاً راقصة عبر الأشعة المنبعثة منها . وفى الأحوال العادية يكون هذا التلاقح بين الضوء والظلمة باعثاً على النعاس والنوم ، لكن ليلى رقدت متشنجة متوترة بعيدة كل البعد عن النعاس .

قالت ليلى : " هل تظن أنهم سيأتون غداً ؟ " ، وكانت غير واثقة من قصدها بالضمير فى كلمة أنهم ، هل تقصد دتش وفريق إنقاذ محلى أم مكتب التحقيقات الفيدرالية ، أم كليهما .

أجاب تيرنى قائلاً : " أظن أن شخصاً ما سيحاول ذلك ، هذا إن صدق خبراء الأرصاد وتوقف هطول الجليد " .

" وإذا لم يكن دتش قد تلقى رسالتى الصوتية الأولى ، فقد يظن أننى عدت سالمة إلى أطلانطا بعد كل هذا الوقت " .

" ربما " .

" إذا لم يكن قد تلقى البريد الصوتى ، فلابد أنه لا يعلم حتى بوجودك معى هنا " .

" بلى " .

لكن ليلى أحست بشكل غريزى أن دتش كان يعلم ، كما أن التوتر الذى فى صوت تيرنى يدل على أنه يشعر بذلك هو الآخر . قالت ليلى : " إذا صفا الجو ، ستعود خدمة الهاتف الخلوى " .

" حين يحدث ذلك ، فبمن تتصلين يا ليلى ؟ مكتب التحقيقات الفيدرالية أم دتش ؟ " .

" لم أفكر فى هذا " .

" ستتصلين بـ " دتش " " .

ظلا صامتين لحظة ينصتان إلى هسيس الجمرات المشتعلة ، ثم استدارت ليلى على جنبها لتواجه المدفأة ووضعت يديها أسفل خدها . وقالت : " تصبح على خير يا تيرنى " .

" تصبحين على خير " .

لن تضطر إلى تنبيهه من نومه لأنه لم ينم أصلاً ، وكانت ليلى تعرف ذلك لأنها لم تنم هى الأخرى . كان شعورهما بالأرق يرجع إلى العديد من الأسباب . فترة القيلولة الطويلة التى أخذتها بعد الظهر ، وتراقص الأشعة المنبعثة من المدفأة على جفنيها المغلقين ، وكذلك ثقل ملابسها وثقل البطاطين فوقها بشكل غير مريح . ذكريات الرعب التى شعرت بها أثناء اللحظات الأخيرة من أزمة الربو .

لكن السبب الرئيسى فى يقظتها كان تيرنى ، تيرنى الذى لا يفصله عنها الآن سوى طول ذراع . بعد أن قال لها تيرنى تصبحين على خير ، لم يتفوه بكلمة واحدة ولم يتحرك ، لكنها كانت تعرف أنه مستيقظ شاعر بقربها منه مثل شعورها بقربه منها .

حين انقلب تيرنى على جنبه لواجهة المدفأة كما فعلت ليلى، لم تتحرك ليلى . ورغم أن أياً منهما لم يكن يصدر عند أى صوت أو حركة ، فإن التوتر كان يشتد بينهما لحظة بعد أخرى .

بعد أكثر من ساعة من قوله لها : " تصبحين على خير " ، تحدث تيرنى . لم يسألها أولاً هامساً عما إذا كانت لاتزال متيقظة ، فكان يعرف أنها لاتزال متيقظة ، بالضبط كما تعرف هى أنه لايزال متيقظاً . لم يكن صوته الناعم مفاجئاً لها ، ومع ذلك فما قاله جعل اتزانها يختل .

" لقد ضربك ، أليس كذلك ؟ ضربك دتش " .

ابتلعت ليلى ريقها ، وفيما عدا ذلك بقيت بلا حراك .

" أين سمعت ذلك؟ " .

" لم أسمعه في أي مكان . لقد لاحظته بما يكفي فحسب ، ومن المعقول تصور ذلك . فبالنسبة لبعض ضباط الشرطة يصبح العنف شيئاً عادياً ، ويصير هو الحل الطبيعي لكل مشكلة . خصوصاً بالنسبة لرجل فقد اتزانه عاطفياً مكثر للشراب " .

لم تقل شيئاً .

أضاف تيرني بصوت أكثر انخفاضاً : " كما أنني لا أظن أنك تنهين زواجك بسبب أقل من ذلك " .

لم تكن ليلى قد أخبرت أي أحد ، وكذلك لم تخبر حتى أصدقاءها أو معارفها في العمل الذين أدركوا معاناتها العاطفية ألحوا عليها في أن تخبرهم بما في صدرها . ولم تخبر حتى الشخص المختص بمساعدتها على تجاوز أحزانها والذي كان الشخص الوحيد الذي بسطت ليلى أمامه كل الجوانب الأخرى في حياتها . ولكن شعرت ليلى أنه من الصواب البوح بالأمر لـ " تيرني " لأنه كان الشخص الوحيد الذي لديه من البصيرة ما جعله يتكهن بسرها .

قالت ليلى في هدوء : " لقد حدث ذلك مرة واحدة . كان قد رفع قبضتيه من قبل وكأنه يريد أن يضربني . فحذرته من أنه لو فعل ذلك فستنتهي الحياة بيننا . هذا ما قلته له . لا . هذا ما توعدته به " .

أطبقت ليلى جفنيها للحظة وأخذت نفساً عميقاً . كان صعباً عليها حتى في هذا الوقت العودة بتفكيرها إلى تلك الليلة الفظيعة . تابعت قائلة : " إما أنه لم ينصت إلي . أو أنه لم يصدقني ، أو كان قد أفرط في الشراب بشكل جعله لا يتذكر

تحذيرى له . أتى إلى البيت متأخراً جداً ، وكان عدائياً متحفزاً ، وقبل أن أتهمه بأى شىء كان متحفزاً للشجار .

" ولأننى كنت قد أجريت اجتماعاً مطولاً لمناقشة الميزانية فى ذلك اليوم ، كنت مرهقة . وبدلاً من الاشتباك فى واحدة من مشاجراتنا الشهيرة ، حاولت تفاديه ، لكن لم يسمح لى بذلك . كان يريد أن يتشاجر ولم يكن ليرضى قبل أن ينال غرضه .

حجزنى فى إحدى أركان غرفة النوم ، لقد اضطرنى بشدة إلى التراجع حتى حصرنى فى إحدى الزوايا ولم يسمح لى بالفكاك منه . ثم اتهمنى بأننى السبب فى موت آمى . قال إننى أنا المخطئة فى فقداننا لابنتنا ، حيث كان سرطان المخ الذى أصيبت به عقاباً إلهياً لعودتى إلى العمل بعد إجازة الحمل ، بدلاً من البقاء بالمنزل معها " .

" هذا جنون " .

ضحكت ليلى ضحكة كئيبة قائلة : " هذا ما قلته ، بالنص . لم يتقبل دتش الأمر بشكل جيد ، فضربنى بقبضته فى وجهى بقوة جعلتنى أصطدم بالحائط ، فاصطدم رأسى بالحائط بقوة حتى كدت أفقد الوعى . سقطت على الأرض وغطيت وجهى بذراعى .

وفى تلك اللحظات ، كنت أقول لنفسى إن هذا لا يمكن أن يحدث . لا يمكن أن يحدث لى أنا ليلى مارتين ، لا يمكن أن أحاصر فى زاوية من زوايا غرفة نومى محاولة حماية نفسى من زوجى .

هذه الأشياء تحدث لأناس نقرأ عنهم فى الجرائد ، يحدث للفقراء أو الجهلاء أو غيرهم من التعساء ينشأون فى بيوت تتسم

بالعنف ، فتستمر دائرة العنف ، إن والدى لم يضربنى قط ، فضلاً عن أن يكون قد رفع يده على والدتى . لم يكن ذلك وارداً بالمرة " .

توقفت ليلى وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت : " عاد دتش إلى صوابه . بدأ الاعتذار على الفور وأخذ ينتحب ويبرر ما فعله ، وألقى باللوم على الضغط الواقع عليه فى العمل ولوعته على آمى . كان باستطاعتى أن أقول إننى أقع أيضاً تحت ضغط فى العمل، وأن لوعتى على آمى لا تقل عنه ، لكننى كنت أعلم أنه لا فائدة من الجدال ، لقد فات أوان العراك ، وبالنسبة لى كان الأمر أكبر من أن أصفح عنه .

دون أن أنطلق بكلمة واحدة ، نهضت بصعوبة من على الأرض وتركت المنزل وسجلت اسمى بأحد الفنادق لأبيت ليلتى . اتصلت بعد ذلك بمحام ورفعت دعوى طلاق فى اليوم التالى . بالنسبة لى ، لم يكن هناك مجال للرجوع " .

" إلى مدى بلغت إصابته لك ؟ " .

" أصابتنى بعض الكدمات ، لكننى لم أصب بكسور " .

" هل رفعت دعوى تعويض ؟ " .

" ألح علىّ المحامى فى ذلك ، لكننى اخترت ألا أفعل . كنت أريد حريتى فقط يا تيرنى . كان دتش يغوص فى اليأس وكأن فى قدميه أثقالاً من الحديد ، وكنت لا أريد أن يجرنى معه . إن رفعى دعوى قانونية كان سيؤجل خلاصى منه . هل تتفهم ذلك ؟ " .

" نعم ، لكننى لا أوافق عليه . إن مكانه هو السجن ، لكننى أتفهم السبب الذى جعلك ترفضين رفع دعوى " .

" قلت للعاملين معى إننى أعانى من الأنفلونزا وعزلت نفسى فى الفندق ، وبقيت به حتى زالت الكدمات وزال الورم ، وكانت لحظة تسجيلى الخروج من الفندق لحظة فاصلة ، فمنذ تلك اللحظة بدأت حياتى بدون دتش بورتون " .

" ليس بشكل كامل " .

قال تيرنى تلك الملاحظة بغمغمة خفيفة ، فلم تكن ليلى واثقة من أنه يجب أن تسمعها . على أية حال ، فقد تجاهلت تلك الملاحظة .

بعد فترة صمت قصيرة ، قال تيرنى : " آسف أن يكون هذا قد حدث لك " .

" إننى آسفة أيضاً ، لكننى آسفة أكثر لأجل دتش . لقد تجاوزت المحنة ، لكن دتش لم يتجاوزها . ولقد اختفت كدماتى ، أما جروح روحه فستظل به مادام حياً ، ولن يتخلص أبداً من عقدة الذنب " .

" لا تنتظرى منى أن أشعر بالأسف لهذا الوغد ، ففى الحقيقة إننى أود أن أكيل له عشرة أضعاف ما كاله لك " .

" أرجو ألا تفعل ذلك ، لا أظنك تفعل شيئاً كهذا " .

" كيف هذا ؟ إننى لأرحب بأية فرصة تمكننى من فعل هذا " .

" أرجوك يا تيرنى ، قل إنك لن تفعل هذا " .

بعد فترة صمت قصيرة ، قال تيرنى بهدوء : " حسناً ، لن أفعل . على أية حال ، بعد غد لن أكون فى موقع يسمح لى بتحدى أى أحد ، أليس كذلك ؟ " .

لم ترد ليلى على ذلك . " هناك شىء آخر " .

" ماذا ؟ " .

" لا تخبر أحداً بما حدثتك به " .

" ما الذى يجعلنى أحميه هكذا ؟ " .

" لن تحميه هو ، بل ستحمينى أنا . لأجل خاطرى ، لا تخبر أحداً . أرجوك " .

" حسناً " .

" هل تعدنى ؟ " .

" لقد طلبت ألا أخبر أحداً يا ليلى ، ولن أخبر أحداً " .

صدقته ليلى فى ذلك وقالت : " شكراً لك " .

" على الرحب والسعة " . مرت لحظات بعد ذلك ، ثم قال تيرنى : " والآن ، نامى " .

استقرت ليلى فى وضع أكثر راحة وجذبت البطانيات فوقها حتى ذقنها . لكن عينيها أبتا أن تغمضا . راحت تراقب النار وهى تأكل إحدى قطع الخشب حتى انفصلت قطعة منها وسقطت وسط الجذوات . استمرت ليلى تحدق فى القطعة الساقطة ، فرأتها تشتعل بالنار مرة أخرى وتتوهج باللهب وتحمر كلما زاد اشتعال النار فيها ثم تندلع منها ألسنة اللهب .

بعد ذلك فجأة ، استدارت ليلى ، فأصبحت وجهاً لوجه مع تيرنى .

كانت عيناه مفتوحتان تراقبانها .

قالت ليلى متذمرة : " لا أريد أن أنام " .

* * *

ضغط سكوت جرس الباب بحكم العادة قبل أن يتذكر أن التيار الكهربى مقطوع ، فطرق الباب بشدة عدة مرات وسمع وقع أقدام تقترب من الباب ، انفتح الباب ، فقال سكوت : " أهلا أستاذة ريت " .

قالت ماريلى متعجبة : " سكوت " ، وكان من الواضح أنها اندهشت لرؤيته على الباب ، فقالت : " هل نسيت إحدى الحصص " .

" لقد طلبت لمقابلة السيد ريت " .

التفتت بعينها وراءها نحو المطبخ ، حيث كان سكوت يرى ويليام جالساً إلى مائدة عشاء على ضوء الشموع . قالت ماريلى : " كدنا ننتهى من عشائنا " .

" يمكننى أن آتى فيما بعد " .

فتحت ماريلى جانباً وأشارت له بالدخول قائلة : " لا ، لا ، ادخل " ، فنفض سكوت الثلج من حذائه قبل أن يدخل إلى مدخل البيت . وبينما كانت ماريلى تغلق الباب نظرت إلى منحنى الطريق ، ولما لم تجد سيارة قالت : " هل جئت سيراً على الأقدام ؟ " .

" نعم يا أستاذة " .

صاح ويليام من المطبخ : " من الطارق يا ماريلى ؟ " .

" سكوت هامر " .

جاء ويليام من المطبخ ولازالت الفوطة مربوطة إلى صدره عند ياقته وكأنها صدرية الطفل فوق صدره الضيق .

" يا إلهى . سكوت ، ما الذى أتى بك فى ليلة كهذه ؟ هل تعانى أمك من الصداع النصفى مرة أخرى " .

قال سكوت : " لا " ، ومال بنظره نحو ماريلى ثم قال : " ويليام ، أريد أن أتحدث معك على انفراد " .

تفرس فيه ويليام للحظة وقد بدت عليه الدهشة لهذه الزيارة المفاجئة كما حدث لأخته ، ثم قال : " بالطبع " ، وأشار له نحو غرفة المعيشة حيث كانت النار مشتعلة فى المدفأة حسنة البناء المبنية من الطوب الأحمر . وقال لأخته : " من فضلك اتركينا يا ماريلى " .

سألت ماريلى : " هل يمكننى أن آخذ معطفك يا سكوت ؟ " .

" لا ، أنا بخير هكذا " .

" هل تحب أن تشرب شيئاً ؟ " .

" لا ، أشكرك يا أستاذة ريت . لن أمكث طويلاً " .

كان من الواضح أن الفضول يقتلها ، لكنها ابتسمت بلطف وقالت : " حسناً ، دعنى أعرف إن غيرت رأيك " .

ظل ويليام حتى أغلقت أخته باب المطبخ قبل أن يشير إلى سكوت بالجلوس قائلاً : " تفضل بالجلوس " .

" سأظل واقفاً " .

نظر إليه ويليام نظرة ذات مغزى وهو يجذب الفوطة من ياقة قميصه ويطبقها بعناية قبل أن يضعها على المائدة قائلاً : " تبدو غريب الأطوار " .

" لن أتناول أية منشطات بعد ذلك " .

قال ويليام مندهشاً : " حقيقة ؟ هل لاحظت وجود أعراض جانبية منذ بدأت تناولها ؟ " .

كان ويليام وويز قد بدآ إعطاء سكوت منشطات فموية ، ولعدم رضى ويز بالنتائج وعدم صبره لتأخر تحسن أدائه بشكل أسرع ، بدأ ويز يضيف الحقن .

وبينما كانت الحقن تتجاوز عملية التمثيل الغذائى وتخفف من الأعراض الجانبية ، كانت هناك مخاوف جدية ، فاستخدامها يؤدى إلى تدمير جسم متعاطيها ويغير سلوكه ، ولقد قرأ سكوت المخاطر الخاصة بمنشطات الحقن مع المنشطات التى تؤخذ بالفم .

" إن أعراضها الجانبية تؤثر فى قدراتك الجنسية ، أليس كذلك يا سكوت ؟ " .

لم تكن طريقة ويليام الوقحة تثير الغيظ فقط ؛ بل كانت تثير الاشمئزاز أيضاً . ماذا يعرف هذا القزم الحقير عن القدرة الجنسية ؟

بعد ذلك غمز ويليام بعينيه وضحك بوقاحة ، ثم قال : " ولكن بالنظر إلى شهرتك بين النساء ، لا أظن أن العجز الجنسى هو المشكلة . هل تخشى أن يصيبك حَب الشباب ؟ " .

رفض سكوت أن يُسْتَفَز ، وقال : " لن أتناول المنشطات بعد ذلك لا الحقن ولا الأقراص . إن أبى يدفع لك الكثير من المال لأجلها ، ويدفع لك أكثر من ذلك لإسكاتك ، لكن هذا سيتوقف من الآن " .

لم ينزعج ويليام ، وجلس على الذراع المنجد للكرسى قائلاً : " هل عرضت هذا القرار على ويز " .

" لست بحاجة لذلك ، فأنا بالغ رشيد " .

" إن البلوغ ليس فقط أن يبلغ المرء عيد ميلاده الثامن عشر " .

وكانت لهجته متعالية لدرجة جعلت سكوت يشعر بأنه يريد أن يلكمه في وجهه .

" اسمح لى أن أذكر لك شيئاً واضحاً يا سكوت ، وهو أن ويز سيعارض قرارك هذا " .

" إذا تمسك بالأمر بشدة ، فسأشى به " .

" عند مَنْ ؟ " .

" أولاً ، عند مجلس إدارة المدرسة . وفى الصحف . صدقنى ، سأجد من يسمعنى " .

" سينهى ذلك حياته كمدرب " .

" هذا هو المطلوب " .

" هل تفعل ذلك لتدمير والدك ؟ " .

" لقد دمّر نفسه بنفسه " .

زم ويليام شفتيه وكأنه يفكر في الأمر ، ثم قال : " إننى أفهم ما تعنيه " ، ثم هزَّ كتفه قائلا : " لكن الأمر محير بالنسبة لى . يبدو أن هذه مشكلة بينك وبين ويز ، فلماذا أنت هنا ؟ " .

" إن الدجاجة التى تبيض لك ذهباً ستموت . ستفقد مالاً ، وأنا هنا لأخبرك بألا تتدخل فى الموضوع " .

قال ويليام : " آه ، لقد فهمت الآن . هذا تهديد ! " .

" سمّه ما تريد " .

قال ويليام بلهجة آمرة : " سكوت ، إن ويز لا يحتاجنى كى أمده بالعقاقير ، فمن السهل الحصول عليها ، وإذا لم أعطه

إياها ، فسيحصل عليها من مكان آخر . إنه حتى يمكنه شراؤها عبر الإنترنت " .

" ليس بدون أن يغامر بانكشاف أمره ، فهناك سجلات . لقد سهلت أنت الأمر له ، وأنا هنا لأخبرك بأن تتوقف عن ذلك " .

" أشعر بأن هناك لهجة تهديد فى كلامك " .

" نعم فإما أن تفعل وإلا أبلغت سلطات الولاية بأنك تصرف الدواء دون إذن الطبيب " .

" هل يمكنك إثبات ذلك ؟ " .

قال سكوت : " بإفراغ خزانة الأدوية الخاصة بوالدتى " ، فأصاب السهم هدفه ، ولأول مرة يرى سكوت الخوف يبدو فى عينى ويليام ، فألح على هذه النقطة قائلاً : " إذا أصررتما أنت ووالدى على معارضتى فى هذا ، فسأكشف أمركما . سيضطر هو إلى التوقف عند التدريب ، بينما سيتم سحب ترخيص الصيدلية منك " .

قال ويليام : " لا ، أشك فى أن تفعل شيئاً بهذه الخطورة " . ذكر صوته سكوت بثعبان يتلوى وسط الأحراش . تابع ويليام قائلاً : " ستكون التبعات خطيرة جداً جداً " .

" لا تهمنى تلك التبعات " .

قال ويليام : " أهكذا ؟ أواثق أنت ؟ " ، ثم نهض وابتسم له ابتسامة حزينة قائلاً : " وماذا عن والدتك ؟ " .

كانت تلك إحدى العقبات أمام اتخاذه موقفاً ضد والده ، كيف سيكون حال والدته إذا انكشف لها ويز الحقيقى ، بعد أن

يسقط عنه زيفه وخداعه وألاعيبه ؟ لابد أن الناس سيهزأون بها ، ولابد أن هذا سيكون مؤلماً لها .

لكن سكوت قال في نفسه إنه بحماية نفسه من ويز ، سيخلص والدته هي الأخرى . لابد أنها تعلم بخيانات والده وتغض الطرف عنها لتحافظ على كيان الأسرة ، أو لأنها لا تهتم بالأمر ببساطة . حين علمت بعد ظهر اليوم بشأن المنشطات ، وقفت في وجه ويز . إن والدته أصلب مما يظنها الناس ، وخصوصاً والده .

" لا شأن لك بوالدتي " .

تفرس فيه ويليام للحظة ، ثم مد يده ليتناول يد سكوت . سحب سكوت يده من متناول يد ويليام مشمئزاً . ابتسم ويليام ببساطة ، لكن لم تكن ابتسامته ابتسامة ودودة لقد كانت عكس ذلك في الحقيقة .

" إنني أنصحك أن تعيد النظر في هذا الأمر يا سكوت . إذا بدأت في كشف الأسرار ، فلن تجني من وراء ذلك إلا الإزعاج بالنسبة لك أنت شخصياً ، فكشف الأسرار له تأثير كتأثير كرة الثلج . فمتى انكشف سر ، تبعته أسرار أخرى لا محالة ، وفي كل مرة يكون الأمر أكثر تدميراً وخطورة . هل تثق في أنك تريد بدء تحريك هذه الكرة باتجاهك ؟ " .

حاول سكوت أن يخفي قلقه ، لكن من الواضح أنه لم ينجح في ذلك ، لأن ويليام ضحك ساخراً ، ثم مال ويليام إلى الأمام هامساً : " لديك سر رهيب صغير يا سكوت ، أليس كذلك " .

" لا " .

" بالطبع لديك سر . سر متعلق بـ " ميليسنت " " .

الفصل

٢٦

" لا أعرف عم تتحدث ! " .

استدار سكوت لينصرف ، لكن ويليام جذبه من ذراعه وأداره ناحيته فى عنف . فى الأحوال العادية ما كان بوسع ويليام أن يفعل ذلك ، بالنظر إلى قدرات سكوت الرياضية ، فباستطاعة سكوت أن يكسره فوق ركبته كعود الحطب ، لكن حركة ويليام العدائية المفاجئة كانت مباغتة له ، فلم يقاوم .

" إذن دعنى أوضح لك ما أعنيه يا سكوت . إننى أتحدث بشأن علاقة ميليسنت مع ويز ، على الرغم من أن كلمة علاقة تعطى الأمر لمحة رومانسية مضللة " .

اندفع الدم إلى رأس سكوت ، فقال : " أنت لا تعلم ـــ "

" إننى أعلم يا سكوت . أعلم أن والدك العزيز مهووس بشيئين . الأول هو إقامة علاقة مع كل امرأة يقابلها ، والثانى أن يتباهى بذلك ، ومن المدهش ـ وبسبب تهوره ـ أنه لم يكتشف

استحالة الجمع بين هذين الشيئين . إنه نزوع نفسى مذهل يستحق الدراسة .

لكننى أعترض . أين كنت أنا ؟ نعم ، نعم . لو أنه كان هناك أية علاقة حب رومانسية بينه وبين ميليسنت ، لأصبح الأمر مأساوياً ، أو أضرت العلاقة بينكما على الأقل تقدير . إن من يسمع كلام ويز عن علاقتهما ، يعلم أنها كانت غارقة معه فى الحب " . ابتسم ويليام ساخراً ، ثم قال : " تخيل ، وكل هذا كان يحدث بينما كانت هي بشكل رسمى حبيبتك وخطيبتك المستقبلية ، وكان يحدث تقريباً تحت ناظريك " .

كان قلب سكوت ينبض بعنف وازداد إفراز اللعاب لديه بغزارة ، ولم يكن باستطاعته ابتلاع لعابه بالسرعة الكافية ، واندفعت موجة من الحرارة فى أعضاء جسده جعلت العرق يسيل منه بغزارة .

قال ويليام : " لذا أنصحك يا سكوت ألا تأتى إلى بيتى مهدداً مرة أخرى ، فلديك من نقاط الضعف أكثر مما لدىّ " . وآمال رأسه جانباً وقال : " أتعرف أنك تشبه ويز كثيراً ، مع أنه يبدو أنك لا تحبه ؟ لم أدرك قبل الآن مدى التشابه الذى بينكما .

فأنت تظن مثله أن وجهك الوسيم وجسدك القوى يؤهلانك لمضايقة الآخرين . أفق يا بنى . هناك أنواع كثيرة من القوة ، وأكثرها فعالية هى أن تعرف عن الآخرين ما يحاولون إخفاءه .

على سبيل المثال ، لا أظن أنه سيسرك أو يسر ويز أن أخبر عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، اللذين تصادف وجودهما فى بيتكم اليوم بأنه كان على علاقة بخطيبتك السابقة .

قد يؤدى هذا استنتاج مؤداه أن هذا الموقف الشاذ قد خلف نوعاً من سوء النية بين الأطراف المعنية . وقد يعتقد عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية ـ لا سمح الله ـ أن هذه المنافسة الفريدة بين ابن وأبيه قد تؤدى إلى كل ما يتخيله العقل من تعمد الأذى ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر التخلص من المشكلة ، ويتصادف فى هذه الحالة أن المشكلة تكمن فى ميليسنت " .

صاح سكوت بصوت كالأنين قائلاً : " يا إلهى " ، واشتبكت مقدمة حذائه بالسجادة وهو يستدير بشكل جعله يتعثر فى طريقه إلى مدخل البيت . راح سكوت يغالب مقبض الباب ليفتحه سريعاً ويندفع خارجاً دون أن يشغل نفسه حتى بإغلاقه وراءه . كان الهواء القارص فى الخارج يبعث على النشاط لكنه لم يكن بارداً بما يكفى ليدفع عن سكوت شعوره بالغثيان . ولم يكد سكوت يبلغ السور الفاصل بين بيت عائلة ريت وبيت جارهما إلا وتقيأ .

كانت الانقباضات عنيفة بشكل اضطره إلى السقوط على يديه ورجليه وسط الثلوج ورأسه يتدلى بين كتفيه ، وحتى بعد أن فرغت معدته ، استمر فى الجيشان بشكل مؤلم .

تراجعت الانقباضات فى النهاية ، فتناول سكوت حفنة من الثلج ووضعها فى فمه وتركها حتى انصهرت ثم بصقها ، وأخذ يحك حفنة أخرى على وجهه المحموم . كان العرق يشعره بالتجمد ، وكان يرتعد بشكل لاإدارى ، بينما راح يصر أسنانه حتى يمنعها من الاصطكاك .

" سكوت ؟ " .

رفع سكوت رأسه ونظر نحو الصوت الذى يناديه . كانت ماريلى ريت تقف فى البهو الخلفى للبيت وهى توشك أن تهبط السلالم المغطاة بالثلوج .

صاح سكوت بها : " اجعى " .

" أنت مريض ؟! " .

شعر سكوت وهو ينهض من على الأرض أن ساقيه لا تحملانه . صارت ماريلى الآن فى منتصف السلم . صاح سكوت : " ارجعى إلى الداخل " ، وكان صوته يبدو مبحوحا يوحى بالذعر . أولاها سكوت ظهره ، وسار متثاقلاً متجاوزاً السور إلى الفناء الأمامى لبيت الجار ، ثم واصل طريقه متعثراً وسط الثلوج مستجيباً بشكل أعمى للغريزة التى تقوده ـ غريزة الفرار .

" اصح " .

استيقظ دتش ـ الذى كان ناعساً فى كرسيه ـ فزعاً وأنزل رجله من على زاوية المكتب ونهض بشكل تلقائى . كان دتش يتوقع أسوأ ما يمكن ، لذا قال : " ما الأمر هذه المرة ؟ " .

أشار له ويز بأن يجلس على الكرسى مرة أخرى قائلاً : " لا شىء . لا شىء على حد علمى " ، ثم خلع عنه ملابسه الخارجية المبتلة وعلقها على مشجب الحائط بالقرب من الباب .

راح ويز بعد ذلك ينفخ فى يديه وهو جالس قبالة دتش .

قال ويز : " لقد توقف انهمار الثلج ، لكن درجة حرارة العاصفة لاتزال تحت الصفر ببضع درجات . إنهم يقولون إن

الجو سيزداد برودة حين تزول السحب ، وستحقق درجات الحرارة الليلة رقماً قياسياً " .

سأله دتش قائلاً : " أتريد بعض القهوة ؟ " .

قال ويز : " لا ، أشكرك . لقد شربت الكثير اليوم بشكل يجعلني قد لا أستطيع النوم حتى شهر يونيو القادم . لقد أحضرت شرابي المنعش معي " ، وأومأ نحو زجاجة بها مزيج من العصائر ثم قال : " أعطني فنجانك " .

دفع دتش نحو ويز بفنجان القهوة الفارغ ، فأزال ويز غطاء الزجاجة وأفرغ بعضاً مما بها ، ثم رفع الفنجان ثانية نحو دتش ، ثم راح يشرب من الزجاجة مباشرة . بعد أن أخذ كل منهما بضع جرعات ، نظر ويز إلى دتش نظرة فاحصة وقال : " تبدو فظيعاً " .

كان دتش يدرك ذلك ، فكان يدرك أن وجهه المتورم يبدو وكأن كلبين متوحشين كانا ينهشانه .

" لم يجد ذلك الدهان الذى أرسله ريت نفعاً " .

" ستتلوث هذه الجروح إذا لم يتم الاعتناء بها . هل تريدني أن أوصلك بالسيارة إلى المستشفى ؟ " .

" لا " .

" بيت ريث ؟ " .

" قلت لا يا أخي " .

" لقد قال إن لديه شيئاً أقوى إذا احتاج الأمر ذلك " .

هز دتش رأسه .

" هل أكلت شيئاً ؟ " .

" بعض الأطعمة الخفيفة " .

" يمكن لـ " دورا " أن تعد ـــ "

" لست جائعاً فى الحقيقة " .

افترض دتش أن ويز سيتطرق إلى موضوع زيارته عاجلاً أو آجلا ، وفى أثناء ذلك كان يتمنى أن ينصرف ويتركه وحده . كان يمقت أن يعامله أحد معاملة الأم لابنها ، ولم يكن يميل الآن إلى الانخراط فى حديث عابر . كان يريد أن يجتر أحزانه وحده ، فشكراً لك يا ويز . إن كان هذا يبدو شعوراً بالاضطهاد ، فلا حيلة في ذلك . هذا ما كان دتش يشعر به .

ولم لا ، إنه لا يستطع فعل أى شيء بشكل مؤثر ، وكل ما فعله حتى الآن كان خاطئاً . بل إن كل شيء فعله انتهى بكارثة ، فمحاولته الفاشلة لأخذ شاحنة كال هوكينز إلى أعلى الجبل قد تنتهي في الحقيقة إلى عدة قضايا ترفع ضده ؛ فمن الممكن أن يرفع ضده هوكينز دعوى تعويض .

وفوق كل هذا ، فقد وضعت سلطته أكثر من مرة فى موضع تحد . لقد ذهب متحدياً لتحذير بيجلى له من الذهاب إلى مجمع كبائن ويسلر فولز فقد ذهب إلى هناك بالفعل ولكن تم إيقافه حتى قبل أن يدخل الكابينة رقم ثمانية ليرى بنفسه الأدلة التى كان عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية يخفيانها ومن شأنها أن تدين تيرنى ، فقد منعته الحراسة من الدخول إلى الكابينة .

لقد كان دتش الشرطى رقم واحد في السلطة التنفيذية بتلك المنطقة ، إلا أن بيجلى اندفع خارجاً من مكتب جوس إلمر وواجهه متهماً إياه بالمغامرة بأحد التحقيقات الفيدرالية السارية ، وكان يحدثه وكأنه لا شيء . حتى رجاله أصبحوا يتحدونه فى كل مرة يوجه إليهم فيها دتش أمراً .

" دتش ؟ " .

فزع دتش من خواطره المزعجة وركز على ويز ، وسأله متبرماً : " ماذا تفعل هنا ؟ لماذا لا تذهب إلى بيتك وتنعم بالدفء مع زوجتك ؟ " .

سخر ويز وأخذ رشفة أخرى من الزجاجة قائلاً : " أهون عندى أن أحتضن هذا العمود الذى بالخارج ، فهو أكثر نعومة ودفئاً بكثير من زوجتى " .

" ما الأمر ؟ " .

أشار ويز بيده إشارة لامبالية قائلاً : " إنها دائماً ما تشكو إما بالصداع أو بالمغص ، فإن شكواها دائماً حاضرة " .

" كيف حال سكوت ؟ هل قال أى شيء عن مقابلة بعد ظهر اليوم مع بيجلى ووايز ؟ " .

" لماذا ؟ " .

استناداً إلى رد فعل ويز المنعكس هذا ، كان واضحاً أن لقاء عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية كان غير مريح له . قال دتش : " لا يوجد سبب معين ، أتساءل فقط عن شعور سكوت بشأنه " ، ثم أخذ رشفة من فنجانه وهو ينظر إلى ويز من فوق حافة الفنجان ، ثم قال : " كان سكوت يبدو متردداً بعض الشيء فى بعض إجاباته عن أسئلتهم . هل كان يكذب ؟ " ، ثم تناول أحد مشابك الورق وأعاد تشكيله ثم رفعه فى وجه ويز قائلاً : " أم أنه كان يغير الحقيقة فقط ؟ " .

قال ويز : " انظر إلى الأمر من وجهة نظره ، فقد كان محاطاً بخمسة من الكبار ، وكلهم من رجال السلطة ، يسألونه أسئلة

عن علاقته مع صديقته . فى هذه السن ، هل تعتقد أن يصدق المرء بشأن طبيعة علاقته الخاصة ؟ " .

" بالنسبة لى ، لن أكون صادقاً معهم حتى فى هذه السن " .

ضحك ويز ساخراً ثم قال : " حسناً ، هذا هو الموضوع " ، ثم شبك يديه خلف ظهره وأسند كاحله مع ركبته الأخرى ، ثم تراجع فى كرسيه بشكل يجعل من يراه يظن أنه لا يعانى هما واحداً .

كان دتش يرى عكس ذلك . لم يأت ويز إلى هنا لتمضيه الوقت ، كما أنه ليس قلقاً بشأن الجروح التى فى وجه دتش أو ما إذا كان قد تناول وجبة ساخنة . كان تقديمه للعصير لـ " دتش " لمحة لطيفة ، لكن ويز ليس بهذا اللطف ؛ كصديق لابد أن له دافعاً آخر لوجوده هنا .

صر دتش على أسنانه حين أخذ يفكر فيما عساه أن يكون سبب الزيارة . ربما يكون العصير الذى منحه إياه لتخفيف الألم الذى سيشعر به . إن كان الأمر كذلك ، فوقوع البلاء خير من انتظاره .

" هل أنت هنا لتفصلنى يا ويز ؟ " .

بدت ضحكة ويز المقهقهة صادقة فعلاً وهو يقول : " ماذا ؟ " .

" هل تمثل لجنة ذاتية التعيين مفوضة من مجلس المدينة ؟ " .

" يا إلهى ! دتش . هل تعلم أنك وغد مصاب بجنون الاضطهاد ؟ من أين أتيت بهذا التصور المجنون ؟ " .

" مما قلته ليلة أمس . ألا تذكر ؟ لقد ذكرتني بأنك راهنت بحياتك حين عينتني ، وذكرتني إن فشلي سينعكس بشكل سيء عليك " .

" ياه ، اللعنة . لقد كنا متعبين ، متوترين . كانت أعصابنا مضطربة ، وكنت قد تجاوزت حدود المعقول في موضوع ليلي ووجودها في الكابينة مع ذلك الرجل . وبوصفي صديقك ، كنت أحاول لفت انتباهك إلى وجهة نظر جديدة . وأعيدك إلى الصواب " ، وحين شعر بأن دتش يوشك أن يقاطعه ، أسرع قائلاً : " لكن أتدرى ؟ خلال هذا اليوم ، بدأت أقترب من طريقتك في التفكير " .

نظر إليه دتش بقلق قائلاً : " ماذا تعني ؟ " .

نظر ويز بطرف عينه إلى الباب المغلق ، ثم مال إلى الأمام وخفض صوته وهو يقول : " أنت تعتقد كما أعتقد ، وكما يعتقد عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية أن تيرني هو الجاني ، أليس كذلك ؟ لقد اختفت خمس نساء ، ولا يعلم إلا الله ماذا فعل بهن . وذلك الشريط الأزرق اللعين ، إنه شيء يشعرني بالاشمئزاز " .

أومأ دتش برأسه بشكل مقتضب ، غير راغب حتى في أن يستجيب بأكثر من هذا قبل أن يعرف إلى أين يسير ويز بكلامه هذا .

" وزوجتك ـ بغض النظر عن أنها لم تعد زوجتك ـ المرأة التي تحبها في قبضته الآن . إنني لأعجب لهدوء أعصابك يا أخي بالفعل . لو كنت مكانك اليوم ، لقتلت أي شخص حاول الحيلولة بيني وبين قمة الجبل " .

" كدت أن أفعل ذلك " .

" لا أهمية لـ " هوكينز " " .

أخذ دتش رشفة أخرى من فنجانه ، وكانت كل جرعة يتجرعها بسلالة يشعر بها بطعم أفضل ، قال دتش : " ما الذى ترمى إليه يا ويز ؟ " .

" لنذهب أنا وأنت ونقبض على تيرنى " .

" لقد طلب بيجلى طائرة مروحية ـــــ "

قال ويز بنفاد صبر : " انس ذلك . إن وصلوا إليه قبلنا ، فلن نره . سيتم اقتياده إلى تشارلوت ويوضع تحت الحراسة . وحتى إن تم توجيه الاتهام إليه ، فسوف يطلب محاميه التأجيل بعد التأجيل ، ونظل خمس سنين من الآن نحاول أن نقدم هذا المجنون للمحاكمة ونقتص منه لهؤلاء النسوة وأسرهن . ليس هذا قانون الجبل ، ولا القانون الذى آمن به آباؤنا وأجدادنا " .

كان كلام ويز مقنعاً ؛ فـ " دتش " يعرف ـ منذ عمله السابق ـ إلى أى مدى تكون العدالة بطيئة ، إن تحققت .

قال ويز : " لست أدرى لماذا اشترك مكتب التحقيقات الفيدرالية فى هذه القضية أصلاً " .

" إن الاختطاف جريمة فيدرالية " .

" نعم ، نعم ، لكن هذا من وجهة النظر الرسمية " .

" ولكنه أمر مهم بشكل لعين " .

تقدم ويز إلى الأمام حتى صار يجلس على حافة الكرسى ، ثم ارتكز بمرفقيه على المكتب ، ومال إلى الأمام نحو دتش قائلا : " إن كليرى منطقة نفوذك يا دتش . هذه مدينتك ، وهؤلاء

أملك ، ويجب أن يكون النصر نصرك . لا نصر بيجلى أو ذلك الرجل المنافق ذى الأربع أعين " .

" لو مسحت بـ " تيرنى " هذا شارع مين ستريت تحت أعين عائلة جان وأقارب الضحايا الأخريات وقدمته للمحاكمة فى هذه المقاطعة . ستصبح بطل هذه الأنحاء . ستصبح مرهوب الجانب ، وسيعمل لك الجميع ألف حساب بوصفك الشرطى الذى حل لغز أكبر جريمة فى تاريخ المدينة " ، ورجع إلى الوراء وابتسم فى رضا قائلاً : " وسأكون أنا الشخص الذى هدته عبقريته لتعيينك فى هذا العمل " .

آتى هذا الحديث التحريضى ثماره ، حيث رسم ويز بحديثه هذا صورة تثير دتش وجعله بؤرة تلك الصورة . وكان دتش فى حاجة ماسة إلى أن تصبح هذه الصورة حقيقة ، لكن كثيراً ما هزمه الإحباط ، حتى أصبح الآن لا يركن إلى التفاؤل بشكل كبير . وهو يخشى حتى أن يمنى نفسك بالنجاح هذه المرة ، مع أن احتمالاته كانت كبيرة .

قال دتش : " إن القبض على شخص ما دون دليل يعد ضرباً من الجنون . ولا دليل لدى ضد تيرنى ، ليس لدىْ سوى تكهنات وشائعات " .

" عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية ـــــ "

" ليسا شريكىْ . لقد هدد بيجلى بحبسى فى السجن الذى أرأسه إذا دخلت كابينة تيرنى فى مجمع كبائن إلمر ! " .

" لا يستطيع فعل ذلك " .

" ليس مهماً إذا كان يستطيع أو لا يستطيع . إننى الآن لا أعرف ما لديهم بالنسبة لـ " تيرنى " ، لذا فكيف أقبض عليه وأقدمه للمحاكمة ولو على تهمة بسيطة ؟ " .

" أتظن أن بيجلى سيراقب كابينته بهذه الصورة لو لم يكن هناك أدلة تدينه بداخلها ؟ اقبض أنت على تيرنى ودعهم يتولون أمر الدليل " .

" هناك حقوق دستورية تمنع ذلك يا ويز " .

قال ويز : " أعرف ذلك ، لكن أليس هناك بند فى القانون يسمح بالقبض على شخص يعتقد أنه ــــــ " ، وأشار بيده. وكأنه لا يحاول تذكر هذا البند .

" لابد أن يكون هناك سبب محتمل " .

قال ويز : " هذه هى المسألة ! افترض أنك سمعت جرس الإنذار فى أحد البنوك ورأيت شخصاً يرتدى قناعاً ويجرى خارجاً من البنك . وهب أنك لم تر كيس النقود ، لكنك انطلقت وراء ذلك الشخص . هل تنتظر حتى يتم جمع الأدلة ؟ " .

ترك دتش معقده وأخذ يدور ببطء حول مكتبه . وقد شعر بأن حدة آلام وجهه قد خفت .

" إننى أوافق على ما تقوله يا ويز ، لكن الأمر مستحيل . لقد طلب بيجلى حضور الهليكوبتر صباح الغد ، لكن إن صفا الجو وسكنت الريح واستطاع الطيار الوصول إلى كليرى ، فهناك احتمال قوى أن يصعد بها إلى قمة الجبل ، لكن سيستغرق الأمر أياماً حتى نستطيع توفير المعدات الكافية والرجال اللازمين لإزالة تلك الفوضى التى على الطريق " .

قال ويز : " الفوضى التى على الطريق ؟ " ، وكان يبتسم ساخراً وكأنه قد سحب لتوه الورقة الرابحة من كمه ، ثم تابع قائلاً : " لكن ماذا عن الطريق الآخر " .

استغرق دتش لحظة حتى فهم ما يرمى إليه ، وحين فهم أطلق ضحكة عادية ثم قال : " الطريق الذى على الجانب الغربى من الجبل ؟ إنه لا يزيد عن كونه مساراً للماشية " .

" مسار للماشية تغطى بقدم أو قدم ونصف من الثلج ، وهو ما يجعله ممهداً ويجعل من السهل التنقل عليه " .

" ذلك بالنسبة لطيور البطريق " .

" أو مركبات الجليد " .

أوقف هذا دتش عن مواصلة الجدال ، فأخذ يفكر فى الأمر ثم قال : " هل تستطيع مركبة الجليد صعود جبل بهذا الانحدار ؟ " .

" الأمر يستحق المحاولة . هذا بالإضافة إلى أن الانحدار بهذا الطريق تدريجى لكثرة انحناءاته " .

كان ذلك صحيحاً . لقد تذكر دتش أنه ذهب عبر هذا الطريق ذات مرة عندما كان فى المدرسة الثانوية . وتذكر كم أتعبته تلك الانحناءات فى ذلك الطريق .

" حسناً ، ولكن من لديه مركبات الجليد ؟ " .

قال : " هوكينز " .

ضحك دتش ضحكاً شديداً بشكل جعل آلام وجهه تزداد .

" آه هذا عظيم . إنى لمحظوظ هذا هو آخر شخص فى العالم يمكن أن يسمح لى باستخدام مركبات الجليد الخاصة به " .

" لا سلطان له عليها ، فلقد اشترى أبوه أربعاً منها منذ بضع سنين لتأجيرها للمشتين ، وقد أصبحت ملكاً للبنك بعد أن رهنت كمال ضماناً لقرض لم يسدده " .

" هذا أيضاً عظيم " .

كان ويز مازال يبتسم ساخراً وهو يقول : " لم أصل إلى أفضل جزء حتى الآن . إن البنك يخزن مركبات الجليد تلك . أتعرف أين يخزنها ؟ فى موقف حافلات المدرسة " .

بدأ دتش يرى النور وهو يقول : " الموقف الذى معك مفتاحه ".

قال ويز وهو يمط الكلمة : " هذا صحيييييح " ، وبدا على وجهه وكأنه فاز فوزاً عظيماً ، ثم قال : " لدىَّ أيضاً مفتاح المكتب الذى تحفظ به كل مركبات مدارس كليرى " .

" لماذا لم تفكر فى هذا إلا الآن ؟ " .

قال ويز : " ألا تلتمس لى العذر يا رجل ؟ " ، وكان الغيظ بادياً فى صوته وهو يقول : " لقد كانت الأحداث كثيرة متلاحقة " .

" لماذا لم يقترح كال أن نستخدم مركبات الجليد ؟ " .

" لأن عقله كاللحم المفروم ، بالإضافة إلى أنها بعيدة عن الأعين وبعيدة عن العقل ومن المحتمل أن يكون قد نسى أمرها تماماً ، ونسى أمر البنك أيضاً " .

قال دتش وقد ازداد إثارة : " دعنا لا نذكر أحداً بها ، ويجب أن نقوم بهذا فى طى الكتمان ، فلو أن بيجلى أحيط خبراً بها فسوف يوقفنا " .

أومأ ويز برأسه قائلاً : " الليلة . اجمع كل شيء تظن أنك ستحتاجه . أما يزال لديك ملابس خاصة بالتزلج ؟ " ، فأومأ دتش برأسه : " حسناً ، لنتقابل عند موقف الحافلات ونستعد للذهاب ، ثم نتجه إلى الجبل بمجرد طلوع النهار قبل أن تتاح الفرصة لـ " بيجلى " كى ينطلق بطيارته " .

" سيكون علينا المرور خلال المدينة حتى نصل إلى الجانب الغربى ، فماذا لو أن أحداً رآنا أو سمعنا ؟ هذه المركبات صوتها عال . ما هى الذريعة التى سنتذرع بها لأخذها من موقف الأتوبيسات واستخدامها دون إذن البنك ؟ " .

قال ويز : " يا إلهى ! ألست مأمور القسم يا دتش ؟ إذا سألك أحد عن الموضوع ، قل إنك ستأخذها لترى ما يجب فعله من أجل إخلاء الطريق ، أو رؤية خطوط الكهرباء المقطوعة ، أو لإنقاذ إحدى القطط . يا إلهى ! لا أعلم . ستفكر فى شىء ما " .

عض دتش على شفته السفلى وهو يستعرض الخطة من عدة زوايا ، فلم ير بها خللاً . إن أخذ ممتلكات الغير أو استخدامها يعد سرقة لا جدال فيها ، لكن ويز كان محقًا . من يستطيع تحدى مأمور القسم ويسأله عن فعل ما هو ضرورى للقبض على أحد المشتبه بهم ؟

كما أن فعل أى شىء ، ولو كان شيئاً غير مشروع سيلام عليه فيما بعد أفضل من الجلوس فى مكانه حتى تتقيح جروح وجهه وترك الفرصة لعميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية كى يقوما بإهانته .

لأول مرة خلال اليومين الماضيين شعر دتش بأنه يحكم السيطرة على الأمور ، وكم كان هذا الشعور طيباً بالنسبة له !

رفع دتش فنجانه قائلاً : " أراك فى الرابعة والنصف " .

الفصل

٢٧

قالت ماريلى لأخيها : "لابد أن ذلك الحوار كان به شىء فظيع" .

" إلى متى سأظل أخبرك ـــــ "

" حتى أصدقك يا ويليام " .

كانت ماريلى قد أعدت القهوة فى إناء قهوة عتيق الطراز كانت قد تركته يغلى على موقد الغاز . وكانت هى وأخوها يتناولان القهوة فى غرفة المعيشة وهما يجلسان على كرسيين نقلاهما بالقرب من المدفأة التماساً للدفء والضوء ، وكانت ماريلى منذ نصف ساعة تحاول الحصول على معلومات من ويليام حول محادثته غير المسبوقة السرية مع سكوت هامر ، ولم تحصل بعد على إجابة مباشرة .

" لقد تقيّأ سكوت قبل أن يبلغ الفناء ، فما الشىء الفظيع الذى كنتما تتحدثان عنه ؟ " .

" لو كان الأمر يهمك ، لما طلب سكوت أن يتحدث معى وحدى . افهمى ما يعنيه ذلك يا ماريلى وكفى عن السؤال عما حدث . لقد أصبحت مزعجة " .

" وأنت أصبحت كاذباً " .

قال بهدوء : " لم أكذب " .

" لماذا يطلب سكوت أن يتحدث معك على انفراد ؟ " .

" هل تعنين لماذا أنا من بين كل الناس ؟ " .

" لا تضع الكلمات على لسانى يا.ويليام . لم أكن أعنى ـــــ "

ركز ويليام نظره عليها قائلاً : " بالطبع كنت تعنين . أتعرفين ما السبب فى هذا ؟ إنها الغيرة " .

" الغيرة ؟ " .

" إنك تموتين غيظاً لأننى أهم بالنسبة لأحد تلاميذك منك أنت شخصياً " .

" كلام سخيف " .

تفرس فيها ويليام للحظة ، وكانت ابتسامته الهازئة تشير إلى أنه يعتقد عكس ما قالت ، ثم قال : " حسناً ، إن سبب اهتمامك ليس مهماً بالفعل ، وذلك لأننى قلت مراراً إن موضوع حوارنا ليس من شأنك " .

قالت ماريلى : " حين يتقيأ أحد تلاميذى فى فناء بيتى ، فهذا من شأنى " . ثم ترددت قبل أن تسأل السؤال الذى كانت تكره أن تسأله : " هل كان الأمر متعلقاً بـ " ميليسنت " ؟ " .

تبدلت ملامح وجهه ، وراح ينظر إليها بفضول من نوع مختلف . تحدث ويليام ببطء قائلا : " كم هو غريب أن تذكرى اسمها " .

" ليس غريباً إلى هذه الدرجة ، وخصوصاً أنك كنت تحاول تخمين سبب انفصالهما اليوم " .

" لكن سكوت لم يكن يعلم ذلك " .

" هل تحدثتما عن ميليسنت ؟ " .

تردد يليام . ثم قال : " لقد ذكر اسمها فى الحديث " .

" فى أى سياق ؟ " .

" فى سياق علاقة سكوت مع ويز " .

" ويز ؟ ما هى ـــــ " .

قال ويليام : " لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك دون خرق للخصوصية يا ماريلى " ، ووضع فنجان القهوة على المائدة وقال إنه ذاهب لينام وهو يقول : " سأنهض مبكراً ، لفتح الصيدلية . لست مضطرة للاستيقاظ من أجل توديعى " .

قالت ماريلى : " لم تكن لدى أية نية للنهوض من أجل توديعك ! " ، وكان ذلك رداً سخيفاً من ماريلى ، لذا تجاهل ويليام ما قالته . وهو يترك الغرفة .

بسبب انقطاع التيار الكهربى . لن تكون هناك مدرسة فى الغد . يجب أن تكون الآن مستعدة لقضاء يوم إجازة آخر ، لكنها بدلاً من ذلك تجد نفسها محاطة بالمنغصات .

ويز وسكوت وويليام . إن المزيج الناتج عن هؤلاء الثلاثة يشعرها بالقلق . فبخلاف الحياة فى مدينة واحدة ، لم يجمع بينهم سوى مناقشات محمومة يرفض ويليام أن يتناقش بشأنها ،

فـى حـين أنـه يعشـق أن يكـون أول مـن يقـوم بنقـل المعلومـات والشائعات ، لذا فتكتمه هذا يضايقها ويشعرها بعدم الاسـتقرار . خصوصـاً أن ميليسـنت جـان يبـدو أنهـا كانـت أحـد عناصـر الموضوع .

ظلت ماريلى مستيقظة لعدة ساعات بسبب القلق ، حتى بعد أن أوت إلى الفراش ، ولم تدرك أنها راحت فى نوم قلـق إلا فـى الصباح .

" هل يمكنك أن تصدق هذا ؟ " .

" اسكت يا دتش . إنك ستوقظ المنطقة المحيطة كلها " .

قال دتش : " وماذا فى هذا ؟ لا يهمنى الآن أن يسمعنى أى أحد ، لقد خُدعنا " ، وضرب راحـة إحـدى يديـه بقبضـة يـده الأخرى ثم قال : " لا أستطيع الصبر " .

كان ويز يشعر بنفس إحبـاط دتـش ، لكـن لابـد أن يتماسـك أحدهما ، وطبعاً لن يكون دتـش ؛ فالرجـل يكـاد يفقـد عقلـه ، وهذه العقبة الأخيرة قد تجعله يفقده بالكامل .

لا يمكـن أن يسـمح ويـز بحـدوث ذلـك ، فهـو بحاجـة إلى دتش ، ويحتاج بشكل أكبر إلى السلطة التـى تمنحهمـا شـارته . كان من المهم أن يصعدا الجبل اللعـين ويقبضـا علـى تيرنـى ، أو الأفضل أن يقتلاه . لأسباب خاصة بـ " ويـز " ، أصـبح يكـرس نفسه لتحقيق الهدف مثله مثل صديقه دتش .

إنهما الآن يواجهان إحدى العقبـات ، لكنهـا ليسـت كارثـة كما يصفها دتش .

طبقاً لما اتفقا عليه ، تقابل الرجلان عند موقف حافلات المدرسة فى الرابعة والنصف ، وكلاهما غائم العينين بسبب قلة النوم ويكاد يتجمد كل منهما من البرد رغم أنه يرتدى ملابس وكأنه أحد سكان الإسكيمو .

كانت مركبات الجليد موجودة فى المكان التى رآها فيه ويز آخر مرة فى ركن أقصى من الموقف تغطيها أغطية من البلاستيك الأخضر . لا بأس حتى الآن . لم يجدا صعوبة إلا حين بدآ البحث عن مفاتيح مركبات الثلج ، فقد قلبا غرفة المكتب الملحقة بالموقف رأساً على عقب لكنهما لم يجداها . كان لكل مفتاح من مفاتيح مركبات الجليد رقم ترخيص ، لكنهما لم يعثرا على مفاتيح مركبات الثلج .

فى النهاية ، يئس ويز من البحث وقال : " لو أنها هنا ، فلابد أنها مخبأة جيداً ، ويكون البحث عنها فى هذه الحالة مضيعة للوقت . لا خيار أمامنا سوى أن نذهب إلى موريس لنسأله عن مكان المفاتيح اللعينة هذه " .

كان كارل موريس رئيس البنك الوحيد فى كليرى : " فى هذه الساعة ؟ " .

قال ويز : " عليك من الآن حتى نصل إلى بيته أن تفكر فى قصة مقنعة أيها المأمور . اختلق ظرفاً طارئاً يجعلنا نستخدم المركبات لا يمكن الانتظار بشأنه حتى طلوع النهار" .

كان عليهما أن يطرقا الباب عدة مرات قبل أن تجيب السيدة موريس التى كانت ملتفة من رأسها حتى قدميها بشىء يبدو كالبطانية ، أو أسوأ ملابس رآها ويز ، وكانت دميمة ، وزاد من دمامتها التكشيرة التى قابلتهما بها .

اعتذر لها دتش عن الإزعاج قائلاً إنهما يريدان التحدث إلى السيد موريس مباشرة ؛ فهناك ظرف طارىء . أغلقت المرأة الباب وذهبت لإبلاغ زوجها تاركة ويز ودتش ينتظران فى البرد القارص بالبهو .

أخيراً جاء موريس إلى الباب ، لا يقل سخافة عن زوجته . أخبره دتش قصة فحواها أن إحدى الأسر تعطلت بهم السيارة فى مكان مهجور وأنه فى حاجة ماسة إلى استخدام مركبات الجليد التى أخذها البنك من كال هوكينز .

" كان يسرنى أن أسمح لك باستخدامها يا سيادة المأمور ، لو كانت لاتزال مملوكة للبنك . لقد بعناها ... دعنى أتذكر . قبل إجازة العيد ، كما أتذكر . لقد أعلنا عن مزاد لشرائها . أظن أنك لم تعلم به " .

" أظن ذلك . من اشتراها ؟ " .

" ويليام ريت ، وحصل على إذن لتركها فى موقف حافلات المدرسة حتى يستطيع نقلها ، لكنه أخذ المفاتيح مع صك البيع " .

اعتذر له الرجلان مرة أخرى لإخراجه من فراشه وشكراه على تلك المعلومات .

أصبح دتش الآن ، وهما يسيران عائدين إلى السيارة البرونكو وسط الثلوج ، منفعلاً للغاية .

فنفد صبر ويز على التشاؤم المزمن لـ " دتش " ، فقال : " بالله عليك يا دتش ، هلا تماسكت ؟ ليست هذه هى النهاية . سنذهب إلى ريت " .

" بالله عليك . ستذهب إلى وكالة أنباء كليرى المتنقلة " .

استقل الاثنان سيارة دتش وأدار دتش المحرك . قال ويز : " هل لديك بديل آخر ؟ إن لم نفعل هذا فسيسرق العميل الخاص المسئول بيجلى المشتبه فيه ويسرق معه هيبتك " .

أخذ دتش يسب ويلعن وهو يتراجع بالسيارة خارجاً من مدخل بيت رئيس البنك . وصل الاثنان إلى الصيدلية بعد ذلك بخمس دقائق ، وكانت أضواءها مطفأة كلها بالطبع ، لكن سيارة ويليام كانت موجودة بجانب الرصيف بجوار سيارة ماريلى التى كانت فى مكانها طوال الليل . قال ويز : " لقد قلت لك إننا سنجده هنا " .

صلصل الجرس الذى يعلو الباب . كان ويليام خلف طاولة الغداء يغلى قِدْراً من الماء على موقد البروبين ، وكان المصدر الوحيد للضوء هو اللهب الأزرق المشتعل ، أسفل القدر ، بالإضافة إلى شمعة كان ويليام قد وضعها على الطاولة تنبعث منها رائحة التفاح .

حياهما ويليام تحية طيبة ثم قال : " لم أر فى الخارج حتى الآن سواكما . هل تريدان بعض القهوة ؟ إنها متجمدة حتى الجفاف ، إن هذا أفضل ما أستطيع تقديمه " .

جلس ويز على أحد كراسى البار وخلع قفازه قائلاً : " مادمت ساخنة ، فلا بأس ببعضها " .

جلس دتش بجانب ويز قائلاً : " وأنا أيضاً " .

" وجهك لا يبدو طيباً يا دتش " .

" نعم . أظن أننى أحتاج إلى دهان مضاد حيوى أكثر قوة " .

قال ويليام : " إذن فقد جئت إلى المكان الصحيح . سأحضره لك بمجرد أن تصبح القهوة جاهزة " ، وقد لفت نظره ما

يرتديانه من ملابس غير عادية ، فأبدى تعليقه عليها وهو يضع بللورات القهوة فى ثلاثة أقداح قائلاً : " هل تنويان ممارسة التزحلق على الجليد ؟ " .

نظر ويز إلى دتش نظرة خاطفة مسلماً الراية له . فقبل أن يصلا إلى الصيدلية كان قد لقن دتش أفضل طريقة للتعامل مع ويليام ريت فقال له مسبقاً : " إن ويليام ريت يحاول دائماً أن ينضم إلى مجموعتنا في حين أنه لا توجد أية فرصة لذلك ، لذا أريد منك أن تتملقه وتشعره بأنه واحد من فريقنا ومهم لخطتنا " .

قال دتش : " ضرورى لخطتنا . هذا هو ما يغيظنى " .

لم يكن دتش سعيداً أبداً بالضرورة إلى التملق لشخص حقير مثل ويليام ريت . انتظر ويز حابساً أنفاسه ليرى ما سيقوله دتش .

بدأ دتش بالسعال واضعاً ظاهر يده على فمه ، ثم اكتسبت ملامحه مظهر الجدية وهو يقول : " لم آت هذا الصباح من أجل القهوة أو من أجل أدوية لوجهى " .

" صحيح ؟ " .

تابع دتش قائلاً بنفس اللهجة الجادة : " قد يبدو هذا طلباً غريباً يا ويليام ، وكى أتمكن حتى من التصريح به لابد أن أضمن أولاً كتمناك لأمر رسمى " .

قال ويز فى نفسه : " ممتاز " .

قال ويليام : " تعلم أننى لا يمكن أن أخون ثقتك " .

" نحن بحاجة إلى استخدام مركبات الجليد الخاصة بك " .

" كنت أتوقع أن تطلب ذلك " .

ولو أنه قال إنه كان ذات يوم الممثل البديل فى أفلام طرزان ، لما أصابهما ذلك الذهول الذى أصابهما . كان دتش أول من تحدث قائلاً : " معذرة ؟ " .

ابتسم ويليام قائلاً : " بينما كنت أقود سيارتى إلى هنا الآن وأفكر فى سوء الطرق حالياً وإلى متى ستظل بهذا السوء إلى أن أتمكن من الوصول إلى بيت أهلى على الجبل وأستأنف إصلاحه ، خطر لى فجأة أننى لا أحتاج إلى سيارة لصعود الجبل . يمكننى أن أستقل إحدى مركبات الجليد الخاصة بى ، ثم خطر لى أن أعرضها على العميل الخاص المسئول بيجلى ـــــ "

" لا ، ليس بيجلى " .

أراد ويز أن يكبح شعوراً يدفعه إلى أن يمسك بذراع دتش ليحد من انفعاله . فقد تحدث بشكل حاد أكثر من اللازم ، مما سيلفت انتباه ويليام . إنهما يحتاجان إلى إنقاذ سريع ، وردود أفعال دتش لا تساعد على ذلك . قال ويز : " هذا هو ما يجب الكتمان بشأنه . فمن غير المفترض أن يعلم أى أحد بهذا ، لكن بيجلى قد طلب حضور طائرة مروحية فى وقت لاحق اليوم " .

" لماذا من غير المفترض أن يعلم أحد بهذا الأمر ؟ " .

" اللعنة ، لقد فسدت قضية دتش بالأمس بسبب الكلام الذى قيل فى الراديو ، ولا يمكننى أن أخبرك بمدى غضبه لهذا السبب ، تخيل ما سيحدث إذا تسرب خبر عن الطائرة المروحية المزودة بكافة الإمكانيات المتقدمة التى يمتلكها مكتب التحقيقات الفيدرالية ، بالإضافة إلى الرجال فى حللهم السوداء وأسلحتهم الأوتوماتيكية والحبال وما إلى ذلك . إن بيجلى سيكون

محاطاً برجال يعرضون أنفسهم للخطر ويعرضون عملية الإنقاذ نفسها للخطر " .

" إننى أفهم ما تعنيه " .

قال دتش : " سيكون بيجلى ووايز مشغولين بتنظيم تلك المهمة " ، وقد بدأ يفهم طريقة ويز فى الإقناع ، ثم قال : " أنا وويز نقوم بدور فريق المقدمة ، هذا إن استطعنا أن نستخدم مركبات الجليد الخاصة بك " .

" بكل تأكيد . إننى أعتذر لأننى لم أفكر فيها أمس ، فكان من الممكن أن يجنبكما هذا الكارثة التى حدثت مع هوكينز " .

" لم يكن من الآمن استخدامها فى الجو الذى كان سائداً بالأمس ، فلقد كان الثلج ينهمر بشدة ، وهذا الطريق يكون وعراً حتى فى أيام الصحو " .

" يسرنى أن أعطيها لكما " .

ارتخى كتفا ويز وقال : " هل هى جاهزة للاستخدام ؟ " .

أومأ ويليام : " لأننى اشتريها ، طلبت من ميكانيكى فحصها ، ووجدها فى حالة ممتازة ، والمفاتيح موجودة عندى فى البيت ، ويمكننا أن نأخذها من البيت فى طريقنا إلى موقف الحافلات . وبينما أقوم أنا بتغيير ملابسى ، من الممكن أن تقوم ماريلى بعمل القهوة لنأخذها معنا " .

" لن تأتى " .

ركل ويز قدم دتش تحت البار لمنعه من قول المزيد ، وابتسم أفضل ابتسامة إلى ويليام قائلاً : " ما كنا لنجرؤ أن نطلب منك شيئاً كهذا ، سيكون البرد قارصاً جداً ، بالإضافة إلى ... " ، ثم نظر إلى دتش وغمز له بشكل ينطوى على التعاطف ، ثم

خفض صوته وقال لـ " ويليام " : " لسنا متأكدين مما سنفاجأ به حين سنصل إلى القمة " .

قال ويليام وهو يبتسم ابتسامة لا يمكن حتى لأعمى أن يشك فى عدم أخلاقها : " بالطبع . أنا واثق أنها بخير " .

" نعم . أشكرك . لكن ويز محق ، إننا لا نعرف ما نحن مقدمون عليه حين نصل إلى هناك ، ولابد أن نفترض أن تيرنى هذا مسلح وخطر ، ولا يمكننى أن أطلب منك أن تزج بنفسك فى هذا " .

" لم تطلب منى ، لكننى أتطوع " .

" إننى أدرك ذلك ؛ لكن ـــــ "

" إننى أعرف الطريق يا دتش . أفضل منك . أفضل من أى أحد ، وأقطعه بالسيارة عدة مرات فى الأسبوع منذ أن تعلمت القيادة " .

" على أية حال ـــــ "

" إنها ملكى أنا " .

كانت العبارة تنطوى على تهديد . تهديد مقنع لكنه مع ذلك تهديد ، وكان ويز قد بدأ يشعر بتزايد انفلات أعصاب دتش . " هذا صحيح ، لكن بإمكانى أن أتحفظ عليها لأنك تضعها فى مكان يدفع أمواله دافعو الضرائب " .

" لدىّ إذن بذلك " .

قال ويز : " لكن ليس منى " ، وحيث إن الإقناع لم يفلح مع ذلك الحقير ، فربما تفلح معه قبضة السلطة القوية . قال ويز : " سأطلب من دتش التحفظ على مركبات الجليد " .

" لقد قال مجلس إدارة المدرسة إنه بإمكانى حفظها هناك إلى ما لا نهاية " .

" إن سلطتى أكبر من سلطة مجلس إدارة المدرسة ، وهم يفعلون ما أقوله لهم " .

تحول ويليام بنظرته الغاضبة من ويز إلى دتش ، وصمت غاضباً لمدة تصل إلى ثلاثين ثانية ، ونظر إليه ويز نفس النظرة المخيفة التي كان ينظرها لمنافسيه الرياضيين ، وكان تعبير وجه دتش مخيفاً بنفس الدرجة .

في النهاية قال دتش : " لم تترك لى خياراً " .

ترك دتش مقعده قائلاً : " سنتبعك حتى منزلك " .

أطفأ ويليام اللهب الذى يعلوه قدر الماء الذى كاد يجف من كثرة الغليان قائلاً : " سأطلب من ماريلى صنع القهوة ، وستكون أفضل من هذه " .

قال ويز : " لا داعى لإيقاظ ماريلى " .

" أنا واثق إنها لن تمانع " .

خرج كل من دتش وويز واستقلا السيارة البرونكو . ابتسم ويز ساخراً : " تهانئى أيها المأمور . لقد حصلت على مركبات الجليد التى تريدها " .

شاهدا ويليام ريت يستقل سيارته ويتراجع بها ليخرجها من مكانها ، وتبعه دتش فى شارع مين ستريت ، وكان يحرك عجلة القيادة بقبضته وهو يصيح متأففاً : " بعد كل هذا العناء ، يجب ألا يفلت منى تيرنى " .

" هذه هى الخطة " .

" أريده أن ينزف يا ويز " .

" إننى أسمعك . إن كان قد أذى ليلى ـــــ "

" ماذا ؟ " .

نظر ويز إلى دتش فى غير فهم قائلاً :

" ماذا ؟ " .

قال دتش : " أخشى أن يكون قد قتلها " . .

حرك ويز فمه ، لكن الكلمات لم تطاوعه للحظة قبل أن يقول : " حسناً ، بكل تأكيد يا دتش . من الطبيعى أن هذا هو ما يقلقنا جميعاً " .

" هل تظن أنهما ـــــ "

" اسمع ، إننى لا أعرف . كل ما أقوله هو أن أى شىء تفعله له سيكون مبرراً نظراً لما فعله لـ " ليلى " أو معها " .

قبض دتش على عجلة القيادة قائلاً : " أريده أن ينزف دمه " .

الفصل
٢٨

لا أريد أن أنام .

هكذا همست ليلى معربة عن شعورها بالأرق والذى كانت تحاول إخفاءه عن تيرنى الذى يتمدد إلى جوارها . لقد كان قربه منها يثير بداخلها خليطاً من الشعور بالقلق والدفء فى آن واحد . هى لم تشعر بمثل هذا الدفء مع رجل من قبل مهما بلغت درجة قربه منها حتى مع زوجها السابق ... فقد كانت تلك المشاعر التى تختلجها فريدة من نوعها . لقد كان تيرنى رجلاً من نوع خاص ... قربه منها يبعث بداخلها شعورًا بالقلق ، ولكن ذلك القلق ليس لكونه الأزرق كما تظن هى ، ولكنه ذلك القلق من تلك المشاعر التى تتحرك بداخلها .. إنها لا تتحرك فحسب بل تعصف بكيانها وكأن تيرنى يقرأ أفكارها ، فرمى بالبطانية التى تصل بينهما وقال هامساً : " ولم لا نتحدث سوياً يا ليلى " .

" فى أى شىء نتحدث ؟ " .

" في حبى لكِ " .

هكذا باغتها ولم تكن كلماته وجرأته فقط ما أدهشها ولكنها تلك النظرات المعبرة التى كانت تنبض بالصدق وتشع بالدفء الذى تفتقده ، فكم هى متعطشة للحب وللدفء لوجود رجل معها يحميها ويعتنى بها ويحيي بداخلها الأنثى مرة ثانية !

تصارعت بداخلها الأفكار والمشاعر المتناقضة هل هو صادق أم كاذب ؟ هل يمكن لهذا الرجل الحنون الشهم الذى يشع بالدفء أن يحمل بداخله وحشاً بشرياً يخطف النساء ويقتلهن ؟ هل يمكن أن يكون ذلك الصدق الذى تراه فى عينيه وهم لا أكثر ، ثم اغرورقت عيناها بالدموع وكان ارتباكها بادياً ، ولم تستطع تمالك نفسها وكبح عواطفها .

حين حاولت ليلى الحركة ، تذمر تيرنى .

همست ليلى قائلة : " سأذهب إلى الحمام " .

" عودى سريعاً " .

قالت ليلى : " لا تنم مكانى " ، وكانت تنسل من جانبه ، ونظرت خلفها نظرة خاطفة فوجدت عينيه مغمضتين ، لكن كانت هناك ابتسامة على شفتيه .

كان بالمدفأة عدد قليل من الجمرات المشتعلة تحت طبقة كثيفة من الرماد . كانت الغرفة قارصة البرودة . ارتدت ليلى معطفها وهى تمشى علي أطراف أصابعها نحو باب غرفة النوم . أصرت مفصلات الباب حين فتحته ليلى فتوقفت ونظرت خلفها ، لكنها وجدت تيرنى قد غط فى النوم مرة أخرى وقد استمر تنفسه المنتظم دون انقطاع .

كانت تتمنى ليلى أن ينام تيرنى لعدة ساعات أخرى حتى يعوض إرهاقه بالأمس ، كما أن جسده يحتاج إلى الراحة حتى يشفى .

كان الحمام بارداً بشكل يجعل البقاء فيه مستحيلاً ، فقضت حاجتها سريعاً ثم عادت إلى غرفة المعيشة . كان تيرنى لايزال نائماً . بكل ما استطاعت من هدوء ، وضعت ليلى القطعتين المتبقيتين من الخشب فى المدفأة وقلبت الجمرات المشتعلة أسفلها فاندلعت ألسنة اللهب فى المدفأة .

سرعان ما سيحتاجان إلى مزيد من الخشب ، فترددت ليلى للحظة قبل أن تذهب للبحث عن قفازها . ارتدت قفازها ولفت غطاء الرأس الخاص بـ " تيرنى " حول رقبتها .

كان آخر شىء فعلته ليلى هو استخدام بخاختها .

وحين خرجت إلى البهو ، لاحظت على الفور أن السحب قد انقشعت ، ورغم أن الشمس كانت أكثر انخفاضاً من مستوى قمة الجبل . فإن الأفق الشرقى كان ذهبى اللون مشوباً بلون قرنفلى ، بينما كانت النجوم فوق الرؤوس منتشرة فى السماء بشكل مرئى وسط الزرقة الداكنة ، وكانت بعض السحب تمر متثاقلة تحركها الريح التى كانت شديدة ، بما يكفى لتحريك هامات الأشجار وأغصانها .

ورغم الريح . كان اليوم يحمل وعداً بالإنقاذ .

مع ذلك ، كان يجب عليهما الاستعداد وكأن النجدة لن تصلهما اليوم . كانت قطع الأخشاب الموجودة بكومة الأخشاب فى البهو غليظة ، وبدون تقطيعها سيكون اشتعال النار فيها بطيئاً ، وقد استطاع تيرنى تقطيع القطع الصغرى بالفأس

الصغيرة ، لكن هذه الفأس لن تكون ذات جدوى مع قطع الأخشاب المتبقية .

نظرت ليلى باتجاه ناحية مخزن الأدوات . لم ينهمر الثلج بكثافة منذ عودة تيرنى فى وقت متأخر من بعد ظهر أمس ، لذا كان المسار الذى صنعه فى الثلوج مازال مرئياً .

كانت ليلى قد استخدمت بخاختها ، ولن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق كى تصل إلى مخزن الأدوات وتعود ثانية . ورغم إصرار تيرنى على أن الفأس ليست بصندوق الأدوات ، كانت تعلم أنها به ، كل ما فى الأمر أنه لم ينتبه لها .

لم تكن حمقاء بشكل يجعلها تشق قطع الأخشاب بنفسها ، فستدخر له هذه المهمة . لن يسره ذهابها لإحضار الفأس ، لكن بعد إنقاذه حياتها ، يصبح أقل ما يمكنها فعله هو أن تقوم عنه بهذه المهمة . أشعرها الهواء المنعش بشعور طيب ، حتى وإن كانت مضطرة لاستنشاقه من خلال غطاء رأس تيرنى . رحبت ليلى أيضاً بالفرصة للتمشية بعد مكوثها كل ذلك الوقت بالكابينة .

قبل أن تحاول ليلى إقناع نفسها بخلاف ذلك ، نزلت الدرج وراحت تقطع المسار الضيق الذى صنعه تيرنى فى الجليد .

تيرنى . من الغريب أنها لم تناده مطلقاً باسم بين . حتى فى ذلك اليوم عند النهر ، لم تستخدم اسمه الأول إلا مرة واحدة ، وفى تلك المرة رحب تيرني بالأمر قائلاً : " إن الجميع يدعوننى تيرنى " ، وكان ذلك لائقاً بالنسبة له .

حين تذكرت عدد المرات التى نادت فيها باسمه ليلة أمس . احتضنت معطفها ودفنت ابتسامتها فى غطاء رأسه الذى يغطى

وجهها الآن فبدا لها عطره وكأنه مغزول مع ألياف الصوف . كان ذلك ممتعاً بالنسبة لها .

وفي سعادة لم تشعر بمثلها منذ وقت طويل ، اتجهت ليلى نحو مخزن الأدوات دون تردد .

حينئذٍ دخلت الغابة .

قاد ويليام ريت دتش وويز من المكان الذى تقف به سيارته إلى الباب الخلفى لمنزله ، ثم قادهما خلال المطبخ إلى حجرة المعيشة .

قال ويليام : " مازال هناك بعض الجمرات المشتعلة ، وسرعان ما سأشعل النار فى المدفأة " ، وانحنى أمام المدفأة وبدأ العمل .

كان دتش قد بلغ من نفاد الصبر حد الجنون ، فكل دقيقة يضيعها بدون فعل إيجابى كانت فى صالح بيجلى . لم يكن يحتاج ناراً ؛ فذلك سيستغرق وقتاً لا يريد إضاعته .

ومع ذلك ؛ كان متردداً فى أن يفتك بـ " ويليام " إلى الحد الذى يجعله يتحدى تهديده بالتحفظ على مركبات الجليد ويسحب عرضه بالسماح لهما باستخدامها ؛ لذا فقد وقف جانباً بينما كان ويليام يضيف قطع الخشب إلى النار بالمدفأة ويقلب جمراتها .

قبل أن ينسى ذلك ، أخذ دتش جهاز إرسال واستقبال من جيب حلة التزحلق على الجليد التى يرتديها ، ثم لكز ويز ووضعه فى يده قائلاً : " ربما نتفرق عن بعضنا فوق الجبل ، هل تتذكر كيفية استخدامه ؟ " .

أومأ ويز برأسه قائلاً : " الضغط على الزر للحديث وتحرير الزر للاستماع " .

" حسناً . إنه يكون مجدياً فى نطاق سبعة أميال " .

اشتعلت النار فى قطع الخشب ، فوقف ويليام قائلاً : " هكذا ، هذا أفضل . سوف أصعد إلى ماريلى وأطلب منها إعداد بعض القهوة " .

قال دتش : " نحن بالفعل ليس لدينا وقت . أعطنا فقط تلك المفاتيح وسننطلق فى طريقنا " .

قال ويليام : " لن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق . ستملأ ماريلى التيرموستات لتأخذاه معكما " ، وأشار لهما بالاقتراب من المدفأة قائلاً : " خذا راحتكما " .

قال ويز : " إننى بالفعل أكره أن تقلق راحة ماريلى بسببنا " .

قال ويليام : " لن يهمهما الأمر " ، وراح يقطع الصالة .

اقترب دتش من المدفأة ومد يديه نحو ألسنة اللهب مستمتعاً بالدفء ما دامت الفرصة متاحة لذلك ، ولم يطرف عينه عن ويليام ورآه يقترب من باب فى منتصف الصالة .

حتى وإن كان دتش لم يكن أمامه موعد نهائى ، لم يكن يفضل إيقاظ ماريلى ، فإيقاظها يعنى أن شخصاً آخر سيعرف بخطته وخطة ويز ، وكلما زاد عدد الأشخاص الذين يعرفون بالخطة زادت احتمالات فشلها .

لقد فات أوان ذلك الآن .

طرق ويليام مرتين على باب غرفة النوم قبل أن يفتحه . بعد ذلك ، وقف ويليام فى مكانه ، ذراعاه إلى جانبيه محملقاً

أمامه . تساءل دتش عن سبب وقوف ويليام هكذا محملقاً فى غرفة نوم أخته وتصرفه بطريقة غريبة حتى بالنسبة لـ " ويليام ريت " ؟

تعجب دتش لذلك .

إلا إذا كان ما يحدق فيه ويليام شىء جعله غير قادر على الحركة وغير قادر حتى على إتيان أى رد فعل .

تحركت غريزة دتش البوليسية ، فنطق باسم ويليام متبوعاً بعلامة استفهام ، لكنه كان قد بدأ يتحرك نحوه بالفعل وهو يتوقع أن يرى جثة مشوهة ويرى الدماء تلطخ الحائط . سأل ويز قائلاً : " ماذا يحدث ؟ " ، ولابد أنه قد لاحظ هو الآخر سلوك ويليام الغريب وكان يتبع دتش .

فى الثوانى القليلة التى سبقت وصول دتش لغرفة النوم كان الأدرينالين يندفع فى جسده كشرطى ؛ فكان يحاول أن يندفع داخل الغرفة ليفتش على أية أدلة جنائية موجودة بها ؛ لذا توقف عند الباب وأزاح ويليام من طريقه .

لم تكن هناك دماء تلطخ الحوائط ، ولم يكن جسد ماريلى مشوهاً . كانت ماريلى تجلس منتصبة فى فراشها . وقد وصلت الأغطية حتى ذقنها تحملق فيه وقد اسكتتها المفاجأة .

وكان بجوارها فى الفراش سكوت هامر وقد بدا على وجهه نفس القدر من الذهول . استدار دتش وهو يسب ويلعن ويتمنى أن يمنع ويز من الاقتراب ، لكن ويز كان قد وصل إلى مكانه بالفعل .

دفع ويز دتش داخل الغرفة ، ثم استند بيديه على مقبض الباب كمن يخشى السقوط ثم قال : " ما هذا ؟ " .

مد دتش يده ليضعها على كتف ويز محذراً ، لكن ويز دفع يده جانباً واتجه غاضباً نحو الفراش .

رمى سكوت الأغطية ، وكان بعيداً كل البعد عن الخجل ، وواجه والده متحدياً قائلاً له : " الأمر كما ترى بالضبط يا والدى " . ونطق الكلمة الأخيرة دون وعى لما تعنى .

فخمن دتش أن ويز أصابه الجنون بسبب تحدى سكوت له مثلما أصابه الجنون بسبب ضبطه في هذا الوضع المشين ، لكنه وجه نظراته الحانقة إلى ماريلى قائلاً : " هل تقيمين علاقة مع أحد تلامذتك أيتها الحقيرة ؟ " .

قفز سكوت إلى الأمام وانقض على ويليام بقوة ودفع برأسه فى بطن والده ودفعه إلى الخلف عدة أقدام فاصطدم بمرآة قديمة فانكسر الخشب وتحطم الزجاج . لم يوقف ذلك سكوت ، فأخذ يضرب ويز بقبضتيه وهو يصيح به ألا يتحدث إلى ماريلى بهذه الطريقة .

رأى دتش أن الزجاج المكسور سيقطعه إلى شرائح إذا لم يتدخل ، وراح الزجاج يتحطم تحت حذائه وهو يمسك بـ " سكوت " من خصره من الخلف ويرفعه عن ويز الذى كان لاهث الأنفاس .

دفع دتش سكوت إلى الجانب الآخر من الغرفة قائلاً : " اهدأ وارتد ملابسك يا سكوت ويز " ، وأومأ برأسه لـ " ويز " نحو الباب . رمى ويز ماريلى بنظرة قاتلة ، ثم خطا نحو الصالة . تبعه دتش مغلقاً الباب وراءه .

أخذ ويز يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً مثل أسد أسير ، واستدار دتش نحو ويليام وكان على وشك أن يقترح عليه أن يعودا إلى

غرفة المعيشة لينتظرا تفسيراً لما رأوه حين أدرك أن ويليام لا يحتاج إلى تفسير ؛ حيث كانت ملامح وجهه توحى بالرضا بالنفس . وفجأة أصبح الأمر كله منطقياً بالنسبة لـ " دتش " ، فلم يكن إصرار ويليام على المجىء إلى البيت وإيقاظ ماريلى إلا شركاً ، فقد أخرج هو المسرحية بنفسه . قال دتش : " أنت وغد . كنت تعلم بالأمر " .

لم يحاول ويليام حتى إخفاء الأمر ، فقال : " إن أختى عشيقة مزعجة ، وكذلك سكوت " .

خرجت ماريلى من غرفة النوم ، يظهر عليها الهدوء بشكل ملحوظ وقد التفت بثوب طويل وقد مشطت شعرها على هيئة ذيل حصان كالمعتاد ، وقالت : " لقد انصرف سكوت . وكان منزعجاً للغاية " .

نظر ويز إليها باحتقار قائلاً : " كان منزعجاً ؟ كان منزعجاً ؟ " .

" نعم . وهو الوحيد الذى يهمنى " .

" حسناً ، من الأفضل لكى أن تهتمى بشأن عملك فى المستقبل ، فقد انتهت علاقتك بالتدريس " .

" إننى أدرك ذلك يا ويز ؛ لذا يمكنك أن تكف عن الصياح بى . لست خائفة منك . ولا شىء مما تهددنى به سيؤلمنى - أو يهمنى " .

" كم طفلاً آخر أخذته إلى الفراش ؟ " .

" سكوت ليس طفلاً " .

" لا تتلاعبى بالحديث . يجب أن تتوسلى إلىّ كى أغفر لك " .

" لإقامة علاقة مع سكوت ؟ " .

" بل من أجل اغتصابه " .

" إلى أى مدى تعتقد أن هذا أسوأ من إعطائه المنشطات ؟ " .

أصاب دتش الذهول لما قالته . فنظر إلى ويز بخيبة أمل ، لكن لم ير ويز نظرته . كان غاضباً يرتجف من الغضب ، وكانت أصابع يده متشنجة وكأنه يريد أن يطبق بها على عنق ماريلى .

غير مكترثة لما يعتمل فى صدره من غضب ، استدارت ماريلى إلى أخيها ونظرت إليه باحتقار قائلة : " كان هذا ما تتلذذ به . كانت كل الكلمات التى تتحدث بها والإيماءات والتلميحات تشير إلى معرفتك بعلاقتى تلك " .

" كنت أحاول مخاطبة ضميرك وأجعلك تنتهى عنه قبل أن تصل الأمور إلى هذا الحد " .

ردت غاضبة : " لا ، ليس صحيحاً . هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة . لقد كنت تريد مشهداً كهذا لأنك صغير حقير قاس يا ويليام " .

" سامحينى إن لمحت لك يا ماريلى أنك لست فى موقع يؤهلك لإهانتى " .

قالت ماريلى : " إننى لأعجب بماذا ستتسلى الآن . إننى سأرحل من هنا بمجرد أن أستطيع ترتيب مكان آخر لإقامتى ، ولتذهب أنت إلى الجحيم " ، ثم استدارت ودخلت غرفة النوم مغلقة بابها وراءها بهدوء .

واجه ويز ويليام قائلاً : " كنت تعلم بهذا ولم تخبرنى ؟ " .

" أخبرك وأفسد المفاجأة ؟ " .

احتجز دتش ويز قبل أن ينقض على الرجل . فقد كان حجم ويليام ثلث حجم ويز ، وسيكون الأمر بمثابة جريمة قتل . قال دتش : " اتركه الآن يا ويز " ، وحين تراجع ويز ، أخذ دتش خطوة للأمام باتجاه ويليام قائلاً : " أعطنى مفاتيح مركبات الجليد " .

" لا يوجد سبب يجعلنى أفعل ذلك " .

اقترب منه دتش خطوة أخرى قائلاً : " ما رأيك فى هذا السبب ؟ لو لم تعطنى تلك المفاتيح ، سأترك ويز يعيد ترتيب عظام وجهك . ويجعلك تمتص الطعام بماصة ما بقي من حياتك أيها الحقير " .

بدا ويليام وكأنه لا يبالى بالتهديد ، لكنه مد يده فى جيب سرواله وسحب سلسلة مفاتيح ثقيلة كانت معه طوال الوقت .

خطف دتش منه سلسلة المفاتيح وسأل ويز قائلاً : " هل ستأتى ؟ " .

لم يرد ويز ، لكنه تبع دتش عبر المنزل وخرج معه من الباب الخلفى .

لم يتحدثا ثانية حتى وصلا إلى السيارة البرونكو ، واتجها نحو موقف الحافلات .

" إن تسرب خبر عن هذا . فهل تدرى ماذا سيحدث بالنسبة لفرص سكوت فى الحصول على منحة دراسية ؟ " .

ضرب ويز بقبضته لوحة أجهزة التحكم بالسيارة عدة مرات ، ثم قال : " هذا الوغد ويليام ، أتمنى أن أصنع حساءً من أمعائه الحقيرة . لقد دبر الموضوع بحيث نستطيع رؤيتهما ، أليس كذلك ؟ " .

" لقد كاد لنا " .

" لماذا ؟ " .

" انتقاماً " .

" لماذا ؟ ماذا فعلت له ؟ " .

نظر دتش ناحيته مقطباً جبينه .

كان ويز تبدو على وجهه إمارات الغيظ .

قال دتش : " لقد أراد أن ينتقم منك بسبب كل التفاهات التى حدثت عبر السنين ، الحقيقى منها والتخيل . ومع ذلك فأنا لا أعرف لماذا يرغب فى إهانة ماريلى " ، ثم فكر للحظة قبل أن يقول : " إن سكوت مازال طفلاً ، ومن يكون فى سنه قد يسعى لإقامة علاقة بسبب طيشه أين ومتى أتيح له ذلك ، لكن ماذا عن ماريلى ؟ إننى مصدوم . من كان يظن أنها تفعل شيئاً كهذا ؟ " .

ضحك ويز ضحكة تنضح بالغيظ قائلاً : " ياه ، إنهن جميعاً يستطعن عمل ذلك . ألم تكن تعلم ؟ إنهن النساء " .

ربما كان هذا أحد الأوجاع التى أيقظته . هذا ، وشعوره بالبرد الآن بعد أن تركت ليلى عشهما . أغمض تيرنى عينيه واندس تحت الأغطية تاركاً ذهنه يهيم فى ليلى . إلى ذلك اللقاء الأول بينهما ، لم يكن تيرنى يتمنى أفضل من هذا الحب .

لم يتحدث بكلمة واحدة ، ولم يكن فى حاجة إلى ذلك . كانت اللمسات لغتهما ، وهى لغة يجيدها كل منهما . وكانت النظرات المعبرة هى لسان حالهما .

بعد تلك المرة الأولى ، نظر تيرنى . كان يتمنى لو يستطيع قراءة ما فى عقلها ، ويتمنى أن يعرف ما إذا كان قد استطاع استعادة ثقتها . حين حدق فى عينيها ، شعر بأنها تثق به ، ولكن لم يكن يعلم هل هذه الثقة حقيقية أم مجرد شعور مؤقت نتاج لحظات الحب بينهما ؟

استيقظ تيرنى وقد شعر بالآلام فى جسده .

تقلصت ملامحه بسبب الأوجاع العديدة التى يشعر بها ، فاستوى جالساً وفرك عينيه ليطرد عنهما النعاس .

ألقى تيرنى البطاطين ونهض واقفاً . أو حاول أن يقف على قدميه ، لكن جسده كان منحنياً على شكل زاوية ، ومن هذا الوضع استوى واقفاً وكل عظامه ومفاصله وعضلاته تعترض . اقشعر جلده من الألم ، وارتعد من شدة البرد ، وقبض بشدة على طرف البطانية ولفها حول جسده .

قال تيرنى : " ليلى ؟ " ، وحين لم تجب دخل غرفة النوم .

توقفت ليلى عند حافة الغابة للاستمتاع بالمشهد الخلاب . كان منظر الغابة كبطاقات الأعياد ثلاثية الأبعاد ؛ حيث كانت أغصان الأشجار دائمة الخضرة محملة بالثلوج ، بينما بدت الأغصان العارية وكأنها سوداء اللون تقريباً وسط الثلوج البيضاء المنهمرة ، وكان ضوء الفجر يشرق فقط على الهامات العليا للأشجار التى كانت تتمايل بفعل الرياح ، لكن أرض الغابة كانت غارقة فى الظلام والسكون .

كانت الغابة عبارة عن لوحة طبيعية ، تمنت ليلى لو أن بإمكانها أن تمكث بالغابة وتستمع بهذا السكون اللذيذ ، لكن سرعان ما ذكرتها برودة أصابعها بأن الغابة - رغم جمالها - هى الغابة المميتة إذا لم يتخذ المرء احتياطاته .

التزمت ليلى الدرب الذى تسير عليه حتى وصلت إلى مخزن الأدوات . كان الثلج قد كوّن تلالاً عالية أمام الجدران الخارجية ، لكن حين دفع تيرنى الباب فاتحاً إياه أزاح بعضاً منه تاركاً المدخل خالياً بشكل جزئى .

مرت ليلى خلال الثلج الذى تجمع منذ أن كان تيرنى بالمخزن وأمسكت بمقبض الباب ، ثم شدته بقوة ، لكن الباب لم ينفتح ، أو لم يتحرك إطلاقاً فى الحقيقة . جذبته ليلى عدة مرات ، لكنه بدا غير قابل للحركة . وضعت ليلى كل قوتها فى يدها ، ثم حاولت مرة أخرى ، وحين انفتح الباب ، انفتح بشكل مفاجىء أصابها بالذهول فارتدت خطوة إلى الوراء كادت تفقدها اتزانها .

ضحكت ليلى من عدم مهارتها ، ثم دخلت مخزن الأدوات . كان الظلام بداخل المخزن أشد مما توقعت ، فلامت نفسها لعدم إحضارها كشافاً لأنها كانت تريد أن تجد الفأس بسرعة وتنصرف . هذا المخزن لا تنقطع منه العناكب . وربما الفئران ، ولم تدخله ليلى قط دون أن تخاف أن يزعج دخولها أحد الثعابين .

ورغم أن جميع العقلاء ينعمون بالدفء فى فرشهم اليوم ، فإن رطوبة المكان المحيط بها وحدها كانت كافية لإثارة

أعصابها ، كما كانت تفوح من المكان الرائحة المقبضة التى تميز الأماكن المغلقة ذات الأرضية الطينية .

انتظرت ليلى حتى تعتاد عيناها الظلمة ، ثم نظرت حولها . لم تكن الفأس مرئية ، لكنها تذكرت أنها موجودة فى صندوق الأدوات .

كان صوت تنفس ليلى عالياً . ولم يكن صفير صدرها عالياً ، لكنه كان قد صار أدنى إلى ذلك . ربما يكون قرارها بالمجيء إلى هنا قراراً مهملاً . في الأحوال العادية ، فإن هذا المجهود لم يكن مؤذياً أو مرهقاً . لكن فى ضوء نوبة الربو الحادة التى حدثت لها أمس ، هذا بالإضافة إلى البرد القارص ، ربما كان لا يجب أن تحمل نفسها هذا المجهود ، وهذا أدعى لأن تأخذ الفأس سريعاً وتعود إلى الكابينة حيث يوجد تيرنى .

لم تكن تعتقد أن غطاء الصندوق الخشبى بهذا الثقل ، لذا فقد فشلت محاولتها الأولى لرفعه . تمكنت من أن ترفعه بوصة واحدة لكن أرهقها المجهود . إن أصابتها نوبة ربو فى هذا المكان ، لن يسمح لها تيرنى مطلقاً بأن تسمع النهاية .

ثنت ليلى ركبتيها ومدت باطنى كفيها على حافة الغطاء ، وحين استقامت ركبتاها وأخذت تضغط بكل طاقتها ، تمكنت من رفع الغطاء وفتحه . حين أصبح الغطاء رأسياً ، سقط من شدة ثقله على الحائط الموجود خلفه قبل أن تتمكن ليلى من الإمساك به .

أصدر الغطاء ضجيجاً لم تسمعه ليلى قط .

لم تسمعه لأنها كانت تحدق فى عينى ميليسنت جان القتيلة !

تدافعت أنفاس ليلى فى قوة ، لكنها حين حاولت أن تسترد أنفاسها كى تصرخ كانت شعبها الهوائية قد ضاقت بالفعل فلم تستطع إلا أن تئن أنة ضعيفة .

بلا وعى تراجعت ليلى مبتعدة عن المشهد المرعب ساعية للفرار بشكل غريزى . لم تكد تستدير حتى جمدت فى مكانها حين رأت ظل تيرنى فى الضوء المتسرب من فتحة الباب .

استوعبت كل شىء دفعة واحدة . كان تيرنى قد ارتدى بنطاله الجينز وحذاءه ، لكن أسفل معطفه كان صدره عارياً يعلو ويهبط بشكل سريع . فقد كان لاهث الأنفاس لأنه كان يجرى نحوها .

شهقت ليلى قائلة : " تيرنى ، ميليسنت ... "

وحينئذٍ ، فى لحظة خاطفة من الوضوح ، أدركت سبب جمود ملامحه وتصلبها وأيضاً سبب إسراعه إلى المخزن خلفها ، ولماذا لم يكن مندهشاً مطلقاً لرؤية جثة ميليسنت التى كانت محشورة دون أى اهتمام أو احترام فى صندوق أدوات صدئ .

كان تيرنى يقترب منها بخطواته الواسعة قاطعاً المسافة بينهما سريعاً ، إلا أن ليلى لم تستطع الحركة . لقد أصابها الشلل ، نفس الشلل الذى يصيب الإنسان فى الكوابيس حين يواجهه خطر داهم ولا يستطيع النجاة منه !

لكن فى آخر ثانية ممكنة ، اكتشفت ليلى أنها تستطيع الحركة . حين أمسك تيرنى بكتفيها . قاتلته بكل ما تملك من أسلحة ـ بأظافرها وأسنانها وأطرافها .

تركت ليلى خطوطاً من الدماء على وجنة تيرنى قبل أن يطوقها بذراعيه بإحكام ويثبت ذراعها إلى جانبيها قائلاً :

" ليلى . توقفى " .

كان تيرنى لاهث الأنفاس .

لا . لم يكن هو الذى يصدر ذلك الصوت الفظيع . إنه صفير صدرها المصاب بالربو .

" اللعنة يا ليلى ! توقفى عن هذا ! " .

" أنت قاتل ! " .

بعد ذلك رأت يده تسقط بسرعة البرق باتجاه عنقها .

ولم يؤلمها ذلك أبداً .

الفصل
٢٩

انتصب العميل الخاص تشارلي وايز واقفاً حين رن هاتفه الخلوي .

راح وايز يبحث عن الهاتف على نحو أعمى بين المفتاح والنقود وحافظة الشارة والنظارة الشمسية التي تركها على المنضدة المجاورة لسريره حين أوى إلى فراشه . كان وايز قد نام كالميت ، لكن صوت الهاتف الخلوي كان فعالاً كصوت جرس الإنذار بالحريق ، فأيقظه من نومه بلا رحمة ، وكان من الممكن أن يصاب بسكتة قلبية لإيقاظه بهذه الطريقة المفاجئة ، لكن عليه أولاً أن يرد على المكالمة ، رفع وايز الهاتف وضغطه إلى أذنه .

" وايز " .

" صباح الخير يا هوت . هل أيقظتك ؟ " .

كان بيركينز هو المتحدث . لم يكن الصوت واضحاً ، لكن باستطاعة هوت أن يسمع إن حاول صياغة ما يسمع . قال هوت

كاذباً : " لا " وهو يرتدى نظارته ، ثم تابع قائلاً : " إننى مندهش فقط . لم أكن أدرك أن خدمة الهاتف الخلوى قد عادت إلا حين رن الهاتف " .

" طائرة مروحية ... حوالى ... مضت . خبراء الأرصاد .... يقولون .... " .

قال هوت : " ابق على الخط . أمازلت معى يا بيركينز ؟ ابق على الخط " . وحرك ساقيه ليزيح الأغطية ، ثم نهض من الفراش إلى إحدى النوافذ متمنياً أن يكون الصوت أفضل .

" بيركينز ؟ " .

" أنت تفقد الاتصال يا هوت " .

" أعطنى الأساسيات " .

" طائرة مروحية . ستصل إلى كليرى فى الساعة ألف . فريق إنقاذ وبحث مكون من ثلاثة أفراد . قناص سابق فى وحدة إنقاذ المختطفين " .

" أخبار سارة . هل هناك شىء آخر ؟ " .

" نعم ، بالنسبة لـ " تير ... حصلت .... الليلة . اذهب إليه .... بعيداً ... شىء ما .... " .

أصاب هوت الإحباط وراح ينظر حوله محاولاً أن يجد بقعة جيدة يكون فيها الاتصال أفضل من هذا . ولكنه أدرك بعد ذلك أن الاتصال قد انقطع بالمرة ، وراح يتحقق من شاشة الهاتف فوجد المؤشر يدل على انقطاع الخدمة .

" هوت ؟ " .

كان بيجلى يقف هناك عند مدخل باب حجرة الزائرين والتى كان ينام فيها هوت . وقد كان بيجلى بكامل ملابسه

ويبدو نشيطاً ، الأمر الذى جعل هوت يقول : " صباح الخير يا سيدى . لقد كان المتصل بيركنز . ستكون الطائرة المروحية هنا بحلول الساعة العاشرة " .

نظر بيجلى إلى ساعته قائلاً : " ممتاز ، انته من ارتداء ملابسك الآن ... "

" حاضر سيدى " .

تراجع بيجلى من عند المدخل وأغلق الباب خلفه .

ولحسن الحظ كانت المياه الساخنة لاتزال متوفرة فى سخانات كبائن جوس التى تعمل بالبروبين ، ولهذا أخذ هوت حماماً آخر على الرغم من أن ذلك كان أول شىء يفعله الليلة الماضية بعد أن حجزا الكابينة رقم سبعة فى مجمع الكبائن ؛ فقد أراد بيجلى أن يحجز كابينته بالقرب من الكابينة رقم ثمانية الخاصة بـ " تيرنى " . فقد كان لا يثق فى أن دتش بورتون سيفى بوعده بالابتعاد عنها .

ونظراً لانقطاع الكهرباء لم يكونا قادرين على تشغيل الحاسوب الخاص بـ " تيرنى " ، الأمر الذى أصاب بيجلى بالإحباط ، فقد كان متلهفاً إلى الوصول إلى ملفات تيرنى . أما هوت ، فقد رحب بينه وبين نفسه بهذا التأخير ؛ حيث كان التعب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ولا يثق فى أنه سيستطيع التركيز بما يكفى لفك شفرات الأمان فى كمبيوتر تيرنى .

كانت كابينتهم هى الكابينة الثانية فى المجمع وتحتوى على غرفتى نوم تفصل بينهما منطقة للمعيشة بمطبخ صغير . استطاع بيجلى وهوت تصريف أمورهما على الضوء المنبعث من المدفأة ومن الشموع وموقد كيروسين . وبعد تناول اللحم المعلب

المطهو بالفلفل الأحمر الذى قدمه لهما جوس إلمر مسروراً ـ مقابل نقود ـ اغتسل هوت ، وكان يسير كالنائم تقريباً فى الطريق من الحمام إلى السرير .

والآن ، بعد خمس دقائق من استيقاظه ، انضم هوت إلى بيجلى فى الغرفة الرئيسية : " لقد غليت الماء للقهوة ، لكننى لا أوصى بذلك ، فقهوة قسم الشرطة أفضل من هذه . هيا بنا لننتظر الطائرة المروحية هناك . أعتقد أيضاً أننى مدين لـ " بورتون " بإعلامه بموعد وصول الطائرة المروحية " .

ارتدى هوت معطفه وقفازه : " أوافقك يا سيدى " .

" هل أخبرك بيركنز بمكان هبوط الطائرة ؟ " .

" لم يفعل . لم نكن قد وصلنا إلى ذلك قبل أن تنقطع الخدمة عن هاتفى " .

نظر بيجلى فى هاتفه وراح يسب ويلعن حين وجده يسجل عدم وجود خدمة ، ثم قال : " مازالت الخدمة غير منضبطة للأسف " .

" سأتصل بـ " بيركينز " بمجرد أن نصل إلى قسم الشرطة " .

ظل الاثنان صامتين لفترة بالسيارة ، ثم قال بيجلى : " ليلى مارتين . هل تظن أنها مازالت حية يا هوت ؟ " .

" أعتقد ذلك يا سيدى " .

" لماذا ؟ " .

" لأنه يعلم أنها اتصلت بـ " بورتون " وأخبرته بأنه معها " .

" أتمنى أن تكون محقاً " .

وبينما كانا يقتربان من مقر قسم الشرطة ، أدهشهما رؤية مركبات مدنية ، معظمها شاحنات ذات أربع إطارات ، مركونة أمام المبنى الطوبى الأحمر ، بينما تم ترك الشاحنات التى لم يستوعبها الموقف علي جانبى الشارع .

سأل بيجلى قائلا : " ما هذا بالله عليك ؟ " .

داخل قسم الشرطة ، كانت الحجرة اللحقة مزدحمة برجال يرتدون ملابس صيد مموهة أو ملابس مشابهة ، ومعظمهم كانوا مسلحين بالبنادق . لاحظ هوت أن أحدهم كان يحمل قوساً متقدماً وجعبة سهام مليئة بسهام سيئة المنظر ، وكان الجميع يتحدثون فى وقت واحد ويبدو عليهم التوتر .

حاول بيجلى أن يشق طريقه وسط الجمع المحتشد باتجاه جندى المراسلة الذى بدا أنه المستهدف بهذا السخط . بعد عدة محاولات فاشلة ، وضع العميل الخاص بيجلى أصابعه فى فمه وأطلق صفيراً يصم الآذان ، فصمتت الجلبة على الفور ، وأصدرت الأحذية صوتاً عالياً لدى اصطدامها بالأرضية الخشبية حين استدار الجمع بزاوية مقدارها مائة وثمانين درجة .

أصبحت كل الأعين فى الغرفة على بيجلى ، فعرف نفسه بصوت قاطع . كان بيجلى يقف وقد فرق ما بين قدميه ووضع يديه على خاصرتيه . لم ير هوت أن نظرة بيجلى القاطعة لم تكن قط بمثل هذا التأثير .

صاح بيجلى : " أريد أن يخبرنى أحدكم بما يحدث هنا " .

أفسح الجمع الطريق للرجل الذى تقدم للأمام ، ورغم أن ملابس ذلك الرجل كانت غريبة ، فإن هوت عرف أنه إيرنى جان .

" السيد بيجلى . السيد وايز . هؤلاء الرجال هم بعض المتطوعين الذين كانوا يبحثون عن ميليسنت حتى أجبرتهم العاصفة على التوقف . ولقد تسرب خبر بالأمس عن الرجل الذى اختطفها . فتجمعنا هذا الصباح للمساعدة في القبض على بين تيرنى .

بعد لقائه بهم على الفور ، لابد أن جان قد أخطر كل أصدقائه بأن بين تيرنى هو المجرم الذى أخذ ابنته . ولابد أن هؤلاء الأصدقاء قد أخبروا أصدقاءهم . نظر هوت فى وجوه الرجال المسلحين فرأى تصميم رجال يقظين مصممين على الوصول إلى بغيتهم وتحقيق العدل من وجهة نظرهم هم .

تجاهل بيجلى الآخرين وتحدث إلى جان قائلا : " إننى أتفهم يأسك ـــــ "

" مع احترامى الشديد لك يا سيد بيجلى . لا يمكنك ذلك . إن ابنتك الآن معززة مكرمة آمنة فى بيتها " .

قال بيجلى في تواضع : " إذن أصحح ما قلته . إننى أقدر لهفتك للوصول إلى ميليسنت . وأحيى أيضاً هؤلاء الأصدقاء والجيران المهتمين الذين تطوعوا بوقتهم للبحث عنها . هذا ما أعنيه " ، وشمل الجميع بنظرته .

" لكنكم تذكروننى فى هذا الصباح أيها الرجال بمجموع المتفرجين على أحكام إعدام . فى هذه المرحلة ، لا يعد السيد تيرنى متهماً . ليس لدينا دليل مادي ضده . أريد أن أؤكد على ذلك . لقد سمع الأهالى اسمه مرتبطاً بزيارتنا إلى هنا ، وانتشرت الشائعات كالنار فى الهشيم ، وأذاعها الراديو ، وأخذت الأمور أكثر من حجمها بكثير . لقد جئنا إلى كليرى لنستجوبه فقط

وليوضح لنا بعض المسائل حتى نستطيع استثناءه من المشتبه فيهم " .

ارتفع صوت مجهول فى آخر المجموعة قائلاً : " هذا هو ما نريد فعله نحن أيضاً . أن نستجوبه " . قوبلت الملاحظة الخبيثة بضحكة نصف مكتومة .

قال بيجلى وقد ضايقته المقاطعة : " لستم فى حاجة إلى بنادق بمناظير للحديث إلى رجل ، ستصل طائرة مروحية فى خلال ساعة من الآن ، وأنا أنوى أخذها إلى قمة الجبل . فإذا كان تيرنى بالفعل فى الكابينة التى كان يملكها المأمور بورتون حديثاً . سنطلب منه أن يتعاون معنا وسيتم استجوابه طبقاً للقانون ، وسنعطيه حقوقه الدستورية " .

" والآن ، هذا هو ما سيحدث . هذه هى الطريقة الوحيدة التى ستجرى عليها الأمور يا سيد جان . إذا حاولت أنت وأصدقاؤك تعطيل مهمتنا أو الأخذ بزمام الأمور فسوف استخدم ما أراه مناسباً من الوسائل لردعكم . هذا أمر من اختصاص الشرطة وبهذه الصورة ـــــ "

سأل جان غاضباً : " وأين هذه الشرطة اللعينة ؟ " .

" معذرة ؟ " .

أشاح بذراعه قائلاً : " لقد أتى هؤلاء الرجال إلى هنا هذا الصباح متطوعين بوقتهم وخدماتهم من أجلى ومن أجل الشرطة ، لكن مأمورنا العزيز لا يعثر له أحد على أثر " .

شارك هوت بيجلى نفس الذهول الذى أصابه قائلاً : " ماذا تعنى بقولك لا يعثر له أحد على أثر ؟ " .

رد جان قائلاً : " كما أقول بالضبط . إن رجال دتش أنفسهم لم يروه أو يسمعوا عنه منذ وقت متأخر من ليلة أمس وكان ذلك حين أخبر جندى المراسلة بأنه سيعود إلى البيت ليأخذ قسطاً من الراحة " .

ظهر الضابط هاريس وسط المجموعة قائلاً : " لقد أخبرنا بأن نذهب إليه إذا احتجناه " . وكان هاريس قد غيَّر زيه الرسمى وارتدى مثلما يرتدى معظم الموجودين ، وهو ما جعله غير مميز بينهم حتى الآن . تابع هارس قائلاً : " لقد عدت لتوى من بيته ، ويبدو لى أن البيت لم يكن به أحد منذ فترة طويلة ، فلا يوجد أى رماد حتى فى المدفأة " .

أرسل بيجلى نظرة قلقة نحو هوت قائلا : " ربما يكون ويهز هامر ـــــ "

قبل أن يتمكن بيجلى من إتمام كلامه ، كان هاريس يهز رأسه قائلاً : " ليس هناك أيضاً ، لقد مررت ببيته فى طريقى إلى هنا ، وقالت لى السيدة هامر إن السيد هامر عاد إلى البيت فى وقت متأخر من ليلة أمس ونام ساعتين ، ثم انصرف من جديد بعد الفجر " .

" هل كانت تعلم إلى أين ذهب ؟ " .

" قالت إنها لا تعلم " .

لم يرق هذا لـ " هوت " ، لم يرق له أبداً . وبالنظر إلى ملامح بيجلى القاتمة ، لابد أن الأمر لا يروق له هو الآخر . فكر بيجلى فى الأمر لعدة دقائق مشحونة بالتوتر ، ثم قال بحدة : " أيها الضابط هاريس " .

" نعم يا سيدى ؟ " .

" فى غياب رئيسك ، وحتى إشعار آخر منى ، تكون أنت مسئولاً عن التنسيق بين هؤلاء الرجال . أريد تنظيمهم فى فريق بحث وإنقاذ رسمى ، وعملك المباشر هو التأكد من حصولهم على العتاد اللازم . وأنا أقصد هنا كل شىء ، بما فى ذلك الذخيرة والملابس الإضافية والبوصلات والطعام والمياه الكثيرة . لن أكون مسئولاً عن أى شخص يصاب هناك بإغماء بسبب الجفاف " .

" أمرك يا سيدى " .

" أريدهم أن يكونوا جاهزين ومستعدين للتحرك الفورى متى يطلب منهم ذلك " .

قال الضابط الشاب : " أمرك يا سيدى " ، وغامت عيناه من الحيرة ، ثم قال : " لكى ، لكى يفعلوا ماذا يا سيدى ؟ " .

" لا أستطيع تقرير ذلك حتى أستكشف المنطقة من خلال الطائرة المروحية . سنكون على اتصال من خلال لاسلكى الشرطة ، لذا اقترح أن تظل هنا . استخدم هذه الغرفة كقاعدة عمليات . قد ينضم إليك متطوعون آخرون ، فسنحتاج إلى كل رجل يمكن أن يتطوع معنا " . هل يمكننى أن أقترح اقتراحاً ؟ " .

" بالطبع يا سيدى ، بالطبع " .

" لقد وجدت أن تقسيم وحدات الجمع إلى مجموعات أصغر وتعيين قواد لها يعد طريقة فعالة للتنسيق بين الرجال الأقل تدريباً . لكن اختر هؤلاء القواد بعناية ، فستكون أنت رئيسهم المباشر . هذا مجرد اقتراح ، ويمكنك بالطبع أن تتصرف بالطريقة التى تراها مناسبة " .

" أمرك يا سيدى " .

نظر بيجلى إلى هوت واتجه نحو الباب قائلاً : " أيها العميل ويز " . أسرع هوت أمامه ليفتح له الباب ثم تبعه إلى الخارج . بمجرد أن أغلقا الباب خلفهما ، كفا عن التظاهر .

" هل تعتقد أنهم انخدعوا بهذه التفاهات ؟ " .

رد هوت قائلاً : " من الصعب التحديد يا سيدى " .

قال بيجلى : " حسناً ، إن التفكير فى الأمر سيشغلهم لساعة أو نحو ذلك ، وخصوصاً اختيار قواد المجموعات ! وأتمنى أنه حين تتضح لهم الأمور ، نكون قد أنقذنا السيدة مارتين وقبضنا على تيرنى " ، ثم توقف قليلاً وقال : " اللعنة . أنت لم تستخدم الهاتف " .

" لم يتصل بى بيركينز على جهاز الاستدعاء الشخصى . لو أن لديه شىء عاجل لا تصل به بتلك الطريقة . كما أننى كذلك سأحاول دائماً الوصول إليه عن طريق الهاتف الخلوى " .

" ماذا ترى فى اختفاء ويز هامر وبورتون يا هوت ؟ " .

" ليس لدىْ فكرة يا سيدى " .

" لا يروق لى ذلك على الإطلاق " .

فتح هوت الباب المجاور لكرسى السائق قائلا : " إلى أين يا سيدى ؟ " .

قال بيجلى : " إلى الصيدلية . ويبدو أن هذا هو المكان الذى يتسكعان به . لنبدأ البحث عنهما هناك " ، وقبل أن يدخل السيارة ، نظر بيجلى إلى السماء الصافية قائلاً : " لم أكن أظن أبداً أننى سأقول لك إننى أفتقد الثلج ، فعلى الأقل كنت أعرف أين أجد من أبحث عنه فى أثناء انهمار الثلج " .

لم تكن ماريلي تظن أن الأمور من الممكن أن تصبح أسوأ من ذلك ، لكنها كانت مخطئة .

ظهرت دورا هامر عند عتبة باب ماريلي ، وقد بدا وكأنها فرت من مستشفى المجانين ، لا ترتدى سوى روب حمام طرفه مبتل من جرجرته على الثلج . هذا بالإضافة إلى خف مما يلبس في المنزل . وقد بدت قدماها في ذلك الخف محمرتين . لم تر ماريلي أحداً بهذه الهيئة المزرية من قبل .

بمجرد أن فتحت ماريلي الباب . صاحت دورا : " هل سكوت هنا ؟ " .

" لا " .

" هل تعرفين أين هو ؟ من فضلك ، أتوسل إليك . إن كنت تعرفين مكانه فأخبريني به " .

تناولت ماريلي يدها وأدخلتها إلى الداخل . ثم قادتها نحو المدفأة وقالت : " اجلسي واحكى لى ما حدث " .

لم تجلس دورا . بل ظلت تروح وتجىء ، تعبث بشعرها بيد بينما الأخرى ممسكة بقطعه من الورق المسطر . كان الهامش الأيسر الورقة غير مستو بما يوحى بأن الورقة قد قطعت من كراسة ملاحظات . قالت ماريلي " ما هذا ؟ " .

" هذه ورقة وجدتها في غرفة سكوت . لقد جاء رجل شرطة إلى البيت منذ فترة مضت " .

" رجل شرطة ؟ " .

قالت دورا بنفاد صبر : " أحد رجال دتش ، كان يبحث عن سكوت وويز . ليس هذا مهماً . بعد أن انصرف سكوت ،

نظرت فى حجرته لأتحقق من وجوده ، فوجدتها خالية ، ووجدت بها هذه الورقة " .

وهزت الورقة فى وجه ماريلى ، ثم سألتها والدموع تنساب على وجنتها : " هل صحيح أنك على علاقة به ؟ " .

دون أدنى تفكير فى الإنكار ، أجابت ماريلى بهدوء : " منذ عدة شهور مضت " .

كفت دورا عن الحديث بشكل رسمى وحدقت فيها بدهشة قائلة : " كيف جرؤت على ذلك ؟ ماذا دهاك يا ماريلى ؟ " .

قالت ماريلى برفق : " من فضلك يا سيدة هامر " . كانت ماريلى قلقة بشأن الحالة الذهنية لـ " دورا " أكثر من قلقها بشأن الاتهامات التى لابد أنها ستكيلها لها . كانت دورا تبدو على حافة الانهيار العاطفى : " سأخبرك بأى شىء تريدين معرفته عن علاقتى بسكوت ، لكننى لا أستطيع فعل ذلك وأنت تصيحين بى هكذا . من فضلك " .

وأشارت ماريلى نحو الكرسيين الموجودين أمام المدفأة ، كانت دورا قد نحت يدها جانباً فى لامبالاة ، وآلم ذلك ماريلى لكنها احتفظت برباطة جأشها ، وهى تعلم أن إحداهما لابد أن تحتفظ برباطة جأشها . قالت ماريلى : " ماذا فى الورقة ؟ " .

" إنه يشرح ما حدث هذا الصباح ؟ " .

" لقد كان الأمر سيئاً . لن أدعي غير ذلك " .

قالت دور ساخرة : " حسناً ، ينبغى أن تكونى فخورة بنفسك " ، وكانت بالطبع تعنى العكس . تابعت قائلة : " لقد أدى سلوكك الشائن إلى هذا ! " .

ورمت دورا بالورقة فى وجه ماريلى . كانت الورقة مجعدة مبللة بسبب إطباق دورا بيدها عليها . حين فردت ماريلى الورقة ، تعرفت فيها على خط سكوت .

كانت الورقة موجهة إلى والدى سكوت . أقلق السطر الأول ماريلى ، وكان كالتالى : " أعرف أنك لن تغفرى لى ما فعلته " . قرأت ماريلى السطر بصوت مسموع ، ثم نظرت إلى دورا قائلة : " ماذا يعنى بهذا ؟ ما هذا الذى لا يغتفر ؟ " .

قالت دورا : " إقامة علاقة مشينة مع مدرسته ، فيما أظن . لست أدرى " . وكانت قد بدأت من جديد تروح وتجىء وتحرك يديها بشكل غبى . تابعت دورا قائلة : " أنت آخر امرأة أريد الاقتراب منها . إننى أمقت وجودى داخل بيتك . لكننى أتيت لأننى اعتقدت أنك ربما تلقين لى بعض الضوء على ما جاء بالورقة . ظننتك تعرفين أين هو الآن وتعرفين ذلك الشىء الذى لا يغتفر . قولى شيئاً " ، وكانت تصرخ ، بينما انهار صوتها فى الكلمة الأخيرة .

قرأت ماريلى السطر مرة أخرى : " ربما يكون هذا إشارة إلى علاقتنا ، أو ربما يعنى ... " ، ولم تستطع أن تقول ما الذى تعنيه تلك الجملة الغامضة غير ذلك .

" هل يشير هنا إلى الوقت الذى نقرأ فيه الورقة ، أم إلى شىء فعله بالفعل ؟ شىء يظن أننا سنعتبره شيئاً لا يغتفر ؟ " .

" لا أعرف . وأخشى أن أخمن يا سيدة هامر " .

تراجعت دورا نحو الحائط ، وغطت وجهها بيديها وبدأت تنتحب : " هل يعنى أنه قد يقتل نفسه ؟ " .

تابعت ماريلى القراءة وشعورها بالذعر يتزايد . شعرت فى الكلمات بلهجة إقدام على الانتحار على الرغم من أن سكوت لم يصرح بها مباشرة ، ولكنه عندما غادر غرفة نومها من خلال الباب الفرنسى صباح اليوم ، كان منزعجاً للغاية ، ورغم أنها توسلت إليه أن يبقى معها ، فإنها لم تستطع إقناعه .

انطلق سكوت خارجاً . ولابد أنه توقف عند منزله بسرعة شديدة لمجرد ترك هذه الملاحظة . وأياً كان القرار الذى اتخذه فقد اتخذه بسرعة شديدة . أفزع ماريلى ذلك التهور . لم يكن سكوت يفكر بشكل واضح منطقى .

" هل أخذ أى شىء معه حين انصرف ؟ " .

قالت دورا : " لا أدرى ! " ، وكان ردها شارداً بشكل يوحى بأنها كانت غارقة فى أحزانها إلى درجة تجعلها لا تنصت لما تقوله ماريلى بالفعل .

أمسكت ماريلى بكتفيها وهزتها قائلة : " هل فقد شىء من المنزل ؟ " .

اتضحت رؤية دورا ، فقالت : " مثل ماذا ؟ " .

مثل بندقية مثلا . وقبل أن تعبر ماريلى عن فكرتها هذه ، سمعت المرأتان طرقاً شديداً على الباب . فأخذتهما دهشة ، وأخذتا تحدقان فى الباب لعدة ثوان بخوف صامت .

كانت ماريلى هى الأسرع فى لملمة أطراف شجاعتها ، فأجازت الغرفة وفتحت الباب .

" الآنسة ريت ، لقد تقابلنا بالأمس " .

" إننى أتذكر ذلك . العميل الخاص وايز " .

" نعم يا سيدتى . وهذا هو العميل الخاص المسئول بيجلى " .

" تفضلا " .

تنحت ماريلى جانباً حتى تتيح لعميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية بالدخول ، فدخلا ثم توقفا أمام غرفة المعيشة حين رأيا دورا هامر متكومة بجانب الحائط . من باب الذوق ، تظاهر بيجلى بعدم ملاحظته لملابس دورا الرثة ، وبدا وكأنه يقابلها مصادفة فى حفلة شاى . قال بيجلى : " صباح الخير يا سيدة هامر " .

كانت عينا دورا متسعتين من الخوف ، وقد اختفت الدماء من وجهها وهى تقول : " هل جئتم بشأن سكوت ؟ " .

" سكوت ؟ لا " .

شعر وايز بقلق المرأتين ، فقال : " ما الأمر ؟ " .

تركت دورا الإجابة لـ " ماريلى " : " لا نعلم إن هناك أية مشكلة . لماذا أنتما هنا ؟ " .

قال وايز : " فى الحقيقة ، لقد كنا نتمنى أن نجد أخاك بالبيت . لقد ذهبنا إلى الصيدلية أولاً ، ولم نجد أحداً هناك " .

عندما ذكر أخاها ، شعرت ماريلى بعضلات وجهها تتصلب . كانت لاتزال تحاول التغلب على صدمتها فيه ، فسروره بإيذاء أكبر عدد من الناس يعد شيئاً غير مفهوم لها .

لو أنه كان حقاً قلقاً بشأن فسادها الأخلاقى ، لكان قد واجهها بخطيئتها على انفراد ونهاها عن ذلك أو طلب المساعدة من أحد رجال الدين ، أو حتى هددها بكشف أمرها إذا لم تنه علاقتها بـ " سكوت " على الفور .

لكنه بدلاً من ذلك ، كتم السر وأخذ يضايقها بإيماءاته ، حتى جاء الوقت الذى أدرك فيه أن إطباق الفخ سينتج عنه أكبر ضرر ممكن ، وسيعطيه أكبر قدر ممكن من الرضا . إن ماريلى ترى فى نية ويليام الشريرة إثماً أكبر من خطيئتها حين عشقت سكوت .

كان العميلان ينتظران إجابتها . قالت ماريلى : " لقد خرج ويليام منذ ساعة مضت " ، وكانت قد بقيت فى غرفة نومها حتى سمعته يترك المنزل وسمعت صوت سيارته يبتعد . تلاعبت ماريلى قائلة : " لقد اعتقدت أنه ذاهب إلى الصيدلية . مادام ليس هناك ، فأنا لا أستطيع مساعدتكما . ماذا تريدان منه ؟ " .

قال وايز : " فى الحقيقة ، كنا نبحث عن بعض عملائه ، ومنهم زوجك يا سيدة هامر " . واستدار إلى دورا قائلاً : " هل يمكنك أن تخبرينا أين هو ؟ " .

" ليست لدىَّ فكرة " .

قالت ماريلى : " كان هنا هو ودتش فى وقت سابق . مع ويليام . لقد سمعتهم يتحدثون عن مركبات الجليد التى اشتراها ويليام مؤخراً فى أحد المزادات " .

كان الحديث المكتوم الذى جرى فى الصالة قد اخترق باب غرفة نومها ، ولقد كانت منزعجة من أجل سكوت بشكل جعلها لا تهتم بأصواتهم المرتفعة ، فقد كانت لا تهتم بما يتحدث عنه الرجال الثلاثة ، لكنها تتذكر تلك الكلمة : " أتذكر الآن أن ويز ودتش كانا يرتديان ملابس التزحلق على الجليد " .

تبادل بيجلى ووايز نظرات جعلت ماريلى أكثر قلقاً .

" من فضلكما أيها السيدان ، ما الأمر ؟ " .

قال بيجلى : " قمة جبل كيلرى " .

" والسيد تيرنى ؟ " .

" هل ذكرا اسمه أو ذكرا قمة الجبل فى محادثتهما مع أخيك ؟ " .

" لا أعتقد ذلك " .

" هل القمة مألوفة بالنسبة لك يا آنسة ريت ؟ " .

" جدًا . لقد تربيت عليها ، أسفل القمة العليا ، على الجانب الغربى " .

" الجانب الغربى ؟ كيف يمكن الوصول إليه من المدينة ؟ هل يدور طريق ماونتين لوريل حول القمة ؟ " .

" لا ، هناك طريق آخر يؤدى إلى القمة فى الجانب الغربى ؟ لكنه لم يعد كما كان قبل ذلك ؛ فقد انهارت أجزاء منه بسبب انهيار طينى منذ عدة سنوات ، وهو نادر الاستخدام ، لذا لم تتم إعادة رصفه " .

" لكن مركبات الجليد يمكنها السير عليه " .

قالت ماريلى : " لا أعرف أى شىء عن مركبات الجليد ، لكن أظن أن الأمر ممكن " ، ثم نظرت إلى كل من العميلين قائلة : " هل تظنان أن ويز ودتش قد صعدا قمة الجبل لمطاردة السيد تيرنى ؟ " .

ورغم أن بيجلى لم يجب بشكل محدد ، فإنه قال : " إننا ننتظر قدوم طائرة مروحية من تشارلوت ونتمنى أن نتمكن من الوصول إلى هناك قبل أى شخص ينوى أن يقوم بتنفيذ القانون بنفسه " .

نظر بيجلى إلى دورا قائلاً : " هل أنت مستعدة للاتصال بالسيد هامر ونصحه بألا يأتى أى فعل أحمق ؟ " .

" إننى على استعداد لذلك . لكننى حاولت الوصول إليه عن طريق هاتفه الخلوى فلم أتمكن من ذلك . كنت سأجن لكى أخبره بأمر سكوت ، لكن ـــــ "

قال بيجلى : " ماذا حدث لـ " سكوت " ؟ " ، وكانت نظرته الثاقبة مخيفة إلى درجة أرعبت دورا ، فقال بيجلى : " السيدة هامر . هل أزعجت سكوت الأسئلة التى سألناه إياها الأمس عن ميليسنت إلى هذه الدرجة ؟ " .

" لا " .

كان ردها ضعيفاً خاوياً . فاستغل بيجلى ذلك على الفور قائلاً : " بصراحة . لقد شعرنا أن سكوت ـ بصفة خاصة ـ كان يخفى معلومات من الممكن أن تكون لها قيمتها فى التحقيق " .

قال وايز : " ربما يعرف عن اختفاء ميليسنت أكثر مما ـــــ "

قالت ماريلى مقاطعة : " إن عدم اتزانه العاطفى لا علاقة له بـ " ميليسنت " " . حوّل الرجلان اهتمامها إلى ماريلى التى قالت : " لا أستطيع أن أترككما تضيعان وقتكما فيما لا يفيد " ، ثم ترددت قليلاً ، وبعد ذلك قالت : " إن سكوت منزعج لأن والده وأخى كانا يعطيانه حقن المنشطات ، وهو يريد أن يتوقف عن تعاطيها ويعرف أن ويز سيتشاجر معه إن فعل ، بالإضافة إلى أن ـــــ "

توقفت ماريلى ، وأخذت نفساً عميقاً وشبكت يديها ثم قالت : " بالإضافة إلى أنهم اكتشفوا علاقتى بـ " سكوت " ! " ،

وحين رأت الصدمة في وجهيهما أضافت : " كل ما ستستنتجانه من هذا الموضوع صحيح . أنا وسكوت عشيقان !

ولقد ترك ورقة مثيرة للقلق في غرفته هذا الصباح " . لم تأخذ ماريلي إذن دورا قبل أن تعطي الورقة إلى بيجلي الذي قرأها ثم أعطاها إلى وايز . لم تكن ملامح بيجلي مشجعة .

كان وايز هو أول من استطاع الحديث ، وحتى عندئذٍ فقد أخذ يتنحنح قبل أن يقول : " هل تعتقدين أن علاقتك به هي ما يشير إليه في الورقة ؟ " .

" أعتقد ذلك ، لكنني لست متأكدة " .

قالت دورا : " هناك إيحاء بالانتحار ، ولكن ... " ، ولم تستطع الاستمرار ، فبدأت تبكي بصوت خفيض .

قال وايز : " سنضع نشرة بأوصاف سيارته ، لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيراً على هذه الطرق " .

هزت دورا رأسها قائلة : " لم يأخذ السيارة " .

" هل تعنين أنه خرج على قدميه ؟ " .

" إنه مغرم بالتنزه سيراً على قدميه ، وهو يفعل ذلك حتى على قمة كليري " .

نظر كل من وايز وبيجلي إلى بعضهما نظرة ذات مغزى ، ثم خاطب بيجلي ماريلي قائلاً : " متى بدأت العلاقة بينك وبين سكوت يا آنسة ريت ؟ " .

قدرت ماريلي له أنه لم يوجه السؤال بلهجة توبيخية . في الحقيقة ، لقد بدا شبه معتذر لتوجيه السؤال . قالت ماريلي : " في سبتمبر " .

" وخلال هذه الفترة ، هل أسر لك سكوت بسبب انفصاله عن ميليسنت جان ؟ " .

" لم يتحدث أبداً عن صديقاته السابقات ، وأنا لم أكن أسأله " .

" لم تفعلى ؟ " .

" لا " .

" أبداً ؟ " .

" لا " .

" لم يكن لديك أى قدر من الفضول ؟ " .

" لا " .

" إذن فأنت امرأة لافتة للانتباه " .

أو كاذبة . هذا ما كان يعنيه بيجلى . ومن الغريب أن صوته الهادىء قد قضى على تحفظها . تهدلت كتفا ماريلى ، وتنهدت بعمق ثم قالت : " ليلة أمس . تحدثنا فى هذا الموضوع ليلة أمس لأول مرة . أخبرنى عن السبب الذى جعل كلا منهما يكف عن مقابلة الآخر " .

انتظر الجميع ، لكن حين لم تقل شيئاً آخر ، حفزها بيجلى قائلاً : " حسناً ؟ " .

" لن أخبرك بذلك يا سيد بيجلى . ليس فى الوقت الحاضر . سأخبرك حين يصبح من الضرورى لك أن تعرف " .

قال وايز : " يجب أن نعرف الآن " .

" أنا آسفة " .

كان وايز على وشك أن يقول المزيد ، لكن بيجلى رفع يده . أنصتت ماريلى وتعرفت على الصوت فى الوقت الذى قال فيه

بيجلى : " ها هى الطائرة المروحية " ، واتجه على الفور إلى الباب .

صاحت دورا قائلة : " انتظر ! " فعاد بيجلى . وقالت دورا : " إن كان سكوت هناك ــــــ "

" سأفعل كل ما فى وسعى لإعادته إليك سالماً يا سيدة هامر ، أعدك بذلك " .

صارت الغرفة باردة جداً حين أغلق بيجلى ووايز الباب وراءهما مسرعين . اتجهت ماريلى نحو المدفأة وأعادت ترتيب قطع الخشب بها باستخدام منخاس النار ، ثم جلست قبالة دورا التى قالت : " إنهما مقتنعان بأن سكوت له معرفة باختفاء تلك الفتاة " .

احتضنت ماريلى مرفقيها لتدفع عنها البرودة ، أو ربما كانت تلك أيضاً حركة لاشعورية ، محاولة للتمسك بالأمل فى أن كلمات سكوت لا تعنى الانتحار ، لأسباب لم تسمح لنفسها بتأملها .

قالت دورا باحتقار : " لا أدرى أيكما الأسوأ ــ أنت أم ميليسنت " .

" لا أتوقع منك أن تفهمى " .

قالت دورا بضحكة مريرة : " حسناً ، شكراً لك ، لأننى لا أفهم كيف يمكن لامرأة محترمة مسئولة ـ وهو ما كنا نظنه فيك دائماً ـ أن تغوى صبياً . إنك شخص مسئول . كان سكوت يقدرك ، لقد كان معجباً بك ! " .

" مازال كذلك " .

تجاهلت دورا ذلك قائلة : " لقد كنت السبب فى تسلله من البيت كل ليلة . كان يأتى إليك " .

" نعم " .

" هل تدركين الخطر الذى كنت تعرضينه له ؟ " .

ردت ماريلى قائلة : " نعم " ، كان صوتها هادئاً بسبب ندمها . حدقت ماريلى فى نار المدفأة ثم أضافت : " كانت الخطورة كبيرة بالنسبة لكلينا " .

" ومع ذلك أغريته لإقامة علاقة محرمة معك " .

رفعت ماريلى رأسها ونظرت إلى دورا قائلة : " هل أبدو امرأة فاتنة يمكننى إغراء أى رجل يا سيدة هامر ؟ " ، ثم ابتسمت فى انتقاص من قدر نفسها وقالت : " إطلاقاً . لقد كان سكوت ينظر إلىّ بنفس الطريقة التى كنتِ أنظر إليه بها . كان كل منا يحتاج إلى الآخر " .

" من أجل عاطفة كهذه " .

قالت ماريلى : " نعم . كانت هناك عاطفة ، ثم تجاهلت ابتسامة المرأة الأخرى الساخرة وتابعت قائلة : " لكن كان يجمع بيننا ما هو أكثر من ذلك . كان كل منا يفتقد إلى شىء مهم كان الشخص الآخر مستعداً ـ بل أقول سعيداً ـ لتقديمه " .

" حسناً ، بالتأكيد كنت سعيدة بأن تجعلى من نفسك متنفساً لغرائز ابنى ذى الثمانية عشر عاماً " .

اعترفت ماريلى بالأمر دون أى تأنيب للضمير قائلة : " هذا صحيح " . كانت ماريلى حائرة بشأن مدى ما يجب أن تفصح عنه ، هل يجب أن تخبر دورا بأنها صارت الصدر الحنون الذى

ألقى عليه سكوت ليلة أمس بهمومه حين تحدث إليها مؤخراً بصراحة وغضب بشأن المنشطات التى فرضها عليه ويز ؟

سيكون هذا الشيء الأخف وطأة بين ما تستطيع ماريلى أن تقوله ، لكن ألن يكون من القسوة أن تخبر دورا بأمر علاقة زوجها بـ " ميليسنت " ؟ ربما تعلم ذلك بالفعل . لكن إن كانت لا تعلم . فإنها الآن ليست فى الحالة النفسية الملائمة لسماع القصة .

هذا بالإضافة إلى أن ماريلى ليست منافقة . من تكون هى ، وقد ضبطت فى الفراش مع تلميذها ، كى تقذف ويز أو أى شخص آخر بالحجارة ؟ التزمت ماريلى بالحقائق ، لكنها سترتها ثم قالت : " لقد كنت أيضاً أريح سكوت من الضغوط التى كانت تفرض عليه بواسطة زوجك . كنت أستمع إلى آرائه وأفكاره وأحلامه ، بينما ـــــ "

" لا داعى لتجميل فعلك القبيح يا ماريلي . لا يوجد ما يبرر فعلك المشين . لست أكثر من امرأة مكبوتة استطاعت أخيراً أن تجد شريكاً على استعداد لإقامة علاقة معها " .

اعترفت ماريلى فى حزن قائلة : " أنت محقة بالطبع . إن عذرى الوحيد هو أن سكوت قد تخطى سن الرشد . من وجهة النظر القانونية ، فهو ليس طفل . لكن من الناحية الأخلاقية ، كان الأمر ... " ، ولم تكن ماريلى لتقول إن ذلك كان خطأً . لا يمكنها أن تنظر إلى ما حدث على أنه خطأ .

أنهت ماريلى جملتها قائلة : " غير مقبول " .

حدقت المرأتان فى نار المدفأة لعدة دقائق ، ثم انحنت دورا للأمام ووضعت مرفقيها على ركبتيها ، وأراحت وجهها بين

يديها وظلت هكذا لوقت طويل ، وقت كان كافياً لاحتراق قطع الخشب إلى عصى صغيرة تحتاج إلى التقليب .

وبعدها أخفضت دورا يدها وأدارت رأسها نحو ماريلى وقالت : " تحبين ابنى ، أليس كذلك ؟ " .

ردت ماريلى بهدوء قائلة : " من كل قلبى أتمنى ألا تحزنى يا دورا . لا يجب أن تتلقى من أن أكون السبب فى تدمير حياة سكوت . قبل أن تبدأ علاقتنا ، حين كان سكوت لايزال حلماً لذيذاً ، كنت أعلم أنه إن حدث بيننا شىء ، سيكون شيئاً مؤقتاً .

كنت أعرف أن الأمور يمكن ، بل لا يجب أن تظل هكذا . كانت نيتى دائماً هى أن أخرج من حياته بهدوء يوماً ما فلا أعرضه لأى إحراج أو عقدة ذنب بسبب ما بيننا " .

أدارت ماريلى رأسها ونظرت شاردة فى نار المدفأة ، ثم قالت : " كنت أعلم أن هذا اليوم آت . كنت أعرف أن قلبى سينشطر نصفين ، وربما قلب سكوت هو الآخر . رغم أننى كنت أتمنى تفادى ذلك .

بسبب توقعى لهذا اليوم ، كنت أستمتع بكل لحظة نقضيها معاً . كنت أعرف أن علاقتنا إن انكشفت ستلحق بى اللعنة ما بقى من حياتى . لكنى لم أكن أهتم . لقد عصيت القواعد لأول مرة فى حياتى ، وعشت اللحظة محاولة ألا أجعل كرهى للنتيجة الحتمية يفسد الوقت الذى كنت أقضيه مع سكوت . أعطيته كل ما أستطيع " ، وحولت ماريلى نظرتها إلى دورا مرة أخرى ، ثم قالت : " ويمكننى أن أفعل ذلك مرة أخرى دون أى ذرة من الندم " .

نظرت كل من المرأتين إلى الأخرى بفهم تام . من الصعب تحديد من تحركت أولاً ، لأنه يبدو أنهما مدتا يديهما فى وقت واحد إلى أن اشتبكت اليدان . تعلقت كل منهما بالأخرى بقوة ، لا شيء إلا لأنهما ليس لديهما ما تتعلقان به غير ذلك .

الفصل
٣٠

حين أفاقت ليلى ، وجدت نفسها عادت إلى الغرفة الرئيسية .
كانت النار مشتعلة في المدفأة ، لذا لم تكن تشعر بالبرد . كانت أشعة الشمس المحبوبة تتسلل من خلال نافذة أزيح الستار عنها . شعرت ليلى بألم في عنقها ، لكنه كان ألماً خفياً .

وكانت يداها مقيدة .

تيرنى !

يا إلهى ، هل كان يخدعها في حبه لها ؟ هل كان يتلاعب بمشاعرها ؟ أفلتت منها آهة شعور بالمهانة والغضب ، لكنها لن تستغرق في هذه المشاعر الآن . ستدخرها إلى وقت آخر ، بافتراض أنها ستنجو .

نظرت ليلى حولها في فزع ، وأخذت تنصت لعلها تسمع وقع أقدامه في غرف الكابينة الأخرى ، لكنها سرعان ما أدركت أنها وحدها . كانت ليلى تجلس على الأرض أسفل الطاولة بين المطبخ وغرفة المعيشة ويداها مقيدتان إلى حلقة معدنية على

الجانب السفلي من الطاولة ، وكانت قد فقدت الشعور بيديها بسبب عدم وصول الدم إليهما ، وربما يكون ذلك هو الذى جعلها تفيق إلى وعيها .

نهضت ليلي على ركبتيها لتعطى ذراعيها حرية الحركة وكثيراً من الراحة ، وكانت بخاختها موضوعة على كرسى قريباً منها جداً ؛ بحيث كانت تستطيع الوصول إليها إن هى مدت أصابعها . كان هناك أيضا كوب من الماء . يا للرقة . إن تيرنى لا يريد ألا تكون محرومة من الماء أو التنفس حين يقوم بقتلها .

ما هى الخيارات المتاحة بالنسبة له ؟ لقد تحدد مصيرها حين وجدت جثة ميليسنت .

إنه هو الأزرق !

تبرايراته للقيود وغير ذلك من الأشياء كانت - فى الواقع - مزيفة كما بدت لها تماماً . ربما يكون سبب صعوده إلى الجبل هو التخلص من جثة ميليسنت ، فأجبرته العاصفة على أن يؤجل ذلك ، فحشر جثتها فى أنسب مكان ممكن - صندوق أدواتها - وبينما كان عائداً إلى سيارته عرقلت ليلى عودته حين صدمته على الطريق .

كل تصرفاته ومراوغاته منذ ذلك الحين بدت علامات لا تقبل الجدل على أنه مذنب . كيف صدقت أنه برئ للحظة واحدة ، فضلاً عن ليلة بأكملها ؟ الإجابة بسيطة : إنها كانت تحبه .

كانت تشعر بعاطفة نحوه . لقد بدا عطفه عليها من خلال تضحيته بنفسه ومخاطرته بها بالأمس غير متوافق مع أخلاقيات رجل يريد أن يقتلها .

يالها من خطة بارعة . إنه يصادق ضحاياه ويسلب ألبابهن برومانسيته الحالمة ، ويذيقهن من حرارة الحب ما لم يذقن ، لكن عند مرحلة معينة تتحول الرقة في الحب إلى العنف والتنكيل .

لقد أخذت فقط لمحة خاطفة من وجه ميليسنت قبل أن تدير وجهها في رعب ، لكن الصورة انطبعت في ذاكرتها . إن ميليسنت لم تمت في أحضان الحب ، بل تم خنقها حتى برز لسانها من بين شفتيها وجحظت عيناها من محجريهما . لابد أن قاتلها كان قاسياً ليست لديه أدنى رحمة . كما أنها لم تمت بسرعة ، لقد كان موتها بطيئاً مرعباً .

ملأت هذه الأفكار نفس ليلى رعباً ، لكنها امتلأت أيضاً تصميماً على ألا تكون ضحية تيرني التالية .

أين هو الآن ، ومتى سيعود ؟ هل هو يتخلص من بقايا ميليسنت قبل أن يعود ليتعامل معها ؟ أيًا كان ما يفعله سريعاً ، فالوقت ليس في صالحه ، ولقد قال بنفسه إن دتش أو أي شخص آخر سيحاول الوصول إليهما اليوم .

متى ذلك ، متى ، متى ؟

جذبت ليلى قيودها بشدة ، لكنها حتى وهي تفعل ذلك كانت تعلم أنه لا جدوى من محاولتها التخلص منها . إذا كان تيرني لم يستطع أن يفعل ذلك ، فهل تستطيع هي أن تفعله . يا إلهي ! هل قبلت فعلاً المعصمين اللذين قاما بتقييدها ؟ وهل قامت فعلاً بخدش هذه الأيدي بأظافرها ؟

إنها لا تستطيع التفكير في ذلك الآن ، ولا في أي شيء آخر فعلاه في دفء الحب . لقد كان هذا ليلة أمس ، ونحن الآن

نعيش اليوم . إنها لن تموت من الخجل . إنها لن تموت ، وكفى . إنها ستنجو .

مدت ليلى يدها وأخذت تعبث بالمسامير التى تثبت الحلقة المعدنية إلى الجانب السفلى من الطاولة ، حيث إنها لو استطاعت فكها بما يكفى لخلع الحلقة المعدنية من الخشب ، يمكنها على الأقل أن تنزع القيود من الطاولة ، وستظل يداها مقيدتين معا ، لكنها تستطيع فى هذه الحالة أن تفر .

أخذت تختبر المسامير ، فلم تجد فى أى منها فرصة لفكها ، لكنها حاولت بإصرار على أية حال ، انكسرت أظافرها وكشطت ما بين أصابعها وهى تحاول فك المسامير . بعد خمس دقائق ، اعترفت ليلى أنه لا جدوى من هذا ، فلم تستطع فك ولو مسمار واحد ، وكل ما فعلته هو أن تنفسها أصبح أكثر صعوبة ، كما أنها أدمت أصابعها .

ما لم تحاول ليلى التفكير فى وسيلة أخرى للهرب ـ ولا شىء فى ذهنها الآن ـ سيكون عليها أن تتمسك بالأمل فى أن يأتى أحد لإنقاذها . ما هو السيناريو الذى سيحدث يا ترى ؟

هل سيقتلها تيرنى سريعاً ويهرب ؟ هل سيجعلها أسيرته فى أثناء التفاوض بشأن شروط استسلامه ؟ وسواء تركها حية أو ميتة ، هل يحاول تفادى القبض عليه ، فسيتم إطلاق النار عليه لهذا السبب ؟

هل ستموت وهى تنظر فى وجهه وهى تتوسل إليه ألا يقتلها ؟

أم أنها ستراه راقداً لا حراك فيه وسط بركة من دمائه ؟

لم تكن ليلى واثقة من أى من هاتين الصورتين جعلتها تبدأ فى النحيب .

لكن الدموع توقفت فجأة حين رن هاتفها الخلوى !

صاح دتش : " اللعنة . لقد تلقيت بريدها الصوتى ، لماذا لا ترد على الهاتف ؟ " .

طالت رحلة الصعود إلى الجبل ، وكان دتش قد فقد صبره بالفعل منذ زمن طويل . كان يعلم المسار الرئيسى للطريق ، لكن الطريق كان مغطى بطبقة من الجليد تبلغ عدة أقدام ، وكان زلقاً فى كل موضع منه ، وهو ما جعل كل باردة منه بالغة الخطورة .

لم تكن الأجزاء القصيرة المستقيمة منه أكثر أماناً من المنحنيات الوعرة . ولم يكن لدى دتش خبرة كبيرة فيما يتعلق بمركبات الجليد ، وكذلك ويز . كما كان دتش يرى أنها مركبات لا يمكن الوثوق بها ويصعب السيطرة عليها .

أحدثت النظارة الوقائية المستخدمة فى التزحلق على الجليد أثرها فى وجه دتش المتورم ، وكان وجهه متورماً لدرجة جعلت أنفه قطعة من وجنتيه لا يكاد من يراها أن يميزها عنهما ، وبدأت بعض الجروح تؤلمه . ولتخفيف الألم الناتج عن ذلك ، خلع دتش النظارة الواقية ، لكن أشعة الشمس المنعكسة جعلته يشعر بالألم فى عينيه لدرجة اضطرته لارتداء النظارة الواقية مرة أخرى .

هنا على الجانب الغربى من الجبل . كانت الريح أكثر قوة بكثير ، فكانت تجعل الجليد المنهمر سياطاً لم يكن دتش وويز

يستطيعا تفاديها دائماً . ورغم أن حركة أيدى الرجلين فى قيادة مركبات الجليد قد حفظتهما من التجمد ، فإن درجة البرودة كانت لا تطاق ، وكان كل منهما يقود مركبة بمفرده حتى يستطيعا التناوب فى التعرف على الطريق .

ويز ، الذى كان الآن فى المقدمة ، أشار إلى دتش بأنه يوشك أن يتوقف قائلاً : " أريد أن أتبول " .

أزعجت هذه العطلة دتش ، لكنه استغل الفرصة فى النظر إلى هاتفه الخلوى وحين رأى أنه يسجل وجود خدمة ، نزع قفازه سريعاً وطلب رقم ليلى .

انتهى ويز مما كان يفعله ، وكان عائداً فى طريقه حين سمع دتش يسأل نفسه لماذا لا ترد ليلى على الهاتف ؟ قال ويز : " حاول مرة أخرى " .

أعاد دتش طلب الرقم . لكنه حصل على نفس النتيجة غير المرضية .

" لا تقفز إلى النتائج يا دتش . ليس لمجرد أنها لا ترد على الهاتف تظن أنها .... إن هذا قد يعنى أشياء كثيرة " .

أومأ دتش برأسه موافقاً ، لكن قلبه كان يحدثه بغير ذلك .

قال ويز المتفائل دائماً : " ربما تكون قد حاولت الاتصال بك " .

أمسك دتش الهاتف بيده حتى يستطيع قراءة المكالمات الواردة ، لكنه لم يجد أى مكالمات من هاتف ليلى ، بل وجد ثلاث مكالمات من قسم الشرطة ، يفصل بين كل منها دقيقة واحدة . لابد أن ضباطه يتساءلون عن مكانه . طلب دتش الرقم

متأففاً ، وأجيب في الحال ، لكن الضوضاء الموجودة فى الخلفية زادت من سوء الاتصال .

قال جندى المراسلة : " حضرة المأمورة ؟ هل تسمعنى ؟ " .

هل يمزح ؟ يستطيع أى أحد أن يسمعه ولو كان فى الصين .

" ... نبحث عنك ... الطائرة المروحية ... الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالية ... فى ملعب كرة القدم بالمدرسة ... أسرع ... وإلا ذهبنا بدونك " .

أنهى دتش الاتصال ، ويستطيع فيما بعد أن يزعم أن الخدمة قد انقطعت ، أو أنه لم يفهم ما قيل لتشوش الاتصال ، أو أنه لم يسمع الجزء الخاص بوصول الطائرة المروحية .

قال ويز : " حصل بيجلى على طائرته المروحية " ، وكان قد سمع صوت جندى المراسلة المتحمس .

أومأ دتش متمتما وهو يجرب رقم ليلى مرة أخرى ويسب ويلعن حين سمع بداية بريدها الصوتى مرة أخرى .

قال فى ضيق : " لا أفهم شيئاً . أليست متلهفة إلى أن يقوم أحد بإنقاذها ؟ " .

ذكره ويز قائلاً : " إنها لا تعرف أن تيرنى هو الأزرق " .

" أعرف ذلك ، لكنها كانت ـــــــ "

رفع ويز يده قائلا : " اسمع ! هل سمعت هذا ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" اصمت ! " .

رفع دتش قبعته عن أذنه ، لكنه لم يسمع سوى صوت الريح وصوت سقوط الجليد على الأرض من آن لآخر بعد أن تسقط به

الريح من على أحد أغصان الأشجار العالية . بعد ثلاثين ثانية ، قال دتش : " لا أسمع أى شىء " .

" لا أسمع شيئاً الآن أنا أيضا . كنت أظننى أسمع شيئاً " .

" صف لى الصوت الذى سمعته " .

" كان كصوت واحدة كهذه " .

" كصوت مركبات الجليد ؟ لا يمكن . بالنسبة لمركبات الجليد الخاصة بـ " ريت " على الأقل . إن مفاتيحها جميعا معى " . فى سلسلة المفاتيح التى أعطاها ويليام لـ " دتش " كانت هناك أربعة مفاتيح لمركبات الجليد الأربعة ، وفى موقف الحافلات ، قاما سريعاً بتخمين المفتاحين اللذين يخصان المركبتين اللتين أخذاهما ، وبقى المفتاحان الآخران فى جيب دتش .

هزَّ ويز رأسه قائلاً : " اعتقد أننى توهمت الصوت ، فهذه المركبات صوتها عال جداً بشكل يجعلها تخدع الأذنين بشكل غريب . على أية حال ، كنت تقول إن ليلى كانت ـــــ "

" قد مكثت يومين حتى الآن فى الكابينة ، محاصرة ، لا حول لها ولا قوة . فلماذا لا تمسك بهاتفها فى يدها منتظرة أن يرن أو أن تحاول الاتصال ؟ " .

اعترف ويز قائلاً : " ربما يكون ذلك صحيحاً ، لكن ربما لا تكون هناك خدمته لديها ، أو ربما يكون شحن البطارية قد نفد " .

" أو ربما تكون قد ماتت " .

" دتش ـــــ "

" أو تكون مصابة " ، أو تكون فى أحضان تيرنى تنعم بالدفء فى فراشها وتكره أن يزعجها الهاتف . ربما لن يجداها مصابة على الإطلاق ، بل يجداها متوردة الخدين . نظر دتش إلى ويز وهو يعلم أنه يفكر نفس هذا التفكير .

" لو أنها تستطيع الاتصال ، فلا شك فى أنها ستحاول الاتصال بك يا دتش . أنا واثق من ذلك " .

وقبل أن يستسلم دتش لرغبته فى أن يلقى ويز من فوق المنحدر لتعامله معه وكأنه يعامل مريضاً نفسياً ، ارتدى دتش قفازه قائلاً : " إن كنت ستأخذ المقدمة ، أسرع فى سيرك " .

اتجه ويز نحو مركبة الجليد التى يقودها قائلاً : " لا يمكننى الإسراع أكثر من ذلك ، فهذه المنحنيات شديدة الوعورة " .

" كنت تعلم ذلك حين تطوعت بالمجىء معى . وبالمناسبة ، لماذا تطوعت بذلك ؟ " .

فوقف ويز عن السير ، ثم استدار قائلاً : " ماذا ؟ " .

رفع دتش النظارة الواقية إلى جبهته ونظر إلى ويز نظرة فاحصة طويلة .

" ماذا ؟ " .

" لماذا تفعل هذا يا ويز ؟ لا تسىء فهمى . إن لدىّ الدافع للنيل من تيرنى سواء كان هو الأزرق أم لا ، لكن ما مصلحتك أنت ؟ " .

هزّ ويز رأسه فى عدم فهم قائلاً : " لا أفهم ما تقوله " .

" بل تفهم . لا تتظاهر بالغباء . لقد فعلت المستحيل ليلة أمس لتقنعى بمطاردة تيرنى بنفسى . أريد أن أعرف السبب " .

" لقد فسرت لك السبب . أنت تستحق المجد الذى سيجلبه لـك القبض عليـه ، ولـيس مكتـب التحقيقـات الفيدراليـة ، وسأتباهى أنا بنجاحك . هل هناك مشكلة فى هذا ؟ " .

" لا . لا مشكلة في ذلك . لكننى أظن أن لك دافعاً آخـر ، وأظنه له علاقة بـ " سكوت " " .

" سكوت ؟ " .

قال دتش : " ينبغى أن تعلم يا ويز أنه كلما ازددت تظـاهراً بالبراءة زادت شكوكى . هل تسـتغلنى ؟ كمـا قلـت لـك . إننـى أريد النيل من تيرنى على أية حال . أريد فقط أن أعرف قبل أن أفعل ذلك أننى لم أكن مجرد أداة " ، ونظر إلى ويز نظرة صارمة قـائلاً : " هـل لـــ " سـكوت " أيـة علاقـة باختفـاء هـؤلاء النسوة ؟ " .

" صحيح . نعـم . لقـد كـان يرغـب فـى الـزواج مـن بتمـى كالهون العجـوز . فقـد كـان يعجـب بـالجوارب الحريمـى التـى كانت ترتديهن تلك النسوة " .

" لست مازحاً " .

" إذا كنـت لا تمـزح ، فأنـت مجنـون إذن . ذلـك الطبيـب النفسى فـى أطلانطا كـان يجـب أن يحجـز لـك عـدة جلسـات أخرى " .

" إن ابنك ليس طبيعياً هذه الأيام ياويز " .

" إن له علاقة آثمة بمدرسة اللغة الإنجليزية فى مدرسته كما علمت يـا رجـل ! ألا تظـن أن هـذا يجعلـه غـير طبيعـى بعـض الشىء ؟ " .

" أهذا كل شىء ؟ " .

" هل فعل شيئاً بـ " ميليسنت " ؟ " .

" كيف يمكنك أن تظن هذا ؟ إنك تعرفه منذ ولادته " .

قال دتش وقد ضاقت عيناه : " لقد عرفتك قبل ذلك " .

" أخبرنى الحقيقة . هل سكوت هو المتهم الذى نبحث عنه ؟ " .

" إننى حتى لن أكلف نفسى ـــــ "

" هل تتستر عليه ؟ " .

" لا ! " .

" إننى أعرفك يا ويز " .

" أنت لا تعرف أى شىء " .

" إنك تتستر على شخص ما " .

" إننى أتستر على نفسى ! " .

ارتد دتش إلى الوراء بضع خطوات ونظر مذهولاً إلى أكبر أصدقائه فى عدم تصديق وقد جف حلقه .

زفر ويز دفعة من الهواء ، ونظر إلى صف الأشجار الموجود علي الجانب الأيمن من الطريق ، ثم عاد بنظرته إلى دتش قائلا : " كنت على علاقة بـ " ميليسنت " . هل استرحت ؟ " .

" إننى أعرفك يا ويز ، وقد استنجت شيئاً كهذا " .

قال ويز : " نعم ، حسناً " ، ثم قص عليه بإيجاز أمر علاقته بـ " ميليسنت " وتبعات ذلك ، وأردف قائلاً : " كنت أعلم أن سكوت سيقطع علاقته بها بعد ذلك ، وقد نجحت خطتى فى إنهاء علاقتهما كالسحر . لكن ما لم أخطط له هو حمل ميليسنت واختفاؤها " .

" لا علاقة لى بالأمر . ولا علاقة لـ " ميليسنت " بـه أيضـاً . لكن علىّ أن أقول لـك يـا أخـى إن هـذا التحقيـق فـى اختفائهـا جعلنى متوتراً . لأن وغـداً مثـل بيجلـى سيضـع حياتهـا تحـت المجهر ويفتش عن الأسرار .

" لـن يكـون مناسـباً لى أن يتعـرض أى منـا نحـن الثلاثـة للفضيحة بانكشاف الأمر . ولن تكون هذه هى النهايـة ، فلسـت أريد أن يكتشف عميلا مكتب التحقيقات الفيدراليـة أو يكتشـف أهلـها ، أو أى شـخص آخـر أن واحـداً منـا ــ أو ربمـا شـخص آخر ، من يدرى ـ قد جعلها حاملاً .

لم يكن مهماً من الذى فعل ذلك ، لكنهـا أتـت إلىّ أنـا وهـى تبكى وتزعم أن الطفل الذى فى أحشـائها طفلـى . لقـد اختـارت الأغنى ، واختارت من ستكون خسارته أفدح إذا لم يعـوض لهـا خسارتها . وسكوت لا يعرف حتى بأمر الطفل . الحمد لله أنهـا فقدت الطفل بسبب مرض فقدان الشهية للطعام قبل أن تستطيع تنفيـذ تهديـدها بـأن تـدمر المعبـد علـى رؤوس الجميـع ، رأس سكوت ورأسى ورأسها ورؤوسنا جميعاً " .

" يا إلهى ! " .

" فعلاً . كان الأمر يزداد سوءاً لو كان هناك خبر قـد تسـرب عن هذا الموضوع فى الربيـع الماضـى . لكـن ألا تـرى كـم الوحـل الذى سينزل فوق رؤوسنا إن انكشف الأمر الآن ؟

حتى إن نجوت من غضب إيرنـى جـان ـ وهـو سـلاح نـارى موجه إلىّ لا شك فى ذلك ـ سأكون أنا وسكوت علـى رأس قائمـة المشتبه بهم " .

" سنحصل على البراءة فى النهاية بالطبع ، لكن لن يمر الأمر بسلام . سيؤدى هذا إلى تدمير زواجي وحياتي التدريبية . وبغض النظر عن البطولات التى فاز بها فريقي على مستوى المنطقة . سيتخذ مجلس إدارة المدرسة منى موقفا لإقامة علاقتى مع إحدى طالبات المدرسة " .

" لم تكن ميليسنت الأولى ؟ " .

قال ويز : " ربما لن تكون الأخيرة . من الرجولة أن يعترف المرء بنقاط ضعفه " . وقطب حاجبيه فى ضيق ، ثم قال : " لكن هذا الأمر خرج عن نطاق السيطرة . كانت ميليسنت صديقة سكوت ، وحملت ثم فقدت الطفل . وهى الآن مختفية ، لذا فالأمر يدعو إلى القلق من أى وجهة نظر . هذا هو سبب تلهفى على حل قضية الأزرق هذه ووضع نهاية لكل هذا التنقيب المزعج فى حياة ميليسنت المسكينة " .

توقف ويز ليسترد أنفاسه ، ثم قال : " هذا هو الموضوع يا دتش . هذه هى مهمتى فى الأمر ، بالإضافة إلى مساعدة أقدم وأقرب أصدقائى . هل استراح بالك الآن ؟ " .

هز دتش رأسه وضحك فى سخرية قائلا : " كان يجب أن أعرف أن الأمر له علاقة بعلاقاتك الخاصة الشينة " .

فرد ويز ذراعيه وانفرجت أساريره عن أكثر ابتسامته سخرية وقال : " ماذا يمكننى أن أقول ؟ " .

" لن أخفى عنك يا ويز أنك أخفتنى " .

ضرب ويز دتش على كتفه ضربة خفيفة قائلاً : " هيا لكى نمسك بهذا الوغد اللعين " .

لكن حين استدار دتش كى يشغل مركبة الجليد ، انهارت ابتسامة ويز .

أرادت ليلى أن تصرخ من شدة الإحباط حين بدأ هاتفها الخلوى يرن لمرة الثانية . كان الهاتف موجوداً على المنضدة المجاورة للأريكة ، أمام عينيها ، لكن بعيداً عن متناول يدها . لقد حرص تيرنى على ذلك .

لو أن دتش قد تلقى رسالتها المختصرة منذ ليلتين ، لابد أنه سيجن الآن كى يصل إليها لعلمه بأنها قضت كل هذا الوقت مع الأزرق .

وربما لا يكون دتش هو المتصل على الإطلاق .

ربما لم يبلغه اتصالها ولم يتلق منها أية رسائل . كما قالت لـ " تيرنى " ليلة أمس ، ربما يظن دتش أنها كانت آمنة فى بيتها فى أطلانطا خلال اليومين الماضيين . لقد أوضحت له تماماً أن حياتهما معاً قد انتهت ، فإن أخذ كلامها هذه المرة جدياً ، فلن يهتم بأمرها إطلاقاً .

لكن حين بدأ هاتفها يرن للمرة الثالثة . دعت الله أن يكون المتصل هو دتش ، أو شخص ما ، أو أى أحد يستطيع الوصول إليها قبل أن يعود تيرنى .

كان صوت تنفس تيرنى عالياً ؛ فقد كان يتنفس بصعوبة لدرجة أن الأبخرة التى كانت تتكون أمام وجهه كانت أحياناً تبلغ من الكثافة ما يحجب عنه الرؤية ، وبدا أن قلبه قد تضخم بشكل جعله يملأ قفصه الصدرى كله .

كان تيرنى قد قرر أن يتجاهل ألم كاحله ، لكن فى هذه اللحظة لم ينجح فى تنفيذ ما عزم عليه . فلقد أصبح كاحله أكثر ضعفاً وتزايد ألمه مع كل خطوة كان يخطوها ، ولم يجعله يتحمل الألم إلا أنه كان يجرى ناجياً بحياته .

منذ أن أذيع اسمه فى الراديو ، أصبح تيرنى مستهدفاً ، يحرص كل رجل وامرأة وطفل فى كليرى على سفك دمه ، ولن يتردد أى أحد فى تحدى سلطة مكتب التحقيقات الفيدرالية من أجل النيل منه . ولو أن دتش بورتون قد تلقى الرسالة التى تقول بأن ليلى محبوسة معه ، سيكون أول المتعطشين لدمه .

هذا هو ما جعل تيرنى يبتعد عن طريق جبل لوريل ويلتزم الغابة . لو أن فريق بحث وإنقاذ كانوا فى طريقهم لإنقاذ ليلى من الأزرق ، سيكون الطريق الرئيسى هو الطريق الذى سيتخذه .

من خلال تجربته بالأمس ، علم تيرنى ما يجب تفاديه من الطريق ، لكن المعرفة وحدها لم تكن كافية . كان يجب عليه التحرك بسرعة وحذر ، ولا يمكن الجمع بين هذين الوضعين . كان تيرنى يخشى أن يصاب إصابة أخرى ، لكنه كان يخشى أن تصل إليه جموع الغاضبين منه أكثر من ذلك .

وصل تيرنى فى النهاية إلى محطته الأولى من الطريق الذى على الجانب الغربى من الجبل . شعر بالارتياح لتمكنه من الوصول إلى هناك ، ثم ارتكن إلى جذع شجرة واستنشق دفقات كبيرة من الأكسجين ، رغم أن الهواء كان بادراً لدرجة أن استنشاقه كان مؤلما . بعد ذلك شرب من الزجاجة البلاستيكية التى ملأها بالماء قبل تركه الكابينة .

كان تيرنى قد قاد السيارة على هذا الطريق مرة واحدة من قبل ، وكان يعلم أنه من النادر استخدامه لتهالكه ويعلم أنه سيكون من المستحيل اجتيازه بالفعل لما سيتراكم عليه من الثلوج ، لذا فمن غير المحتمل أن يكون عليه أحد اليوم .

كانت هناك ميزة أخرى تتمثل في أنه لا يتقاطع مع الطريق الرئيسى ، كما يحدث بالنسبة للطريق الآخر . حين يصل إلى نهاية هذا الطريق عند سفح الجبل ، سيكون على بعد عدة أميال من وسط المدينة ويقل احتمال أن يبصره أحد قبل أن يتمكن من الوصول إلى مكان يستطيع فيه التفكير فيما سيفعله بعد ذلك .

أخرج تيرني هاتفه من جيب معطفه ، ورغم أنه كان يسجل وجود خدمة ، فإن البطارية كانت فارغة ، فقد فرغت فى اليومين اللذين ترك فيهما تيرنى الهاتف فى حالة تشغيل . ليس باستطاعته إجراء اتصال ، لكن مادامت الخدمة قد عادت ، فلابد أن الآخرين سيستطيعون ذلك . لم يكن ذلك فى صالحه .

حان وقت التحرك .

خرج تيرنى من تحت الأشجار واعتلى الطريق . كان الطريق وعراً ، لكنه لا يقارن بصعوبة المرور من خلال الغابات . أحنى تيرنى رأسه فى وجه الريح العنيفة التى كانت تخترق ملابسه غير الكافية . وكانت العاصفة شديدة لدرجة أنه اضطر إلى تضييق عينيه حتى كاد يغمضهما كى يستطيع الرؤية ، ولم يركز فى شىء سوى وضع إحدى قدميه أمام الأخرى ، ولم يستطع أن يميل على أحد جانبيه دون الآخر لأن كليهما كانا يؤلمانه بنفس القدر .

حاول ألا يفكر فى ليلى .

فإذا حاول ذلك لفكر ثانية فى قراره بأن يتركها وراءه .

لم يكن أمامه خيار آخر بالفعل . لم يكن باستطاعته أن يأخذها معه .

اللعنة . لماذا دخلت المخزن ونظرت إلى ذلك الصندوق ؟ إنها ـــــ "

توقف تيرنى عن السير وتوقف ليصيغ السمع ، متمنياً أن تكون أذناه تخدعانه . بين صوت تنفسه العالى ودوى الريح ، التقطت أذناه صوتاً آخر . صوت مركبة تقترب . هل هى مركبة جليد ؟ ليست واحدة فقط . اثنتان على الأقل ، يعلو صوتهما وتزدادان اقتراباً .

لا ، لا تزدادان اقتراباً ، بل إنهما هنا !

الفصل
٣١

أحدثت الطائرة المروحية إعصاراً من كريات الثلج والجليد ، وبرز منها رجل يرتدى حلة سوداء وحذاء ذا رقبة لا يوحى بأى هزل . ويظن من يراه أن العزم والإرادة جزء من اسمه ، اتجه الرجل بخطوات منتظمة نحو بيجلى ووايز اللذين كانا يقفان خارج خطوط الملعب الجانبية عند خط الثلاثين ياردة .

قال الرجل لـ " بيجلى " رافعاً صوته فوق صوت الطائرة المروحية : " صباح الخير يا سيدى " .

قال بيجلى مصافحاً الرجل : " مرحباً كولبيير " .

كان هوت قد سمع عن كولبيير ، فقد كان عميلاً يحظى باحترام كبير ، تلقى تدريباته على عمليات إنقاذ الأسرى وتلقى تدريبات استراتيجية كذلك فى كوانتيك العام الماضى ، وقد سرت الشائعات بأنه تقدم بطلب للانضمام إلى مجموعة الاستجابة للحوادث الحرجة ، وهى مجموعة مميزة لا يختار لها إلا أفضل العملاء وأشدهم بأساً .

" هل تعرف العميل وايز ؟ " .

" أعرفه شكلاً فقط " .

وضع هوت يده في يد كولبير المغطاة بقفاز جلدى أسود مصافحاً إياه ، وشعر بأن أصابع القفاز قد صممت بشكل يجعلها تيسر الضغط على الزناد ، ولم يكن هوت قد رأى قفازاً كهذا من قبل .

قال بيجلى : " إن العميل الخاص وايز معه خرائط ورسوم طبوغرافية للقمة " .

" أشكرك يا سيدى ، لقد أحضرنا خرائطنا ورسومنا معنا " .

" كم عدد الموجودين على الطائرة ؟ " .

" رجلان من فريقى ، بالإضافة إلى الطيار ، وهو أحد طيارينا " .

كانت الطائرة المروحية من النوع بيل تتبع قسم شرطة تشارلوت ، وكانوا قد استخدموها من قبل ، فأعجبت بيجلى وشعر بأنها سريعة ويسهل الانتقال بها وآمنة . كان بيجلى يعلم أن الطائرة بها سبعة أماكن ، بما فى ذلك مكان الطيار ، فحسب الحسبة ووجد أنهم إن أخذوا ليلى مارتين وتيرنى فلن تكون هناك أماكن للجميع فى رحلة العودة . لابد أن شخصاً سيبقى وتعود الطائرة لأخذه ، ولم ير ضرراً فى ذلك لقصر الرحلة .

قال كولبير : " ما فهمته هو أن المهمة تتمثل فى نقل مواطنة وأحد المجرمين ، أليس كذلك ؟ " .

" لا نعلم ما إذا كان مجرماً أم لا ؛ لذا فالمهمة الآن هى مهمة إنقاذ فقط . سنرى ما يحدث حين نصل إلى هناك " .

" نصل ؟ " .

" سنأتى معكم أنا وهوت " .

" لا حاجة بنا إلى ذلك يا سيدى . يمكننا الاتصال ــــ "

قال بيجلى حتى قبل أن ينهى الرجل كلامه : " كلا . سنأتى " .

كان جميع من فى المكتب يعرفون أنه لا يجب الجدال مع عميل خاص مسئول يتقلد زمام الأمور والمسئولية ويطلب الطائرات المروحية والعون من الوكالات الأخرى ، ويفعل ما يراه ضرورياً لإتمام إحدى المهام بنجاح وأمان ، ولا يحاسبه على الفشل سوى المقر الرئيسى .

نظر كولبير إلى معطفيهما وما يرتديانه من ملابس قائلاً : " لم نحضر أى معدات إضافية " .

" سنذهب كما نحن " .

" إن الجو بارد حتى درجة التجمد يا سيدى " .

نظر إليه بيجلى بصرامة قائلاً : " ونحن نضيع الوقت " ، ورغم كل جرأة كولبير ، فإنه لم يبد اعتراضاً .

" حسناً يا سيدى ، كن حذراً ، فهذه التيارات الهوائية خادعة ، وستكون الرحلة شاقة " .

قال بيجلى : " شكراً للتحذير " . وتجاوز كولبير ، ثم خطا بخطوات واسعة نحو الطائرة المروحية ، وتبعه كل من هوت وكولبير بخطوات منتظمة . نظر كولبير إلى هوت بطرف عينه نظرة خاطفة ، ومن الواضح أنه وجده غير ملائم للمهمة ، قال له : " لم أكن أعلم أنك تلقيت أى تدريب " .

" من أجل ماذا ؟ " .

" هذا النوع من المهام " .

" لم يحدث " .

كان بمقدور هوت قراءة السباب على شفتى كوليير ، فوجود رجل غير مدرب خلف أحد ضباط مجموعة الاستجابة للحوادث الحرجة يعد أسرع طريقة لموته فى أثناء أداء واجبة . " لم تتلق أى تدريب ؟ " .

هز هوت رأسه .

" إذن ابتعد عن طريقنا ولا تفسد المهمة " .

" لا أنوى إفساد المهمة " .

" هل أنت خائف ؟ " .

صاح هوت وهو يحنى رأسه متفادياً مروحة الطائرة : " خائف من بيجلى " .

•

توقف ويز مرة أخرى . كانت المسافة التى تفصل بينه وبين دتش مسافة صغيرة جداً ، فكاد أن يصطدم به : " ما الأمر يا ويز ؟ " .

" لقد رأيت شيئاً أمامى هناك ، شيئاً يتحرك بين الأشجار " .

أمعن دتش النظر فى الغابة قائلاً : " هل أنت متأكد ؟ " .

أشار ويز قائلاً : " هناك " .

" ربما يكون غزالاً ؟ " .

" ربما ، إذا كان هناك غزال له قدمان . لقد كان رجلاً يا دتش . أنا واثق من ذلك . وأنا أقطع المنحنى بالضبط ، رأيته

يختفى وسط الأشجار . يسار تلك الصخرة الكبيرة . هل تظنه تيرنى ؟ " .

" أرنى الموضع الذى كان به " .

اتجه الاثنان بمركبتي الجليد نحو الصخرة ، وكان ينحدر من فوقها شلال مياه متجمدة . قال ويز وهو يشير : " لقد كنت محقاً " .

كانت آثار الأقدام فى الجليد العميق تتبع الطريق حتى المنعطف التالى قبل أن تختفى فى المنعطف نفسه . فى هذا المكان . انحرفت آثار الأقدام فى شكل حاد إلى داخل الغابة ، وكأن صاحب تلك الآثار قد لاحظ اقترابهما واختفى وسط الأشجار فى الحال .

قال ويز : " لابد أنه تيرنى " . وقد تلاحقت أنفاسه من شدة الإثارة وهو يقول : " من يكون غيره ؟ " .

كان دتش أكثر ميلاً إلى موافقته ، فأوقف الاثنان فى نفس الوقت مركبتي الجليد وهبطا منهما ، وبدأ كل منهما فى إخراج بندقيته من جرابها الذى يضعه على كتفه . ورغم أن دتش كان قد فحص سلاحه بدقة قبل انصرافه مع ويز ، فإنه فحصه مرة ثانية . وجد البندقية محشوة بالذخيرة . وفى وضع الاستعداد . وكان ويز يقوم بنفس الإجراء كصياد ماهر . فحص دتش أيضاً مسدسه ووضع رصاصة بالخزانة .

لم يكن هناك شك الآن فى ذهن دتش فى أن تيرنى هو المجرم ، وقد شرح له ويز مصلحته الشخصية فى قضية اختفاء ميليسنت . لقد كان دتش بالفعل لا يصدق أن سكوت قادر على ارتكاب جنحة بسيطة ، وكان يشك فى أن سكوت ـ رغم قوته

البدنية ـ لديه من الشجاعة ما يمكنه من ارتكاب أية جريمة ، فضلاً عن اختطاف خمس نساء . على أية حال ، لقد أراح تيرنى دتش من أى قلق . إن تيرنى هو المجرم .

إذا لم يكن الأمر كذلك ، لماذا اختفى فى الغابة الآن ؟ لقد حبس فى الكابينة يومين كاملين ، ولابد أن موارده كانت محدودة ، كما أنه من المفترض أنه مصاب . ألا يجب أن يكون جارياً نحوهما مشيراً لهما سعيداً برؤيتهما . شاكراً لهما أنهما حضرا بالعون أخيراً ؟ لماذا يتحاشى أن يقابلهم إلا إذا كان الإنقاذ يعنى له أيضاً القبض عليه . كان دتش مستعداً . فأدار دتش جهاز الإرسال والاستقبال قائلاً لـ " ويز " : " اجعل جهازك فى وضع الاستعداد ؛ فربما يضل أحدنا عن الآخر داخل الغابة ".

ربت ويز جيوبه ، ثم نظر إلى دتش فى ضيق .

" ماذا ؟ " .

" أظن أننى نسيت الجهاز " .

" لابد أنك تمزح " .

نزع ويز قفازه وضرب بيديه العاريتين على جيوبه كلها قائلاً : " لابد أننى وضعته فى مكان ما ، إما فى بيت ريت أو فى موقف الحافلات . أذكر أننى كنت أجرب عداد الصوت بعد أن أعطيتنى الجهاز مباشرة . بعد ذلك ـــــ "

" ليس مهما . هيا بنا " .

سار ويز أولاً ، منحدراً عن الطريق إلى جانبه المنحدر ، ثم استخدم الصخرة المغطاة بالثلج كدعامة واستدار ليساعد دتش

على العبور . كانت آثار تيرنى واضحة فى الثلج الكثيف . قال ويز : " إنه حتى لا يحاول إخفاء آثار أقدامه " .

قال دتش : " إنه لا يستطيع ذلك لو أراد فعله " ، ثم نظر إلى ويز مبتسماً لأول مرة خلال أيام قائلاً : " هل نحن محظوظان أم ماذا ؟ " .

كان الاثنان يمتازان بتمتعهما بتمام عافيتهما ، وكان تيرنى يعلم ذلك فضاعف مجهوده ليظل له السبق عليهما . لقد ترك الكابينة منذ ساعتين ، فيما عدا فترة الراحة القصيرة التى توقفها ، كان يسير فى أسوأ ظروف ممكنة ويجاهد إرهاقاً عظيماً يشعر به .

لم يتوقف تيرنى ليتعرف على الرجلين اللذين يستقلان مركبتى الجليد قبل أن يندفع إلى داخل الغابة ؛ فلقد فهم من يكونا وكان محقاً . كان كل منهما قد صاح باسمه من حين لآخر، فتعرف على صوتيهما . إنهما دتش بورتون ، وويز هامر . إن كلاً منهما قوى ورياضى ، وكان واثقاً أيضاً من أن أياً منهما لم يتعرض خلال الثمانى والأربعين ساعة الماضية لحادث سيارة أو لارتجاج فى المخ أو جرح فى الرأس أو التواء فى الكاحل .

من ناحية القوة ، كانا بالتأكيد يتفوقان عليه ، لكنهما بكل تأكيد ليسا أذكى منه . فى الواقع ، لا يتمتعان بقدر كبير من الذكاء أصلاً . إن المطارد الجيد يكون حريصاً على عدم إصدار أى صوت حتى لا ينبه فريسته إلى مكانه أو بعده عنها . ورغم أن الاثنين يتباهيان بمهارات الصيد لديهما ، فإنهما ينقصهما الكثير ليتعلماه فيما يتعلق بمطاردة إحدى الفرائس . ربما ظن الاثنان أن

الفريسة البشرية تستجيب للصوت بشكل يختلف عن الفرائس من الحيوانات .

أى شك فى ذلك بددته نداءات ويز كأنه يدعو إحدى القطط وتهديدات دتش الشديدة التى تردد صداها فى الغابة المحاطة بالثلوج . بالضبط كما كان تيرنى يخشى ، إنهما يريدان الأزرق حياً أو ميتاً . وكان يرجح بقوة أنهما يريدان الخيار الثانى ، وخصوصاً دتش بورتون الذى صاح بالعديد من الاتهامات النابية فيما يتعلق به هو وليلى .

كان دتش يرتدى شارة ، لكن تيرنى يعلم أن هذا لن يمنعه من أن ينتزع قلبه من بين أضلاعه إن أتيحت له الفرصة . فبالإضافة إلى كونه ضابطاً تنفيذياً . أقسم علي تنفيذ القانون وحماية لحقوق المدينة للأفراد ، كان دتش زوجاً كرهته زوجته السابقة وقضت ليلتين فى عزلة تامة مع رجل آخر ، فإن وقع تيرنى فى مرمى نيرانه ، فلن يتردد فى إطلاق النار عليه والتباهى بذلك .

شعر دتش وويز بأن تيرنى قد بدأ يضعف ، فقواهما ذلك . لم يتوقف تيرنى لينظر وراءه ، لكنه كان يعرف أنهما يقتربان منه ، حيث إن صوت مرورهما خلال الغابة كان يقترب منه أكثر فأكثر ، فلقد كان الأمر أيسر بالنسبة لهما . كان عليه أن يزيل آثاره ، وكل ما كان عليهما فعله هو أن يتبعاه .

فكر تيرنى فى الاختباء ومهاجماتهما . كان معه مسدس ، وكان لايزال محشواً ، لم يخرج منه سوى الرصاصة التى أطلقتها عليه ليلى . مع ذلك فمدى نيران المسدس لا يقارن بمدى نيران

البندقية ، كما أنه يواجه اثنين ، يستطيع أحدهما مناوشته حتى يتمكن الآخر من التسلل حوله ومحاصرته .

وكان يخشى أيضاً أنه إن توقف فلن يقوى على النهوض مرة أخرى . لقد أنهكت قواه . كان يظن أنه قد تحسن بالأمس حين خرج لإحضار دواء ليلى ، لكنه يشعر اليوم بالفعل بأنه على وشك الانهيار ، ولا يبقيه على قدميه سوى قوة الإرادة وحدها .

وفى اللحظة التى أصبح فيها تيرنى مقتنعاً بأنه لكى يكون لديه أى أمل فى النجاة لابد أن يداوم على الحركة . رأى إناءً ينكسر بالقرب من رأسه ، وبعد ذلك بجزء من الثانية سمع صوت طلق نارى .

انبطح تيرنى على الأرض وتدحرج حتى اختبأ وراء صخرة كبيرة . صاح دتش بورتون : " تيرنى ، يجب عليك أن تستسلم " .

لم يكن من الحمق بحيث يرفع رأسه عن الصخرة كى يحدد موقع مهاجميه ، لكنه كان يشعر بهما يندفعان خلال الأشجار ويقتربان منه أكثر فأكثر . كان أحدهما يتقدم عن يمينه ، والآخر عن يساره المهم هو أنهما كانا يتقدمان ، بينما كان هو محاصراً .

بعد أن توقف تيرنى ، بدأ يشعر بمدى آلام بجسده . كانت كل خلية فى جسده تصرخ من الألم ، وكان لاهث الأنفاس جائعاً .

" نحن نعلم أنك الأزرق . لقد أقام عميلا مكتب التحقيقات الفيدرالية الدليل عليك بالأشياء التى وجداها فى كابينتك " .

وكان تيرنى قد استنتج ذلك بالفعل . وكانت الأدلة ظريفة . لكنها كانت مبرراً كافياً لمطلق غيور كي ينال منه ، ثم يتفرغ فيما بعد للدفاع عن نفسه ضد اتهامه بخرق الإجراءات القانونية .

لم يجرؤ تيرنى على الحديث حتى لا يجعل نفسه هدفاً أكثر سهولة ، كما أنه لم يكن يتنفس ، ولم يسمع لهما صوتاً أيضاً . كانا قد توقفا عن الحركة . لابد أنهما قررا أن ينتظر حتى يخرج من مكمنه . اشترك الرجال الثلاثة بعد ذلك لعدة دقائق في الصمت المطبق .

أخيراً خرق الصمت صوت ما ، وأدرك تيرنى أنه صوت مركبة جليد أخرى . كان الصوت يأتي من بعيد ، ولأنه كان يصطدم بمليون سطح قبل أن يبلغ أذنيه ، كلن من الصعب عليه تحديد الاتجاه الذى يأتى منه .

ورغم أن دتش وويز لم يتحدثا ، فإن تيرنى شعر بأنهما ينصتان أيضاً . هل جاء شخص ما مشيا على الأقدام ثم استقل إحدى مركبتي دتش وويز ؟ هل يتساءلان الآن كيف سينقلان جثته إلى المدينة بينهما في مركبة جليد واحدة ؟

إن من الغباء ألا يستفيدا من هذا الصوت المشتت للانتباه .

لا تتهمهما قط بالغباء .

فوق صوت مركبة الجليد المتضائل ، سمع تيرنى بكل وضوح صوت انكسار أحد الأغصان تحت الأقدام . كان أحدهما يقترب منه عن يمينه . على بعد ثلاثين ياردة . ربما أكثر من ذلك . أو أقل . إن أقل الناس مهارة لا يمكنه أن يخطىء التصويب من هذه المسافة .

أتاه صوت أكثر غموضاً عن يساره ، الصوت الخافت لارتطام قطعة من الجليد بالأرض . لم يكن يعرف هل أسقطتها الريح أم أن أحد مهاجميه قد حرَّك أحد الأغصان فتسبب في سقوطها .

توقف تيرني عن التنفس ، وأخذ يصيغ السمع . لم يعد يسمع صوت مركبة الجليد ، ولم يكن يستطيع سماع حتى صوت تنفسه . كان قد أطبق فمه بغطاء رأسه حتى لا ينكشف مكانه بفعل الأبخرة التي تتصاعد في أثناء تنفسه .

أينما كان مهاجماه ، وأيًّا ما كان بعدهما عن مكان اختبائه ، بدا أنهما راضيين بمكانيهما . لم يكونا يتحركان . كان بمقدورهما الانتظار . تكرر ما حدث قبل ذلك . انتظر الثلاثة صامتين حتى يصدر شخص ما أية حركة .

بعد ذلك قطع الصمت صوت آخر ، صوت مروحة طائرة مروحية . إن قسم شرطة كليرى ليس لديه طائرة مروحية بالتأكيد ، فلابد أنها تخص وكالة تابعة للولاية أو تخص مكتب التحقيقات الفيدرالية . في كل الحالات ، لن يتمكن دتش من إطلاق النار عليه بدم بارد أمام شهود . لم يكن ويز هامر يعد شاهداً ، فلابد أنه كان سيساند صديقه . ويبحث في القسم دفعاً عنه ، مهما كانت النتيجة ، والعكس بالعكس .

حتى الآن ، حمت الغابة تيرني بتوفيرها مكمنًا جيدًا له ، لكن هذه الميزة انتقلت فجأة إلى دتش . يمكنه إطلاق النار الآن والادعاء فيما بعد أن تيرني قاوم القبض عليه فلم يترك أمامه خياراً سوى إطلاق الرصاص عيه . أو يمكنه الادعاء بأن تيرني قد هاجمهما مجبراً إياهما علىّ حماية نفسيهما . في الحالتين ، سيموت هو ، وستتم إدانتهما .

لا . كى ينجو من طليق ليلى الأخرق ، عليه أن يخرج من مكمنه إلى مكان يراه فيه من بالطائرة المروحية .

استدعى تيرنى خريطة لقمة الجبل من ذاكرته وتخيل فى ذهنه صورة تجمع بين الطريقين ، الطريق الرئيسى وطريق الجانب الغربى للجبل . لقد كان يقفز من طريق الجانب الغربى إلى الطريق الآخر . لكن كم قطع ؟ ما المسافة بينهما ؟ وما المسافة التى عليه أن يقطعها حتى يصل إلى طريق الجبل ؟ أيا كانت المسافة ، فهل يستطيع أن يقطعها بحالته البدنية هذه ؟

عليه أن يحاول . إن دتش وويز أقوى منه وتسليحهما أفضل منه لكنه يمتاز عنهما بميزتين . حاسة التوجيه الداخلية لديه وإرادته للحياة .

قبل أن يتمكن من إقناع نفسه بخلاف ذلك ، نهض تيرنى على ركبتيه . اعترضت عضلاته حتى على هذه الحركة ، وخصوصاً كاحله الملتوى ، لكنه أجبر نفسه على الانحناء وواصل طريقه مرة أخرى منحنيًا قدر الإمكان ومحاولاً ألا تنكشف حركته بهز الأغصان أو إصدار أى صوت .

تمنى تيرنى أن يضيع دتش وويز الوقت فى التسلل نحو الصخرة لمفاجأته ليكتشفا أنه ليس وراءها .

لقد كان ما يتمناه كثيراً .

سمع ويز يصيح : " إلى يسارك يا دتش " .

نهض تيرنى على قدميه وبدأ فى الجرى . أو حاول الجرى . غاصت رجلاه فى الجليد الذى كان يصل فى بعض المواضع إلى خصره . واخترقت ذراعاه الأغصان المحملة بالجليد ، وراح يتعثر فى جذور الأشجار المختفية والنباتات

النامية على أرضية الغابة ، بينما راحت الأغصان المحملة بالثلج تضرب وجهه .

لكن إن كانت آهات من يتبعانه تشير إلى أى شىء ، فلابد أنهما يواجهان من الصعوبة مثلما يواجه . شعر تيرنى باليأس الذى أصبح يحرك مطاردتهما . وعلم أن استنتاجه كان صحيحًا . كان دتش بورتون يريد الوصول إليه قبل أن يمنعه تدخل وكالة أخرى لتنفيذ القانون من ذلك .

كما حدث من قبل مع تيرنى ، وجد الطريق تقريباً قبل أن يجده هو .

بقليل من الحذر ، وصل تيرنى إلى حافة جانب الطريق . وحمته ردود فعله السريعة من أن يهوى من فوقها هذه المرة . بعد ذلك جلس على مقعدته وأخذ يهبط تدريجياً . كان ضوء الشمس ساطعاً فوق المحيط الهائل من الثلوج البيضاء . وبعد أن اعتادت عيناه الظلام فى الغابة ، شعر بفقدان الرؤية بشكل مؤقت من تأثير أشعة الشمس ، فظلل عينيه بيده وأخذ يبحث فى السماء بلهفة عن إشارة لطائرة المروحية . كان صوتها عالياً جداً لدرجة تجعل المرء يشعر بأنها فوق رأسه مباشرة ، لكن تيرنى لم يكن يراها .

" بين تيرنى ! " .

ظهر دتش وويز من الغابة ووقفا عند حافة جانب الطريق ، فوجد تيرنى بندقيتين مصوبتين نحوه ، وقد بدت خزنتاهما الطوليتان تحملان الموت تحت أشعة الشمس المزعجة . كانت عينا دتش مفتوحتين . وكذلك كان ويز ، وهما يعرفان كيف يطلقان النار ، وكيف يصيبان الهدف ، وكيف يقتلان !

مثل إطلاق النار على سمكة فى حوض صغير .

كان تيرنى يكاد يسمع جده يقول هذه العبارة وهو يرفع يديه فوق رأسه ويلقى المسدس ويركله بعيداً قائلاً : " لست مسلحاً ! " .

" رائع " . قرأ تيرنى هذه الكلمة على شفتى دتش قبل أن يضغط الزناد مباشرة .

قال كولبير لـ " بيجلى " من خلال سماعات الرأس : " هذه هى الكابينة يا سيدى " ، كانوا قد أعطوا هوت سماعة رأس هو الآخر ، وكان هوت يثق فى أن ذلك من قبيل المجاملة ليس إلا ، وليس لأن هناك أى سبب استراتيجى لوجوده هنا .

قال بيجلى مشيراً إلى مركبتى الجليد أمام الكابينة : " ماذا ترى ؟ هل وصلا . على الأقل وصل أحدهما " ، واستمر بيجلى محدثاً الطائرة من خلال سماعة الرأس قائلاً : " هل يمكنك الهبوط ؟ " .

" إن المساحة الخالية صغيرة يا سيدى ، وفى ظل هذه الريح سيكون الأمر صعباً " .

قال كولبير : " انخفض بالطائرة قدر الإمكان ، وسنستخدم الحبال " .

ولكن بينما كان يقول هذا الاقتراح ، اندفعت الطائرة المروحية بواسطة دفعة من الهواء . تصرف الطيار بسرعة لمنع الطائرة من السقوط على الأرض . وبينما كانت الطائرة تحوم فى الهواء ، شعر هوت بذبذبات جهاز الاستدعاء الشخصى فى خصره .

أدخل هوت يده فى جيب معطفه ونزع الجهاز من حزامه . كان بيركينز قد أدخل الشفرة التى تعنى أن الأمر طارئ . أخرج هوت هاتفه الخلوى وطلب رقم الاتصال التلقائى المحدد لرقم بيركينز .

" بالداخل هنا ! أنا بالداخل هنا ! " .

أخذت ليلى تصيح منذ أن بدأت تسمع صوت مركبة الجيد ، ولأنها تعلم أن صوتها لن يسمع فى وجود الصوت المرتفع لمركبة الجليد ، واصلت الصياح حتى تتوقف مركبة الجليد .

صاحت ليلى وسط الصمت المفاجىء : " هنا بالداخل " ، وقد تركزت عيناها على الباب .

" السيدة بورتون ؟ " .

لم تهتم بتصحيح الاسم . " نعم نعم . أنا بالداخل هنا " .

انفتح الباب ، واندفع منه رجل يرتدى ملابس التزحلق على الجليد قائلاً : " الحمد لله أنك بخير "

صاحت ليلى متنهدة : " السيد ريت " .

أزاح ريت غطاء رأسه المبطن بالفرو ونزع قفازه وانحنى أمامها وأخذ ينظر إلى قيودها : " ألم يأت دتش وويز إلى هنا ؟ " .

" لا " .

" لقد كانا قادمين من أجلك أنت وتيرنى " .

" إنه هو الأزرق . أعتقد أنك تعرف ذلك . قال إنه سمع ذلك بالراديو " .

" من الذى قال ؟ " .

" تيرنى " .

" إذن فهو يعرف أنهم يبحثون عنه ؟ " .

" نعم . هل ترى مفتاح هذه الأشياء ؟ " .

جال ريت بالكابينة باحثاً عن مفتاح القيود ، بينما كانت ليلى تسأله كيف أصبح تيرنى موضع شك ؟

حكى لها ريت بسرعة ذهاب عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى صيدليته فى اليوم السابق ، ثم قال : " لست أدرى نوع الدليل الذى لديهم ضده ، لكن لابد أنه يدينه . وحين علم الرجلان بأنك محبوسة هنا معه أسرعا لإنقاذك . ثم وضعا خطة للإنقاذ . لكن وقع حادث ، وأغلق الطريق بشكل يستحيل اجتيازه .

" تطوعت هذا الصباح بمركبات الجليد الخاصة بى ، انطلق ويز ودتش باثنتين منها ، لكنهما تركا هذا " ، وأخرج من أحد جيوبه جهاز إرسال واستقبال ، ثم قال : " إنه جهاز إرسال واستقبال ، ولقد سمعت دتش يقول إنهما سيحتاجان إليه ليظلا على اتصال . لذلك تبعتهما ، ظنا منى أننى سألحق بهما " .

" لكنك لم تحلق بهما ؟ " .

هز ريت رأسه ، ثم قال : " عثرت فقط على مركبتى الجليد بالطريق الغربى بعد أن تركها الرجلان . يبدو أنهما انطلقا بعد ذلك على أقدامهما . هل تظنين أنهما ذهبا فى أعقاب تيرنى ؟ " .

قالت ليلى : " ربما ، الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها أن يهبط الجبل هى أن ينزل على قدميه ، فسيارة كل منا ... " ، ثم هزت رأسها فى نفاد صبر قائلة : " إنها قصة طويلة جداً " .

قال ريت : " لابد أن دتش وويز لمحاه " ، ثم توقف عن البحث عن مفتاح القيود قائلاً : " لست أراه فى أى مكان . لابد أنه أخذه معه " .

" لا بأس . مادام هناك أحد معى ، أستطيع أن أتحمل " .

" هل آذاك ؟ " .

قالت ليلى : " فى الحقيقة ، لم يفعل . هذا باستثناء أنه أفقدنى الوعى هذا الصباح " ، وأغمضت عينيها برهة ، ثم قالت : " لقد وجدت جثة ميليسنت جان فى مخزننا " .

" عجباً . يا له من شىء فظيع ! " .

قالت ليلى : " أعتقد أنها ميتة منذ عدة أيام . وربما تكون العاصفة هى التى منعت تيرنى من التخلص من جثتها " . ثم أخبرته بأنها صدمت تيرنى بسيارتها وعادت إلى الكابينة لتنتظر حتى تمر العاصفة . وقالت : " لقد كان مهتماً بنجاتنا ، بالتأكيد . كما أنه بدا لطيفاً مسالماً . لكن هناك أشياء قالها كانت متناقضة " .

" مثل ماذا ؟ " .

أعطته عدة أمثله على أنصاف الحقائق التى قالها تيرنى ، ثم قالت : " داخلنى الشك وفتشت حقيبته ، فوجدت هذه القيود وقطعة من شريط أزرق " ، ثم أشارت بذقنها قائلة : " هنا " .

التقط ويليام الحقيبة وسحب الشريط الأزرق المخملى من أحد الجيوب المغلقة ثم قال : " هذا دليل ضده بكل تأكيد " .

" دليل لا يقبل الجدل " .

" إذن لماذا تركه هنا ؟ " .

قبل أن تتمكن ليلى من التوصل إلى إجابة عن هذا السؤال المهم جداً ، التقطت أذناها صوتاً : " هل هذا صوت طائرة مروحية ؟ " .

" كانت تلك هى خطة مكتب التحقيقات الفيدرالية " .

شملها شعور بالارتياح . لقد سعدت برؤية ويليام ريت وعلمها بأن القبض على تيرنى أصبح وشيكاً ، لكنه إن كان قد استطاع تضليل دتش وويز والعودة إلى الكابينة ، فلن يمثل له ويليام تهديداً .

سار ويليام إلى الباب وخرج إلى البهو ، لكن حتى قبل أن يعود إلى الكابينة ، أدركت ليلى أن رد فعله كان بطيئاً جداً .

قال ويليام : " إنهم يبتعدون بالطائرة ، لكن لابد أنهم رأوا مركبة الجليد الخاصة بى " .

" ربما يبحثون عن مكان للهبوط . الحمد لله أنهم أتوا " .

" هل تدركين كم أنت محظوظة لنجاتك من الأزرق ؟ لم تنج منه الأخريات ؟ " .

اقشعرت ليلى وهى تقول : " إن تعبيرات وجه ميليسنت كانت مرعبة " .

" يمكننى أن أتخيل كم كان فظيعاً بالنسبة لك أن تجدى الجثة فى الصندوق بهذه الطريقة " .

أومأت ليلى برأسها : " لكننى أعتقد أنه كان اكتشافى لها شيئاً جيدًا . ربما يكون تيرنى قد نقلها الآن ، أو ربما دفنها فى أثناء فقدانى الوعى . كان يجب أن أعرف أن هناك مشكلة ما . كان يتصرف بشكل يوحى بالتوتر الشديد كلما ذكرت الفأس أمامه بعد أن خرج من أجل ... " ، ثم توقفت فجأة من الكلام .

" خرج من أجل ماذا ؟ " .

ردت بصوت متحشرج : " من أجل الخشب ، كان يخرج من أجل إحضار خشب للمدفأة " ، وحاولت أن تلعق شفتيها ، رغم جفاف حلقها ، ثم قالت : " السيد ريت ؟ " .

" نعم ؟ " .

" كيف .... كيف علمت بأمر صندوق الأدوات فى المخزن ؟ " .

" هوت ؟ " .

" يجب أن ترفع صوتك يا بيركينز . نحن فى الطائرة المروحية " .

" أنت ؟ " .

" ماذا لديك ؟ " .

" تيرنى ... "

ولم يسمع هوت بقية الكلام حين قام الطيار بتنفيذ إحدى الحركات بالطائرة بشكل جعل هوت يتشتت بقوة تبعده وهو يشعر بالدوار . صاح هوت قائلاً : " كرر ما قلته من فضلك " .

" استطعت أخيراً الاتصال بالسيدة لامبيرت " .

" أم تورى لامبيرت ؟ " .

" بالتأكيد . تماسك " .

طلب هوت من بيركينز أن يكرر رسالته ثلاث مرات ، حتى يتيقن من أنه سمعها بشكل صحيح ، ثم أنهى المكالمة بكلمات شكر مقتضبة . بعد ذلك ، تحدث هوت إلى بيجلى من خلال سماعات الرأس قاطعاً مناقشة المجموعة لأفضل طريقة للهبوط .

صاح هوت : " سيدى . إن بين تيرنى ليس ، وأكرر أنه ليس ، مختطف تورى لامبيرت " .

دار رأس بيجلى .

نظر هوت مباشرة فى عينى بيجلى قائلاً : " إنه أبوها " .

الفصل

٣٢

بقى ويليام ريت رابط الجاش ، وقال : " عفوا ؟ " .

كان حلق ليلى جافاً كقطعة من الحطب ، فكان عليها أن تدفع الكلمات دفعاً من حنجرتها .

قالت ليلى : " لقد أخبرتك أننى وجدت جثة ميليسنت فى المخزن . لم أقل أى شىء عن صندوق الأدوات . كيف علمت أن هناك صندوق أدوات فى المخزن ؟ " .

دام تظاهره بعدم الفهم لحظة واحدة ، ثم هز رأسه ساخطاً وقال : " لم يكن من الذكاء أن أسقط هذه السقطة ، لكن كنت أنت أقل ذكاءً حين لفت انتباهى لها " .

حاولت ليلى أن تبلع ريقها ، لكنها لم تستطع .

" أنت تعلمين يا سيدة بورتون ، أو يا آنسة مارتين . أو أيًّا كان اسمك هذه الأيام ، تعلمين ما يعنيه هذا " . وكان صوته قد تغير بشكل جذرى مثلما تغيرت نظرته تماماً . لم يعد الآن كما كان من قبل .

" أنت ... "

" الأزرق . نعم . على الرغم من أننى لست مغرماً بهذا الاسم السخيف " .

اندهش الاثنان لسماع صوت طلق نارى ، ونظر نحو الباب ، رغم أن الصوت كان واضحاً . إلا أنه يأتى من مكان بعيد .

بعد ذلك بعدة ثوان ، قال ويليام : " إنه طلق واحد فقط . إن دتش يدعى أنه ممتاز فى الرماية ، ويبدو أنه كذلك " .

تنفست ليلى بصعوبة وهى تقول : " تيرنى ؟ " .

" تيرنى . هو الآن ميت . يالها من ضربة حظ جيدة ! " .

أخرج ويليام جهاز الإرسال والاستقبال من جيبه وأداره ، فأصدر صوتاً مرتفعاً مما جعله يخفض الصوت .

سألته ليلى قائلة : " ماذا تفعل ؟ بمن ستتصل ؟ " .

" راقبينى . أظن أن الأمر سيروق لك . حسناً ، لن يروق لك حقيقة ، لكنك ستكونى مضطرة إلى الاعتراف بعبقريتى " .

قرب ويليام الجهاز من فمه وضغط على الزر الموجود فى الجزء الجانبى منه ، ثم صاح بلهفة " .

" دتش ، دتش ؟ هل تسمعنى ؟ " .

رفع ويليام إصبعه عن الزر وحدق فى ليلى بينما كان ينتظر الرد . لعدة لحظات لم يكن هناك سوى هسيس الهواء الصادر من المكبر ، ثم ملأ صوت دتش الغرفة قائلاً : " من المتحدث ؟ " .

ضغط ويليام على الزر قائلاً : " أنا ويليام . لقد سمعت طلقاً نارياً . هل قضيت على تيرنى ؟ " .

قطع ويليام الاتصال حين فتحت ليلى فمها لتصرخ . لابد أنه كان يتوقع أن تحاول القيام بشيء كهذا ، وذلك لأن رد فعله كان سريعاً ، حيث كتم فمها بيده .

" ريت ؟ أين أنت ؟ " .

قاومت ليلى كي تدير رأسها وتحرر فمها ، وحين لم تفلح في ذلك ، حاولت أن تعض راحة يده ، فلم يزده ذلك إلا تثبيتاً ليده بقوة على فمها . ثم رفع رأسها باتجاه الحائط وأصابعه تغوص بشكل مؤلم في وجنتيها . التقط ويليام الجهاز ، وضغط الزر ، ثم تظاهر بالبؤس والبكاء وهو يقول : " دتش " .

" إنني هنا . في الكابينة . هل وصلت إلى تيرنى ؟ " .

" نعم . نعم . لقد سقط . هل ليلى بخير ؟ " .

لإعطاء مزيد من التأثير ، جعل ويليام صوته منكسراً وهو يقول : " لا . إن زوجتك ماتت . ماتت ! قتلها تيرنى ! " .

كان تيرنى راقداً على ظهره ، وحين فتح عينيه ، جعله ضوء أشعة الشمس المنعكس على الثلوج يشعر بألم ثابت يخترق عينيه يصل إلى عصب ما في مركز فمه .

دتش إننى هنا فى الكابينة . هل وصلت إلى تيرنى ؟ لا ، زوجتك ماتته. ماتت ! قتلها تيرنى !

بدا الصوت غير طبيعى ، فمن أين يأتى ؟

صاح دتش بورتون : " لقد قتل الوغد ليلى ! " ، وكانت صيحته عالية بما يكفى لتساقط الثلوج من على أغصان الأشجار .

صاح ويز : " إنه يتحرك يا دتش ! لقد أصبته فى موضع غير قاتل " .

تذكر تيرنى فجأة لماذا كان يرتد على ظهره ولماذا كان كتفه يؤلمه بشدة . أدرك كل العناصر دفعة واحدة فى لمحة خاطفة من الوضوح ، وأسوأ ما فى الأمر أن هناك من يدعى بأن ليلى ماتت وأنه هو الذى قتلها .

من يستطيع أن يقول شيئاً خاطئاً بشكل قاطع كهذا ؟

ليس سوى شخصى يحاول حماية نفسه .

يا الله . لابد أن يعود إليها .

جاهد تيرنى كى ينهض ، فملأت حلقة موجة من الغثيان ، لكنه استطاع ابتلاعها . كانت هناك كمية مفزعة من الدماء على الثلوج ، وكان وجهه غارقاً فى عرق بارد غزير ، بينما كان يشعر وكأن ناراً تحرق كتفه .

لابد أن ما بدا له دهراً كاملاً لم يكن سوى بضع ثوان . حين فتح عينيه مرة أخرى وحاول أن يجعلهما تعتادان ضوء الشمس ، رأى دتش بورتون يلقى جهاز الاستقبال والإرسال جانباً ، وهو ما يوضح مصدر الصوت غير الطبيعى الذى سمعه .

قفز دتش فوق حافة الطريق وكأنه يوشك على الطيران ، ثم هبط بقوة على الطريق ، لكن ذلك لم يهدئ من سرعته . لم يكن تيرنى يرفع ذراعه الذى يستطيع استخدامها حتى كان دتش فوقه يكيل له اللكمات .

قال تيرنى : " اسمع يا دتش " . وفاجأه ضعف صوته ، فشك فى أن دتش يستطيع سماعه ، وعلى أية حال لم تكن حالته تسمح بأن يتوقف ويستمع .

أطلق المأمور ضربة خاطفة بيمينه أصابت تيرنى فى وجنته ، فسمع دتش صوت تهتك الجلد ، وتناثرت دماء تيرنى على وجه

دتش . ما هذا الألم اللعين الذى يشعر به فى وجهه هو الآخر ؟

رد تيرنى بضربة ثانية قائلاً : " ليلى ـــــ "

" لقد قتلتها . لعنة الله عليك " .

" لا ! اسمعنى " .

لكن دتش لم يكن ليسمع شيئاً ، فكانت عيناه تتقدان حقداً رهيباً . لم يكن لدى تيرنى أدنى شك فى أنه إن لم يستطع الدفاع عن نفسه ، فسيقتله هذا المجنون .

اعتمد تيرنى على موارد كان قد ظن أنها نفدت ، وبدأ يقاتل دتش ولا يكتفى فقط الدفاع عن نفسه . كانت هناك عدة ضغائن يحملها تيرنى لـ " دتش " ، فأمدته هذه الضغائن بقوة متجددة على قتاله ، فتمكن من إدخال ركبته بينه وبين دتش ، ثم دفعه بكل قوته .

وقع دتش جانباً لفترة كانت كافية لأن يمد تيرنى يده نحو المسدس الذى رماه من قبل ، لكنه مد ذراعه اليمنى بشكل لاإرادى ، وكانت ذراعه لا فائدة منها لاتصالها بكتفه الذى أصابه الطلق النارى .

صرخ تيرنى متألماً وحاول النهوض ، ثم تمكن من السير بضع خطوات متعثرة .

أمسكه دتش من كاحله الملتوى وجذب قدمه من تحته فوقع على الأرض كجوال من الأسمنت ، ثم قلبه على ظهره كسمكة يوشك أن يلتهمها ، ثم اعتلى جسده مرة أخرى ، لكنه هذه المرة أحاط حلقة بكلتا يديه وغرس إبهامه فى تفاحة آدم .

صر دتش على أسنانه التى تلوثها الدماء ، فاغتبط تيرنى حين رأى ذلك ، فعلى الأقل قد تمكن من توجيه بعض اللكمات له بيده اليسرى .

" هل أقمت معها علاقة ؟ " .

قضى هذا السؤال على أية رغبة لدى تيرنى فى عدم قتال دتش وأى إحساس بالندم على قتاله له . أى رجل هذا الذى يسأل سؤالاً كهذا بعد أن سمع أن زوجته قد ماتت ؟ إنه مهتم بكبريائه اللعين أكثر من اهتمامه بمصير امرأة يزعم أنه يحبها .

صاح دتش : " هل فعلت ذلك ؟ " .

" الطائرة المروحية يا دتش " .

سمع تيرنى صيحة ويز هامر التحذيرية وكأنها آتية من مكان بعيد ، لكن بدا أن دتش لم يسمعه على الإطلاق ، أو سمعه ولم يهتم به . كان وجهه يسيل لعاباً ودما وقيحاً على جسد تيرنى ، بينما السماء فوق الجميع قد اكتسبت جوانبها ظلالاً قاتمة . رمش تيرنى بعينه ، لكنه لم يستطع التخلص من النقاط السوداء التى غطت مدى رؤيته المحدود .

سيموت تيرنى إن لم يفعل شيئاً . والآن .

كان دتش يعتلى خصره ، واضعاً كل قوته فى يديه . رقدت نراع تيرنى اليمنى بلا فائدة بجانبه ، بينما كانت يسراه مثلها تقريباً فى عدم الفعالية ، فالضربات التى كانت توجهها إلى دتش لم تكن تؤثر فيه .

استغل دتش الفرصة الوحيدة التى يملكها ، فرفع ركبته وانتظر قليلاً حتى يضع كل قوته فى عضلة فخده ثم رفع ركبته وضربه بين فخذيه ضربة متمنياً أن تكون قوية .

صاح دتش ، ورفع يده على الفور عن عنق تيرنى ، نحى تيرنى جسده وألقى بـ " دتش " بعيداً ثم جثم فوقه وقد نجح فى أن يعكس الأوضاع . ضغط تيرنى بذراعه اليسرى على عنق دتش .

وبقدر من التنسيق أكبر مما كان تيرنى يعتقد أن ذراعه اليمنى تستطيع القيام به ، التقط تيرنى مسدسه وأطلق الرصاص نحو ويز هامر ، الذى كان يعبر الطريق متجهاً نحوهما ، فجعله إطلاق النار يتوقف فى مكانه : " ألقِ البندقية وإلا فإن الطلقة الثانية لن تطيش " .

كان التهديد واهناً ، لكنه كان مجديًا تمامًا ، مما اضطر بطريقة معجزة إلى إلقاء ويز بندقيته .

لكن حينئذٍ أدرك تيرنى أن ويز لم يكن خائفاً منه ، بل كانت الطائرة المروحية تقترب ويعلو صوتها وتحمل الشهود على متنها .

سأل تيرنى ويز بصوت لاهث الأنفاس : " من الذى كان يتحدث بالجهاز ؟ " .

" ريت . ويليام ريت " .

" ريت ؟ ذلك الشخص الشاحب الهزيل ويليام ريت ؟ هذا الوغد ؟ " .

سيبحث تيرنى الأسباب والملابسات فيما بعد ، لكنه الآن انحنى فوق دتش الذى كان وجهه يبدو الآن كوجه الشرير فى أفلام الرعب ، وقد اختلط فوقه مزيج من الدم والقيح والغضب المجنون . وضع تيرنى ماسورة المسدس تحت ذقن دتش قائلا :

" إن لدىَّ أسباباً عديدة تجعلنى أقتلك . وأول سبب هو ضربك

لـ " ليلى " . لكن السبب الوحيد الذى سيجعلنى لا أؤذيك هو أننى وعدتها بذلك " .

ارتكز تيرنى على صدر دتش القوى ونهض واقفاً على قدميه مترنحاً محاولاً أن يحفظ توازنه . ثم رفع يده وأشار نحو الطائرة المروحية قائلاً : " إن حاول أى منكما إطلاق النار علىّ من الخلف . فسيراه من بالطائرة المروحية " .

بعد ذلك . شعر تيرنى بأنه أضاع عشر ثوان غالية على طليق ليلى التافه ، فثبت ذراعه اليمنى بقوة إلى جانبه وبدأ يسير مترنحاً صاعداً الطريق فى اتجاه الكابينة .

بينما كانت الطائرة تدور حول الكابينة ، صاح أحد رجال كولبيير قائلاً : " الحادية عشرة تماماً " .

انخفض الطيار بالطائرة ، فرأى بيجلى ما رآه رجل كولبيير . رأى ثلاثة رجال فى منتصف الطريق الضيق ولم يكن أحد منهم قد استطاع رؤيتهم حتى الآن لأنه حجبهم عنهم منحنى شديد الانحدار بالطريق . لامست الطائرة المروحية هامات الأشجار فى اتجاهها نحوهم .

كان بورتون راقداً على ظهره ، بينما كان هامر يقف على بعد عدة ياردات . بينما كان بين تيرنى يسيل منه قدر كبير من الدماء على الثلج وهو يجاهد صاعداً المنحدر مبتعداً عن الاثنين الآخرين .

فتح كولبيير باب الطائرة واتخذ موقعه ، ثم قال بهدوء من خلال سماعات الرأس وهو يرى تيرنى خلال منظاره : " سأطلق النار على الشخص المتحرك " .

صاح بيجلي : " لا تطلق النار . ليس هذا رجلنا " .

" إن معه بندقية " .

قال بيجلي مكرراً : " ليس رجلنا " .

حول بيجلي نظره من تيرني إلى ويز هامر الذي جرى نحو بورتون وجثا على ركبة واحدة . أزاحه بورتون جانباً وجعله يتدحرج على الأرض ، ثم نهض واقفاً على قدميه ثم دار حول نفسه كالمجنون حتى انحنى على الأرض وقد اكتشف وجود بندقية شبه آلية على الثلج . أطلق دتش طلقة نحو تيرني دون تصويب ، فلم يبطيء تيرني من سيره . بل ظل راكضاً .

أمر بيجلي الطيار قائلاً : " اضرب الشخص الواقف " .

كان ويز هامر قد وقف على قدميه سائراً نحو بورتون مرة أخرى .

قال بيجلي : " نحه جانباً " ، وكان أمره غير موجه إلى شخص بعينه ، لكن أحد الضباط أطلق عدة دفعات من الرصاص باتجاه قدم ويز بشكل جعل الثلج يتناثر حوله . توقف هامر في مكانه مرعوباً ورفع يديه عالياً .

رفع بورتون بندقيته إلى كتفه ووضع عينه على المنظار في حركة اعتاد عليها ، وربما لم تأخذ منه سوى ثانيتين .

انطلق صوت بيجلي عبر مبكر الصوت قائلاً : " لا تطلق النار أيها المأمور بورتون " .

وكان الصوت مسموعاً فوق صوت الطائرة المروحية . صاح بيجلي مرة أخرى قائلاً : " لا تطلق النار " .

رفع بورتون رأسه وأخذ يتلفت حوله .

كان كولبير يجلس فى مدخل الطائرة المفتوح وقد وضع قدمه على دعامةٍ وركز منظاره على بورتون ، وكان بيجلى وراءه مباشرة مطلاً من المدخل المفتوح مجرباً قدرته على حفظ توازنه .

كان بيجلى يرى بورتون بوضوح ، وعرف من تعبيرات وجهه أنه لم يكن يدرك وجود الطائرة المروحية حتى هذه اللحظة ، كما شعر فى تعبيرات وجهه شيئاً آخر جعله يسأل كولبير عما إذا كان يمكنه التصويب نحو دتش دون قتله .

" أوقفه " .

صاح بيجلى : " بورتون ، لا تطلق النار ! تيرنى ليس الأزرق . إنه ليس من نبحث عنه " .

لكن بورتون لم يكترث بالأمر ، بل صوب البندقية نحو ظهر تيرنى ونظر خلال منظاره ثانية .

صاح بيجلى : " هذا الوغد ! هل هو أصم ؟ " .

رجل برىء يوشك أن يلقى حتفه ، ويتحمل هو مسئولية ذلك ما بقى من حياته وقبل أن تكتمل هذه الأفكار فى ذهن بيجلى ، صاح قائلاً : " رصاصة فى الساق " .

استجاب كولبير ، مطلقاً النار على الفور . التوت قدما دتش بورتون تحته . كان باستطاعة بيجلى أن يرى الغضب الذى فى عينى دتش وهو يضع البندقية فوق رأسه ويطلق النار .

تراجع كولبير إلى داخل الطائرة . لم تخترق الرصاصة زى كولبير الواقى من الرصاص ، لكن تأثيرها عليه كان مؤلماً مثل اللكمة .

أطلق بورتون النار مرة أخرى ، فأخطأت الرصاصة بيجلى بمسافة ضئيلة جداً .

سمع بيجلى الطيار يطلق سباباً فاحشاً وهو يدور بالطائرة .
شعر بيجلى بضغط حزام الكرسى على وسطه وقوة الجاذبية المضادة من خلال الباب المفتوح .
سمع أحد الضباط الآخرين يقول من خلال سماعات الرأس :
" لقد أخطأت التصويب " .
كان الضابط الثالث قد فقد توازنه حين صعدت الطائرة بشكل حاد . وكان يحاول اتخاذ وضع مثالى شبه مستقر ، بينما كان كولبير لايزال مذهولاً ونصفه خارج باب الطائرة .
كان بيجلى ينظر إلى اتجاه بندقية بورتون وهو يصيح قائلاً :
" لا تطلق النار علىّ أيها السافل ! " .
كان وجه بورتون يجسد الألم والجنون وهو يقول : " اللعنة عليك " .
رأى بيجلى الكلمات تتكون على شفتى بورتون قبل أن تخترق الرصاصة جبهته وتنفجر مؤخرة جمجمته ملوثة الثلج خلفه بلون الدماء الأحمر بجزء من الثانية . سقط بورتون على ظهره وراحت دماؤه تسيل على الجليد الأبيض .
أدار بيجلى رأسه ليشكر القناص الماهر .
أنزل تشارلى وايز بندقية القناص ببطء من على كتفه وأعادها إلى كولبير ، ثم وضع نظارته على عينيه فى هدوء .
ابتلع بيجلى ريقه بشدة ليعيد قلبه إلى مكانه المعتاد من صدره ، ثم قال : " أحسنت يا هوت " .
" شكراً لك يا سيدى " .

رفع ويليام ريت يده عن فم ليلى . وأغلق جهاز الإرسال والاستقبال ووضعه جانباً ثم قال : " قلت لك إنها حيلة عبقرية " .

سألته ليلى لاهثة الأنفاس : " لماذا ؟ " .

" لماذا زعمت أن تيرنى تركك هنا ميتة ؟ أليست الإجابة واضحة ؟ " .

" لا ، لماذا قتلتهن ؟ " .

قال ويليام : " آه ، تقصدين هذا " ، ثم ربط طرفى الشريط حول يديه واختبر قوته بجذبه عدة مرات بشدة ، ثم قال : " من الممكن أن ألقى باللوم على والدىْ اللذين لم يؤديا دورهما أو نقص احترامى لذاتى ، لكن هذه أعذار واهية . هذا بالإضافة إلى أننى لست مجنوناً . كنت أقتلهن لأننى كنت أريد ذلك " .

احتفظت ليلى بهدوء ملامحها ، لكن عقلها كان ثائراً . هل مات تيرنى ؟ لقد عرفت أن دتش قد أطلق النار عليه ، لكنه قال إن تيرنى قد " سقط " ، ولم يقل إنه مات . لو أنه حى فسيعود إليها . هى واثقة من ذلك .

حتى ذلك الحين ، ما الذى يمكنها فعله لتساعد نفسها وتمنع ويليام ريت من قتلها ؟ لا يمكنها الفرار منه . لقد حاولت لساعات أن تخلص نفسها من القيود لكنها فشلت .

إن ظهور الخوف على ليلى هو بالضبط ما يريده ويليام . شعرت ليلى بغريزتها بأنه يستمتع بالقتل ، فالقتل يعطيه هوية ومكانة وسط المجتمع واللذين لم يحصل عليهما بأية طريقة أخرى . إنه هو الأزرق ، الذى يخشاه الجميع ، والذى يسعى

وراءه الجميع . الصيدلى الذى لا يأبه له أحد يتحول إلى سفاح نساء . لابد أن ذلك أدار رأسه بشكل كبير .

إنه يزعم أن لديه نقصاً فى احترامه لذاته ، لكنها تعتقد أن الأمر عكس ذلك تماماً . إن إحساسه بذاته تضخم . ويعتقد أنه متفوق عقلياً . لقد خدع الجميع سنتين كاملتين ، ولكنه لم يستطع أن يتباهى بذلك . ستعطيه هى الفرصة كى يتباهى بذلك ، وفرصتها الوحيدة للنجاة هى أن تجعله يتحدث حتى تصل المساعدة - يا إلهى ! ليته يكون تيرنى .

" كيف كنت تختار ضحاياك ؟ إن هذا الأمر يحير المحققين . فالنساء المفقودات لا يبدو أن هناك شيئاً مشتركاً يجمع بينهن " .

قال ويليام : " أنا " ، وابتسم لها ابتسامة باردة . ثم قال : " كنت أنا الشىء المشترك بينهن . كن جميعاً ينظرن إلىّ حين لقين حتفهن . وسرعان ما سيكون لديك نفس الشىء المشترك أنت الأخرى " .

لا ترضه بإظهار خوفك .

سألته : " بالإضافة إليك ، ماذا كان يجمع بينهن ؟ " .

" كان هذا أجمل ما فى الموضوع . إن متخصصى الجريمة يبحثون عن الأنماط . أما معى أنا ، فلا يوجد نمط معين . لقد قتلت كلا منهن بسبب مختلف " .

" مثل ماذا ؟ " .

" الرفض " .

" هل رفضتك تورى لامبيرت ؟ " .

" لا لقد كان ذلك قبلها بفترة طويلة " .

" هل كان هناك أخرى ؟ " .

" فتاة صغيرة جامعية " .

" كانت صديقتك ؟ " .

" لا . أردتها أن تكون كذلك ، لكنها سخرت منى حين طلبت منها موعداً . كانت تعتقد أننى أحمق . كانت سخريتها منى قاسية . لقد ... انقضضت عليها . أعتقد أن هذا وصف دقيق لما حدث . كانت تضحك وتسخر منى ، وكنت أحاول إيقافها .

حين أدركت أنها ماتت ، لم آسف لذلك ، لكن من الطبيعى أننى خشيت أن يتم القبض علىَّ . جعلت الأمر يبدو وكأنه سرقة . إن حافظة نقودها ومجوهراتها موجودة فى صندوق تحت سريرى فى البيت حتى الآن . حتى يومنا هذا ، لاتزال هذه القضية مقيدة ضد مجهول " .

" لم يشك فيك أحد أبداً ؟ " .

" لا ، لقد كنت شخصاً غير مهم ، أترين ؟ ومازلت كذلك فى معظم الأذهان " .

" ماريلى لم تشك فيك أبداً ؟ " .

أصدر صوتاً يدل على الاحتقار ، ثم قال : " كانت أختى مشغولة بإخفاء سرها القذر إلى الحد الذى جعلها لا تهتم كثيراً بى . أتمنى لو أننى قتلتها ونحن صغار . لقد فكرت فى ذلك مرة أو مرتين ، ولكنى لم أنفذه أبداً " .

اختبر ويليام قوة الشريط مرة أخرى ثم قال : " إننى لأعجب أين وجد تيرنى هذا " .

كان لايزال راكعاً أمامها ، ورغم أنه لم يلمسها ، كانت ترتعد خوفاً ، إلى متى ستستطيع جعله يستمر فى الحديث ؟ أين الطائرة المروحية ؟ أين تيرنى ؟ رفضت ليلى أن تصدق أنه مات .

" كنت تخبرنى كيف كنت تختار ضحاياك ، ولقد فهمت سبب قتلك للفتاة التى كانت تسخر منك ، لكنك لم تكن تعرف تورى لامبيرت ، أليس كذلك ؟ " .

" لم أعرفها قبل ذلك اليوم . لقد ابتعدت عن المجموعة التى كانت معها بمسافة كبيرة . فرأيتها تسير بمحاذاة الطريق الغربى بالقرب من بيتنا القديم ، حيث تصادف أننى كنت أعمل هناك فى ذلك اليوم . بدأتها بالحديث واستمعت إلى قصتها وأسديت لها النصح ، وحين حاولت أن أشعرها بالراحة ــــــ "

" تشعرها بالراحة ؟ " .

" أن ألمس جسدها . لم تسمح لى بذلك " .

" هل اغتصبتها ؟ " .

اتقدت عيناه بالغضب وهو يقول : " إننى أتمتع بكامل رجولتى ، وليس لدىّ شك فى ذلك . لو أن الوقت يسمح ، لأثبت لك ذلك يا آنسة مارتين ! " .

جعلها رد فعله تعتقد عكس ما يدعى ، لكنها لم تكن من الحمق بحيث تعارض ما يقوله .

" لقد وصفتنى تورى لامبيرت بأننى مثير للاشمئزاز ، وندمت على وصفها ذلك إلى الأبد " .

كان ويليام يتنفس بصعوبة لغضبه ، أو ربما بسبب الإثـارة . وهو أمر مثير للرعب بشكل أكبر . قالت ليلى بهـدوء : " أصـبح الشريط الذى تضعه فى شعرها علامتك التجارية " .

" لعدم وجود تعبير أفضل من ذلك ، نعم هو كذلك " .

" أخـذتها إلى تينيسـى لتضـليل البـاحثين عنـك ، ألـيس كذلك ؟ " .

كشر ويليام فى سخط قائلاً : " لم أكن أدرك أننـى تخطيـت حدود الولاية . كانـت المنطقـة كلـها متشـابهة . لكننـى بالفعـل نقلتها خارج نطاق المنطقة لكل أضلل الباحثين عنها " .

" حـدثني عـن الأربـع الأخريـات . هـل اخترتهـن بشـكل عشوائى أيضاً ؟ " .

" لا . كان الأمر مخططا له بكل تأكيد " .

" كيف اخترتهن ؟ " .

" لقد عكست السؤال . هن اللائى اخترننى " .

" لا أفهم ذلك " .

" إن ابن كارولين مادوكس الصغير مصاب بالسكر ، ولم تكن تجد نفقات الأنسولين . كما أنها لم تستطع الحصول على تأمين صحى ، فكانت تأتى إلىّ متوسلة أن أساعدها " .

" فأعطيتها الدواء الذى يحتاجه طفلها " .

قال ويليام : " بالإضافة إلى العطف والتشجيع . لكن لم يكن أيًا مما قلته أو فعلته لها كافيـاً لأن يجعلـها تحبنـى . بالطريقـة التى كنت أريدها " ، وكان إيماؤه واضحاً . تابع ويليام قـائلاً : " كان لديها الوقت لكى تمـر علـى الصـيدلية لتأخـذ دواء ابنهـا مجاناً ، لكن لم يكن لديها الوقت أبداً كى تقابلنى وحدى " .

" ولقد أوْجَدَتْ الوقت لأحد زبائن الفندق الذى كانت تقوم فيه بأعمال النظافة ، على الرغم من ذلك . نعم ، بالفعل أوجدت له الوقت . رأيتهما معاً فى سيارته فى موقف السيارات ، وقد كان واضحاً وضوح الشمس وجود علاقة بينه وبينها . لم تعد إلى البيت فى تلك الليلة " .

تم العثور على سيارتها وبها الشريط الأزرق على جانب الطريق ، فى منتصف المسافة بين شقتها والفندق . تذكرت ليلى أن نزيل الفندق تم استجوابه ثم استبعاده من المشتبه فيهم " .

" والمرضة ؟ " .

ابتسم ويليام ساخراً : " لاورين . قصة مختلفة تماماً . كانت بدينة ، ولم أكن معجبًا بها ، لكننى كنت مشفقاً عليها . يمكنك أن تدعونى " مرهف الشاعر " . أعطيتها عينات مجانية من كل أدوية التخسيس التى تأتى إلىّ ، فأساءت فهم عطفى وراودتنى عن نفسى . كانت إيماءاتها صارخة وفاحشة بالفعل . لم أكن أتصور نفسى ألمس هذه الكتل المقززة من اللحم وشعرت بالإهانة لتصورها أننى أريد ذلك . حسنا ، يمكنك تخيل الباقى " .

قبل أن تسأل ، أخبرها عن بيتسى كالهون التى كانت على حد قوله تلتهم الأدوية المضادة للاكتئاب بمعدل ثمانية إلى عشرة أقراص فى اليوم ، وحين نفدت الجرعة التى حددها لها الطبيب رفض الطبيب أن يجدد لها الجرعة ، فطلبت من ويليام أن يعطيها المزيد .

أين الطائرة المروحية ؟ لماذا لم تعد ؟

قال ويليام : " اتفقت أن أقابل السيدة كالهون فى موقف سيارات البنك . كان الأمر بالفعل بمثابة قتل رحيم . لقد

خلصتها من شقائها ، وبخلاف كل الأخريات ، لم تبد أية مقاومة . وبفعل كل تلك المواد المهدئة التى كانت تتعاطاها ، كان قتلها أسهل ما يمكن ، لكن قتل ميليسنت كان أكثر متعة منهن جميعاً " ، وانفجرت شفتاه عن ابتسامة قاسية بغيضة .

قالت ليلى : " حدثنى عنها " ، وكررت فى نفسها : هل تنقل الطائرة المروحية الآن جثة تيرنى ؟ لابد أنهم يظنون أنهم وصلوا إلى الأزرق . وقد يرجئون إنقاذها إلى وقت آخر .

قال ويليام : " ميليسنت كانت حقيرة . كانت تعتمد علىّ فى إمدادها بموانع الحمل عندما كنت تقيم علاقة آثمة مع والد سكوت ، لكنها بعد ذلك أهملت فى استخدامها . فلمن جاءت تنتحب حين حملت ؟ إلى العبد الفقير .

ظللت سنوات أعطيها أقراصاً للتخسيس وفيتامينات حتى لا يزيد وزنها ، لكنها نظرت إلى كرمى معها على أنه أمر مسلم به . كانت تغازلنى وتعاكسنى . فى إحدى المرات ؛ قبل موعد إغلاق الصيدلية مباشرة ، لم يكن بالصيدلية سوانا ، فجاءت إلى وعرضت علىّ إقامة علاقة معى ... كنت أكرهها لأنها ساقطة طلبت منى أن أفكر فى الأمر " ، وقال مقلداً صوت ميليسنت : " فكر فى هذا يا ويليام " . تابع ويليام قائلاً : " ثم ضحكت وانصرفت وكأنها فى منتهى الذكاء والخفة . فى آخر مرة رأيتها فيها ، لم تكن تضحك " .

حدّق ويليام أمامه للحظة شارداً فى أفكاره ، ثم قال : " حتى آخر لحظة ، كان الأمر متعلقاً بها برمته . ظلت تبكى وتقول لماذا تفعل بى هذا ؟ كنت أظن أنك تحبنى " .

" وبينما كنت أصحبها فى السيارة إلى البيت القديم ، حاولت أن أبين لها أنها فظيعة وأنها كانت تستغل الآخرين وتجرح مشاعرهم بلا سبب وتتلاعب بعواطفهم . قلت لها إنها شخصية مدمرة ، لذا تستحق التدمير ، لكن ... " ، وتنهد ثم قال : " لا أظن أنها فهمت ما أقوله أبداً " .

ظل ويليام مفكرًا للحظة ، ثم قال : " كنت على وشك أن أدفنها حين تلقيت اتصالاً من كهربائى كنت أحاول جعله يأتى إلى البيت منذ عدة شهور . أخبرنى الكهربائى فى الهاتف بأنه قادم فى الطريق ، فاضطررت إلى إخفاء جثتها فى أى مكان قبل أن يأتى . كنت أعلم أنكما بعتما هذه الكابينة أنت ودتش ، ولقد سمعت دتش يقول ذات مرة أنك قمت بالفعل بإخلاء المخزن ، لذا كان المخزن أقرب وأنسب مكان أمكننى التفكير فيه فى ذلك الوقت الضيق .

قابلت الكهربائى وأطلعته على المهام التى أريد منه تنفيذها ، وحين انتهينا من ذلك ، كان الظلام قد حل وكنت مضطراً للعودة إلى المدينة . قررت أن ميليسنت يمكنها أن تقضى يومًا أو يومين فى المخزن ، ولم أكد أعد إلى هنا بعد ذلك حتى هبت العاصفة " .

فجأة ، سمع الاثنان دفعات أخرى من الطلقات النارية ، فى مكان ليس أقرب من المكان السابق .

سأل ويليام متعجباً : " ما الذى يعنيه هذا ؟ " .

كانت ليلى حائرة هى الأخرى . أخذت تبحث فى ذهنها عن سؤال آخر يمكن أن يجعل ويليام يستمر فى الحديث ، وقبل

أن تجد ذلك السؤال . سألها هو سؤالاً : " هل صحيح أنك قابلت تيرني منذ عدة أشهر ؟ " .

" في يونيو الماضى " .

قال ويليام : " كان دتش محقاً في غيرته ؟ إنني أرى مبرراً لغيرته في وجهك كلما ذكرت اسم تيرنى . أرى تلك اللمعة وذلك الحب في عينيك " . ثم نظر إلى البطاطين غير المرتبة على حاشية الفراش أمام المدفأة ، وحين عاد بنظرته إليها ، قطب حاجبيه في احتقار قائلاً : " عجباً لكن يا من تتمتعن بالجمال . دائماً ما يجد الواحد منكم الآخر . أليس كذلك ؟ أما نحن فلا تنظر الواحدة منكن إلينا مرتين " .

" كنت دائماً أحسن معاملتك يا ويليام " .

" لكن لو أنك حبست معى فى هذه الكابينة وحدنا ، ما كنت لتقعى فى حبى أبداً مثلما حدث مع تيرنى " .

" ويليام ـــــ " .

" اخرسى ! إننى أتحدث " .

أمسكت ليلى عن الكلام وتركته يتحدث .

" إن النهاية لتتسم بالتناقض ، وفيها نوع من الرومانسية الشاعرية . حيث يصبح كل منكما فى عداد الأموات ، ويظن الناس جميعاً أنه هو الذى قتلك ، بينما هو فى الحقيقة كان حبيبك . أترين التناقض ؟ أليس هذا عبقرياً . لكن ما يحيرنى هو لماذا تركك هنا مقيدة هكذا ؟ " .

قالت ليلى فى نفسها : كى يمنعنى من مقاومته أو محاولة الفرار منه بعد أن رأيت جثة ميليسنت . لم يكن تيرنى يريد لها أن تفعل شيئاً يسبب لها نوبة ربو قاتلة . لقد تصرف تصرفاً

دفعه اليأس وحرصه على عدم إهدار الوقت كي يضمن ألا يحدث لها هذا . لقد فهمت الآن ذلك . لقد فهمت الكثير . إنها تحب تيرنى منذ اليوم الذى قابلته فيه . بالإضافة إلى ذلك . لقد أدركت أنه يحبها .

قالت بصوت خفيض وهى تكاد تبكى : " كان يحاول أن يحافظ على حياتى " .

" لسوء حظك . لم يحاول بما فيه الكفاية " .

تحرك ويليام بشكل أسرع من قدرة ليلى على رد فعل ، ولف الشريط الأزرق حول رقبتها وأحكم لفه .

" لا ! أرجوك ! " .

ابتسم لها ابتسامة قاسية وازداد من شد الشريط قائلاً : " أنا واثق من أنك تذكرين عدم جدوى التوسل . سأقول لك ما قلته لهن جميعاً . لقد اقتربت نهايتك " .

حاولت ليلى أن تركله ، لكنه كان يجلس على فخذيها مثبتاً إياهما إلى الأرض وهو يزيد الضغط على الشريط : " لن يستغرق الأمر طويلاً . سيسرع الربو من نهايتك . لكننى أرجوك أن تساعدينى فى أن تموتى بسرعة لأننى أسمع صوت الطائرة المروحية عائدة إلى هنا " .

سمعت ليلى صوتها يقترب بالفعل ، لكن من الممكن أن يكون أمامها عدة دقائق حتى تصل إليها . كان الشريط يضغط بشكل مؤلم على عنقها . أخذت تفرد وتثنى أصابعها وهى تكافح من أجل التنفس ، وتقوس جسدها ، ورئتاها فى محاولة للبحث عن الهواء .

هل هذه هى الطريقة التى قدر لها أن تموت بها ؟ أن تموت لعدم القدرة على التنفس ؟

وبدون أى تحذير أو أى صوت أو أى شىء ، اندفع تيرنى داخلاً من باب غرفة النوم ، وقبل أن يستوعب عقل ويليام ريت ظهوره غير المتوقع ، ركله تيرنى فى رأسه .

الفصل

٣٣

رفعت الركلة ويليام عن الأرض وكأنه إحدى شخصيات أفلام الرسوم المتحركة ، فسقط على بعد ثلاث أقدام من ليلى وانقلب على ظهره ، ثم حاول النهوض ، وكان جانب رأسه فوق أذنه مباشرة ينزف . وضع ويليام يده على رأسه وحدق فى تيرنى وكأنه عائد لتوه من عالم الموتى .

كان تيرنى يبدو بالفعل كأحد الناجين من موت محقق ، فكانت ذراعه اليمنى متدلية من الكتف بزاوية غريبة ، بينما كانت ملابسه في ذلك الجانب من جسده غارقة فى الدماء . وكان وجهه شاحباً شحوب الموتى ، فيما عدا الجرح النازف فى وجنته ، أما عيناه فكانتا غائرتين تحيط بهما ظلال قاتمة ، وقد ثبتهما على ويليام ولم يرفعهما عنه قط .

لابد أنه وجد نافذة غير محكمة الغلق فى غرفة النوم ، تعمد أن يدخل منها كى يكون الهجوم مباغتاً .

قال تيرنى بصوت متهدج: " ليلى ؟ " .

" إنه هو الأزرق " .

قال تيرنى : " لقد استنتجت ذلك " ، وثبت عينيه على ويليام وهو ينحنى ويضع مسدسه فى يدها اليمنى المقيدة قائلاً :
" هل فهمتِ ؟ " .

" نعم " .

قال تيرنى : " إذا تمكن منى ، اقتليه دون تردد للحظة واحدة ، ثم جذب الشريط من رقبة ليلى . كانت مشية تيرنى مترنحة غير مستوية ، لكنه انقض على ويليام الذى كان قد استعاد بعض إدراكه وكان يحاول الفرار زاحفاً . مد تيرنى يده اليسرى فقط وأمسك بـ " ويليام " من ياقته ورفعه عالياً ثم تركه ريثما يوجه له لكمة فى وجهه ، وهو لايزال ممسكاً بالشريط . جعلت اللكمة ويليام يدور حول نفسه ، فوقع على وجهه بقوة مصطدماً بالحائط ، ثم ارتد من الحائط إلى الأرض .

غطى تيرنى مؤخرة رأس ويليام بيده العريضة ودفع وجهه فى الحائط مرتين . بعد ذلك لكمه لكمة فى كليته بشكل جعله يصرخ من الألم ، ثم أمسك بكتفه وأداره ملصقاً وجهه بالحائط محيطاً عنقه بأصابع يده اليسرى . كان الشريط لايزال وسط أصابع تيرنى ، إلى أن سقط على صدر ويليام .

أصبح وجه ويليام كتلة من الدماء ، واتسعت عيناه من شدة الخوف . قال تيرنى : " يجب أن أربط هذا الشريط حول عنقك وأخنقك به ببطء " .

كان صوت تيرنى ضعيفاً ، بينما كان الدم متجمعاً حول قدمه . توقف ليلتقط أنفاسه ، لكن قبضته ظلت محكمة على ويليام .

" يعلم الله أننى أريد أن أقتلك ، وأريد أن أمزق قلبك بيدىّ هاتين . لكننى لن أفعل لأننى لا أريد أن ينتهى أمرك سريعاً هكذا ، فأنت لا تستحق ميتة سريعة

لا ، أريدك أن تعيش طويلاً . أريدك أن تتعذب فى إحدى الزنازين لعقود طويلة . أريد أن تظل محبوساً فى مكان مجهول ، ويتم تعذيبك كل يوم على أيدى السفلة الذين لا يستمتعون بفعلتهم إلا حين يروا الدماء تنزف منك . هذا هو ما يفعلونه بقاتلى الأطفال فى السجن . تورى لم تكن قد تخطت الخامسة عشرة . الخامسة عشرة ! " ، وتهدج صوت تيرنى حين قال ذلك ، ثم قال : " وحين تموت ، وهو ما أتمنى أن يحدث حين يبلغ العمر عتياً ، ستذهب مباشرة إلى الجحيم خالداً فيه أيها الوغد الحقير " .

كان تيرنى لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه ؛ فكان يترنح فى وقفته حين فتح يده ليترك عنق ويليام . سقط ويليام على الأرض وانقلب على أحد جانبيه .

وقف تيرنى ناظراً إليه للحظة ، ثم استدار واتجه نحو ليلى .

صاحت ليلى قائلة : " تيرنى ! " .

استدار تيرنى فى اللحظة التى كان فيها ويليام يفرغ غطاء محقن لابد أنه كان يخفيه فى أحد جيوب معطفه ، لكن لم يكن يقصد به تيرنى ، بل غرسه ويليام فى عنقه هو .

انقض عليه تيرنى على الفور ، وبينما كان ويليام يحاول الضغط على مكبس المحقن ليحقن الهواء فى وريده ، أخذ تيرنى يقاومه كى يمنعه من ذلك . أمسك تيرنى بيده اليسرى معصم

ويليام بقوة كاد ينكسر لها المعصم . صاح ويليام عالياً ، ليس بسبب الألم فقط ، لكن بسبب الإحباط والغضب أيضاً ، لأن تيرنى تمكن بطريقة ما من أن يثبت يده الأخرى إلى ركبته .

انفتح باب الكابينة بقوة مصطدماً بالحائط الداخلى .

" مكتب التحقيقات الفيدرالية ! ليتوقف كل منكم فى مكانه ! " . أتى هذا الأمر من رجلين يرتديان ملابس عسكرية وأقنعة سوداء بعد أن اقتحما الغرفة ببندقيتهما ، ثم صوبا البندقيتين نحو تيرنى وويليام .

قال رجل صارم الملامح دخل الغرفة بعد ذلك آمراً : " ألق السلاح ! " ، كان الرجل مرتدياً معطفاً عادياً ، لكن ليلى انبهرت بطريقته الآمرة . فاستغرقت لحظة حتى أدركت أنه يحدثها هى . فتحت ليلى يدها وتركت مسدس تيرنى فسقط على الأرض .

عميل آخر ، أصغر سناً وأكثر رشاقة يرتدى قفازه ، كان يمسك مسدساً ويصوبه نحو مؤخرة رأس تيرنى قائلاً : " اتركه يا سيد تيرنى " .

" لقد وضع محقنا فى رقبته يحاول قتل نفسه " .

خطا نحوهما الرجل الأشيب الشعر ذو اللهجة الآمرة وأحنى جسده ثم أخذ لحظة ليقيم الوقف ، وبعد ذلك نزع المحقن ببساطة من عنق ويليام قائلاً للرجل الذى يرتدى نظارة : " قم بتغطيته " .

قالت ليلى فى سرعة : " إنه الأزرق ، واسمه ويليام ريت " .

قال العميل : " إننى أعرف اسمه " .

" إنه الرجل الذى تريدونه ، وليس تيرنى . ويليام ريت هو الأزرق " .

سألها قائلاً : " كيف علمت ذلك ؟ " .

" لقد أخبرنى بذلك ، وكان بسبيله إلى قتلى " .

خلال هذا الحوار السريع ، كان تيرنى قد وضع يده على الحائط مستنداً عليه في وقفته . أخذ العميل الأكبر سناً منديلاً أبيض من جيب بنطاله الخلفى وأعطاه لتيرني فى صمت .

أخذ تيرنى المنديل ووضعه على كتفه قائلاً : " شكراً " .

ركل العميل ويليام بمقدمة حذائه ولكنه كان ينظر إلى تيرنى حين قال : " إذن ، لقد وجدت الأزرق أخيراً " .

أومأ تيرنى برأسه .

نظرت ليلى من أحدهما إلى الآخر فى حيرة .

استدار إليها العميل الفيدرالى قائلاً : " آنسة مارتين ، إننى ... ياه ، إننى أعتذر لك . ابحث عن مفتاح هذه القيود يا هوت " .

" لم يقيدها هو ، بل أنا الذى قيدتها " .

نظر الرجل الأكبر سناً إلى تيرنى فى دهشة .

" المفتاح فى جيبى ، والجيب مغلق ، لا أثق فى أننى أستطيع " .

قال الرجل : " اسمح لى " ، ثم فتح الجيب الذى أشار إليه تيرنى وأخرج المفتاح الصغير ، ثم تابع قائلاً : " أنا العميل الخاص المسئول بيجلى ، وهذا هو العميل الخاص وايز " ، ثم جثا أمام ليلى وفك قيودها وساعدها على النهوض .

" إننى مسرور بلقائك " ، تجاوزت ليلى الرجل مندفعة نحو تيرنى الذى كان لايزال مستنداً على الحائط . مررت ليلى يدها فوق تيرنى ، وهى حريصة فى نفس الوقت على أن تكون هناك بضع بوصات بين يدها وبين جسد تيرنى خشية أن تؤلمه . " يا إلهى ! إن آلامك تبدو رهيبة يا تيرنى " .

سألها : " هل آذاك ؟ " .

قالت ليلى : " ماذا ؟ " ، ثم نظرت فى عينيه الغائرتين قائلة : " لا " .

" لكننى أنا الذى فعلت ذلك . فى المخزن ــــــ "

" ليس مهماً " .

" كنت مضطرة لأن أفعل ذلك " .

" إننى أتفهم الأمر . أتفهمه بالفعل " .

ظل انتباه كل منهما مركزاً على الآخر لعدة لحظات ، ثم انتبها فى نفس الوقت لمن حولهما . حدثت ليلى العميل الأعلى مرتبة قائلة : " لقد وصل تيرنى فى الوقت المناسب ليمنع ويليام ريت من قتلى . جثة ميليسنت جان فى صندوق الأدوات بالمخزن . عثرت عليها هذا الصباح " ، نظرت ليلى إلى تيرنى قائلة : " لقد عثرت عليها يا تيرنى فى الليلة التى خرجت فيها لإحضار الخشب وبحثت عن الفأس . هذا هو ما جعلك فظاً بعض الشىء فى تلك الليلة " .

أومأ تيرنى برأسه ، ثم قال لـ " بيجلى " : " كما قالت ليلى . لقد عثرت على الجثة فى الليلة قبل السابقة . وأنا لم ألمس الجثة . لقد وجدتها فحسب إذن فإنها كما هى ، هذا ما لم يكن ويليام ريت قد نقلها حين صعد إلى هنا " .

قالت ليلى لهما : " لا أظنه فعل ذلك . لقد أتى مباشرة إلى الكابينة " .

سأل بيجلى قائلاً : " أين هذا المخزن ؟ " .

أخبرته ليلى بالمكان ، ثم قالت : " لقد اعترف لى ويليام بأنه قتل وأخفى جثتها هناك بشكل مؤقت . ولقد اعترف - بل تباهى - بحالات القتل الأخرى أيضاً " .

قال بيجلى : " أخرجوه من هنا " ، وبإشارة منه قبض الضابطان الآخران على ويليام من تحت ذراعيه وسحباه على وجهه باتجاه الباب ، فكان لا حول له ولا قوة بين أيديهم وكأنه مات أخيراً بسبب الضرب الذى ضربه له تيرنى .

" اقبضا عليه وضعاه فى الطائرة المروحية ، وانتظرانى هناك " .

" أمرك يا سيدى " .

" هوت ؟ " .

" سيدى ؟ " .

" اتصل بأقرب فرع . نحن بحاجة إلى وحدات لجمع الأدلة من الجريمة بأقصى سرعة . وذكرهم بأنهم سيحتاجون إلى طائرة مروحية " .

" أمرك يا سيدى " .

أخذ العميل وايز يتحدث فى هاتفه الخلوى ، بينما استدار بيجلى إلى ليلى وتيرنى قائلا : " كيف حال كتفك يا سيد تيرنى ؟ " .

" يُرثى لها " .

" إننى مندهش لأنك لم تصب بإغماء حتى الآن " .

" قد يحدث هذا الآن فى أية دقيقة " .

" هل تريد الجلوس ؟ " .

هز تيرنى رأسه قائلاً : " إن فعلت فلن أستطيع النهوض مرة أخرى " .

قال بيجلى : " لقد انخفضنا بالطائرة على الطريق على بعد خمسين ياردة من هنا تقريباً ، ثم تتبعنا مسار دمك فيما بقى من الطريق إلى هنا ، ولقد اتصل الطيار بالفعل طالباً طائرة مجهزة لنقلك ، ومتوقع وصولها سريعاً " .

" أشكرك " .

" أليس لديك مانع فى الحديث ؟ " .

" ربما يساعدنى الحديث على عدم الاستسلام للإغماء " .

ابتسم بيجلى ابتسامة من يفهم هذا المنطق ، ثم اتخذت ملامحه مظهر الجدية قائلاً : " إننى أدين لك بالاعتذار يا سيد تيرنى . لم نعلم إلا منذ دقائق مضت أنك والد تورى لامبيرتُ " .

نظرت ليلى إلى تيرنى فى صمت .

قال تيرنى : " لقد طلقت والدة تورى حين كانت طفلة رضيعة " ، موجهاً حديثه إلى ليلى أكثر منه إلى عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية . تابع تيرنى قائلاً : " وقد تبناها زوج والدتها وأعطاها اسمه ، لكنها كانت ابنتى " .

قال بيجلى : " وهذا يفسر لنا الكثير . من الواضح أنك لم تكن تثق فى أن نقوم نحن أو رجال الشرطة المحلية بحل القضية ؛ لذا قمت بتحرياتك الخاصة بك على مدى العامين الماضيين " .

" هذا صحيح " .

نظر بيجلى إلى تيرنى متجهماً بشكل جعل ليلى تأخذ الانطباع بأنه لو كانت ابنة بيجلى هى التى اختفت لفعل نفس الشيء . سأل قائلاً : " من الذى كتب الكلام المكتوب فى المطبخ ؟ " .

كان بيجلى يشير إلى الرسالة التى كانت ليلى قد نقشتها على خزانة المطبخ ، وبدا لها أنه لا يفوته شيء . قالت ليلى : " أنا . لقد ظننت لبعض الوقت ... " ، ثم أشارت نحو تيرنى فى ندم .

قال بيجلى : " حسناً ، لم يكن هذا التصور لديك وحدك . سيد تيرنى ، هل شككت فى ويليام ريت ؟ " .

" لا . لقد ظننت أن الأزرق هو ويز هامر " .

" ويز هامر ؟ " .

قال تيرنى : " لقد تعرفت على ميليسنت من خلال ترددى على محل عملها ، وقد نشأ من ناحيتها ... ارتباط بى " .

قالت ليلى فى نفسها بل غرام .

" حدث ذلك خلال رحلتى إلى هنا فى الخريف الماضى . فى إحدى الليالى عدت إلى مسكنى فوجدت ميليسنت تنتظرنى . لم أدعها إلى داخل كابينتى ، لكنها بدأت تقص علىّ قصة بائسة عنها هى ، وويز وابنه ، وعن حملها وتعرضها للإجهاض " .

كانت ليلى ترى دوماً أن ويز هامر شخص بغيض إلى حدٍ كبير ، وطبقاً لقصة تيرنى ، فإن ويز هامر أسوأ من هذا بكثير .

قال تيرنى : " حين عادت من المستشفى التى كانت تعالج بها من الاضطرابات الغذائية ، أرادت أن تعود إلى سكوت ، لكنه كان مصمماً على قطع علاقته بها ، فسألتنى النصيحة " ،

وهز رأسه فى حزن ثم قال : " كان عندى ما يشغلنى ، ولم أكن أريد أن أزج نفسى فى شىء كهذا . لكن حين أعلن عن اختفائها فى الأسبوع الماضى ، ظننت أنه من الممكن أن يكون ويز قد تخلص من سبب المشكلة ، وظننت أن صديقه دتش تستر عليه " .

استدار تيرنى إلى ليلى قائلاً : " هذا هو ما جعلنى لا أخبرك بما أفعله . خشيت لو أننى شرحت لك السبب أن تشعرى بالاضطرار لأن تخبرى دتش بدافع الواجب فيقوم بحماية صديقه ويز . فحتى لو لم يكن ويز هو الأزرق ، كان أمر التحريات التى أقوم بها سينكشف ، فيحاول دتش منع مجهوداتى الفردية للعثور على ابنتى " .

سألته ليلى قائلة : " ماذا كنت تفعل على الجبل فى اليوم الذى هبت فيه العاصفة ؟ " .

قال تيرنى : " لم أستملم أبداً لليأس من أن أجد لها أثراً فى أى من مسارات التنزه . وفى يوم هبوب العاصفة ، اكتشفت ..." ، ثم توقف متنحياً وقال : " قبورا . اكتشفت أربعة قبور ، وقبراً حديثاً تم حفره لـ " ميليسنت " ، وقد وجدت الجاروف الذى حفر به موضوعاً بين أغصان إحدى الشجيرات " .

" والقيود ؟ " .

" القيود قيودى " .

قال بيجلى : " لقد اشتريت أيضاً جهاز إشارات لاسلكية ، من أجل أغراض التعقب فيما أظن " .

أوما تيرنى برأسه وقد بدا عليه الخجل ، ثم قال : " لم أستخدمه أبداً ، كان من الواضح أنكم قمتم بواجبكم كما يجب " .

قال بيجلى مشيراً إلى العميل الآخر : " فى الحقيقة ، يرجع الفضل فى هذا إلى العميل الخاص وايز " .

كان هوت قد انتهى من الاتصال الهاتفى بأقرب فرع ، أياً كان ذلك الفرع ، بعد ذلك راح يستمع إلى قصة تيرنى ، ثم تقدم نحوه قائلاً : " وأنا أيضاً أدين لك باعتزاز يا سيد تيرنى . من الناحية النظرية ، كنت تبدو موضع شك بشكل كبير " .

" أعتقد أن هذا قد يكون صحيحاً من الناحية النظرية . ما الذى جعلكم تشكون بى فى المقام الأول ؟ " .

" وجدنا حروف اسمك الأولى عدة مرات فى مفكرة ميليسنت جان ، ولقد أشارت إلى أنك كنت تعاملها بلطف " .

هز تيرنى كتفيه ولم يعلق على ذلك .

سأله بيجلى : " وبالنسبة للقبور ؟ " .

" حاولت ألا أغيّر شيئاً فى المنطقة المحيطة بها متمنياً أن يكون بها أدلة شرعية ، أياً كانت شخصية الأزرق " .

سأله بيجلى عن مكان القبور . أخبرهما تيرنى عن مكان وجود سيارته ثم قال : " ستجدان القبور على بعد حوالى مائة وخمسين ياردة شمال شرق المكان الموجود به السيارة ، والطريق الصاعد إليها وعر بعض الشىء ، لكن من الواضح أنه يسهل اجتيازه ، حتى بالنسبة لرجل يحمل جثة " .

سألت ليلى : " والشريط الأزرق ؟ " . كان الشريط الأزرق لايزال مستقراً على الأرض عند أقدامهن ملطخاً بدماء تيرنى ودماء ويليام ريت .

" كما أخبرتك من قبل . لقد رأيته معلقاً على أحد فروع الشجر . لابد أنه وقع من ريت وهو يقوم بحفر القبر ، ولقد أخذته لأننى كنت أخشى أن يضيع دليل مهم كهذا قبل أن أتمكن من أن أكشف عن مكان القبور لأى أحد " .

قال تيرنى لـ " بيجلى " : " لقد استخدمت قفازاً مطاطياً حين أمسكت بالجاروف ، وهو موجود فى مؤخرة سيارتى . أتمنى أن ترفعوا عنه بصمات ويليام ريت " . ورأت ليلى عينيه تلمعان بالدموع وهو يقول : " قد تستطيعان على الأقل العثور على رفات ابنتى " .

كان صوته قد أصبح أكثر ضعفاً بسبب القصة التى قصها ، وبالنظر إلى كمية الدماء ، كانت ليلى فى حيرة لقدرته على النهوض حتى الآن . أحاطت ليلى خصره بذراعها قائلة : " لماذا لا تجلس على الأقل ؟ " .

ابتسم لها قائلاً : " أنا بخير " .

سألت ليلى : " دتش هو الذى أطلق النار عليك . أليس كذلك ؟ " .

نظر تيرنى فى عينيها للحظة ، ثم استدار نحو بيجلى قائلاً : " ماذا عنه هو وويز هامر ؟ " .

قال بيجلى : " بقى معهما كوليير . أحد أفراد فريق الإنقاذ " ، ثم نظر إلى ليلى بطرف عينيه قلقاً وسأل تيرنى قائلاً :

" هل الأمر كما قالت الآنسة مارتين ؟ المأمور بورتون هو الذى أطلق النار عليك ؟ " .

قال تيرنى بمرارة : " كنت قد ألقيت مسدسى . لا يهم هذا " .

قالت ليلى : " أطلق النار عليك وهو يعرف أنك غير مسلح ؟ " .

قال بيجلى استجابة لشعورها بخيبة الأمل : " لقد كان ذلك خطئى إلى حد ما يا آنسة مارتين . كان المأمور بورتون يعتبر السيد تيرنى مجرماً خطراً " .

قال تيرنى : " كنت أعلم ذلك " ، وراح يشرح كيف أنه سمع خلال مذياع سيارة ليلى أنه مطلوب لاستجوابه . تابع تيرنى قائلاً : " حين رأيت دتش وويز هامر ، استنتجت أنهما يسعيان للقبض علىّ . حياً أو ميتاً " .

قال بيجلى : " كان غاضباً أيضاً لوجودكما معاً هنا ، فكان ذلك مزيجاً بغيضاً من الحذر والغيرة " .

قال تيرنى : " هذا ما جعلنى أبدأ فى الجرى حين رأيتهما . كنت أتمنى أن أتصل بكم - بمكتب التحقيقات الفيدرالية - قبل أن يصلا إلىّ ، وشعرت أن فرصتى ستكون أفضل فى تفسير موقفى لكم . وكنت أشك فى أنه ستكون لى نفس الفرصة معهما ، وكنت محقاً " .

توقف تيرنى ملتقطاً أنفاسه ، ثم قال : " لكننى لم أستطع أن أسبقهما ، فلحقا بى وأطلقا النار علىّ . بعد ذلك بثوان سمعت ريت عبر جهاز اللاسلكى يخبرهما بأنه عثر على ليلى هنا فى الكابينة ، ميتة . عرفت عندئذٍ أن هناك مشكلة فظيعة .

أعتقد أنه يمكنك استنتاج الباقى " ، ثم مال بجسده على الحائط .

راحت ليلى برفق تجلسه بيدها حتى استقر على الأرض مسندًا ظهره إلى الحائط ، ثم قالت : " لا أصدق أن دتش فعل بك هذا " ، ثم نظرت إلى بيجلى قائلة : " سيأخذ القانون ضده مجراه ، أليس كذلك ؟ " .

" لا يا سيدتى ، لن يحدث هذا " .

كانت على وشك أن تسأل عن السبب حين أدركت السبب فجأة . كان بمقدورها أن ترى الإجابة فى عينى بيجلى المتعاطفتين ، وتشعر بها فى نظرة العميل وايز التى تحولت عنها ، وتسمعها فى سباب تيرنى الخافت .

قال بيجلى برفق : " آسف يا آنسة مارتين ، فلم يترك لنا خياراً . لقد أطلق النار على أحد رجالى ، وكانت الطلقة ستصير مميتة لولا أن الرجل كان يرتدى رداء واقياً من الرصاص . كما حاول المأمور بورتون أيضاً إطلاق الرصاص على تيرنى من الخلف ، وكان فى سبيله إلى فعل ذلك . ولقد حذرناه أكثر من مرة ، فأصر . ولكى نحافظ على حياتنا ـــــ "

قالت ليلى بصوت خافت به رنة أسى : " لست مضطراً لتفسير الأمر " .

مد تيرنى يده وأمسك بيدها .

رن أحد الهواتف الخلوية . أدار العميل وايز ظهره للآخرين ورد على الهاتف محاولاً ألا يشوش عليهم قدر الإمكان .

سمع الموجودون صوتًا وحركة في الخارج ، فخرج بيجلى إلى البهو ، ثم عاد على الفور قائلا : " لقد وصلت طائرة العناية الطبية يا سيد تيرنى " .

" هل يمكننى الذهاب معه ؟ " .

" للأسف لا يا آنسة مارتين . نحن نحتاجك في كليرى " .

أومأت ليلى برأسها على غير رغبة مها .

قال بيجلى : " سوف أذهب مع المجموعة الأولى لأشرف على إجراءات احتجاز ويليام ريت . سوف تبقين هنا تحت عينى العميل وايز حتى تعود الطائرة المروحية من أجلك . لقد أثبت هوت جدارة كبيرة اليوم " ، وكان يقول العبارة بطريقة شبه ساخرة . تابع بيجلى قائلاً : " لن يستغرق الأمر أكثر من نصف ساعة " .

" سأكون بخير بالتأكيد يا سيدى " .

اندفع فريق عناية طبية إلى داخل الغرفة وهم يحملون نقالة ، وفى خلال دقائق كان تيرنى محمولاً عليها وقد تم تزويده بالمعدات الطبية والمحاليل اللازمة وجهاز لإمداده بالأكسجين ، ورغم الحركة التى تحيط به ، لم يترك تيرنى يد ليلى ولم يحول عينيه عن عينها قط ، كما لم تحول هى عينيها عن عينيه .

تبعت ليلى النقالة حتى وصلت إلى البهو ، اضطرت إلى ترك يده ، وكانت الشمس قد غاصت إلى ما خلف صف الأشجار الغربى بشكل يوحى بشفق مبكر ، وقد أدى غياب ضوء الشمس بالفعل إلى انخفاض درجة الحرارة بشكل كبير . احتضنت ليلى جسدها بذراعيها وهى تحدق خلف تيرنى حتى ارتفعت الطائرة المروحية عن الأرض .

سألت بيجلى الذى كان يشير لها بالدخول : " أين سيذهبون به ؟ " .

" آشفيل " .

" لقد نزف الكثير من الدماء " .

قال بيجلى : " يبدو قوياً بما فيه الكفاية . سيكون بخير " ، ولمس ذراعها ليبث الثقة فى نفسها ، فابتسمت له ، وردُ ابتسامتها .

قال العميل وايز : " سيدى ؟ " ، فاستدار الاثنان فى وقت واحد ليواجهانه .

" ما الأمر يا هوت ؟ " .

" لقد وجدوا سكوت هامر " .

* * *

حين وصل الخبر إلى دورا ، كانت لاتزال مع مارينى .

كانت المرأتان قد بقيتا معاً طوال اليوم ، فساندت كل منهما الأخرى فى غياب سكوت . كانت دورا تعرف أرقام الهواتف الخلوية لعدد قليل من أصدقاء سكوت ، لكن الخبر انتشر سريعاً وتناقل الأصدقاء أن أم سكوت متلهفة للحديث إليه ، ولم تجد دورا أياً من الأصدقاء الذين اتصلت بهم يعرف عنه شيئاً .

وفشلت محاولات دورا فى الوصول إلى ويز من خلال هاتفه الخلوى ، وكانت تجد إما أن الخدمة لم تعد بعد أو أنه يتجاهل اتصالاتها .

انتظرت المرأتان معاً ، وراح قلقهما يتزايد .

في النهاية عثر الضابط هاريس على سكوت ، فقال لـ " دورا " : " إنه في طريقه إلى المستشفى " ، ورفض قول أى شيء آخر عبر الهاتف .

حين وصلت دورا وماريلى إلى غرفة الحالات الطارئة ، كانا يخشيان سماع ما ستقوله لهما المرضة . ولأن المرضة كانت تعرف أسرة هامر جيداً ، رفضت أن تكون هى رسول الأخبار السيئة .

قالت المرضة : " إن الطبيب يريد الحديث إليك مباشرة يا دورا . سوف أبلغه " ، واختفت عبر باب مزدوج .

مرت عشر دقائق كاملة قبل أن يظهر شاب يرتدى معطف معمل . نظر الشاب إليهما ، ثم قال : " السيدة هامر ؟ " .

" أنا السيدة هامر " .

قال الشاب : " أنا الدكتور دافيسون " ، وصافح دورا ، فبدت له يدها باردة رطبة ، ثم تابع قائلاً : " من الواضح أن سكوت كان يتسلق أحد الحبال بصالة الألعاب الرياضية فى المدرسة الثانوية ، وفقد السيطرة على الحبل فسقط على الأرض ، وكان وحده . فلم يكن أحد يراه ، كما أنه لم يضع بساطاً تحته ، فكانت السقطة قوية . نحن نحاول العودة بحالته إلى الاستقرار حتى يمكن نقله إلى مستشفى أكبر " .

كادت دورا تنهار على الأرض لشعورها بالارتياح ، لو لا أن ماريلى سندتها . قالت دورا : " لكنه حى ؟ " .

قال الطبيب : " نعم ، نعم . اعذرينى ، قد كنت أظنك تعرفين هذا . إن جروحه لا تمثل خطراً على حياته ، فوظائفه الحيوية جيدة ؛ لكننى لا أريد التقليل من شأن الإصابة ،

فهناك عدة كسور فى رجليه ، ويتم الآن الكشف عليه بأشعة إكس للتحقق مع عدم وجود جروح داخلية ، ولا أظن أننا سنجد جروحاً داخلية ، لكن هذا هو المتبع حين تكون هناك إصابة فى عظام الحوض ، ويبدو أنه لا توجد إصابات فى العمود الفقرى أو الرأس ؛ لذا فأنا اعتبره محظوظاً ، بالنظر إلى السقطة التى سقطها " ، وتوقف الطبيب لكى تستوعب المرأتان ما قاله ، قبل أن يتابع الحديث .

" عذراً يا سيدة هامر ، لكنى أريد أن سأل عما إذا كان هامر كان يتعاطى المنشطات " .

" كان يتعاطى المنشطات ؟ " .

" لابد أنها أسهمت فى خطورة إصابته ، كما أنها تجعل شفاءه أكثر صعوبة . إن المنشطات تقوى العضلات ؛ لكنها لا تقوى الأوتار والأربطة التى تربط بين العضلات ، بل إن تلك الأوتار والأربطة تضعف بسبب الضغط الزائد الواقع عليها . للأسف . سيمر سكوت بأوقات صعبة ! " .

" لكنه حى " .

" نعم ، هو حى . لكننا نريد نقله إلى مستشفى بها وحدة لعلاج الصدمات . وللأسف ، إن الطرق لا تزال زلقة ، وهناك مريض آخر فقد كميات كبيرة من الدماء يتم نقله أولاً على طائرة العناية الطبية " .

" هل تم القبض على السيد تيرنى ؟ " .

رد الطيب على سؤال ماريلى قائلاً : " لا أعرف اسمه ، وكل ما أعرفه هو أنهم قبضوا على الأزرق ، وقد كان الأمر أشبه بالمجزرة . لذا فقد يكون أمامنا حوالى ساعتين قبل أن يتم نقل

سكوت . وفى هذه الأثناء سنحرص على راحته ومراقبة حالته قدر الإمكان " .

" هل يمكننا رؤيته ؟ " .

قال الطبيب : " بمجرد أن يخرج من غرفة الكشف بأشعة إكس " ، ثم تردد قبل أن يقول : " لقد رأيته يلعب كرة القدم فى الموسم الماضى . كان موهوباً بالفعل . ربما يكون من الأفضل أن تقوموا بتهيئته لشيء قد لا يسبب له الإحباط " .

بعد ذلك بنصف ساعة ، جاءت الممرضة لتدخل وراءه غرفة العناية المركزة .

مدت دورا يدها إلى ماريلى قائلة : " تعالى معى " .

قالت ماريلى : " لا أستطيع " ، وقد بح صوتها من التأثير .

" سيكون بحاجة لك " .

قالت ماريلى : " لا ، لن يحتاج إلىّ " ، وابتسمت من خلال دموعها قائلة : كان يحتاج إلىّ من قبل ، لكنه لن يحتاج إلىّ بعد ذلك " . وتوقفت ماريلى ، ثم هزت رأسها فى حزن قائلة : " لا عليك . أعتقد أنه من الأفضل ألا تخبريه بأى شيء " .

نظرت دورا فى عينى ماريلى نظرة فاحصة ، ثم أومأت برأسها ببطء ، وقالت : " أنت امرأة مؤثرة لغيرك بشكل ملحوظ ، كما أن شجاعتك لا مثيل لها " ، واحتضنت ماريلى سريعاً ثم اندفعت خلال الباب المزدوج .

كان سكوت قد أُعطى مسكنات عبر الوريد ، لذا كان شبه فاقد للوعى ، لكنه كان يعلم أين هو . حين اقتربت دورا من سريره ، ابتسم لها فى ضعف وهمس قائلاً : " أهلاً يا أمى " .

أمسكت دورا بيده ولم تحاول حتى أن تحبس دموعها وهى تقول : " كيف حالك ؟ " .

" إن قدمىّ مصابتان بشدة ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا ولدى " .

أغمض سكوت عينيه وتنهد بعمق وهو يبتسم ابتسامة واهنة قائلاً : " الحمد لله " .

الخاتمة

" آنسة مارتين ، إن السيد تيرنى هنا " .

كانت مساعدة ليلى تعرف بين تيرنى من كل التغطية الإعلامية للأحداث التى جرت فى نورث كارولينا منذ ثلاثة أشهر ، ورغم أن القبض على ويليام ريت كان موضع تركيز التغطية الإعلامية ، فإنه كان هناك الكثير من التكنهات فيما يتعلق بما جرى لـ " ليلى " داخل الكابينة خلال اليومين اللذين حبست فيهما مع تيرنى فى كابينة واحدة .

لم يكن أحد من العاملين مع ليلى لديه من التهور ما يجعله يسأل ليلى عما حدث ، خصوصاً أنه لم يقع بينها وبين تيرنى أى اتصال بعد ذلك . لم يحدث ذلك إلا أمس حين اتصل وطلب موعداً هذا الصباح .

كانت ليلى تعلم أن خبر اللقاء قد سرى فى مكاتب المجلة كسريان النار فى الهشيم . صباح اليوم ، كان الموجودون فى

حالة ترقب لرؤية تيرنى لأول مرة كانت لهجة مساعدة ليلى اللامبالية زائفة .

أما ليلى ، فمن المستحيل أن تتظاهر باللامبالاة .

بدا صوتها مختلفاً تمام الاختلاف وهى تقول : " من فضلك أدخليه " .

راح قلبها يدق وهى تحدق فى الباب . فتح تيرني الباب ودخل مغلقاً إياه وراءه ، وكان يرتدى بنطالاً فضفاضاً وسترة رياضية . لم تكن ليلى قد رأته قبل ذلك إلا فى ثياب التزحلق على الماء وفى بنطال الجينز والكنزة الصيفية والمعطف الذى كان يرتديه في الكابينة .

" أهلاً ليلى " .

" أهلاً " .

" إننى سعيد لأن وقتك كان متاحاً اليوم " .

" إننى حريصة على أن أتلقى لقاءات متتابعة مع كل شخص أحبس معه فى كابينة جبلية لمدة ثمانية وأربعين ساعة خلال إحدى العواصف " .

كان تيرنى أنحف قليلاً . وأكثر شحوباً بعض الشيء ، لكن ابتسامته كانت لطيفة وهو يأخذ الكرسى المواجه لمكتبها . راح تيرنى ينظر إليها على مهل ، وحين التقت عيناه بعينيها مرة أخرى قال : " تبدين رائعة " .

إذن لماذا أضعت أربعة وتسعين يوماً قبل أن تتصل بى ؟ كان ذلك هو السؤال الذى يصرخ به عقلها ، لكن ما قالته بلسانها كان : " كيف حال كتفك ؟ " .

" جيد تماماً . اضطر الأطباء إلى استبدال الكتف القديم بكتف بلاستيكى يدوم طويلا ولا يصبه أذى " .

" هل يضايقك ؟ " .

" ليس بشكل كبير " .

" أنت تقول هذا عن كل جرح تصاب به تقريباً " .

التقت العينان للحظة ، ثم قال تيرنى بهدوء : " بعض الجروح أكثر إيلاماً من بعض " .

أمالت ليلى رأسها إلى أحد الجانبين لتفادى سحر نظرة عينيه الزرقاوين . لقد سألت ليلى نفسها آلاف المرات عما ستقوله وتفعله حين ترى تيرنى مرة أخرى ـ إن رأته مرة أخرى !

حسناً ، كانت تعلم أنها ستراه مرة واحدة على الأقل كان عليها أن تقابله . لكن بعد هذا ، لم تكن ليلى تعرف ما يجب أن تتوقعه .

كانت ليلى قد رتبت فى ذهنها عدة سيناريوهات لتتصرف من خلالها فى هذا الموقف ، بداية من التعامل بشكل رسمى محض ، إلى التصرف بعاطفة قوية جياشة ، لكنها الآن لا تتذكر كلمة واحدة ذكية من تلك السيناريوهات المتخيلة !

" أعتقد أنك ستحتاج إلى علاج طبيعى من أجل كتفك " .

" لقد مكثت لعدة أسابيع فى مستشفى لإعادة التأهيل " .

" لابد أن الركون إلى الراحة كان يدفع بك إلى الجنون " .

" هذا صحيح لكننى كنت أفضل حالاً من المرضى الآخرين . أفضل من سكوت هامر على سبيل المثال " .

" نعم ، لقد سمعت بحادثته " .

قال تيرنى : " لم يكن حادثاً " ، ولابد أن دهشة ليلى كانت واضحة . فقال تيرنى : " كانت لى معه بعض الأحاديث الودية فى المستشفى ، فأخبرنى بأنه ترك الحبل عامداً " .

" لماذا ؟ " .

راحت ليلى تستمع فى غيظ متزايد وتيرنى يخبرها بأمر المنشطات التى كان يعطيها ويز لـ " سكوت " ، ثم قال : " هذا بالإضافة إلى إقامة ويز علاقة مع صديقة سكوت " . علقت ليلى قائلة وهى تهز رأسها : " إن ويز هامر شخص بغيض بالفعل " .

" إننى أوافقك . إنهم يتكتمون على فضيحة ميليسنت ، ليس لحماية ويز ، لكن حفاظاً على مشاعر والديها . ما الفائدة من زيادة آلامهما ؟ " .

" إن ويز يستحق الفضيحة على الملأ ؛ لكننى أتفهم هذا المنطق " .

" هناك إشاعات تقول إنه لم يكن السبب فى حادث سكوت فقط ، بل كان السبب فيما حدث على الجبل " .

" لقد كان يتبع دتش فقط " .

" ليس بالضبط يا ليلى . طبقاً لما قاله لى سكوت ، اعترف ويز بأنه كان يلح على دتش فى أن يتبعنى " .

" وما أهمية هذا بالنسبة لـ " ويز " ؟ " .

" لقد خشى فى وقت من الأوقات أن يكون سكوت هو الأزرق " .

" سكوت ؟ " .

" لقد كان لديه الدافع . أو على الأقل هذا ما كان ويز يعتقده . استغل ويز غيرة دتش من وجودنا معاً وأقنعه بفعل ما كان هو يريد فعله طوال الوقت ، وهو الإيقاع بى لوجودى معك . كان الأمر سهلاً بالنسبة لـ " ويز " ، لكن انتهى الأمر بمقتل أقرب أصدقائه منه . وسيحمل ذنب ما حدث إلى أن يدخل قبره " .

" لست أدرى ما الذى يجعلها تبقى معه " .

" السيدة هامر . قال لى سكوت إنها بعد أن علمت بأمر المنشطات ، كانت مستعدة لتركه ، لكنه توسل إليها أن تبقى معه ، ووعدها بأن يكون شخصاً آخر بأنه سيفتح معها صفحة جديدة ، ولكى يبرهن على تغيره ، اعتزل التدريب وبدأ يبيع المعدات الرياضية " .

" عند عم ميليسنت ؟ "

قال تيرنى فى نفور : " لم يتغير إلى هذه الدرجة " .

" ماذا عن سكوت ؟ ماذا عن مستقبله ؟ " .

" لايزال على كرسى متحرك ، لكن بمجرد شفائه سيتم تعليمه كما كان مخططاً له " .

" وسيترك الرياضة ؟ " .

" نعم ، فلن يشارك فى أية مسابقات رياضية بعد هذا ، وهو شديد السعادة بذلك " .

" لابد أنه كان شاباً تعيساً جداً كى يفعل ما فعله هذا من أجل الخروج من تحت سيطرة ويز " .

قال تيرنى : " إنه لايزال تعيساً " ، وقطب حاجبيه مفكراً ، ثم قال : " لقد أسر لى سكوت بمكنون صدره فيما يتعلق

بأشياء كثيرة . إنه يشعر بالارتياح لعدم اضطراره لممارسة الرياضة . لكن هناك شيئاً آخر لم يبح به " .

" لقد قال لي إنه أمر شخصي لا يمكن البوح به ، كما أنه ليس مستعداً لذلك الآن . ولقد أتيح لي وقت كبير لملاحظته في أثناء وجودنا معاً في المستشفى . إنه يكثر من القراءة الآن ، ومعظم قراءاته من الأعمال الكلاسيكية كما أنه يجلس ويحدق في الفضاء لعدة ساعات متتالية . إنه شاب تعيس جداً بالفعل " .

" ربما يكون الأمر متعلقاً بـ " ميليسنت " ؟ " .

قال تيرني : " إنه نادم على ما حدث لها بالطبع ، لكن بعد ما فعلته مع ويز ... " ، ولم يشأ تيرني أن يكمل . تابع تيرني قائلاً : " شيء آخر - أو شخص آخر - سبب له كل هذا الحزن . ربما يشعر في يوم من الأيام أنه على استعداد للحديث عن هذا الأمر . لقد وعدني بأن يظل على اتصال بي " .

" أنا واثقة أنه يقدر صداقتك " .

" إنه ولد طيب " .

بعد فترة صمت قصيرة ، قال تيرني : " أنا واثق أنك تعلمين أن ويليام اعترف بأنه مذنب فيما يتعلق بكل التهم الموجهة إليه " .

ظهر الامتعاض على وجه ليلي وهي تقول : " خمسة أحكام بالسجن المؤبد . يستحق هذا وأكثر منه " .

" أتفق معك كل الاتفاق في هذا " .

" على الأقل . لقد جنب دافعي الضرائب تكلفة محاكمته " .

قالت ليلى : " لم يكن أى أحد يحبه ، وطبقاً لتجربتى أنا الشخصية ، كان كلما حاول أن يصبح ودوداً ، صار أكثر بغضاً . لقد هجره الجميع حتى أخته . إننى لا أعرف ماريلى بشكل جيد ، لكنها كانت دائماً لطيفة معى . هل يمكنك أن تتخيل مدى الخزى الذى تشعر به الآن ؟ لقد أرسلت إليها بطاقة تحمل كلمات تشجيع . لكنها عادت إلىّ دون أن تُفتح " .

" سمعت أنها تركت كليرى ولم تترك عنوانها . قد يكون ذلك هو الأفضل لها " .

" ربما " .

بعد أن استنفد الاثنان هذه الموضوعات . وساد الصمت بينهما كانت ليلى تدرك أنه يحدق فيها ، وظلت هى تنظر إلى البريد الموضوع على مكتبها . لم تتمكن من التركيز فى قراءة بريدها لشدة لهفتها للقائه . فى النهاية ، حين لم تعد ليلى تتحمل التوتر أكثر من ذلك .

" ليلى . أنا لم أتصل قبل الآن لأننى ـــــ "

" لم أسأل عن ذلك " .

" لكنك تستحقين تفسيراً " .

نهضت ليلى وسارت نحو النافذة . لقد كانت أسوأ عاصفة خلال المائتى عام الأخيرة إيذاناً بانتهاء فصل الشتاء . جاء الربيع ، وها هو الصيف يقترب ، وأسفل هذه النافذة بعشرين طابقاً ، كانت شوارع أطلانطا تستحم فى ضوء الشمس فى أواخر الظهيرة .

" لقد انتقلت من مستشفى إلى مستشفى يا تيرنى ، وطلبت من رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية فى تشارلوت ألا يخبروا

أحداً ـ بما فى ذلك أنا ـ بأية معلومات عن كيفية الاتصال بك ، ولقد فهمت الرسالة " .

" من الواضح أنك لم تفهمى الرسالة . لم يكن السبب هو أننى لا أريد رؤياك " .

" لم يكن كذلك ؟ " .

" كلا " .

" إذن فما السبب ؟ " .

قال تيرنى : " كنت أنت فى حاجة إلى دفن دتش ، وكنت أنا فى حاجة إلى نقل جثة تورى " .

قل شعور ليلى بالغضب ، فاستدارت لتواجه تيرنى قائلة : " اغفر لى . لم أعبر لك عن أسفى لما حدث لها " .

" أشكرك . إن اكتشافى لما حدث لها أشعرنىْ بالارتياح واليأس فى آن واحد ، فكانت النتيجة طيبة من ناحية ، وفظيعة من ناحية أخرى " .

كادت ليلى عند هذا الحد أن ترتمى فى أحضانه ، لكنها لم تفعل ، وقالت : " أود أن تحدثنى عن تورى ، إن كنت تريد الحديث فى هذا الموضوع " .

" إنها ليست قصة طيبة ، لكن يجب أن تسمعيها " .

أشارت له ليلى بأن يستمر .

أخذ تيرنى نفساً عميقاً ، ثم قال : " كانت تورى تبلغ من العمر بضعة أشهر فقط حين ذهبتُ فى رحلة طويلة إلى أفريقيا بموجب عقد مع إحدى مجلات الرحلات لتغطية تلك القارة ، وما كان من المفترض أن يستغرق بضعة أسابيع ، امتد إلى

شهور . عدة شهور . فاتتنى أعياد كثيرة وأنا هناك ، وفاتتنى أشياء كثيرة أخرى .

في غيابي ، قابلت بولا - أم تورى - رجلاً آخر ووقعت فى حبه . حين عدت إلى البيت فى النهاية ، ألقت بولا فى وجهى بأوراق الطلاق حتى قبل أن أفك أمتعتى . وطلبت منى بولا وزوج المستقبل أن أتنازل عن كل حقوقى فى حضانتى لـ " تورى " ، قائلين بأن الرجل قد قضى معها وقتاً أكبر مما قضيته أنا معها .

فى ذلك الوقت ، أقنعت نفسى بأن هذا هو الصواب . كان لامبيرت يحب بولا ، وكان يعامل تورى وكأنها ابنته . لذا قلت فى نفسى إنه ربما يكون من الأفضل لابنتى أن أنسحب من حياتها ببساطة وأترك الثلاثة يعيشون حياتهم دون تدخل منى " .

قالت ليلى بهدوء : " فى ذلك الوقت ، تلك عبارة مهمة جداً " .

قال تيرنى : " نعم " ، ثم نهض وسار نحو حائط عرضت عليه أفضل أعداد المجلة . وأخذ تيرنى ينظر إلى أعداد المجلة المعروضة كل على حدة ، لكن ليلى لم تكن تعتقد أنه يقرأ النسخ أو يتفرج على صور الأغلفة بالفعل .

" لم يمنعانى أبداً من رؤيتها ، بل كانا يشجعان ذلك فى الحقيقة . لكن زيارتى كانت دائماً محرجة ، فلم تكن ابنتى تعرفنى ، وما كنت أنا أعرفها . كنت غريباً تضطر الطفلة المسكينة لرؤيته من حين لآخر . كنت كمن يدخل المسرح من اليسار ، ويقول سطراً أوسطرين لائقين ، ثم يخرج من اليمين ويختفى فى الكواليس عاماً آخر أو نحو ذلك . كانت تلك هى

حياة ابنتى ، وكنت ألعب دوراً هامشياً فيها . وبمرور السنين ، لم أقم حتى بهذا الدور ، حيث بدأت زيارتى تقل " .

انتقل تيرنى إلى غلاف آخر وراح يتفحصه ثم قال : " كنت بالقرب من نهر الأمازون حين جاءنى خبر اختفائها . علمت أنها اختفت دون أى أثر ويُعتقد أنها اختطفت . استغرقت أسبوعين كى أعود إلى الولايات المتحدة .

فلم أكن قد رأيتها لسنوات ، وتم إخبارى بالأمر من باب المجاملة فقط . اندهشت بولا حين ظهرت بعتبة بيتها فى ناشفيل ، وهو ما يدل فى حد ذاته على أشياء كثيرة تتعلق بى وبأولوياتى . أليس كذلك ؟ وبدلاً من أن أخفف عنها وأفعل ما يمكننى فعله للتخفيف من وطأة الموقف بالنسبة لها ولـ " لامبيرت " . تصرفت بشكل أحمق .

لقد واتتنى الجرأة على انتقادهما لرحيلهما وعدم البقاء لوقت أطول فى كليرى والإصرار على استمرار البحث . كان الشتاء قد بدأ . ولم يكن ممكناً استمرار المئات من الناس فى تمشيط الجبل ، لكننى رفضت أن أقبل بأنه ليس هناك ما يمكن فعله سوى الأمل فى أن تظهر تورى فى مكان ما يوماً ما . لم أستطع الاكتفاء بوضع صورتها على علب اللبن وتحتها رجاء لمن يعرف معلومات عنها " .

استدار تيرنى ليواجه ليلى قائلاً : " لقد طردنى لامبيرت من بيته . ولست ألومه . سجلت اسمى للإقامة بأحد الفنادق . وفى غرفتى بالفندق ، حيث لا شئ يخصنى سوى حقيبة ملابسى ، اكتشفت فجأة بأنى وحيد .

وكان كل من بولا ولامبيرت يلتمس العزاء فى الآخر ويبكى إلى صدره ويستند عليه ، أما أنا فلم يكن لى أحد ، بما جنت يداى . جال فى خاطرى عندئذ أننى تخليت عن الشخص الوحيد الذى تجرى فيه بعض من دمائى ، ولم أدرك إلا فى هذه اللحظة كم كنت أنانياً حقيراً .

لم يكن التخلى عن تورى تضحية . هذا هو ما أقنعت به نفسى ، لكنه لم يكن صحيحاً . كان الدافع هو الأنانية ، وليست تضحية عظيمة وإنكاراً للذات من أجل ابنتى . كنت أريد أن أجوب العالم ، وكنت أريد أن أصبح حراً فى أن أحزم أمتعتى وأتوجه إلى حيث أريد دون أن أضع أسرتى فى اعتبارى . فى غرفة الفندق الخالية تلك ، رأيت نفسى ؛ أو على الأقل رأيتها على حقيقتها والتى قررت أن تكون ماضياً . وعلمت حينئذٍ أن الوقت قد حان للتعويض .

عقدت العزم فى تلك الليلة على أن أعرف ما حدث لـ " تورى " أو أموت محاولاً ذلك . كانت تلك مسئولية لن أتخلى عنها ، وستكون آخر شيء أفعله من أجل ابنتى . الشيء الوحيد الذى أفعله من أجلها " . وحين انتهى تيرنى من هذه العبارة ، كان صوته قد صار أجش من شدة الانفعال .

" لقد قمت بالأمر حتى النهاية يا ليلى . كنت مريضاً بشدة ، لكننى كنت مع متخصص الطب الشرعى فى أثناء نقلهم الجثمان ، كنت مع بولا حين تم التعرف على رفات ابنتنا ، وأقمنا جنازة صغيرة ودفناها بشكل ملائم فى ناشفيل " .

حوّل تيرنى نظره عن أغلفة المجلات ونظر إلى ليلى . كانت عيناه مغرورقتين بالدموع وهو يقول : " كان يجب أن أطوى هذه الصفحة بالكامل قبل أن آتى إليك . هل تفهمينني ؟ " .

أومأت ليلى وقد سلبها الانفعال القدرة على الحديث .

" بعد سماع هذا ، قد ترين أن تقطعى علاقتك بى ، لكننى أتمنى ألا تفعلى " .

" هل تعتقد ... "

" ماذا ؟ " .

" فى ذلك اليوم الذى التقينا فيه عند النهر ، هل تعتقد أنك شعرت فى تصرفاتى بنفس الشعور من الوحدة والفقدان الذى كنت تشعر به ، إننى كنت قد فقدت آمى ، وكنت أنت قد فقدت تورى . هل أدركت أن هناك ـــــ "

" تقارباً فى روحينا ؟ " .

" شىء من هذا القبيل " .

قال تيرنى : " إننى واثق من ذلك " .

" هكذا ؟ " .

" مهلاً ، هل تظنين أن هذا هو ما جذبنى إليك ؟ الشىء الوحيد الذى جذبنى إليك ؟ " .

" أليس هذا صحيحاً ؟ " .

" ماذا ترين ؟ " .

كانت نظرته المثبتة عليها كاللمسة الحانية ، وكانت بمثابة إجابة السؤال بالنسبة لها . هزت ليلى رأسها وقالت : " لا ، أعتقد أن كلاً منا كان يعلم فى لحظة الوداع من ذلك اليوم أن هذه ليست النهاية ، بل هى تأجيل فقط " .

" إن الوقت الذى قضيناه معاً يمكن حسابه بالساعات ، لكننى أشعر وكأن أحدنا يعرف الآخر أفضل ما يعرف بعض الأزواج عن بعضهم " .

" هل نحن زوجان يا تيرنى ؟ " .

اقترب تيرنى منها قائلاً : " يا إلهى كم أتمنى ذلك" .

همست قائلة : " تريدنى ؟ " .

" ليست لديك أدنى فكرة كم أريدك ، وكم أرغب فى الزواج منك " .

كانت حركة ذراعه اليمنى مازالت محدودة ، فأحاط ليلى بذراعه اليسرى .

قال : " إذن ليس هناك ما يخيفك منى الآن " ، كانت ملامحه أكثر جدية وهو يقول : " سأكون أفضل هذه المرة يا ليلى أقسم لك . سأحبك كما لم يحبك أحد من قبل " .

" لقد فعلت ذلك بالفعل . لقد خاطرت بحياتك من أجلى . عدة مرات " .

" لم أكن أعرف كيف أحب قبل ذلك ، لكن ـــ "

وضعت أصابعها على شفتيه وقالت : " بلى . كنت تعرف يا تيرنى . ما كنت لتفعل ما فعلته وتضيع أكثر من سنتين من عمرك وتكاد تلقى مصرعك ، لو لم تكن تحب تورى " .

" لكنها ماتت دون أن تعرف ذلك " .

" لا أظن ذلك ، لقد كانت تعرف " .

بدا الشك عليه ، لكنها كانت تعرف أنه يريد بشدة أن يصدق ما تقلوه . قال تيرنى : " أخبرتنى بولا أن تورى كانت

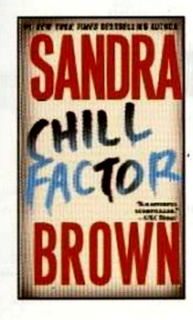
تقرأ كل مقالاتى ، وكانت تحتفظ بكل المجلات فى غرفتها ولا تتخلى عن أى منها " .

أحاطت ليلى رأسه بيديها قائلة : " كانت تعرف أنك تحبها " .

" لو أتيحت لى الفرصة مرة أخرى ، سأحرص أن يكون ذلك واضحاً . سأخبرها بذلك كل يوم . سأقوم بدورى بشكل مختلف ، سأقوم به بالشكل الصحيح " .

نظرت إليه ليلى وهى تعرف أن اليوم يومهما وحدهما . وسيكون هناك فى الغد ما يكفى من الوقت كى تخبره بأنه على الرغم من أنه فقد طفلته على الجبل ، فإنه لن يفقدها أو يفقد حبها بعد الآن .

لقد مُنح بالفعل فرصة ثانية لكى يقوم بدوره بالشكل الصحيح وهو أن يكون زوجها .



إن الكاتبة ساندرا براون . والتى تعد الروائية الأولى فى تحقيق المبيعات طبقاً لصحيفة نيويورك تايمز ، ترتفع بمستوى الإثارة إلى مستويات جديدة مذهلة فى رواية مثيرة ممتعة حول امرأة حبيسة فى كابينتها المعزولة مع رجل تشير كل الدلائل إلى كونه سفاحاً أثيماً .

تحت الصفر

يطارد رجل الشرطة - دتش بورتون - وقوته الصغيرة قاتلاً ، أطلقوا عليه اسم " الأزرق " فى بلدة جبلية هادئة تسمى كليرى بولاية نورث كارولينا . فقد اختفت خمس نساء . ووجد شريط أزرق بالقرب من المكان الذى شوهدت فيه كل منهن لآخر مرة . وكانت ليلى مارتين - زوجة دتش السابقة - قد عادت إلى كليرى لإتمام بيع الكابينة الخاصة بها هى وزوجها . وبينما تحاول مغادرة البلدة ، تصدم سيارتها رجلاً يظهر أمامها فجأة من الغابة . لا يجد الاثنان أمامهما خياراً سوى أن ينتظرا فى الكابينة حتى تنقشع العاصفة الثلجية الشديدة التى تواجههما . وبمرور الوقت عليهما معاً فى الكابينة ، تدرك ليلى أن أكبر خطر يهدد حياتها ليس العاصفة . بل الرجل الغريب وهو " بين تيرنى " الذى تتواجد معه فى كابينة واحدة . ومدفوعاً بالغيرة وأفكاره الشيطانية . يصمم دتش على إنقاذ ليلى ويعيدها إليه للأبد . لكن هل سيصل إليها قبل أن يضرب الأزرق ضربته التالية؟



6 281072 051167
282204014